تحفة الأنام

فِيمَا لِسَمَائِلِ الفَيحَاء
مِنْ مَعَالِمَ وَأَعْلَام

الجُزءُ الأَوَّلُ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

رقم الإيداع: 2021/4016
الرقم المعياري الدولي: 978-99969-3-774-3

تحفة الأنام

فيما لسمائل الفيحاء من معالم وأعلام

د. عبد الله بن راشد السيابي

سمائل

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

سماحةِ شيخِنا العَلَّامةِ أحمدَ بنِ حمدٍ الخليليِّ

المفتي العامِّ للسلطنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أمّا بعدُ: فإن تعلُّقَ الإنسان بوطنه، وارتباطَ مشاعره به، فِطْرةٌ مركوزةٌ في طبائع البشر، ولم يكن ذلك بمنأى عن خير القرون، فنبيُّنا ﷺ لم يكن يُخفي ارتباطَ مشاعرِه وأحاسيسِه بموطنِه الأوَّل، الذي وُلِدَ على ترابه وترعرع في محيطه، ولذلك ساءَه إخراجُه منه، كما أعرب عن ذلك في قوله: «أمَا والله لا أَخرُجُ منكِ، وإني أعلمُ أنّكِ أحَبُّ بلادِ الله إليَّ وأكرمُ على الله، ولولا أنَّ أهلَكِ أخرجوني ما خرجتُ»[(١)].

وكان المهاجرون تراودُهم هذه الأحاسيسُ وهم في دار هجرتهم، خصوصًا عندما تَعتريهم الأسقام، وكانوا يترجمونها بأقوالهم، كما في قول بلال رضي الله عنه عندما تُقلِعُ عنه الحُمَّى:

ألا ليتَ شعري هل أَبيتَنَّ ليلةً ... بوَادٍ وحَوْلي إذْخَرٌ وجَليلُ

وهل أرِدَنْ يومًا مياهَ مِجنَّةٍ ... وهل يَبدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفيلُ

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٩/٥، ٢٦٦٢).

ثم يتبع ذلك قوله: اللهمّ الْعَنْ شَيْبَةَ بن ربيعة، وعُتبةَ بن ربيعة، وأُمَيَّةَ بن خلَف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَباء.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يبتهل إلى الله بقوله: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مَكَّةَ أو أشَدّ، اللهمّ بارك لنا في صاعِنا وفي مُدِّنا وصحِّحْها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفة»، لتسكن جائشة تلك النفوس، فتألَفَ المدينة كما ألِفَتْ مكّة.

وقد تعاقب الشعراء والأدباء على تجسيد هذه المشاعر وترجمتها بلسان شاعريّتهم التي تتحدّث بلغة الحِسّ المُرْهَف والمشاعر الرقيقة، كما في قول ابن الرُّوميّ:

ولي وطنٌ آليْتُ ألا أبيعَه ... وألّا أرى غيري له الدهرَ مالِكا
عهدتُ به شَرْخَ الشباب ونعمةً ... كنعمة قوم أصبحوا في ظِلالكا
فقد ألفتْه النفسُ حتى كأنّه ... لها جسدٌ إن بان غُودِرَ هالِكا
وحَبَّب أوطانَ الرجال إليهمُ ... عهودُ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلكا
إذا ذكروا أوطانَهم ذكَّرَتْهمُ ... مآرِبُ قضَّاها الشبابُ هنالِكا

وإذا كان أبناء عمان تهفو نفوسُهم إلى كلّ شبر من القُطْر العماني كلِّه، كأنّهم نبتوا من عناصر ذَرَّات ترابه جميعا؛ فإنّهم مع ذلك نجدهم أكثرَ حنينًا وأعمقَ ارتباطًا بالمدينة أو الولاية التي تكتحل أبصارُهم برؤيتها أوّلَ مرَّة، وينعمون باللعب والمَرَح فوق أدِيم ترابها؛ يستنشقون عَبَقَه ويتامّلون ما خطّه الآباء والأجداد على لوحته من مآثر وأمجاد، يباهون بها الدهر، ويفاخرون بها الزَّمَن.

وإذا كان لكلِّ مدينة أو قرية مزاياها التي تختصُّ بها، فتعلق بها نفوس أبنائها، وتترنَّم بها نغمَاتُ أدَبهم شعرا ونثرا، ويفوح عِطْرُها من أزهار جِنان ذكريَاتهم فيها، فإن لمدينة **سمائل** وما يرتبط بها من القُرى والبلدان نصيبًا وافرًا

من ذلك، فقد كان لِسِــحْر طبيعتها الخَــلَّاب، وجمالِ منظرها البَهيّ، وتناسُــقِ أنحائها بين حدائقها الغنّاء في ضِفّتيْها، وتدفُّقِ ماء الحياة في واديها، مع جريان جداوله بروح الحياة في جِنانها أثرٌ في إلهام قرائحهم وتحريك مشاعرهم، فكانوا أكثرَ مساجلة في هذا، وقد عزَّز ذلك ما حفِلت به سمائل في تاريخها الواسع من وجود نبغاء في العلوم، وعباقرة في الأدب، وأفذاذ في الوَجاهة، من أهل الكِياسة والسياســة والفكر؛ الذين لا يُشَــقُّ لهم غُبار، بَدْءًا من الرائد الأوّل للإسلام في القُطْر العماني مازن بن غضوبة؛ الذي نال شــرف صحبة رسول الله ﷺ والسبقِ إلى الإســلام من بين أهل قُطْره، فكانت هذه المزايا دُرَّةَ تاج فَخارهم، وإنسانَ عَيْن مجدهم الأصيل طارفِه وتَليدِه.

وإذا كانــت هِمَمُهم لم تتوانَ فتــرةً من الزمن عن تخليد هــذه المآثر في مساجلاتهم الأدبيَّة، فإنّ جَمْعَ شَتاتها وتنظيمَ فرائدها في سِلْكٍ بديعٍ سَبَقَ إليه ابنُ ســمائل البارُّ؛ الذي جمَع بين العلم والأدب، وأحرزَ قَصَباتِ السَّــبْقِ في النثر والنظم، فضيلة الشيخ المُكَرَّم/ عبد الله بن راشد السيابي في مؤلَّفه القيِّم الحافل «تحفةُ الأنَام فيما لسمائلَ من معالم وأعلام»، فحيثما وقع بصر الناظر فيه يجد بين يديه من هــذه الكنوز الثمينة ما يوليه ثــروةً علميَّة ومتعة أدبيَّة، ويحفِّز همَّتَه إلى أن يقفو هذه المآثــر ويتّبعَها في مظانِّها، حتى يقال: كم تركَ الأوَّلُ للآخِرِ.

فالله يَجزيه الخيرَ ويُوليه الإحســانَ، ويُجزلُ له الثوابَ على ما قدَّم، ويوفِّقُه للمُضِيِّ قُدُمًا شَــاقًّا طريقَ العلم والأدب، جامِعًا بين الأصالــة والمعاصرة، إنه تعالى وليُّ التوفيق.

٣ ذي القعدة ١٤٤٢هـ

تقريظُ الكتاب

من الشيخ الأديب
هلال بن سالم بن حمود السيابي

أسِفْرُكَ أم فَجْرٌ...

مُهداةٌ لفضيلة الشيخ الفقيه الأديب عبد الله بن راشد السيابي نائب رئيس المحكمة العليا (سابقا) تقريضًا لكتابه حول ولاية سمائل.

أسِفْرُكَ أمْ فجرٌ أطلَّ وأسفرا ... فضاءَتْ به منه المدائنُ والقُرى
وتاهت به الهِيفُ الأوانِسُ وانثنتْ ... تمورُ على رَيَّاه مِسْكاً وعنبرا
وكادت نخيلُ الضِّفَّتيْنِ من الهوى ... تقبِّلُه وَجْدًا وتخشاه أنهُرا
وتَسري به ريحُ الصَّبا ما تأرَّجتْ ... وتهفو به في الرَّوْضِ نَدًّا وعَبْهرا
فما هو إلا من عبير زهورها ... وما هو إلا النَّجْمُ من أُفْقِها سَرى
وما هو إلا من أعِنَّتِها انثنى ... وما هو إلا من أسِنَّتِها انبرى!!
وما هو إلا من كواكب صرْحِها ... وإن طبَّقَ الآفاقَ فَجْرًا مُنَوَّرا

❊ ❊ ❊

فِدًى لكَ نفسي يا ابنَ راشد ما الهوى ... سوى أن يصولَ الليثُ عَزْمًا ويزأرا
ويَحمِلَ هَمَّ الغاب في لِبْدَتيْه ما ... سرى في الشَّرى يومًا وأن يَحميَ الشَّرى
فقل لحَمَام الأيْك إن تبعثي الهوى ... فإنّيَ أسمعتُ البَواديَ والذُّرى
وخلَّفتُ نخْلَ الضِّفَّتينِ مَروعةً ... تكادُ من الأشجان أن تلمَسَ الثَّرى
وأسكرتُ هاتيكَ الضِّفافَ وهكذا ... إذا ما الهوى يوْمًا تحكَّمَ أسْكرا
كأنَّ الهوى لو لامَسَ الصَّخْرَ مرَّةً ... منَ الوَجْد خِلْتَ الصَّخْرَ منه تفجَّرا
على أنه إنْ يَسْمُ يومًا بمَيِّتٍ ... فلا بُدَّ أن يُحيي العظامَ ويَنْشُرا

❊ ❊ ❊

أبا مُؤثرٍ جئتَ البلادَ برائعٍ ... من القول بل بالفجر ضَاءَ وأسفرا
وقلَّدتَها ما لايُرامُ منَ الهَوى ... عُقودًا تباهي بالجلائل قيصرا
فمِنْ كوكبٍ ضاحي الأريكة مُشْرقٍ ... ومن شُهُبٍ باتت تعانِقُ نيِّرا
ومن سَوسنٍ غَضٍّ ومن نِرْجَسٍ نَدٍ ... ومن زَهَرٍ حَالٍ يُصافِحُ أزهرا
طلعتَ معَ التاريخ تزهو بوحيهِ ... وتختارُ منه الجوهرَ المُتَخَيَّرا
وتَنْعَتُ من أركانها كلَّ ثابتٍ ... قويٍّ وتُحيي ما انطوى وتغيَّرا
فكنتَ لها الابنَ الوَفيَّ لمجدها ... وكنتَ لها السيفَ الصقيلَ المُشَهَّرا!!
وكنتَ لها ذاكَ الحَفِيَّ بعِزِّها ... وكنتَ لها ذاك اللِّواءَ المؤزَّرا!!

❊ ❊ ❊

سـلامٌ على الفيحاء ما هبَّـتِ الصَّبا ... وما نفَحَتْ تلك الرُّبى المِسْكَ أذفرا

رُبَّـى كرُبى الفردوس في سُـبُحاتها ... وفـوَّاحِ ريَّاهـا اذا هَـبَّ أو سَـرى

تعالـتْ مـع الشُّـهْبِ العَليَّـة رِفْعَةً ... وماجَـتْ مع الأنسـامِ عَرْفاً مُنَشَّـرا

سـمائلُ إن تُذْكَـرْ فمَجْـدُ ورِفْعَـةٌ ... يمورُ مـدى التاريـخِ وِرْداً ومَصْدَرا

وإن يُذْكَـرِ الإسـلامُ فهـي عَرينُـه ... وإن تُذْكَـرِ العليـا فحسْـبُكَ مَفخَرا

كأنّ إلـهَ العـرش قـال لأرضهـا ... ألا فلتكونـي للأهلّـة مَظْهَـرا

فلا غَـرْوَ إن جاء الغَداةَ ابنُ راشـد ... برائعـةٍ توحـي الجُمَـانَ المُشَـذَّرا

ويُرسِـلُ فيها القولَ أوضحَ من ضُحىً ... وأعبـقَ مـن زَهْـرٍ كريـمٍ وأنضَرا

فمن ذلـك الـوادي وأنهُرِ سَـفْحهِ ... يَفيـضُ بيانـاً كالـدَّراري وجوهرا

رَبَـا فـي روابيهـا وبَـاءَ بحُبّهـا ... وَصَـالَ بها فـي المَكْرُمـات وكبَّرا

وأشـرقَ فـي آفاقِهـا نيِّـرَ الهـدى ... كريـمَ مسـاعي الخيـرِ فَـذًّا مُوَقَّرا

فـلا بـرِحَ الـرُّوحُ الإلهـيُّ آخِـذًا ... بكِلْتـا يديْه هاطـلَ الغَيـثِ ممطِرا

ولا زالـتِ الفيحـاءُ للعـزِّ والعُلى ... وللدِّين والدُّنيـا الحديـثَ المُحَبَّرا

يراوحُهـا رَوْحٌ مـن الله طاهـرٌ ... ويغدو عليها فـي الخِتـام مُطَهَّرا!!

٢٧ شوال ١٤٤٢ هجرية

٩ يونيو ٢٠٢١م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل حُبَّ الوطن من الإيمان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وسراجا للمهتدين، وإماما للمتقين، سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ الوَطنَ كَلِمةٌ صَغِيرَةٌ فِي مَبْناهَا، عَظيمَةٌ فِي مَعْناهَا، كَلِمةٌ مَا إِنْ تُذْكَرُ حَتَّى تَتَحرَّكَ لَهَا المشاعِرُ، وَتَتفاعَلَ مَعَهَا الأحَاسِيسُ؛ كيفَ لا، وَحُبُّ الوَطَنِ حُبٌّ فِطْرِيٌّ مَغْرُوسٌ فِي النُّفوسِ، مجبولَةٌ عَلَيْهِ الخَليقَةُ، حتَّى الحِيتانُ فِي أَعْماقِ بِحارِهَا، وَالوُحوشُ فِي غَاباتِهَا، وَالطيورُ فِي سَمَائِهَا، تَحِنُّ إِلَى أَوطانِهَا، والوفاءُ للوطن وفاءٌ بالإيمان، واعترافٌ بالإحسان، يشتاقُ إليه المسافر، ويحِنُّ إليه الخاطر.

رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ المَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ ـ أَيْ أَسْرَعَ بِهَا ـ وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا».

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَدِمَ أَصِيلٌ الْغِفَارِيُّ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَصِيلُ،

كَيْفَ عَهِدْتَ مَكَّةَ؟ قَالَ: عَهِدْتُهَا قَدْ أَخْصَبَ جَنَابُهَا، وَابْيَضَّتْ بَطْحَاؤُهَا قَالَتْ: أَقِمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَصِيلُ، كَيْفَ عَهِدْتَ مَكَّةَ؟» قَالَ: وَاللهِ عَهِدْتُهَا قَدْ أَخْصَبَ جَنَابُهَا، وَابْيَضَّتْ بَطْحَاؤُهَا، وَأَعذقَ إِذْخِرُهَا[١]، وَأُسْلِتَ ثُمَامُهَا[٢]، وَأَمَشَّ سَلَمُهَا[٣] فَقَالَ: «حَسْبُكَ يَا أَصِيلُ لَا تُحْزِنَّا»[٤].

قال زهيرُ بنُ أبي سُلمى:

أحَــبُّ بِلادِ اللهِ ما بَيْــنَ مَنْعَجٍ[٥] إليّ وسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحابُها
بِلادٌ بِهــا نِيطَتْ علــيَّ تَمائِمِي وأَوَّلُ أَرْضٍ مَــسَّ جِلْدِي تُرابُها

وقال آخر:

ذَكَرْتُ بلادِي فاسْتَهَلَّتْ مَدامِعِي لشَوْقِي إلى عَهْدِ الصِّبا المُـتَقادِمِ
حَنَنْتُ إلى أَرْضٍ بِها اخْضَرَّ شارِبِي وقُطِّعَ عنِّي قَبْــلُ عِقْــدُ التَّمائِمِ

كيف لا؟؟؟

---

(١) قوله: أعذق إذْخَرُها أي: صارت له أفنان كالعذوق، والإذْخَرُ: نبْت معروف بالحجاز.

(٢) وأسْلَتَ ثمامها أي: أخوص، وصار له خوص، والثمام: نبت معروف بالحجاز ليس بالطويل.

(٣) وقوله: وأمشّ سَلَمُها أي: أورق واخضرّ، يعني: أن ثمارها خرجت ناعمة رخصة كالمشاش.

(٤) شــرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك «كتاب الجامع» باب فضائــل المدينة «ما جاء في وباء المدينة» ٣٦/٤ (نسخة إلكترونية).

(٥) العين لفتح عين مضارعه ومجيئه مكســورا شــاذّ، على أن بعضهم قد رواه بالفتح والمشهور الكسر: وهو واد يأخذ بين حفر أبي موســى والنباج ويدفع في بطن فلج، ويوم منعج: من أيام العرب لبني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم على بني كلاب، قال جرير:
لعمرك لا أنسى لياليَ مَنْعَجٍ... ولا عاقلا إذْ منزل الحيّ عاقل.
الحموي، ياقوت، معجم البلدان ٢١٣/٥.
والمنطقة تعرف بمدينة دخنة الآن، وتقع (دخنة) في جنوب غرب القصيم وعلى الطريق المؤدّي إلى مكّة المكرّمة.

وبلدنا سـمائل هي فيحاءُ عمان بتسـليم الكُلّ، واعتراف الجميع، ويكفيها شـرَفًا أنها بلاد مازن بـن غضوبة الطائـي، وصالح بن المتـوكِّل، الصحابيّين الجليلين، رضي الله عنهما وأرضاهما، فمن واديها سـال نهْرُ الإسلام إلى ربوع عمان، ومن مسجدها فُرِشَتْ سجّاداتُ الصلاة في عمان.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الرسم والمنهج اعتمل في نفسي أداء شيئ من الواجب لبلدي سـمائل، وأن أكتب عنه بحدّ المستطاع ومبلغ الجَهد ولو بالنزر اليسـير، والنفس بين إقدام وإحجام، خوفا أن يتّسـع الخَرْق علـى الراقع، لأنّ الموضوع واسع المقام، كثير الزحام، والخشية من التقصير، أو الغفلة عن شيئ له مقام خطير، ولكنّ الكمال لله وحدَه، فهذا مَبْلَغُ الجَهد، ومنتهى الوُسْع، ولقد يسّر الله وفتح أن أنظم قصيدة في الأعلام، لتكون مقدِّمة للكتاب وعنوانا للكلام، وسمّيتها: (زَهْرُ الخمائل في أعلام سمائل)، في مائتين وثمانين بيتا، ولقد جعلت الكتاب في عشرة أقسام، وهي:

القسم الأول: قصيدة زَهْرِ الخمائل في أعلام سمائل.

القسم الثاني: التعريف بسمائل وذِكْرُ بعض معالمها.

القسم الثالث: سمائل والباروني.

القسم الرابع: وُلاة وقُضاة سمائل.

القسم الخامس: جُبَاة الزكاة في سمائل.

القسم السادس: المجالس الأدبيّة السمائليّة.

القسم السابع: القصائد السمائلية.

القسم الثامن: المقامة السمائليّة.

القسم التاسع: الأعلام.

القسم العاشر: الخاتمة.

واشـــتمل على ذكر العلماء والفقهاء والأساتذة والأدباء والفضلاء والأعيان، وإنني لم أتعرّض لذكر الأحياء منهم إلا الشيئ اليسير، نظرا لبعض الاعتبارات، والقاعدة المعروفة: إنه لا يُتَرْجَمُ للأحياء.

ولا أدَّعـي الإحاطـــة بالموضوع، فذلك شيئ خـارج عـن الاستطاعـة وحـــدّ المعرفة، فإذا غـــاب عنّي ذِكْـــرُ البعض، فليس من بـــاب التجاهُل والتناســـي، وإنّما من باب عدم العلم وقلّـــة الاطلاع، والكتـــابُ هذا ربّما سيكون فاتحا للبحث في هذا المجال، والكلُّ يدري ويعـــلمُ أنّ مـــصادرَ التأريخ شحيحـةٌ في بلدنا عمان، ولذلك الباحثُ في هذا الميدان يلاقي من الصعوبة الشيئَ الكثير.

هذا وأشكرُ كلَّ مَن ساعَدَ وســاهَم وأمّدَني بمعلومات تخدِمُ الكتاب، من الإخوان أو الطـــلّاب، أو أعانني على معرفة الســـير في جهاز الحاســـوب من الأولاد الأحباب، لا سيّما محمَّدٌ وعبدُالوهَّاب، لأنّ معرفتي به قليلة، وبضاعتي في فنِّه مُزْجاة كَليلة، ولكنِ التفرّغُ من العمل وحَجْرُ الوباء يسَّرا لي العيشَ في مكتبتي، والأنسَ بها.

كما قال القاضي عليُّ بن عبد العزيزِ الجُرْجانُّي:

مـــا تطعَّمتُ لـــذَّةَ العيـــشِ حتَّى صِرْتُ للبيتِ والكتابِ جليســـا
ليـــس شـــيءٌ أعـــزَّ مـــن العلـــ ـــمِ فمـــا أبتغي ســـواهُ أنيســـا

هذا وأُزجي عظيمَ الشـــكر وجميلَ الذكر لشـــيخي العلَّامة الجليل المحقِّق أحمدَ بنِ حمدٍ الخليليِّ على تَكُرُّمِه بالتقديم لهـــذا الكتاب، وذاك تاجٌ أعتزُّ به، وقِلادةٌ يتحلَّى بها الكتاب، حفظَ اللهُ شيخيَ مُسَدَّدًا مُؤَيَّدًا مُعَافى.

كما أشكرُ شاعرَ عمانَ المُفْلِقَ والأديبَ الكبيرَ الشيخَ هلال بن سالم السيابي على تقريضه للكتاب بقصيدته الغَرّاء، ورائيَّته العَصْمَاء.

كما أشــكرُ المُكَرَّمَ الأديبَ نجــلَ أميرِ البيــان الشــيخَ محمد بن عبد الله الخليلي، الذي قرأ الكتابَ كاملًا، وراجَعَه مراجَعةً دقيقةً، وأفدتُ من ذلك إفادةً مُهِمَّةً في محلِّها وموضعِها.

وأشكرُ الولَدَ المُجِدَّ راشد بن محمد المَيَّاحي الرُّستاقي الذي وضع كثيرًا من معاني كلمَات المَقامَةِ السَّمَائليَّة للشيخ أمير البيان الخليليّ.

كم أشكرُ المشــايخَ عبدَالعزيزِ ومحمَّدًا وطَاهِرًا أبناءَ الشيخ سعود بن علي الخليلي على دَعْمِهم طِباعةَ الكتاب، ووفائهم لما شَــرَعَ فيه والدُهم من مبادرة وهمَّة لطباعته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»[(١)].

فللجميع وكُلِّ مَن ذكرتُ الدُّعاءُ الخالصُ بالتوفيق لما يحبُّه الله ويرضاه، وأن يُجزِلَ لهم المثوبةَ والإحسان، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

قال رســول الله ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًــا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَــمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[(٢)].

كما وأسأل الله التوفيق والتسديد، والرُّشْــدَ لكلِّ عمل سديد، وأن يختمَ لي بصالح العمل، وصادق القول، وحُسْــنِ النيَّة، وســلامة الطَّوِيَّــة، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

عبد الله بن راشد السيابي

سمائل ـ الغبرة

١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

(١) (رواه أحمد وأبو داؤد والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان والطيالسي، وهو حديث صحيح صحّحه الألباني).

(٢) رواه أبو داؤد (١٦٧٢). وصحَّحه الألبانيّ في صحيح أبي داؤد.

القسم الأول

قصيدة زَهْر الخمائل في أعلام سمائل



بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدِّمة)

سَلَامَ الهُدَى تُهْدِي إلينا سَمائلُ ... وتَحْمِلُه باليُمْن منها فضائلُ
وتُضفي عليه من شمائل مجدِها ... خِصَالًا تجلَّتْ حِينَ تَسْمُو الشَّمَائل
تُضَمِّخُه طِيبًا يفوحُ مُعطَّرًا ... وتحلو به تلك الرُّبى والخَمائل
سلامٌ على الفيحاء وهي عظيمةٌ ... بتأريخها إذ سطّرته الأنامل
سلامٌ على الفيحاء وهي جليلةٌ ... بأفعالها تزهو وتسمو الفعائل
سلامٌ على الفيحاء وهي حميدةٌ ... بأزكى خصال المجد وهي فواضل
سلامٌ عليها إذ أقامت مآذِنًا ... تهلِّلُ بالإيمان تلك المحافل
لقد سبقت تبغي الهدى في رياضه ... وتنهلُ منه وهو بالخير هاطل
على ظهر قصواءِ الفيافي تكلَّلتْ ... مسيرتُها باليُمْن وهي تُواصِل
تحطُّ ركابَ السير في طيبة المُنى ... إلى حيثُ نورُ الله والدينُ كامل
إلى المصطفى المختارِ جاءت منيبةً ... مصدِّقةً تَرمي لما هو باطل
وتغرفُ من بحر الهدى دعوة أتت ... ثمارَ التجلِّي وهي نعْم الدلائل
تعود بحُسنى العَوْدِ وهي وضيئةٌ ... بأنوار دين الله نِعْم الحَمائل
وتنشرُه بين الورى ليرى الهدى ... بدنيا وفي الأخرى تَطيبُ المنازل

(الأعـــلام)

على مـــازنٍ[١] منّـــي ســـلامٌ معطَّرٌ ... تَهـــادى إليـــه ضمَّخَتْـــه الغَلائـــل
ســـلامٌ عليـــه وهـــو يحمـــل نفحةً ... لَدُنّيَّـــةً مـــن ذي الجـــلال تُطـــاوِل
وصالح[٢] أوصـــى المصطفى مازِنًا به ... غـــلامٌ لـــه تحمِلْهُـــمُ ذي الرَّواحـــل
لِيَهْنَـــك من تلـــك الوُصـــاةِ عبيرُها ... تنيـــرُكَ منهـــا فـــي الحياة مشـــاعِل
وأين خيـــارٌ[٣] نجـــلُ ســـالمٍ من له ... بطـــيّ مقـــام للعلـــى متواصـــل
له الفضـــلُ سِـــيمَا والزهـــادةُ موردٌ ... فأنعمْ بذي الأوصاف وهي شـــمائل
وطالوتُ[٤] من أهـــل العلوم وحِزْبها ... همُ القـــوم أهـــلُ المجد غُـــرٌّ أوائل
وأين فتـــى غيلانَ هاشـــمُ[٥] مَن غدا ... أخا الفضـــل طُرًّا وهـــو للفقه حامل
وصِنْوٌ له عبدُالمليـــك[٦] الذي رقى ... مقامًـــا ومـــن علـــم الشـــريعة ناهِل
كذاك أخـــو العليا محمّـــدُ[٧] قد أتى ... فتى هاشـــمٍ هُـــمْ في العلـــوم أوائل
ومِـــن بعدهم ذو الفقه نجـــلُ محمّدٍ ... ســـعيدٌ[٨] وأمّـــا الجدُّ هاشِـــمُ فاضل
فذي أســـرةٌ بالعلـــم يشـــرقُ نورُها ... عليهـــا مـــن الفضل العميـــم فضائل
مُسَـــبِّحُ[٩] مـــن آل الهُمَيْـــم وابنُـــه ... محمـــدُ[١٠]ذو فقـــه ونِعْـــمَ الأماثـــل

(١) الصحابي الجليل مازن بن غضوبة الطائي.
(٢) الصحابي الجليل صالح بن المتوكّل غلام مازن بن غضوبة.
(٣) الورع الزاهد الخيار بن سالم الطائي.
(٤) الفقيه طالوت السَّمَوْأَلي.
(٥) العلّامة هاشم بن غيلان السيجاني.
(٦) العلّامة عبد الملك بن غيلان السيجاني.
(٧) العلّامة محمد بن هاشم بن غيلان السيجاني.
(٨) العلّامة سعيد بن محمد بن هاشم بن غيلان السيجاني.
(٩) العلّامة مسبّح بن عبد الله من قرية «هيل»
(١٠) العلّامة محمد بن المسبّح بن عبد الله الهميمي.

أخوه الفتى عبْدٌ لرحمانَ[١] قد سمى ... وتأريخُهم بالمجد والعلم حافل
فتى القاسم الميمونُ ذاك محمّد[٢] ... وكلُّهمُ حزبُ التُّقاةِ عَباهِل
فتى عُمَرَ السَّيْجاني[٣] أكرمْ بعلمه ... زهَتْ بهمُ دارٌ وطابت مَحافِل
ونجلُ خليلٍ أحمدٌ[٤] طاب عنصُرًا ... زكى بفعالٍ وهو بالعلم آهِل
كذاك ابنُه وهو الفقيه محمّد[٥] ... سَمَوْا فمِن الشرع الشريف نواهِل
وأحمدُهم ذاك الرضيُّ محمّدٌ ... أبوه ومن سَيْجَا له الذكر شامِل
وعبدُالإله[٦] الحَبْر نجلُ محمّد ... فقيهٌ نمَتْهُ للمعالي فضائل
ومن قد دُعي بابنٍ لزائدة العُلى ... محمّدُ[٧] أكرِمْ ذا سَرِيٍّ حُلاحِل
أبو بَكرٍ الميمونُ أنجبتَ مَرجِعًا ... محمَّدُ[٨] ذو فضل وللعلم حامِل
وأحمدُ إبنُ النضر[٩] من ناعِبٍ سَما ... شهيدٌ وذو عِلْمٍ ومن لا يُطاوَلُ
لكَ الويلُ يا جبّارُ خردلةٌ بما ... جنَتْ منك نفسٌ بئسَ ذاك التطاوُل
قتلتَ وليّ الله ذا العلم والتقى ... ولا شكّ أنّ الظلمَ في الحال زائل
ومكتبةٌ للشيخ حرَّقتَ كُتْبَها ... ونِلْتَ الجَزا سُوءًا بما أنت عامِل
فتى الخَضِرِ[١٠] الزاكي تجلَّى وسُجِّلَتْ ... مآثرُه بالعلم وهي مَشاعِل

(١) العلّامة عبد الرحمن بن المسبِّح بن عبد الله الهميمي.
(٢) العلّامة محمد بن القاسم بن المسبِّح.
(٣) العلّامة محمد بن عمر بن محمد السيجاني.
(٤) العلّامة أحمد بن خليل السيجاني.
(٥) العلّامة محمد بن أحمد بن خليل السيجاني.
(٦) العلّامة عبد الله بن محمد السمؤلي.
(٧) العلّامة محمد بن زائدة، ابو عبد الله.
(٨) العلّامة محمد بن أبي بكر السمؤلي.
(٩) العلّامة أحمد بن سليمان بن عبد الله بن النضر الناعبي.
(١٠) العلّامة أحمد بن الخضر الناعبي.

وقل لأبي بكر فتى النَّضْر أحمدٍ[١] سلامٌ على عَلْيَاكَ نعْم المنازل
ونجلُ سليمانٍ هو الخَضِرُ[٢] الفتى من النُّعْب كم للنُّعْب فينا شمائل
ويحيى[٣] ويحيى[٤] أشرقا وتَهلَّلا بعلْمٍ وقد زانت لديهم محافل
عبادلة[٥] كانوا ثلاثةَ في العُلا وهم في ذُرا العلم الشريف مَناهِل
فتى أحمدٍ ذاكم محمّد[٦] عالمٌ له في العُلا ذكْرٌ حميدٌ وطائل
محمدُ[٧] ذيّاك الطبيبُ ومَن أتى نفوسةَ أرضَ الغرب والبُعْدُ هائل
وقد جمعتْه بالمؤرّخ زَوْرة بشمّاخها يحلو اللِّقا وهو حافِل
وطفْ بحَمَمْتٍ ذي الجَناةُ وحَيِّها بنجل يزيدٍ[٨] وهو بالعلم عامل
كذا أحمدٌ[٩] والجدُّ وَرْدٌ سمَتْ بهم مكانًا وأضحت بالثناء تُطاوِل
وفي بوسعيد[١٠] نجلِ أحمدَ ملتقى علومٍ وحيّتك العلوم الكوامل
وبلعربٌ نجلٌ له كان قاضيًا فقيهًا سليمانٌ[١١] تقيٌّ مناضِل
كذا خلَفٌ[١٢] ذاك الرقيشيُّ شارح دعائمَ إبن النضْر وهي فضائل

(١) العلّامة أحمد بن أبي بكر بن النضرالناعبي.
(٢) العلّامة الخضر بن سليمان الناعبي.
(٣) العلّامة يحيى بن عبد الله الناعبي.
(٤) العلّامة يحيى بن عبد الله السمائلي.
(٥) العلماء: عبد الله بن محمد بن الخضر، وعبد الله بن أحمد بن الخضر الناعبي، وعبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عمر.
(٦) العلّامة محمد بن أحمد السمائلي.
(٧) الفقيه الطبيب محمد بن عبد الله السمائلي.
(٨) الفقيه أحمد بن عبد الله بن محمد بن يزيد البوسعيدي.
(٩) الكاتب الناسخ أحمد بن خلف بن محمد بن قاسم بن وَرْد البوسعيدي.
(١٠) الفقيه بوسعيد بن أحمد بن عبد الله البوسعيدي.
(١١) الفقيه القاضي سليمان بن بلعرب بن محمد بن بلعرب بن أبي القاسم بن يزيد البوسعيدي.
(١٢) الفقيه خلف بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بلحسن بن أحمد بن بكر بن عثمان الرقيشي الحمْيَري.

وإبــنٌ لــه ذا أحمــد[١] وهــو عالمٌ ... وقــد كَرُمَــتْ بالعلــم منه شــمائل
كــذاك فقيــهٌ مــن رُقَيْــشٍ بأحمــدٍ ... يُسَــمَّى فتى عبــد الإلــه الحُلاحِل
ومَن جَــدُّه أيضا بشــيرُ بــنُ جمعةٍ ... بأحمدَ يُدعى وهــو ذو الفقه فاضل
وبلعــربٌ إبــن لــه ذا محمــد ... [٢]فقيــهٌ وفقــهُ المــرء فضــلٌ ونائلُ
ونجلٌ لــه يُدعــى بناصــرِ[٣] عالمٌ ... وقــاضٍ بحكْم الشــرع والحقّ قائل
وحَمْيَرُهــم[٤] ذاك الهُمَيمــيُّ ماهِــرٌ ... بطِــبٍّ وفقــه فيهمــا لا يُطــاوَل
ونجلُ حمودٍ ذاك عيسى [٥]وَلي القضا ... زمانًــا ونعْــم المرءُ بالقِسْــط فاصل
فتى حامدٍ[٦] ذاك الزعيمُ أخو الندى ... هو الراشــديُّ النَّدْبُ قَــرْمٌ حُلاحِل
وصاهَرَ نورَ العــدل والفضل والتقى ... إمــامٌ خليلــيٌّ رضــيٌّ وعــادل
ومــن آل هشّــام كــرامٌ أهلَّــةٌ ... فتى حــارث[٧] أو غيرُه هم بواســل
وفــي مَحْــرَم قــومٌ سَــراةٌ أماجــدٌ ... وهم في الدُّجــى أقمار تَــمّ كوامل
كعبد الإله[٨] الشــهم نجْــلِ محمد ... وســالمٍ[٩] مــن بَهــلان قــوم أماثل
وعلّامــةٍ[١٠] شــيخِ النثــار وشــاعرٍ ... عظيــمٍ رقــى العليا وطابــت منازل

(١) الفقيه أحمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بلحســن بن أحمد بن بكر بن عثمان الرقيشي الحُمْتي.
(٢) الفقيه محمد بن بلعرب بن بلقاسم بن يزيد البوسعيدي.
(٣) الفقيه القاضي ناصر بن محمد بن بلعرب بن بلقاسم بن يزيد البوسعيدي.
(٤) الفقيه الطبيب حَمْيَر بن مرهون بن عنبر بن سرحان الهميمي.
(٥) الفقيه القاضي عيسى بن حمود بن علي بن سلوم الهميمي الرواحي.
(٦) الشيخ أحمد بن حامد بن سيف الراشدي.
(٧) الشيخ محمد بن حارث بن محمد بن ناصر الهشامي.
(٨) الشيخ القاضي عبد الله بن محمد البهلاني الرواحي.
(٩) الشيخ القاضي سالم بن عديّم بن صالح البهلاني الرواحي.
(١٠) الشيخ العلّامة ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني الرواحي.

فكم صاغ من نظْم السلوك جواهرًا ... وفاض بها كالنهْر وهي جداول
يردُّدها العشّاقُ ذكْرًا وسُلْوةً ... بفيض التجلِّي والدُّجى ثَمَّ لائِلُ
وكم حرّك الوجدانَ مستنهضًا لها ... بنونيّةٍ فيها القَنا والذوابل
ونجلُ سليمانٍ[١] لبَهلان ينتمي ... هو الكاتبُ المعروفُ والشعرَ قائل
ونجلُ عُمَيْرٍ ذا سليمانُ[٢] وابنُه ... بسالم[٣] المعروف قومٌ عباهل
ونجلاه موسى ثمَّ ناصرُ[٤] أشرقا ... أديبان إنْ للشعر قام التساجُل
محمَدُ[٥] قاضٍ نجْلُ سيفٍ وجَدُّه ... سليمانُ ذو جُودٍ ومَن هو فاضِلُ
كذا يوسفُ[٦] القاضي وقد نال حُظْوَةَ ... الإمامِ بنزوى وهو في الحصن آهِل
ويحيى[٧] فتاه النَّدْبُ صار مدرِّسًا ... وسَيْلُ نظام الشعر في الحالِ هاطِلُ
فتى حمَدٍ ذاكمْ سعيدٌ[٨] أخو الندى ... زعيمٌ ووالٍ تعرفَنْه المحافل
ومن فَيْحةٍ قاضي الجزيرة عالمٌ ... بإفريقيا البَطَّاشي[٩] في الشرق ماثِل
كذلكمُ من فَيْحة جاء شاعرٌ ... ومن آل بطّاش وقاضٌ وعادل[١٠]
بنو جابرٍ من آل ذبيانَ أنتمُ ... حُماةُ الوَغى في طعنها وصَياقل
فذا سالمٌ[١١] نجلٌ لثاني زعيمُهم ... له شهِدَتْ في النازلات معاقل

(١) الشيخ الأديب سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي.
(٢) الشيخ الأديب سليمان بن عمير بن سيمان الرواحي.
(٣) الشيخ الأديب سالم بن سليمان بن عمير الرواحي.
(٤) الشيخان الأديبان موسى وناصر ابنا سالم بن سليمان بن عمير الرواحيان.
(٥) الشيخ القاضي محمد بن سيف بن سليمان الرواحي.
(٦) الشيخ القاضي يوسف بن سعيد بن حميد الروحي.
(٧) الأستاذ الأديب يحيى بن يوسف بن سعيد الرواحي.
(٨) الشيخ سعيد بن حمد بن سعيد الرواحي.
(٩) الشيخ القاضي سعيد بن محمد البطاشي.
(١٠) الشيخ القاضي عبد الرحمن بن محمد البطاشي.
(١١) الشيخ سالم بن ثاني الجابري.

كذا حمـدٌ[١] نجـلٌ لمسـعودِ وابنُه ... بمُحسِـنِ يُدعـى وهو للشـعر قائل
ونجـلاه عبـدُالله[٢] قد كان شـاعرا ... كذلكـمُ حمـدانُ[٣] قَـرْمٌ حُلاحِل
وأمّـا حمـودٌ[٤] عمُّهـم كان واليًـا ... على عهـد تركي لم يَنِـئْ منه كاهِل
ونجـلُ سـعيدٍ راشـدٌ هو شـاعرٌ ... كبيـرٌ زعيـمٌ شـأنُه لا يُطـاوَلُ[٥]
وثانـي[٦] أبوه حـارثُ بـنُ محمّد ... وكلّهـمُ قـومٌ سَـراة عَباهِـل
وأولادُ سرحانٍ[٧] سـما صِيتُهم عُلاً ... وقـد أَلِفـوا للمَكْرُمـات فواضِـل
ونجلُ سـعيدٍ ذا محمّـدُ[٨] مَن غدا ... كريمًـا وأبنـاءٌ لديْـه أماثِـل
وفـي فلَج يُدعَـى المَراغـةُ قفْ به ... بنـو حَضْـرم فيهـم كَمِيٌّ وباسـل
محمـدُ[٩] والٍ لليعاربـة الأُلـى ... وفـي قَصْبة الرُّسـتاق تزهو المعاقل
حفيـدٌ له ذاكـم محمـدُ[١٠] قد وَلي ... لبُدْبُـد والفيحـا بهـا وهـو عامِل
بعصر به الجبريُّ[١١] قد ساد واعتلى ... بحكْـم أحاطتـه القَنـا والصواهل
وفـي آلِ سَـعْد مـن كـرام أعـزّة ... لأمبوعلـي يُنْمَـوْن غُـرٌّ أفاضـل

(١) الشيخ حمد بن مسعود الجابري.
(٢) الشيخ عبد الله بن حمد بن مسعود الجابري.
(٣) الشيخ حمدان بن حمد بن مسعود الجابري.
(٤) الشيخ حمود بن حمد بن مسعود الجابري.
(٥) الشيخ راشد بن سعيد بن محمد الجابري.
(٦) الشيخ ثاني بن حارث بن محمد الجابري.
(٧) أولاد سرحان بن سليمان الجابري من أعيان بني جابر.
(٨) الشيخ محمد بن سعيد الإبراهيمي الجابري.
(٩) الشيخ محمد بن سعيد بن محمد بن سليمان الحضرمي كان واليا على الرستاق في عصر اليعاربة.
(١٠) الشيخ محمد بن سعيد بن مبارك الحضرمي كان يحل محل الوالي محمد بن ناصر الجبري في سمائل وبدبد في عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي.
(١١) الزعيم محمد بن ناصر الجبريّ.

فسَعْدٌ[١] وسَعْدٌ[٢] ذا سليمانُ[٣] ناصرٌ[٤] ... محمدُ[٥] مَن هم في المعالي أوائل
كذاك سليمانُ ابنُ ماجدِ[٦] كاتبٌ ... فتى عامرٍ[٧] أيضا سَراةٌ بواسل
فتى ناصر خلفانُ[٨] خالُ إمامِنا ... كريمٌ وفي أخلاقه لا يُمَاثَل
محمد[٩] مَن سيفٌ أبوه وَلي قَضا ... صُحارَ وحيَّتْه هناك معاقل
وآلُ الخليل الغُرُّ كم طاب ذكرُهم ... وطابت لهم بين الأنام شمائل
كمثل إمام العلم والحق والهدى ... سعيدِ بنِ خلفانٍ[١٠] فتى لا يُطاوَل
شهيدٌ قضى من أجلِ عَدْل وبيْعة ... عليه الرِّضا من رحمة الله هاطِل
وأبناؤه القوم الذين بهم سمت ... قناة العُلا مجدا وصِينَتْ معاقل
أيا أحمدٌ[١١] من منهل العلم ترتوي ... ومن غَيْرة في الدين فيها تناضل
جمعتَ من العلم الشريف أجَلَّه ... وسرتَ به تقفو الخُطى وهو ماثل
وعبدُالإله[١٢] الشهمُ كم من مناقب ... له وهو في العليا كَمِيٌّ مناضل
ودُرّةُ هذا العِقدِ من عَطَّرَ الدُّنا ... بذكر حَمِيدٍ وهو بالحقّ عامل

(١) الناسخ سعد بن عبد الله بن محمد بن فارس السعدي.
(٢) الناسخ سعد بن عبد الله بن محمد بن سعد السعدي.
(٣) الناسخ سليمان بن فارس بن سليمان بن ماجد السعدي.
(٤) الناسخ ناصر بن عبد الله بن عمر بن ماجد أمبوعلي.
(٥) الناسخ محمد بن عبد الله بن محمد ولد سعد أمبوعلي.
(٦) الناسخ سليمان بن ماجد بن سليمان من أولاد سعد.
(٧) الناسخ عبد الله بن عامر من أولاد سعد.
(٨) الشيخ خلفان بن ناصر بن عبد الله السعدي.
(٩) الشيخ محمد بن سيف بن عبد الله السعدي.
(١٠) الشيخ العلّامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي رَحِمَهُ اللهُ.
(١١) الشيخ العلّامة أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي رَحِمَهُ اللهُ.
(١٢) الشيخ الزعيم عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي.

إمـــامٌ له فـــي العدل حصـــنٌ ومركزٌ ... وفـــي العلـــم ســـبّاقٌ وللمال بـــاذِلُ
وفي الزهـــد أنـــوارٌ تجلّت بســـيرة ... عليهـــا مـــن الإيمـــان بُـــرْدٌ غَلائل
محمّدُ[١] ذيّـــاك الخليلـــيُّ ذو التقى ... خليفـــةُ ربّ العالميـــن الحُلاحِـــل
عليه الرِّضا قـــد فاق زُهْـــدًا تواضُعًا ... جوادًا رحيمًـــا في المهمَّات باسِـــل
وســـار أخـــوه فـــي الإمـــارة بـــارزا ... علـــيٌّ[٢] لـــه بيـــن الأنـــام شـــمائل
ومِـــن بعـــده أولادُه زانَ ذكْرُهُـــم ... هلالٌ[٣] مضى في المجد والعِزُّ آهِلُ
ســـفيرٌ ووالٍ لا تليـــن قناتـــه ... بحِنْكتـــه فـــذٌّ غـــدا لا يُشَـــاكَل
ومَـــن كأميـــر للبيـــان[٤] إذا انتحـــى ... إلى الشـــعر يحـــدوه مَديـــدٌ وكامل
وكان المجلّـــي في الســـباق وكم له ... مواقـــف أثنتهـــا عليـــه المحافـــل
أقـــام مـــن الآداب فينـــا مجالسًـــا ... بفيحائنـــا أو مســـقطٍ تتواصـــل
ومِن بعـــده ســـار ابنـــه ذا محمّد[٥] ... يطرّز وَشْـــيَ الشـــعر وهـــي غلائل
له المجلسُ المشـــهورُ في أرض بوشر ... تغـــرّدُ للأشـــعار فيـــه عَنـــادِل[٦]
ســـعود[٧] لـــه بيـــن الأنـــام ريـــادة ... ومجـــدٌ أثيـــلٌ وهـــو للشـــعر قائل
حكيـــمٌ وذو رأي أصيـــل وحِنْكـــةٍ ... رقـــى ذِروة العليـــاء نَـــدْبٌ حُلاحِل
أيا ابن عُبَيْـــدٍ[٨] عالمَ المصر مَن رقى ... إلـــى ذِروة العليـــا دَعَتْـــكَ الجلائل

(١) إمام المسلمين العدل الرضيّ محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) الشيخ علي بن عبد الله بن سعيد الخليلي.
(٣) الشيخ هلال بن علي بن عبد الله الخليلي.
(٤) الشيخ الأديب أمير البيان عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي.
(٥) الشيخ الأديب محمد بن عبد الله بن علي الخليلي.
(٦) جمع عَندليب.
(٧) الشيخ الأديب سعود بن علي بن عبد الله الخليلي.
(٨) الشيخ العلّامة حمد بن عبيد بن مسلّم السليمي.

فكنتَ لها السبّاقَ حُكْمًا وحِنْكةً ونشْرًا لتعليم وبالعلم عامل
وألَّفتَ في علم الشريعة متقِنًا أصولًا وفقهًا نعم تلك المناهل
هدايةُ شمسٍ مع خِزانة عِقْدِه ومِشكاتِه معْ بهجةٍ لا تُطاوَل[١]
ومنصورُ[٢] ذيّاك المعبِّرُ للرُّؤى فخِبْرتُه فيها هنا تُتَناقَلُ
عليُّ بنُ منصور[٣] هو الشامسيُّ مَن إذا ما قَرا الأشعارَ غنَّت عَنادِل
وحبراسُ[٤] ذيّاك الأديبُ الذي رقى بشعرٍ رصينٍ ردَّدته المحافل
حميدُ بنُ عبد الله[٥] شاعرُ عصره فقيهٌ وقاضٍ حازمٌ لا يجامِل
فكم قرّض الأشعار يطرقُ بحرَها وسار بها كالجيش وهي جحافل
ورقّ بها حِينًا ففاحت رياضُها عبيرًا وللقلب الشجيِّ تخاتِل
ونجلُ خُصَيْفٍ جمعةٌ[٦] بلغ العُلا بفقه وشعر وهو قاضٍ وعادل
وكم فاحَ بالشعر الرقيق لنا أبو وَسِيم[٧] وطابَ الشعرُ إن هو قائِل

(١) مؤلَّفاته المذكورة في النظم:
هداية المبصرين في فتاوى المتأخّرين.
هداية الحكّام إلى منهج الأحكام.
خزانة الجواهر في الفقه.
العقد الثمين في الدعوى واليمين.
مشكاة الأصول في الأصول.
العقد الفريد شرح الدُّرِّ النضيد في خالص التوحيد.
بهجة الجَنان في وصف الجِنان.
(٢) الشيخ منصور بن عبيد بن مسلّم السليمي.
(٣) الشيخ الأديب علي بن منصور الشامسي.
(٤) الأديب حبراس بن شبيط بن لافي السليمي.
(٥) الشيخ القاضي الأديب حميد بن عبد الله بن حميد الجامعي «أبو سرور»
(٦) الشيخ القاضي جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائي.
(٧) الأديب خميس بن سليّم بن خميس المنذري «أبو وسيم»

وحمدان[١] أستاذُ النُّحاة وشيخُهم ... هو اليوسفي طابت لديه الشمائل
تحلَّى بآداب سمَتْ وتكامَلت ... دفينُ البقيع وهو في الفضل فاضل
وأستاذُنا ذاكم سعيدُ بنُ سالم[٢] ... أخو النحو كم بالنحو يبرز حامل
زميلٌ له ذا الناعبيُّ عَلِيُّنا[٣] ... هما مَنْهَلا عِلْمٍ ونِعْمَ المناهل
تحلّت بهم حَلْقاتُ جامِعِنا وقد ... أنارا به والجِدُّ في الحال عامل
وطُفْ حول أولاد الوكيل[٤] مذكِّرًا ... بهم فهمُ القوم السَّراةُ العَباهل
ونبهانُ[٥] ذو فقه وفضل وحِنْكة ... فتى سيفٍ البكريُّ في الحق صائل
ونجلُ سعودٍ محسِنٌ[٦] هو كاتب ... لعامِرَ يُنْمَى حين تسمو القبائل
وصنوٌ له عبدُالإله[٧] مجبِّرُ الـ ... ـعظام طبيبٌ أمْرُه مُتَناقَلُ
وأين فتى سيفٍ سليمانُ[٨] من بني ... هِناءةِ ذيّاكَ الأديبُ الحُلاحِل
ونجلُ سعيدٍ ذاك خلفانُ[٩] ذو التقى ... فقيهٌ هنائيٌّ سَرِيٌّ وفاضل
وأين فتى عبّادِ ذاك محمدٌ[١٠] ... أمينٌ لبيت المال بالحزم عامل
وكم لبني طيّ قضاةٌ تألّقوا ... وكلُّهمُ فقهَ الشريعة حامل

(١) الشيخ النحوي حمدن بن خميّس بن سالم اليوسفي.
(٢) الشيخ الفقيه سعيد بن سالم الداؤودي.
(٣) الشيخ الفقيه علي بن حمد بن ناصر الناعبي.
(٤) أولاد الوكيل منهم: المشائخ: أحمد بن هلال بن محمد بن سليمان، وسيف بن علي بن محمد بن سليمان وغيرهم.
(٥) الشيخ الفقيه الكاتب نبهان بن سيف بن سعيد البكري.
(٦) الشيخ الكاتب محسن بن سعود بن العبد العامري.
(٧) الشيخ الطبيب عبد الله بن سعود بن العبد العامري.
(٨) الشيخ الأديب سيف بن سليمان الهنائي.
(٩) الشيخ خلفان بن سعيد بن حمد الهنائي.
(١٠) أمين بيت المال محمد بن عبّاد بن سعيد الرواحي.

كصالحِ[١] مع نجليْه عيسى[٢] محمدٍ[٣] قضاةٌ سَراواتٌ بدورٌ كوامل
وهاشم[٤] أستاذي وشيخي بمعهد القضاة له في المكرُمات منازل
درستُ عليه الفقه مع شرح مُسْنَدٍ وسيرة خير الخلق مَن لا يُماثَل
ولا ننسَ عبدَالله[٥] نجلَ محمّدٍ أديبًا وتَدريه هناك المحافل
ونجلُ عُمَيْرٍ ذا سعودٌ[٦] بفضله وزهْدٍ بذا الفَرعيُّ تزكو الشمائل
وأين عليُّ الناعبيُّ[٧] ملقَّبٌ بجَذَّاعهم يَدري المواريثَ فاضل
وأين الفتى القَرْنيُّ موسى بنُ سالمٍ [٨]كذلك فرضيّ وبالحق عامل
وشيخُ الهدى والزهد والعلم مرجِعٌ لما عَنَّ من فتوى وجاءت نوازل
عنيت أبا يحي هو ابنُ جميِّلٍ[٩] فكم بفصول للأصول تواصُل
وسِلْكٍ جَلاءٍ بهجةٍ[١٠] طاب مجلسٌ بها وتغنّتها هناك بلابل
وفصلِ خطاب في جواب مسائل مؤصَّلةٍ فيها الهدى والدلائل
وإبناه يحيي[١١] كاتبٌ ذو مكانة حميدُ فِعالٍ وهو في الخُلْق فاضل

(١) الشيخ القاضي صالح بن عامر بن سعيد الطائي.
(٢) الشيخ القاضي عيسى بن صالح بن عامر الطائي.
(٣) الشيخ القاضي محمد بن صالح بن عامر الطائي.
(٤) الشيخ القاضي هاشم بن عيسى بن صالح الطائي.
(٥) الشيخ الأديب عبد الله بن محمد بن صالح الطائي.
(٦) الشيخ الزاهد سعود بن عمير بن خميس الفرعي.
(٧) الفرْضي علي بن محمد بن خلف الناعبي.
(٨) الفرْضي موسى بن سالم بن عامرالقرني.
(٩) الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي.
(١٠) مؤلَّفات الشيخ: فصول الأصول، وسلك الدرر، وجلاء العمى شرح ميميّة الدماء، وبهجة المجالس، وفصل الخطاب في المسألة والجواب، وكلها مطبوعة.
(١١) الشيخ يحيى بن خلفان بن جميّل السيابي.

وعبدُالإلــه[١] شــاعرٌ ذو الندى وقد ... تولّــى لــه فــي المكرُمــات فعائل
ونجــل حمودٍ ســالمٌ[٢] وهــو عالمٌ ... غَشَمْشَــمُ في الدَّهيا لهــا لا يُطاوَل
فكم سَــدَّ من ثَغْر بحُكْــم وحِكْمة ... وكــم ســكَنَتْ منــه هنــاك معاقل
ويصــدَعُ بالحــقِّ الذي هــو واجِبٌ ... ولا يتَّقــي فــي قولــه أو يجامِــل
وكــم بــرَّزت منــه التآليــفُ عَدُّها ... يفــوقُ ثمانينًــا وتلكــم مشــاعِل
قضــى وهو ما بيــن الكتــاب قراءةً ... وتدويــنَ علْمٍ وهــو للنفــس باذل
كذاك هلالُ[٣] الشــعر فــارسُ حَلْبةٍ ... بيانيّــةٍ تشــدو ثَناهــا المحافــل
له السبقُ في ذا العصر إن قال ناظِمًا ... وما إن يُبارَى في الخُطى وهو ماثل
أخــوه حمــودٌ[٤] كاتــبٌ متألِّــقٌ ... به النثــر يزهــو إن هوَ اليــوم قائل
زميلُ هلالٍ ذاك خلفــانُ[٥] قد قضى ... ســريعًا وفي غُصْن الشــباب يُطاوِل
وقد قرّض الأشــعار وهــو يجيدُها ... ســؤالاتِ فقه حين تبدو المســائل
أبــوه علــيٌّ[٦] للــزكاة أمينُهــا ... وَجِيــهٌ وذو جُــودٍ وتلــك الجَمائل
ترى الشَّطْفَ سيْفًا[٧] للقِرا باسطًا يدًا ... فكــم أمَّــهُ ضيــفٌ هناك وســائل
وســيفٌ[٨] غدا مع نجله ناصرٍ[٩] سمَا ... بغِيــــلةِ دَكٍّ للكــــرام معــاقِــــل

(١) الشيخ عبد الله بن خلفان بن جميّل السيابي.
(٢) الشيخ العلّامة سالم بن حمود بن شامس السيابي.
(٣) الشيخ الأديب هلال بن سالم حمود السيابي.
(٤) الأديب الكاتب حمود بن سالم بن حمود السيابي.
(٥) الأديب خلفان بن علي بن خلفان السيابي.
(٦) الشيخ علي بن خلفان بن عْلَيْ السيابي.
(٧) الشيخ الكريم سيف بن سليمان بن سيف الدغيشي (الشطف)
(٨) الكريم سيف بن سالم السيابي.
(٩) الكريم ناصر بن سيف بن سالم السيابي.

ونجـــلُ حُمَيْـــدٍ ذا محمّـــدُ[١] كاتبٌ ... ســـيابيُّ يُدْعَـــى بالمُطـــوَّع فاضـــل
وعيســـى بنُ ثاني[٢] ذا فقيهٌ وكاتبٌ ... أديـــبٌ شـــهيدٌ وهـــو بالعلـــم عامِل
وأســـتاذُنا موســـى[٣] نحا نحو والدٍ ... لـــه ونمَـــتْه للعلـــوم منـــازل
درســـنا عليـــه الفقـــهَ والنحـــوَ فترة ... وفـــي الجامع الميمـــون بالعلم آهِل
وآلُ الخُصَيْبـــي ذكرُهـــم بالثنا جرى ... فمِن راشـــدٍ[٤] قامت لديهم شـــمائل
فقيـــهٌ كريـــمٌ وارتقـــى لـــوزارة ... وداهيـــةٌ إن تنزلـــنَّ النـــوازل
ونجـــلاه صـــارا قاضييـــن ودرَّســـا ... محمّدُ[٥] ذو الآداب نَـــدْبٌ حُلاحِل
شـــقائقُ للنعمـــان ثـــم زُمُـــرُّدٌ ... وبلبلـــه الصـــدَّاحُ[٦] نعـــم البلابـــل
وصِنْوٌ له ذاك الرَّشـــيدُ[٧] سَما العُلا ... بأخلاقـــه الغَـــرّا وللفقـــه حامـــل
درســـتُ على أيديهما فتـــرة مضت ... وكلّهـــمُ للعلـــم بالجِـــدّ بـــاذل
ومرشـــدُ[٨] ذيّاك الأديب أخو الندى ... خَلـــوق وللإخـــوان دومًـــا يواصـــل
ومحمودُ[٩] مـــن آل الخصيبي مُبرِّزٌ ... بشـــعر وكم للشـــعر قامـــت منازل
وفي مربـــع البســـتان نجْلُ مســـلَّم ... ســـعيدٌ[١٠] له في الشعر شـــأنٌ يطاوِل

(١) الكاتب محمد بن حميد بن سعيد السيابي.
(٢) الشيخ الفقيه الكاتب عيسى بن ثاني بن خلفان البكري.
(٣) الشيخ الفقيه موسى بن عيسى بن ثاني البكري.
(٤) الشيخ الفقيه الكريم راشد بن عزيّز الخصيبي.
(٥) الشيخ الفقيه الأديب محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي.
(٦) مؤلَّفاته: شـــقائق النعمان في أســـماء شـــعراء عمان، والزمرّد الفائق في الأدب الرائق، والبلبل الصدّاح والمنهل الطفّاح في الأشعار الملاح وغيرها.
(٧) الشيخ الفقيه رشيد بن راشد بن عزيّز الخصيبي.
(٨) الأديب مرشد بن محمد بن راشد الخصيبي.
(٩) الأديب محمود بن محمد بن سالم الخصيبي.
(١٠) الشيخ الأديب سعيد بن مسلّم بن سالم المجيزّي (أبو الصوفي)

ويمِّمْ إلى (الخَلُّوت) دارٍ لسادة ... وناصرُها[١] للمجد والعِزّ آهِل
سعودٌ[٢] وأبناءٌ له بلغوا العُلا ... فهم في ذُرا الميدان غُرٌّ ذوابِل
محمدُ[٣] يتلوه هلالٌ[٤] وبدرُهم[٥] ... وأغلبُهم طُرًّا وُلاةٌ أفاضل
وأمّا عليٌّ[٦] نجلُ سالم سيِّدٌ له ... (بالنُّقوص) مَسْكَنٌ ومنازِلُ
تولّى على مرباط أرضِ جَنوبِنا ... وطابت له سُكْنى وفي الحال عامِلُ
وطُفْ بالجُبَيْليّات نحو خروصنا ... يطيب بهم ذكرٌ وتزهو المحافل
فنجلُ سليمانٍ محمدُ[٧] قد وَلي ... سمائلَ وازدانت هناك معاقل
أقام له حِصْنًا مَكِينًا مُشَيَّدًا ... على جبَل في الحاجر اليومَ ماثِلُ
سليمانُ[٨] مع نجْلٍ له ذا محمدٌ ... [٩] وناصرُ[١٠] قومٌ في المعالي كوامل
ونجلُ عديٍّ ذا سليمانُ[١١] بعدَهم ... حمودٌ[١٢] له في الشعر قامَتْ منازِل
أتى حمدٌ[١٣] قاضٍ أديبٌ وشاعرٌ ... أبوه سليمانُ بنُ ماجدَ فاضل

(١) السيّد ناصر بن محمد بن سعيد بن خلف البوسعيدي.
(٢) السيّد سعود بن ناصر بن محمد البوسعيدي.
(٣) السيّد محمد بن سعود بن ناصر البوسعيدي.
(٤) السيّد هلال بن سعود بن ناصر البوسعيدي.
(٥) السيّد بدر بن سعود بن ناصر البوسعيدي.
(٦) (السيّد علي بن سالم بن مسلّم بن جاسم بن بريك البوسعيدي.
(٧) الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن مبارك الخروصي.
(٨) الشيخ سليمان بن محمد بن ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي.
(٩) الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن ناصر الخروصي.
(١٠) الشيخ ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي.
(١١) الشيخ سليمان بن عديّ الخروصي.
(١٢) الشيخ الأديب حمود بن حمد بن سعيد الخروصي.
(١٣) الشيخ القاضي الأديب حمد بن سليمان بن ماجد الخروصي.

وعبدُالإلــه[١] القاضي نجــلُ محمدٍ ... بمطــرحَ مشــهور وللفقــه حامــل
وكاتبنــا ذاكــم ســليمان[٢] نجلُــه ... ألا انْعِــمْ بقــوم زيّنتهــم شــمائل
وفي الحاجر الميمون قومٌ أشــاوس ... مزاريــعُ فــي العَليــا كــرام أوائــل
فأحمــد[٣]ذو فقــه محمّــدُ[٤] كاتبٌ ... كذا حمَــدٌ[٥] نُجْــبٌ كــرامٌ أفاضل
خميسٌ[٦] فقيــهٌ ذا علــيٌّ[٧] غَريبُهم ... [٨]مبــاركُ[٩] والٍ قائــدٌ لا يطــاوَل
ووالدُنــا غسّــان[١٠] قاضٍ وشــاعرٌ ... وقَــارٍ شَــجِيٌّ صوتُــه مُتَناقَــل
أقــام مــع الشــيخ الســليميّ فترةً ... بمســقطَ للتعليــم وهــو يواصِــل
وعند أبي يحــي هو القــارئُ الذي ... يلازمُــه مــا إن ثَنَــتْهُ شــواغِل
أتى الجاس يسمو ســعيدُ بنُ صالح ... [١١]أخو الزهد مع تقــوى الإله تقابِل
وخلفانُ[١٢] دفّاعٍ وسيفٌ[١٣] أخوه مَن ... يــدرّس للقــرآن نعْــم الفضائــل
ونجــلُ حبيــب ذا ثنيّــانُ[١٤] وابنُــه ... المسمَّى بعيســى[١٥] هم سَراةٌ أماثل

(١) الشيخ القاضي عبد الله بن محمد بن علي الخروصي.
(٢) الكاتب سليمان بن عبد الله بن محمد بن علي الخروصي.
(٣) الفقيه أحمد بن سالم بن أحمد المزروعي.
(٤) الكاتب الناسخ محمد بن سالم بن محمد بن أحمد المزروعي.
(٥) الكريم حمد بن أحمد بن سليمان بن أحمد المزروعي.
(٦) الفقيه خميس بن علي المزروعي.
(٧) الكاتب الناسخ علي بن خميس بن علي المزروعي.
(٨) الوالي القائد غريب بن محمد بن أحمد المزروعي.
(٩) الوالي القائد مبارك بن غريب بن محمد بن خاطر المزروعي.
(١٠) الشيخ القاضي الفقيه غسّان بن سليمان بن سعود المزروعي.
(١١) الزاهد الصالح سعيد بن صالح بن سعيد الجاسري.
(١٢) المدرّس خلفان بن عبد الله الدفّاعي.
(١٣) المدرّس سيف بن عبد الله الدفّاعي.
(١٤) المحسن ثنيّان بن حبيب الدفّاعي.
(١٥) الفاضل عيسى بن ثنيّان بن حبيب الدفّاعي.

وعُجْ بالصَّفا نحو العُبــودي[١] ومَن بها حضارمُ[٢] أو من يَشْــجُبٍ[٣] هم عباهِل
وفي الغبــرة الخضراء أهلي وجيرتي رعــى الله قومــي زيّنتهــم جمائــل
أبي[٤] كنــتَ بين الصالحيــن مُبرِّزًا وكنــتَ لبيــت الله دَوْمًــا تواصِــل
تــردّدتَ فــي مســعاك تَنْشُــدُ قُرْبةً مــن الله وهــو اللهُ للخيــر نائــل
سقى قبرَك الوَسْــميُّ رُحْمى وبلَّلت عظامَك مــن لُطْــف الإلــه هوامِل
محمّد[٥] عمِّي ســار نــزوى ليبتغي إمامَ الهــدى ذاك الخليلي الحُلاحِل
أقام بهــا للعلــم حتى قضــى ولم يخلِّفْ ســوى كُتْبٍ ونِعْــم المناهِل
تُوفّــي ورَيْعــانُ الشــباب نضــارةً كَسَــاهُ وللتقــوى عليــه شــمائل
وعمُّ أبي سَــلُّوم[٦] مــأوى ومرجعٌ لضيــف فكم ثــارت لديــه مَراجِل
وســبلتُه معمــورةٌ بنزيلهــا فمِــن واردٍ أو صــادرٍ ذا التواصُــل
ويا طابعَ السِّــلْكِ الكريمَ أخا العُلا محمــدُ[٧] ذو جُــود وطَبٌّ وباســل
وناصر[٨] مِن آل الدغيشــيِّ مَن غدا كريمًــا وكم قــد زاره الدهــرَ نازل
زهت للقِــرا والضيف منــه (غَصِيبةٌ (فسَــبْلَتُها نــارت وفيهــا الجمائــل
وأســتاذُنا عبــد الإلــه بنُ ســالم[٩] هو الهاشــميُّ الفَــذُّ للعلــم حامل

(١) الكريم سلام بن حميد العبودي الملقّب بابن طريف وابنه الكريم سيف بن سلام.
(٢) بنو حضرمي يســكنون الصفا ومنهم الوالد غريب بن نصير وأخوه شيخان وسليمان بن سيف وغيرهم.
(٣) منهم: محسن بن سعيد بن ناصر الشجبي، وعبد الله بن محمد الشجبي.
(٤) والدي الصالح راشد بن عزيز بن سالم السيابي.
(٥) عمّي الفقيه محمد بن عزيز بن سالم السيابي.
(٦) الوالد الكريم سلّوم بن سالم بن رشيد السيابي.
(٧) الوالد الكريم الطبيب محمد بن سالم بن محمد بن رشيد السيابي.
(٨) الوالد الكريم ناصر بن سعيد بن حميد الدغيشي.
(٩) الأستاذ الفقيه المربّي عبد الله بن سالم بن سلمان الهاشمي.

فقيهٌ ونحويٌّ مُرَبٍّ مدرِّسٌ حوى من صفات الفضل ما هو فاضل
مباركُ[١] أستاذ العقيدة صاحبٌ لنا وزميلٌ طاب ذاك التزامُل
قضيتَ وأغصانُ الشباب رطيبة بأَستانةٍ[٢] والموت في الحال نازل
ونجلُ ثنيّان[٣] سما بمكانة خطيبٌ أديبٌ وهو للشعر قائل
وفي الدَّنِّ نبهانٌ[٤] وسيفٌ[٥] وشاعرٌ[٦] لهم في العُلا فضلٌ ونعْمَ المنازل
وفاروتُ لا ننسى الجُبور وصِيتَهم لهم في (سِتالِ) العِزّ غُرٌّ صواهل
فتى ناصر ذاكم محمد[٧] مجدُها فكم جَرَّ من جيش وقامت جحافل
وجَبْرٌ[٨] عليٌّ[٩] بعده وسعودُهم[١٠] سَمَوْا وهمُ في المكرُمات عباهِل
وبعد سعود جاء جَبْرٌ[١١] محمدٌ[١٢] هلالٌ[١٣] عليٌّ[١٤] والعُلا متواصل
وسِرْ نحن خُوبار المَجالبة[١٥] الأولى لهم في ذُراها صولةٌ وطوائل

(١) الأستاذ الدكتور مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي.
(٢) توفي باستنبول العاصمة التركية، وهي التي تسمّى الأستانة سابقا.
(٣) الأستاذ حمد بن ثنيان بن سعيد السيابي.
(٤) الكاتب نبهان بن سالم بن عامر النبهاني.
(٥) الكاتب سيف بن حمود بن محسن بن سالم النبهاني.
(٦) الشاعر سليمان بن سعيد بن سالم بن محمد النبهاني.
(٧) الزعيم الشيخ محمد بن ناصر الجبري.
(٨) الشيخ جبر بن محمد بن ناصر الجبري.
(٩) الشيخ علي بن جبر بن محمد بن ناصر الجبري.
(١٠) الشيخ سعود بن علي بن جبر الجبري.
(١١) الشيخ جبر بن سعود بن علي بن جبر الجبري.
(١٢) الشيخ محمد بن سعود بن علي بن جبر الجبري.
(١٣) الشيخ هلال بن سعود بن علي بن جبر الجبري.
(١٤) الشيخ علي بن جبر بن سعود بن علي بن جبر الجبري.
(١٥) خوبار المجالبة منهم: الشيخ محمد بن سلطان المجلبي، وابنه حارب بن محمد بن سلطان، وابنه علي بن حارب بن محمد بن سلطان وابنه هلال بن علي بن حارب.

وأخرى لحرّاص بـــنِ وائلَ مَن غدَوْا ... كرامًـــا نمتْهـــم للعُـــلا ثَـــمّ وائِـــلُ
ســـعيدٌ[١] أديـــبُ القوم ذاع بشـــعره ... وســـيفٌ[٢] فتـــاه وهو للشـــعر قائل
ســـليمانُ[٣] قاضٍ وابنُـــه كان قاضيًا ... ســـعيد[٤] ســـيابيُّون قـــوم أماثـــل
فـــوارسُ لا ننســـى مقـــامَ ســـعيدنا ... [٥]فتى راشـــد في النحو مَن لا يُطَاوَل
ومـــن دار هَصَّـــاصٍ ســـعيدٌ[٦] وإبنُه ... بصالح[٧] يُدعى كاتـــبٌ وهو فاضل
محمـــد[٨] مـــن أعيانهـــا وكرامهـــا ... فتى ســـالم هم فـــي الفُهـــود عباهل
وسِرْ لِذُرَا السَّيْجاني أو صُومَرا وفي ... النُّجَيْد ووادي سْـــقُطْ كرامٌ بواســـل
كذلك في الْجَرْدَا[٩] أقاموا بسُـــوحِها ... وقـــد عَمَروها فهـــي نِعْـــمَ المَعاقِل
فمن تَغْلِـــبٍ أصلٌ لهم ومُسَـــيَّبٌ[١٠] ... نماهـــم إلـــى العَليـــاء والعِـــزُّ ماثل
أشـــادَ بهـــم ذاك الإمام أخـــو التُّقى ... محمـــد[١١] عيْنُ الأكرميـــن الحُلاحِلُ
وأخبرَ شـــيخَ القوم مُحْسِـــنَ[١٢] قائلا ... جماعتُكـــم آلُ الصَّبَـــاح أمَاثـــل

(١) الشاعر الأديب سليمان بن سعيد الحراصي.
(٢) الشاعر الأديب سيف بن سعيد بن سليمان الحراصي.
(٣) الشيخ القاضي سليمان بن سعيد السيابي.
(٤) الشيخ القاضي سعيد بن سليمان بن سعيد السيابي.
(٥) الطبيب النحوي سعيد بن راشد بن مسلّم الفارسي.
(٦) الشاعر سعيد بن مرهون الفهدي.
(٧) الكاتب صالح بن سعيد بن مرهون الفهدي.
(٨) الشيخ محمد بن سالم الفهدي.
(٩) وادي السَّيْجاني وصُومرا والنّجيد ووادي سْـقُطْ والجَردا أماكن سُكْنى القوم المذكورين، وهم جماعتنا أولاد علي بن صْباح، فرقة كبيرة من السيابيين.
(١٠) ينتمون إلى مسَيَّب بن شهاب بن نويرة التغلبي، ومسيّب وحَبْس أخوان.
(١١) الإمام الرضيّ العدل محمد بن عبد الله الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(١٢) الشيخ محســـن بن زهران بن محسن بن سعيد بن عبد الله الســـيابي (ت: ١٣٦٦هـ)، وإليه يشير شاعر العرب أبو مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدته النونية الشهيرة: «وزعيمُ القوم زهرانُ»، والمراد به الشيخ المذكور.

مُراعُــون عَهْــدًا حافظــون أمانــةً فاكْــرِمْ بــه قــوْلاً سَــمَا لا يُطاوَل
فنَجْلُ سَــليمٍ[١] كم سَــرى وَقْعُ أمْره وثارعلــى التكذيب والشَّــيْبِ وابِلُ
وســيفٌ[٢] تَحَلَّــى بالوقــار وحكمة هوَ ابنُ ســليمانَ ابنِ هاشــلَ فاضلُ
وغيرُهــمُ لم أُحْــصِ عَــدًّا لهم وذا مِثالٌ ففــي الأمثال تكفــي الدلائل
وقــل للســليميّ الســروريّ ســالم فتى صالح[٣] طابــت لديْك المناهل
كذاك سعيدٌ نجل ســالمٍ[٤] قد نمت ســرور بــه علْمًــا ســقَتْه المخائل
ونجلُ ســليمان محمــد[٥] من بني خروص لهم في المجد شأنٌ وطائل
بدولــة عــزان الإمــام تألّقــت مكانتُــه فيهــا الهــدى والفضائــل
وفــي زنجبار هَنْــدَسَ النَّهْــرَ جارِيًا وســالت به بيــن الريــاض جداول
كــذاك علــيٌّ صنــوُه وأكارمٌ بَنــوهُ لهــم صِيــتٌ سَــما وطوائلُ
وآلُ الحســيني في (سُرورٍ) لهم عَلا مقــامٌ وهم فــي المكرُمــات أوائل
فنجلُ حمــودٍ ذا محمّــدُ[٦] قد جَبى زكاةَ إمامِ العــدلِ وهو في الدين فاضل
وإبــنُ أخيه نجــلُ أحمدَ مَن سَــما بفقــه وآداب وبالعلــم عامــل

(١) حمد بن سَليم الســيابي من وادي الســيجاني، وله قصة شــهيرة، تضمّنها النظم بالإشارة عن العبارة، وأشار إليها شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي في كتابه: «التحذير من كذبة إبريل»، وهو مطبوع، وذكرتها مصادر أخرى تأريخية.

(٢) الوالد سيف بن ســليمان بن هاشل الســيابي توفي ليلة الرابع والعشــرين من جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٥ إبريل ٢٠١٤م.

(٣) الشيخ الفقيه سالم بن صالح بن سالم السليمي.

(٤) الفقيه سعيد بن سالم بن سعيد الفارسي.

(٥) الشيخ محمد بن سليمان بن ناصر بن محمد بن سليمان بن محمد بن مبارك الخروصي.

(٦) الشيخ محمد بن حمود الحسيني.

عنيتُ بذا عبدَالإله[١] مدرِّسٌ ... يكاتِبُ أيضا حين يَجري التعامل
ودرّسني بعض العلوم مبادِئًا ... ولا سيَّما الخطُّ الذي لا يُشَاكَلُ
عزيزُ بنُ سيفٍ[٢] سار نزوى ليبتغي ... بها العلمَ إذ تصفو هناك المناهل
وإبنُ نصير سيفُهم[٣] وهو شاعر ... وشاع له ذكر لطيف يُنَاقَلُ
ومانِعُ[٤] ذو خطٍّ وفضلٍ به سما ... فبالخير تسمو للكرام المنازل
وجَدِّي خَدِينُ الفضل والذكر والندى ... فكم أمَّهُ ضيفٌ هناك ونازل
فتى[٥] هاشلٍ والجَدُّ آمِنُ مِن بني ... حُسَيْن لهم في المكرمات فضائل
محمد[٦] من آل المخلديّ شاعر ... هو ابن سعيد ذكْرُه اليوم شامل
وأين زعيمُ القوم نجلُ مسلَّم ... حُمَيْدٌ[٧] نِدابيٌّ سَريٌّ حُلاحِل
ومِن بعده ذا ناصرٌ[٨] ثم نجلُه ... محمدُ[٩] والٍ قد دعَتْه المعاقل
كذاك حمود[١٠] نجلُ سالمٍ شاعرٌ ... لقد أمَّ أهل العلم وهو يسائل
وخالد[١١] من همْدان قاضٍ وشاعرٌ ... هو ابنُ هلالٍ تعرفنه المحافل

(١) الشيخ الفقيه الكاتب عبد الله بن أحمد بن حمود الحسيني.
(٢) الفاضل عزيز بن سيف الحسيني.
(٣) الشاعر سيف بن نصير الحسيني.
(٤) الكاتب مانع بن سالم بن حمّاد الحسيني.
(٥) الوالد حمد بن هاشل بن آمن الحسيني.
(٦) الشاعر محمد بن سعيد بن عبد الله المخلدي.
(٧) الشيخ حميد بن مسلّم بن سليمان الندابي.
(٨) الشيخ ناصر بن حميد بن مسلّم الندابي.
(٩) الشيخ محمد بن ناصر بن حميد بن مسلّم الندابي.
(١٠) الشيخ الأديب حمود بن سالم بن علي الندابي.
(١١) الشيخ القاضي الأديب خالد بن هلال بن سالم الرحبي.

وأين فتى عيسى المسمَّى بناصر[١] ومن آل همْدان مضى وهو فاضل
محمد[٢] من ذبيان نجلُ سعيدهم وذو الجنّتيْن نعم تلك الخمائل
وكم في بني رمْضان من كاتب ومن أديب تجلّى وهو للفضل باذل
فمسعودُهم[٣] معْ أحمد[٤] وحُميْدِهم[٥] سلامٍ[٦] سعودٍ[٧] محسنٍ[٨] هم أماثل
كذا محسنٌ[٩] قاضٍ سليلُ مسلَّم وعبدُالإله[١٠] ناظمُ الشعرِ قائلُ
وناصرُ[١١] سيف[١٢] مع محمدِ[١٣] قد مَضَوْا وأحمد[١٤] ذكراهم ندًى وشمائل
ووالدُه قاضٍ فقيهٌ محمّدٌ[١٥] هو ابنُ سليمانٍ وبالحق عادل
وخاتمةُ النسّاخ ذاك محمدٌ فتى حَسَن والختمُ للنظم شامل[١٦]

(١) الوالد الفاضل ناصر بن عيسى الرحبي.
(٢) الشيخ محمد بن سعيد الجابري.
(٣) الكاتب مسعود بن أحمد بن علي بن أحمد الرمضاني.
(٤) الكاتب أحمد بن علي بن أحمد الرمضاني.
(٥) الفاضل حميد بن سيف بن سليمان الرمضاني.
(٦) الأديب سلام بن حمد الرمضاني.
(٧) الكاتب سعود بن حمد بن علي الرمضاني.
(٨) الفاضل محسن بن علي بن أحمد بن علي الرمضاني.
(٩) القاضي الفقيه محسن بن مسلّم الرمضاني.
(١٠) الأديب عبد الله بن محسن بن مسلّم الرمضاني.
(١١) الكاتب ناصر بن علي بن أحمد الرمضاني.
(١٢) الفاضل سيف بن حمد بن سيف الرمضاني من جباة الزكاة.
(١٣) الفاضل محمد بن سيف بن حمد الرمضاني من جباة الزكاة ومشرف الأوقاف.
(١٤) الوالد الفاضل أحمد بن محمد بن سليمان الرمضاني.
(١٥) القاضي الفقيه محمد بن سليمان بن سيف بن سليمان الرمضاني.
(١٦) الكاتب الناسخ محمد بن حسن بن محسن الرمضاني السروري.

الخاتمة

وكم من كريمٍ فيكِ داري وعالمٍ ... ومن لوذعيّ أنجبته سمائل
وكم من أديبٍ طرَّزَ الشعرَ ناظِمًا ... وغنَّت به بين الرياض البلابل
وكم فيكِ للأعيان شأنٌ ومَحْتِدٌ ... سَما للعُلا مَجْدًا وليس يُطَاوَلُ
ذكرتُ لبعضٍ في بيانٍ نظمتُه ... وفاضَتْ به في ذا القصيدِ جداول
وبعضُهمُ في ذا الكتابِ تجِدْ به ... بيانًا وأخبارًا لها أنا ناقِلُ
على حَسْب وُسْعي واطِّلاعي مُبَيَّنًا ... وعُذْرًا فإنّي بالإحاطة جاهل
وأزكى صلاةٍ مَعْ سلامٍ على الذي ... أتانا بدينٍ نورُه متكامِل
محمّدِ خيرِ الخلق طُرًّا وآلِه ... وأصحابِه مَن فضلُهم مُتَنَاقَلُ
ويا ربّ فاكتبْ لي خِتامًا موفَّقًا ... أنال الرِّضا والعفوَ لي منك شاملُ

٢٨٢ بيتاً.

عبد الله بن راشد السيابي

الأربعاء ٢٩ ذي الحجة ١٤٤١هـ

١٩/٨/٢٠٢٠م. سمائل الفيحاء / الغبرة

القسم الثاني

التعريف بسمائل ومكانتها ومعالمها



«سمائل» اسم مركّب من كلمتين: «سَما» و«إيل»، أي سماء الله، فإيل باللغة العِبرية هو «الله»، ولُقّبَتْ بالفيحاء، قال الشيخ العلّامة إبراهيم بن سعيد العبري: وكذلك يسمّي أهل عمان سمائل الفيحاء، وأظنّ هذه التسمية خاصّة بسمائل وحدها دون سائر البلدان التي بواديها، ولعلّها سُمِّيت بذلك لما يفوح فيها من روائح الثمار والأزهار، حينما تهبُّ نسَمَات الأسحار»[1] اهـ.

وكذلك من المياه التي تفوح فيها، فهي بلاد خصبة والحمد لله، فحينما يأتي الشتاء تخرج عيون المياه من الوادي وتسيل، وكذلك تفوح من البساتين والمقاصير.

وعلّل بعض عن سبب هذا اللقب، لاتّساع رقعة سمائل، فهي مشتقة من المكان الأفيح، أي الواسع».

قال عوف بن مُحَلَّم:

أفي كلّ عامٍ غُرْبةٌ ونُزوحُ ... أمَا للنَّوى من وَنْيَةٍ فَتُريحُ؟
لقد طلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ ركائبي ... فهل أَرَيَنَّ البَيْنَ وهو طليح؟
وأرَّقني بالرَّيِّ نَوْحُ حَمامة ... فَنُحْتُ وذو البَثّ الغريب ينوح
على أنها ناحَتْ ولم تُذْرِ دَمْعَةً ... ونُحْتُ وأسرابُ الدموع سُفوح
وناحت وفَرْخاها بحيثُ تراهما ... ومِن دون أفراخي مَهامِهُ فِيحُ
ألا يا حَمامَ الأيْك إلْفُكَ حاضرٌ ... وغُصْنُك ميَّادٌ ففيمَ تنوح؟

والشاهد فيه قوله «فِيحُ»، ومفرده فيحاء.

أي بلاد متّسعة.

(١) العبري، الدكتور علي بن هلال وآخرون، الآثار العلمية لسماحة الشيخ العلّامة إبراهيم بن سعيد العبري، ط جامعة السلطان قابوس/ مركز الدراسات العمانية ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، المجلّد الرابع ٤/٨.

قال الشيخ العلّامة سـعيد بن خلف الخروصي في قصيدته السمائلية حينما كان قاضيا بسمائل:

فالطُّـولُ فرسـخان بالأميال ستة أميـال بـلا جـدال
من أسـفل الدار إلى العوالي وأنهـا لمضـرب الأمثـال
عن وصْف كُلِّ الحُسْن كَلَّ حَصْري

وسنورد القصيدة في محلّها إن شاء الله.

سمائل إحدى ولايات سلطنة عمان، وتقع في محافظة الداخلية، ولها مكانة خاصة في المجتمع العماني، فهي السابقة إلى الإسلام بمازنها المبارك، وغلامِه صالح بن المتوكِّل.

وهي بلاد العلم والأدب والشـعر، أمّا كونها بلادَ العلم فلكثرة علمائها وشهرتهم وغزارة إنتاجهم، وقد نالت بذلك المرتبة الثالثة بعد نزوى وإزكي، حَسْـب اسـتقراء الباحث القدير قاموس التراث الشـيخ سـلطان بن حمد الشيباني.

وممّا يدلّ على كثرة علمائها ما قاله العلّامة سعيد بن بشير الصبحي عن قرية سَيْجَا التابعة لسمائل، وهي قرية واحدة من قُراها وناهيك بغيرها، ولكن التأريخ شحيح في ذكر العلماء وآثارهم، فأصحابنا لم يهتمّوا كثيرا بالتأريخ، وإنّما جُلُّ تركيزهم على الفقه تنظيرا وعملا، ولا يحبّون ذكر النفس والإشادة بأعمالها، من باب هَضْم النفس.

قال الشيخ سعيد بن بشير الصبحي: «ومن فضلاء سيجا: العالم المشهور هاشـم بن غيلان، وابنه العلّامة الفقيه النزيه محمد، والشيخ العالم أبو بكر أحمد بن خليل بن محمد بن خليل السيجاني، مؤلّف كتاب» الإيجاز»، وابنه الفقيه الصالح محمد، والشـيخ العالم أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد

السيجاني، وله جوابات في كتب الأثَر وفي كتاب» الإيجاز، والشيخ الرضيّ أحمد بن محمد بن الحسن، وهو مشهور بالفضل، وعنه في ذلك أخبار»[١].

وأمّا كونها بلاد الأدب فذلك مشهور مع العمانيين غير منكور، وناهيك بشاعريْ العلماء وعالميْ الشعراء ابن النضر الناعبي، وابن عديّم البهلاني، وستأتي ترجمتهما، وفي عصرنا أمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي، ثم من بعده فارس القصيدة العربية الشيخ هلال بن سالم السيابي.

ولذلك قلت:

سمائلٌ لكِ فَضْلٌ لا يقابله ... إلا الوفا دائمًا من غير نُكْران

أضأتِ دَرْبَ عُمَانٍ في حوالِكه ... وكنتِ رائدةً في كلّ إحسان

ذا مازنُ الخير قد سارت ركائبُه ... نحو الحبيب بأشواق وتَحْنان

فجاء يحمل للخيرات أجْمَعِها ... من دعوة بلغَتْ في كلّ أركان

عَمّ الأمانُ بها والسَّعْدُ وازدهرت ... بها البلادُ وصارت خيرَ أوطان

سمائلٌ دُرّةٌ في العِقْد وهي لنا ... نعْمَ المَقَرُّ سمَتْ من بيْن بلدان

كم فيكِ من حاملٍ عِلْمًا ومنزلةً ... وفاضلٍ زانَ من تقوى وإيمان

واديكِ بالأدب المحمودِ فاض به ... على الجميع بأشعار وأوزان

رَقَّ النسيمُ به شِعْرًا وغرَّده ... وُرْقٌ وردّدَه في طيب ألحان

لم أستطعْ حَصْرَ ما تحويه بَلْدَتُنا ... من المحاسن بين القاصي والدَّاني

فاقْرأْ كتابيَ هذا حامِلٌ طُرَفًا ... من سِيرة كُتِبَتْ عن بعض أعيان

(١) سعيد بن بشير الصبحي، الجامع الكبير، نسخة مخطوطة جمع الشيخ محمد بن خميس بن محمد السيفي.
السيفي، محمد بن عبد الله، النمير ٣٩٢/٥.

وعن معالِمَ شِــيدَتْ بالهدى وعَلَتْ بالمجد حتى سَــمَتْ عن عَرْش كِيوان
واللهَ أســألُه التَّسْــدِيدَ لــي عَمَــلًا كــذا الرِّضا منه مَــعْ عَفْــوٍ وغُفْران

يقول الشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي في كتابه (العنوان):

سمائل (حلقوم عمان الداخلية)

وأين حُلقــومُ ذاك المُلْــك مِعْصَمُه سـمائلٌ فهــي للســلطان ســلطانُ

هي حلقومُ عمان الداخلية، بإجماع أهل هذا القُطْر، وواسطةُ عِقْده.

هي الفيحاء الوارفةُ الظِلّ، البهْجةُ الريّاض، الحسَنةُ المَـنار، الجميلةُ الهيئة.

لها شأن سجّله الدهر، بعلماءَ أفاضل، وزعماءَ عباهل، وأمراءَ أكابر، وأعيانٍ لم ينسَ الدهر فضلهم، وأخيارٍ ما زالت الأيام تتلو شرفَهم ومجدَهم.

هي بالنسبة إلى البلاد العمانية جنّتُها الوحيدة، ودَوْحتها الفريدة، وتاجها الموقَّر.

أنهارها جارية، وأثمارها دانية، وأشجارها وارفة، ومياهها متدفّقة، ورياضها غنّاء مورقة.

وبها قبائل مهمّة، وتقع بين جبال مكتظّة بها، تحيط بها سُورا منيعا، تحمي حماها أسود عَرينها.

ورئاستها يتولّى جانبا منها في هذا العهد آل الخليل، من رهْط بني خروص الأقدمين، وهــم ذراري الإمام العلّامــة الربّانيّ ســعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح، من أشرف بيت في عمان، عِلْمًا وعملا، وفضلا ونيّة، وتقى ومجدا.

ويمتطي ظهر القســم الآخر قوم من آل ذَبيان، لا يُنكَــر مقامُهم، ولا يُضَام نزيلُهم، ولا يســتباح حماهم، ويشــاركهم في رئاســتها من جديد قــومٌ من آل المســيَّب، نزلوها ومَدّوا أيديَهم بها، وتملّكوا من أزمّتها ما لا ينكر، ورَبَعوا في

ربوعها قاهرين، ورئاستهم بها صحيحة المعنى، ثابتة الدعائم، «وتلك الأيام نداولها بين الناس».

ولسمائل فضل على عمان بسبْق الإسلام، فإنّ أوّل من أسلم من عمان، مازن بن غضوبة السعدي الطائي، فإنه سار إلى النبي ﷺ بالمدينة، وأسلم وحَسُن إسلامه قبل أن يدعو النبيُّ عليه الصلاة والسلام أهل عمان للإسلام، ويبعثَ إليها عمرو بن العاص، واستدعى مازن رسول الله لأهل عمان، وسأله أن يدعو الله لهم عموما وخصوصا.

والقضية بين أهل العلم والسّيَر والتاريخ غير خافية.

ولا تزال بسمائل أدباء من أفصح العرب في كل جيل، وإليها يشار بالبَنان في ذلك، وحسبك بمثْل الإمام ابن النضر، أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، والشيخ العلّامة الجليل، الخليلي النبيل، سعيد بن خلفان، وابنه الشيخ الرئيس عبد الله، وهذا اليوم حفيده الشيخ عبد الله بن علي، أشعر مَن بها، وقد جمع شعراءها كتابنا «زَهْرُ الخمائل في ذكر شعراء سمائل»، وفيها من أهل الأدب آخرون.

وهي بلدة جامعة لصفات الحسْن والجمال والشرف، ورونق الازدهار، حِسًّا ومعنى، وإن لدعوة رسول الله ﷺ أثرا بها يعرفه أهلها.

فهي جاهلية العمران، تحيط بها جبال من جميع جهاتها كَسُور لها، لها بابان فقط لدخولها، ويقع حصْنها بالقلب منها، ويشقّها في وسطها مسيل واديها، وهو ميدان الصافنات بها فيما خلا، وهي قسمان بهذا.

ولنا في ربوعها أيام الشباب قصيدة مطلعها:

أهاجكَ برْقٌ لاح أعلى سمائل ... فبتَّ له في لوعة وبلابل

أمِ الوُرْقُ إذ غنّى على الأيْك صادحًا ... أمِ الماءُ إذ يجري بتلك الجداول

أمِ الروضُ والأشجار باسقة به ... أمِ الدارُ أمْ من حُسْنها المتكامل

وهي كفيلة بالتعبير عن حقيقة سمائل»[١].

فجميل ما طرّزه قلم بيان الشيخ عن بلده سمائل، فهو العلّامة الفقيه الأديب، وكتاباته التأريخية على هذا المنوال، في أسلوب الأدَب الشائق، وبيان البلاغة الرائق، الذي يشدّ القارئ ويُطرِبُه، ويستهويه ويستعذِبُه.

وممّا قاله أيضا لمّا ذكر بعض أودية عمان: «ووادي سمائل النازل من الجبل الأخضر بعضُ شعابه الغربية خاصّة، ثم يلتقي بشعاب أخرى عديدة، كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف من الرجال دون النساء والولدان، لا يزال خَصْبه مستمرّا إلى أن ينزل في رمال الباطنة بالسيب، يحتوي على أمّهات القرى في عمان»[٢].

وقال عنه في كتابه العنوان: «وادي سمائل هو أشبه بواحة جامعة، ومقاطعة واسعة، يشمل قبائل كثيرة، أخصبُ بلاد عمان، كثير المياه بينابيع معروفة، وأنهار جارية في بساتين زاهرة، وريف طيّب»[٣].

يقول الشيخ عبد الله بن علي الخليلي أمير البيان:

على السَّعْد من عليا سمائل فاصطبِحْ ... صَبوحَكَ واهنأ بالغَبوق المسَلْسَل
وباكِرْ بها النعماءَ عن عبقريّة ... يَمُجُّ نَداها كلُّ أبيضَ عَبْهَلِ
وقِلْ تحت دَوْح المجد منه فإنه ... هو الغَيْضةُ الغنّا لليثٍ وجَحْفل
وبِتْ فوق أعشاب الهناء بروْضها ... فتلك لَعَمْري مُنية المتطوِّل
وقِفْ بين هاتيكَ الجداول إنّها ... ينابيعُ أَرْيٍ من رُضاب المُقَبَّل
وطُفْ حول مخضَلِّ الخمائل إنها ... مَغارسُ كَرْم الجنّة المتهدِّل
وطِلْ بالمعالي كلَّ عالٍ وباسقٍ ... عليها فليس الطَّوْلُ غيرَ التطوُّل

(١) السيابي، سالم بن حمود، العنوان ٧٠ ـ ٧٢.
(٢) السيابي، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان ٥٥/١.
(٣) السيابي،..... العنوان: ٢٠.

وله قصيدة رائعة عن سمائل بعنوان «سباق الأعنَّة» أو «مسرحيّة الرَّوْعة»، أبدع في وصف سمائل، واستطرد في التشبيهات فيها، وسنوردها إن شاء الله في قسم السمائليات.

ويقول الشيخ أبو سرور:

سمائلٌ هي جنّات وليس بها ... عيْب سوى كرَم المولى يُنَمِّيها
يُضاحك الأنسُ فيها كلّ فاغية ... تُوحي إلى الروح ألطافاً فَتَسبيها
والطيرُ تَشدُو على أغصانها سحَراً ... تُمِيس بالكون نشوى من أغانيها
لم ينزحنْ عَن رُباها نازح فيرى ... عنها بَديلاً تُلبّيه أمانيها
فيا أَزاهيرُ بالبستان ناعسة ... منكِ الأماني لأحباب أناجيها
إنّي أوجّه طيْفاً من هوايَ لها ... يدري لُبانات أشواقي ليوحيها
ياطيفُ لُطْفاً على اسم الله سِرْ سحَراً ... لِنحو طيبة واستأذنْ فواغيها
وأْتِ التي مَلَكت قَلبي وَمَا تَرَكَت ... مني بحكم الرّضى لِلغيْر توجيها
صادت فؤاديَ أشراك الغرام لها ... فما لقلبي هوى إلا مراضيها

وهكذا يتغنّى السمائليون ببلادهم، ويبدعون في وصفها، ويظهرون جمالياتها، ويعدّدون مناقبها وخصالها، وهذه الأبيات لأبي سرور من قصيدة قالها أيام إقامته في دمشق في ثمانينيات القرن الهجري الماضي، ستينيات القرن الميلادي الماضي، وقد بثّ أشواقه فيها، وحنينه إلى بلده سمائل، وسنورد القصيدة إن شاء الله في محلّها، قسم القصائد السمائلية.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الله السالمي في نهضة الأعيان:

«سُمِّيتِ الفيحاءُ لكثرة فوَران الماء بها وطفوحه على وجهها، تقع هذه العاصمة في إقليم بَهيّ كبير سَريّ، به ثغور جليلة، وبلدان جميلة، آهلة بالرجال، تحدق بها الجبال عن اليمين والشمال، فهي حِمًى لا يُراع، ومعقل لا يستطاع،

تجمع طرق المواصلات، لكثير من الجهات، محور تدور عليه رحلة الشتاء والصيف بين مسقط والباطنة والشرقية والجوف، حلقوم عمان الذي تتنفّس منه، وبلعومُها الذي تَغَصُّ به، يصفها شاعر العرب فيقول:

وأين حلقوم ذاك الملْك معصمه سمائل فهي للسّلطان سلطان
وأين عن أَجْربيْها مَنْعُ بيضتها والأجربان بنوعبس وذبيان

فبنو عبس وذبيان القبيلة التي تتّكأ عليهما هذه العاصمة ذات الأسواق الرائجة، والحصون المشيّدة، والعيون الجارية تدخل دُورَهم، فيتصرّفون بها في قصورهم، تحفّ بهذه المياه بساتين ملتفّة بها الأشجار، كأنّ الحُور أعارتها قدودَها وكَسَتْها بُرودَها، تحمل ضروباً من الفاكهة تهشّ لها النفس، ويجتمع بها الأُنْس، ولا تُرى بها الشمس، كأنما عناها الشاعر بقوله:

تفرح بالشمس إذا ما بدت كفرَح الذِّميّ بالسَّبْت

هي أوّل بلد بعمان دخلها الإيمان، هي بلاد مازن بن غضوبة العماني الصحابي، الذي وفد على النبي ﷺ، وأسلم على يديه وقصته مشهورة، استوفى ذكرها سيّدي نور الدين بتحفة الأعيان»[1].

وقال أيضا عندما ذكر افتتاح سمائل[2] من قبل الإمام سالم بن راشد

(١) (السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان، ص ١٨٨.

(٢) من القصص الطريفة في الأحكام فيما رواه الشيخ سعيد بن حمد الحارثي قائلا:
«لمَّا كان الشيخ نور الدين في سمائل والإمام حاضر، وذلك عند فتحهم لها، جاء رجل فجلس أمام الشيخ وقال:
لي على فلان حقٌّ ما رضيَ أن يعطيني إيّاه.
فلم يجبه الشيخ.. فسَئِم وقام.
وجاء في اليوم الثاني، ففعل مثل ذلك، وجاء في اليوم الثالث وقال قوله ذلك.
فقيل للشيخ: هذا الرجل له ثلاثة أيام يجلس أمامك فيشتكي فلا تردّ عليه.
قال: ما اشتكى، وإنما أخبرنا أنّ له حقّاً، فإن كان مشتكياً فليعدِّلْ شكواه، والحاكم لا يفتح لخصم».
اللؤلؤ الرطب (النسحة الإلكترونية).

الخروصي ليلة ٢٨ من شـعبان ١٣٣١هـ، حيث حاصر الإمام حصنها شهرا، وفيه السـيّد نادر بن فيصل من قِبَل أبيه قال: «ولسـمائل أهمّيّة خاصـة، فهي المنفذ الوحيد الفاصل بين الساحل والداخلية، وقد أدَّى سقوط وادي سمائل إلى زعزعة مركز السلطان، وفي كتاب عمان لشـركة الزيت الأمريكية ص٨٢: وكتب برسي كوكس الوكيل السياسي بمسـقط قديما: أنّ السلطان بغير سمائل لن يكون أكثر من شـيخ بمسـقط..... لقد كان الثوّار قابضين على زمام الموقف، باحتلالهم وادي سمائل وحصن سمائل، اللذيْن كانا ضرورين لازدهار مسقط»[1].

هذه أوصاف الأدباء المؤرّخين، والعلماء البارزين لسمائل، التي هي غُرّة في جبين الدهر، وجوهرة في عِقْد العصر، فلذلك نرى أن الوصف يعجز عن إبراز مكانتهـا بالقَدْر اللائق، المسـتوعب لصفاتها، الجامـع لما تحويه من محاسن وألطاف.

يقول الدكتور الأديب محمود بن مبارك السـليمي السـمائليّ: «سمائل إحدى مُدُن عمان المهمّة، التي أسـهمت إسـهاما فعّالا وعميقا في رَفْد المسـيرة الأدبية العمانية، وأعطتها طابَعًا خاصّا، وتسمّى «الفيحاء» لكثرة فوران الماء بها، وطفوحه على وجهها، ولها فضل السبق إلى الإسلام، في شخص مازنها الطائي رضي الله عنه.

وسمائل مركّبة من كلمتين: سما، وإيل، أي سماء الله، وهو اسم وافق مسمّاه، فهي قـد أضيفت إلى اسـم الجلالة تكريما لهـا، وهي للعلوم مقـرُّه الرغيب، وللعربية منبعها الخصيب، وللحضارة ثوبها القشيب، على أنّ لها في الرفعة شأنا يعرفه كل بعيد وقريب، كيف لا؟ وقد تغنّى الشعراء بها بما لامزيد عليه، كما في قول النبهاني:

كأنّ حـدوجَ الرائحاتِ عشـيّةً مَوَاقِرُ نَخْلٍ مِن سـمائلَ مُبْسِـرِ

(١) السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان، ص١٨٨ ـ ١٩١.

ولأهمية موقعها الجغرافي المشـــرف على أغلب مناطق عمان الشـــرقية والداخلية وغيرها وصفها أبو مسلم الرواحي ـ شاعر العرب ـ بقوله:

وأين حلقومُ ذاك المُلْك مِعْصمُه سمائل فهي للسلطان سلطان»[1]

سمائل في الموسوعة العمانية:

هذا وقد ورد في الموسوعة العمانية تعريف واسع عن سمائل، أنقله كما هو تعميما للفائدة:

سمائل: «إحدى ولايات محافظة الداخلية.

تبعد عن العاصمة مســقط بحوالي ٨٥ كم، اتخذت من نخلة الفرْض شعارا لها؛ لشـــيوعها فيها، ويذكر في الأمثال العمانية: (ســـمائل فيهـــا الفرْض مائل)، للدلالة على كثرة نخيل الفرْض فيها وجودته.

يحدّ ولاية سمائل من الشـــمال ولاية بدبد، ومن الجنوب ولاية إزكي، ومن الشـــرق ولاية المضيبي، ومن الغرب ولاية نَخَل، ويغلـــب على الولاية صخور أفيولايت سمائل، وهي من صخور حقبة الحياة المتوسّطة (٢٠١ ـ ٦٥ مليون سنة خلت) المغتربة التي تكوّنت في أعماق محيط التنيس الجديد New Tethys، ثم انقذفت إلى أرض عمـــان في أواخر العصر الكريتاســـي (١٤٦ مليون ســـنة إلى ٦٥ مليون سنة خلت).

تجمّعاتها السكانية حوالي ٨١ تجمعا منها: سمائل وسرور ولزغ والخوبار.

---

(١) (السليمي، د. محمود بن مبارك، مكانة سمائل الفكرية والأدبية، بحث مقدّم لندوة سمائل عبر التأريخ التي أقيمـــت يومي الإثنين والثلاثاء ١٠ و١١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١١ و١٢ ديســـمبر ٢٠٠٥م والتي أقامها المنتدى الأدبي ونشر بحوثها ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٥٥).

بلغ سكانها ٥٥٨٩٦ نسمة حسب التعداد العامّ للسكان والمساكن والمنشآت لعام ٢٠١٠م، وفي تعداد ٢٠٠٣م بلغ سكانها ٤٤٥٦١ نسمة، أمّا في تعداد ١٩٩٣م فكانوا ٣٨٦٠٣ نسمة.

يتوسط ولاية سمائل وادي سمائل الذي يُعَدُّ من أكبر أودية عمان، ويقسم الوادي المدينة إلى علاية وسفالة؛ وذلك تبعا لمجراه؛ إذ يمرّ الوادي بالعلاية أوّلا ثم بالسفالة، كما يفصل الوادي بين سلسلة جبال الحجَر الشرقي، وسلسلة الحجَر الغربي، والوادي من المواقع المعروفة عالميّا لدراسة صخور قاع المحيط، وكذلك الصخور القارّيّة محليّة المنشأ، وتحيط الجبال بولاية سمائل من كل جانب.

ويوجد في ولاية سمائل العيون المائية الحارّة التي تصلح مياهها للشرب، مثل: عين منابك، التي تبلغ حرارتها حوالي ٤٥م د، ويصل معدّل تدفّقها إلى حوالي ٢٦ لترا في الثانية، وعين قَرِي، التي تبلغ حرارتها حوالي ٣٥م د، بمعدّل تدفّق يصل إلى ١٤ لترا في الثانية، ويعتمد سكان ولاية سمائل على الأفلاج لاستخراج المياه واستعمالها، إذ يوجد بها ٢٢٤ فلجا؛ منها ١٣٧ فلاحيا، أبرزها: فلج السَّمْدي، وفلج المريفع، كما تنتشر في الولاية الأشجار والنباتات البرّيّة مثل: الغاف والسمر.

تعدّ ولاية سمائل من أهمّ مراكز مواقع التعدين القديمة، استدلّ على هذا من المواقع الأثرية التي وجدت فيها؛ ومنها موقع وادي الصفافير الذي يعدّ بحسب الدلائل الأثرية من أبرز مواقع تعدين النحاس، التي تعود إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وعثر به على مناجم النحاس، وممرّ كان يستعمل لنقل النحاس، إضافة إلى مواقد صهْر النحاس، وأكوام من خبث النحاس.

كما عثر في وادي «شاغل» على قرية للنحاسين، تضمّ آثارا لحوالي ٥٠ بيتا، ومن المواقع الأثرية في ولاية سمائل: موقع العين، في الجانب الشمالي من

وادي الرّجْم، ويحتوي على قبور أثرية من نوع قبور الأكواخ التي تعود إلى فترة لزق، في بداية العصر الحديدي (الألف الأول قبل الميلاد)، إضافة إلى موقع «منال»، على ضفاف وادي سمائل، الذي يحدّه من الشرق سلسلة الجبل الأخضر، ومن الجهة الشمالية الجنوبية وادي سمائل، ويعود تاريخه إلى العصر الحديدي أيضا، ويتكوّن من مجموعة من الوحدات السكنية المندثرة ومدافن دائرية، ويقع على ارتفاع ١٠م من قاع وادي بني رواحة، كما يوجد في الجانب الشمالي الشرقي من هذا الموقع بقايا مجمَّعين سكنيّين، عثر فيهما على أوان بعضها من الفخّار، وبعضها الآخر من الحَجَر الصابوني، إضافة إلى أدوات من النحاس وأصداف، ونقوش إسلامية ورسوم على الصخور.

كما يوجد بالولاية موقع «وادي دماء»، الذي عثر به على مناجم ومواقد للنحاس وآثار بيوت قديمة.

ويوجد بالولاية حصون وقلاع وأبراج، مثل: حصن سمائل الذي أنشئ زمن حكم النباهنة، عندما كان خردلة بن سماعة بن محسن (ق ٦هـ/١٢م) واليا على سمائل، ويتوسّط الحصن العلاية والسفالة؛ فقد اختير موقعه لإحكام السيطرة عليهما.

ومن معالم الولاية التاريخية حصن الصاروج الذي يوجد بقرية الخوبار، ويسمّى أيضا بيت الخوبار وبيت الجبري، بناه سعيد بن سلطان المجلبي، ويعود تاريخ بنائه إلى عام ١١٥٦هـ (١٧٦٣م) في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، كما يوجد بها مسجد المضمار المنسوب بناؤه إلى الصحابي مازن بن غضوبة، كما يوجد فيها أسوار وبيوت وأسواق منها: سوق العلاية الذي يقع في العلاية على حافّة وادي سمائل، وسوق السفالة الذي يقع بالقرب من حصن سمائل، وتذكر المصادر أنه شيّد في نفس المدّة التي بني فيها الحصن.

تعدّ المدرسة البارونية من معالم سمائل التاريخية، وقد شيّدها سليمان الباروني الليبي، أثناء وجوده بعمان، وهي واحدة من عدة مدارس بالاسم نفسه، أنشأها الباروني في تركيا وليبيا، واسْتُكمِل إنشاؤها في سنة ١٣٦٨هـ (١٩٣٠م)، وشارك في بنائها جمْع من أهل سمائل، وقد اتخذها الباروني آنذاك مقرّا له، يراسل منه أهل المشورة، ويجتمع معهم لبحث شؤون المدرسة ونظامها، وقد انتظمت لحين مع طلبة معدودين، ثم توقّفت.

برز في سمائل عدد من العلماء والفقهاء والأدباء منهم: الصحابي مازن بن غضوبة السمائلي، وهو من أوائل من أسلم من أهل عمان، وأبو مسلم ناصر بن سالم البهلاني (ت: ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) الذي أسّس للصحافة العمانية في الشرق الإفريقي.

يزاول سكان ولاية سمائل من الأنشطة الاقتصادية: الزراعة وتربية الماشية، وصناعة النسيج، ويوجد في الولاية مصنع للنسيج أنشئ عام ١٩٧٦م، ويمارس في الولاية بعض الفنون: مثل الرزحة والعازي والتغرود»[١].

وقد ورد من ضِمْن ما كتبته الموسوعة بيان عن عدة أمور سيأتي التفصيل عن كثير منها في محلّه إن شاء الله.

هذا وتبلغ مساحة ولاية سمائل حوالي ٣٥٠٠ كم٢، وتتكوّن من حوالي ٣٧ قرية.

«وقد ساعدت العديد من العوامل الجغرافية والتأرخية على الاستقرار البشري في ولاية سمائل منذ فترات طويلة من الزمن، لعل أبرز تلك العوامل الآتي:

(١) الموسوعة العمانية ١٨٦٠/٥.

١ ـ وفرة مصادر المياه الجوفية وانتشار العيون والأفلاج.

٢ ـ توفر التربة الزراعية الخصبة على جانبي الأودية الهابطة من سلسلة جبال الحجر الشرقي والغربي.

٣ ـ الحماية الطبيعية التي وفّرتها السلاسل الجبلية للمنطقة.

٤ ـ موقع المنطقة كنقطة اتصال بين أقاليم ساحل خليج عمان، وأقاليم المناطق الجبلية والصحراوية الداخلية.

٥ ـ احتضان الولاية لعدد كبير من الأئمّة والعلماء والفقهاء، الذين قاموا بدور بارز في بناء الحضارة الإسلامية[1]».

(عامل الحجاج بن يوسف الثقفي ينهزم بسمائل)

ذكر ابن رزيق في الفتح المبين: أنّ الحَجّاج بن يوسف الثقفي هو والي العراق من قبل عبد الملك بن مروان، وكان الحجاج يبعث بالغزاة إلى عمان، وفيها سليمان وسعيد ابنا عَبّاد بن عَبْد بن الجلندى، وهما المقيمان بعمان، وكلّما أرسل الحَجّاج جيشا لغزو عمان أبادا جيشه وفضّا جموعه، فأشار إليه بعض خاصته أن يخرج إليهما القاسم بن شعْوة في جمْع كثير، فسار إليه سليمان بن عبّاد بجيش كثير فاقتتلوا قتالا شديدا، فكانت الدائرة والهزيمة على أصحاب الحَجّاج، فقُتِلَ القاسمُ بن شعوة، وقتل من أصحابه خلْق كثير، فلما بلغ الحجّاج ذلك هاله الأمر، فأرسل المجاعة بن شعوة وهو أخ القاسم، ومعه أربعون ألفا من قبائل نزار ومن شايعهم، نصفهم بالبحر والنصف الآخر بالبرّ، فالتقوا هم وسليمان بن عبّاد ومن معه من الأزد وغيرهم حول الماء الذي دون

(١) (البلوشي، د. علي بن سعيد، جغرافية ولاية سمائل، بحث مقدّم لندوة سمائل عبر التأريخ التي أقيمت يومي الإثنين والثلاثاء ١٠ و١١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١١ و١٢ ديسمبر ٢٠٠٥م والتي أقامها المنتدى الأدبي ونشر بحوثها ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٤١).

البلقعة بخمس مراحل وقيل بثلاث، وهو الماء الذي يقال له اليوم البلقعين، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب الحجّاج، فلمّا وصل مجاعة إلى بركاء خرج إليه سعيد بن عبّاد أخ سليمان فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز بينهم الليل، ولمّا تأمّل سعيد قومه وجدهم مع عساكر المجاعة بن شعوة كالشعرة البيضاء في الثورالأسود، وقد قتل مِن قومه مَن قتل، وكثرت الجرحى من قومه، فرجع من ليلته وعمد إلى ذراريه وذراري أخيه سليمان فاعتزل بهم في الجبل الأخضر، وهو جبل بني ريام،، ولحقه القوم فحصروه، ولم يقدروا أن يصعدوا الجبل، فأقاموا بوادي مستلّ.

وكان مجاعة قد أرسى سُفُنَه دون مسقط، وكان عدد سفنه ثلاثمائة سفينة، فمضى إليها سليمان، فأحرق منها نيفا وخمسين سفينة، وانهزم الباقون بالسفاين التي لم يحرقوها، ومكثوا فيها بالبحر، وتصوّر لمجاعة أنه لا طاقة له بسليمان وجنوده، فمضى يريد البحر، فالتقى هو وسليمان في بلدة سمائل فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فانهزم مجاعة ولحق مجاعة بسفنه وركبها، ومضى إلى جلفار، وكتب إلى الحجّاج عمّا جرى عليه من سليمان وسعيد ابني عبّاد، وأنه قد اجتمع معهما أزْد عمان وحلفاؤهم قاطبة اهـ بتصرّف»[1].

وهكذا تمضي حوادث الدهر بقصصها الغابرة، وملاحمها المتكاثرة، بين سفْك للدماء، وقتْل للأبرياء، ونهْب للأموال، وأفعال تتنوّع فيها سيّئات الأفعال، فما الذي جاء بهذه الجيوش من بلاد قاصية، وحوزات نائية، من العراق والشام، فتزحف إلى عمان بقَضّها وقضيضها فتلقى الموتَ الزُّؤام، إنه حُبُّ السيطرة والنفوذ والانتقام، فما أحلك تلك الأيام، وما أسْوَدَ أوراقها في صفحات الدهر وخزاين الأيام، نسأل الله العفو والعافية وحُسْنَ الختام.

(١) ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين ١٨٧ ـ ١٨٩.

الإمام نور الدين السالمي يتنفَّسُ الصُّعَدَاء بسمائل بعد فتحها:

لأهمِّيَّة سمائل من بين بلدان عمان كما سبق ذكره، فهي حلقوم عمان كما قال أبو مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأين حلقومُ ذاك المُلْكِ مِعْصَمُه سمائلٌ فهي للسطان سلطانُ

ولـمَّا قامت دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ١٣٣١هـ بهمَّة الإمام نور الدين السالمي وقيادته ونهضته، وافتُتِحت سمائل بعد نزوى وإزكي، جعل الإمام السالميّ أن يتنفَّس الصُّعَداءَ ويقول مقولته المشهورة:

قال صاحب نهضة الأعيان الشيبة السالميّ في والده نورالدين:

«لمَّا فُتِحَت سمائلُ وأقيم الحدُّ على المعترفة بالزِّنا، تنفَّس الصُّعَداء[1] وقال: خشيتُ مَعْجَلَةَ الموتِ قبل اجتماع العمانيّين على إمام يجمع الشمل ويقيم العدل، فلمَّا تمَّ ذلك خشيتُ الموت قبل أن يكون لهم مأوى يرجعون إليه ومركزا يأوون فيه، ثم خشيتُ أن أموت قبل أن أشاهد الإمام يصلّي الجمعة بالمسلمين، ثم خشيتُ أن أموت قبل أن أرى الإمام يقيم حَدًّا من الحدود الواجبة، أمّا الآن فقد كان ذلك كلُّه، فالحمد لله على تمام النعمة، ثم تمثَّل بقول ابن مُقَرَّب العُيُوني:

«طبتَ يا موتُ فإن شئتَ فَزُرْ»

ولم يزل يردِّد هذا الشطر في حال قيامه وقعوده، حتى فارقت نفسُه المطمئنّةُ جسدَه الطاهر في تلك الأشهر من صدر الدولة، فإنه عاش في تسديدها بعد ظهورها ثمانية أشهر وسبعة عشر يوما.

وكان عمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثمانية وأربعين سنة وأشهرا في رضاء الله وابتغاء ما عنده.

---

(١) تنفَّس الصُّعَداءَ: تنفَّس نفَسًا طويلًا من تعَبٍ أَو كَرْب.

كان ضريرا يحتاج إلى قائد يَهديه السبيلَ، فأصبح يَهدي الشعبَ السبيلَ.

كان لا جُنْدَ له إلا التقوى وكفى بها، فأصبح يؤلِّف من الشعب جُنْدا.

كان فقيرا لا مال له، فأصبح يَجُرُّ الجيوش الضخمة، ويبتزُّ المعاقل من أيدي الجبابرة والظلمة.

مـــا فقدنـــاك هُمامًـــا مُفْـــرَدًا بل فقدنا الخير في كلِّ مَحَلْ»[١]

السُّيُولُ في سمَائل:

نزلت وقت إمامة الصلت بن مالك الخروصي[٢] (ق: ٣هـ) سيول عارمة على عمان ومنها سمائل، في ليلة الأحد ٣ جمادى الأولى سنة ٢٥١هـ، يوافقه ٦ يونيو

---

(١) الســالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان ١١٢، والبيت من قصيدة للعلاّمة أبي مســلم رَحِمَهُ اللَّهُ يرثي بها نور الدين، يقول في مطلعها:

نكِّســي الأعــلامَ يــا خيــرَ الملل رُزِءَ الإســلامُ بالخَطْــب الجَلَــلْ
وانتشــر يــا دمــعْ أجفــان التقــى قد أُصِيــبَ العلــمُ واغتيــل العمل
وانفطر يا قلب واســتقص الأســى إنّ حبــلَ الديــن بالأمــس انبتــل

(٢) الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي الأزدي، من أشــهر أئمَّــة عمان في القرن الثالث الهجري، بويع بالإمامة في اليوم الســادس عشر من ربيع الآخر ســنة ٢٣٧هـ، في اليوم الذي توفّي فيه الإمــام «المُهنَّا بن جيفر اليحمــدي»، وكان على رأس المبايعين الشــيخ «محمد بن محبوب الرحيلي»، و«بشــير بن المنذر»، فبايعوه على ما بويع عليه أهــل العدل قبله، ودامت إمامته ٣٥ سنة وسبعة أشهر.

من أهم الأعمال التي قام بها الإمام الصلت تحرير جزيرة سقطرى من قبضة النصارى، وحماية الهند من قراصنــة البحر، وفي عهده أيضا شــهدت عمان تطوّرًا معماريًّــا، فبنى الإمام حصن نزوى، وقام بترميم قلعة نَخَل.

كما أعدَّ سُفُنًا مخصَّصة يطلق عليها (البوصي) لتحرير جزيرة سقطرى، قال عنه أحد الشعراء:

مــــلكَ الصــــلت الخــــروصي ألــــفَ بُــوصــــيٍ وبُــوصــــي

اســتنجد به ملك الهند ضدَّ قراصنة البحر، فقضى عليهم الإمام فأهدى مَلِك الهند للإمام سيفا مكتوب عليه:

=

٨٦٥م، فأحدثت تخريبا عظيمًا، وجرفت السيول أرض الباطنة، نخيلها وأشجارها، وكذلك سمائل لم تبق منها إلا نخلة واحدة، كما ورد في التأريخ.

وقد تكون هذه الحادثة هي التي ذكرها الأديب اللغوي العماني ابن دريد (ت: ٣٢١هـ) الذي كان موجودا في عمان آنذاك حيث يقول: كنتُ بعمان مع الصلت بن مالك الشاري، وكانت الشُّراة تدعوه أمير المؤمنين، وكانت السنة كثيرة الأمطار، ودامت على الناس، فكادت المنازل أن تنهدم، فاجتمع الناس وصاروا إلى الصلت وسألوه أن يدعوا لهم، فأجَّل بهم أن يركب من الغد إلى الصحراء، فقال لي: «لتخرجْ معي غدا» فبِتُّ مفكِّرًا كيف يدعو؟ فلمَّا أصبحتُ خرجتُ معه، فصلّى بهم وخطب ودعا فقال: اللهمَّ إنّك أنعمتَ فأوفيتَ، وسقيتَ فأرويتَ، فعلى القِيعان ومنابت الشجر وحيث النفع لا الضرر، فاستحسنت ذلك منه»[(١)].

قال الإمام السالمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (تحفة الأعيان):

«وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين كان بصُحار وبعُمان السَّيْل الكثير المذكور، وانهدم دُورٌ كثير، ومات فيه ناس كثير، وغرَّق السيل عامَّة عمان، وبلغ الماء مواضع لم يبلغها قبل ذلك فيما بلغنا، والله أعلم.

وقال: وفي بعض التواريخ: «لمَّا كان ليلة الأحد لثلاث خلَوْن من جُمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتي سنة، نزل أمر فظيع عجيب بِبُدبُد[(٢)] وقيْقَا[(٣)]

= إذا بدا حَدُّ هذا الصارم الذَّكَرِ فقل أعوذ بربّ الجنّ والبشَر
الصارمِ الباترِ العَضْبِ الذي ظهَرَتْ للناس آياتُه في سالف العُصُرِ

عُزِلَ عن الحكم عام ٢٧٢هـ بعد حكم دام ٣٥ عاما، وتولى الإمامة بعده «راشد بن النظر اليحمدي»، وتوفّي الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٧٥هـ.

المراجع: السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ١٦٠/١.

(١) البطاشي، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان، ١٤٠/١.

(٢) الآن هي إحدى ولايات عمان، من محافظة الداخلية.

(٣) قرية في سمائل تسمَّى الآن (فَيْحَة).

والباطنة وسمائل ودَما[١] وصحار أمر عظيم جليل، نزل عليهم في الليل، وثمارُهم متعلّقة في نخيل محدقة؛ فجاءهم دَوِيٌّ وظلمة وهَوا، وهَوْلٌ مفظِع، وأمر مُطْلِع[٢]؛ فعَناهم في ذلك بَحيحٌ[٣]، وصِياح وعَجيجٌ[٤]، واستهلَّت السماء فأدفقت عليهم من الماء؛ فبينما هم كذلك وأمْرُهم على ذلك، وهم في شدّة من الفَرَق[٥]؛ وخوف من الغَرَق؛ ومنهم من أيقن بالمَنيَّة والحَتْف والقضيّة، إذ جاءتهم السيول فأحدقت، وعليهم من المسائل أودَقَت، وهم في منازلهم خائفون ممّا نزل بهم، فقلعت السيول المنازل والأموال، وغرقت النساء والرجال، فغرق الرجل وعيالُه، وتخرَّب منزله وماله؛ فأصبحوا في ليلة واحدة أصواتُهم خامدة، ومنازلُهم هامدة؛ فهدمت السيول مساكنَهم، وأخرجتهم من أوطانهم، وحملت إلى البحور أبدانهم؛ وقلعت الأشجار، وأغارت الأنهار[٦]، فأصبح السالِمُ الموسِر

(١) يشير إلى حصن دَما، وهو حصن السيب، موقعه بالقرب من مدخل السيب الشرقي، حيث كان الدوَار المعروف بدوار الخوض، والآن صار جسر وإشارات للمرور تحته، والحصن صار ملكا شخصيًا الآن.

وكان في السابق معقلا للدولة، وفيه أقام الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي (بويع بالإمامة يوم الإثنين لست خلون من جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين ومائة للهجرة) بجيش المسلمين لمطاردة قراصنة البحر.

قال نور الدين السالمي في تحفة الأعيان:

«وكان البوارج وهم كفار الهند يقعدون بأطراف عمان ويسلبون منها ويَسْبُون ويمضون إلى ناحية فارس والعراق؛ فكانوا فيما بلغنا ربما يسيرون بناحية دَبا وجلفار؛ واتخذ غسان الشَّذاة (نوع من السُّفُن) للغزو، وهو أوّل من اتخذها بعمان، وغزا فيها البوارج من هذه الشطوط؛ وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشَّذاءات وبالغُرَف (نوع من السفن تقرُبُ من الشَّذاة) ١٢١/١.

(٢) طَلَعَ عَلَيْنَا: هَجَمَ.

(٣) أبَحَّ الصّياحُ صوتَه: بحَّه، أحدث فيه غلْظة، صَيَّره خَشِنًا غليظًا.

(٤) العجيج: صوت البعير؛ صوت الريح شديدة الهبوب المثيرة للغبار؛ صوت القوس المرتفع الممتدّ؛ صوت النهر؛ صوت صياح القوم.

(٥) الخوف.

(٦) الأفلاج.

منهم فقيرا، يطلب الأكل والشيء اليسير، وأعظمُهم جائحةً وأشدُّهم فادِحةً أهلُ بُدبُد وقَيْقا، وتفرّق من بقي منهم في البلدان، وتركوا الأوطان، وخرِبت المواضع والعمران، حتى إنه ليمرُّ بها الإنسان، فتأخذه لمنظرها رهبة،

وذكر هذا السيل في بعض الكتب وقال: نزل أمر عظيم بقيقا وسمائل وبدبد ودما وصحار، وكان في ذلك اليوم مَرابِط المسلمين في دَمَا من الباطنة، وصارت الباطنة في منزلة المال المجهول ربه لا يعرف ولا يكاتب فيها، وأمّا صحار فخرّبها وادي صَلَّان، وتراهم يكتبون منها فيما قرب من الحصن، ويتنزّهون عما بَعُدَ منه.

قال: وأرجو أنّ ذلك بعد ما خرّبها السيل عرفوا تلك الأماكن وحدودهم دون ما بَعُد عن الحصن، لأن بدبد وقيقا ومزرع بنت سعد وسمائل خرّبهن ذلك السيل، وعرفت نخلة صَرْنى[١] من سمائل، وقد قيست الأموال عليها، وسمي ذلك المال الحلال[٢]، وقد تراضوا على ذلك لأن أهلها بقوا، وكذلك قيقا ومزرع بنت سعد الذي هو مطابق بُدبُد من سافل، كلٌّ عَرَف مالَه إلا بُدبُد، لم يكن أحد يعرف ماله، إلا مال مسجد فَيْقا، منها عُرِفَ وحِيزَ هو وماؤه إلى الآن، وهو في بُدبُد من سقي فلج البويرد[٣]، في الجانب الشرقيّ العلويّ، ممّا يلي الوادي، وقد تُرِكَتْ بُدبُد قبيضة[٤] في أيدي المسلمين، حتى يرجع إليها أهلها ثم صُيِّرتْ بيتَ مال.

ومسجد فَيْقا معروف في قرية من الباطنة يقال لها المعبيلة[٥]، بنته امرأة من أهل مَنَح اسمُها فَيْقا قبل الجائحة، وسبب ذلك فيما قيل: إنَ مَنَحَ أصابها مَحْلٌ شديد حتى غارت الآبار ولم يوجد فيها ماء للشراب؛ وسار أهلها إلى الباطنة في

(١) نوع من النخيل معروف.

(٢) مال أخضر معروف، في محلَّة الحَلال بعلاية سمائل، من سقي فلج السَّمْدي، ومقسّم الآن بين عدَّة مُلَّاك، وهنا تمرُّ شَرجة تسمّى الحَلال.

(٣) موضع معروف في بدبد.

(٤) أي وديعة وأمانة يقبضها المسلمون حتى يظهر أهلها ويعرفونها.

(٥) المعبيلة الآن من مناطق السيب، والمسجد معروف عامر.

طلب المعاش، وبنت لهم فيقا هذا المسجد، فقيل إنها لم تخرِّبه الجوائح، أو أنه خَرِبَ بالسيول، وعُرِفَ مكانه وجُدِّد بناؤه، وقيل: كذلك المسجد المسمّى (طارود) المعروف ببركاء، كان قبل الجائحة.

وقيل: إن دَما[١] من الباطنة كانت قبل ذلك بلدةً طيِّبة ذات أنهار وأشجار ومَعْقِلَ رباط المسلمين.

وكذلك الموضع المسمَّى (الأسرار)[٢] من (لِوى)[٣] وحُسَيْفِين[٤]، كانت بلدة طيِّبة ذات نَخَل وشَجَر، لكن تغلَّب عليها بعض الجبابرة واستعجز أهلَها بما لا طاقة لهم به، حتى تركوها وهربوا منها وركبوا البحر بأهاليهم، والآن مجبورة

(١) هي السيب حاليًا، كانت تسمَّى: دَما سابقا.

(٢) منطقة الأسرار الآن تابعة لولاية شناص، وهي جهة الشرق من الولاية.

(٣) لِوى: من ولايات الباطنة، تقع بين صحار وشناص.
يقول الأديب خلفان بن سالم العبيداني الصحاري:

وسقى اللِّوى وسقى الأجارع باللِّوى ... غيثُ الشؤون ووابلٌ سَجَّامُ
وسقي الخُزَينةَ حيث آساد الشَّرا ... قد حَلَّ فيها باسل وهمام
ناران فيها نار حرب للعِدا ... قامت ونار للوفود تقامُ

ويقصد بذلك السيّد يعرب بن قحطان البوسعيدي، الذي سكن لوى، وله بيت كبير أثري كالحصن، على الساحل من لوى، قرب منطقة حرمول، رأيته بنفسي لـمّا كنت قاضيا بلوى، ابتداء من شهر صفر ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/١م.

(٤) حسيفين، منطقة في ولاية شناص، منها العالم الفقيه حيّان بن محمد؛ أبو محمد الحسيفيني.
وكذلك العالم الفقيه فارس بن إسماعيل بن رحمة بن أحمد الخصيبي. (ق ١٠هـ/ ١٦م)
عاش في القرن العاشر الهجري؛ أخذ العلم عن الشيخ أبي بكر أحمد بن مدَّاد.
عاصر من العلماء: أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليمان، ومحمد بن شريف، وعلي بن أبي القاسم الإزكوي.
من آثاره العلمية: «غرائب الآثار»، يقع في مجلد كبير.
المصادر: السالمي؛ عبد الله بن حميد، جوابات ١٣٧/٥.
البطاشي؛ سيف بن حمود، إتحاف الأعيان ٤٠٠/٢ ـ ٤٠٤.
السعدي، فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية ١٧١/١، ١٠/٣.

ببيت المال، ولم تُعْمَر الباطنة كلُّها مدَّة أعوام كثيرة، ثم أجاز الشيخ خلفان سنان الغافري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من العلماء أن تُفْسَلَ[٢] بالعُشْر للفقير.

(١) خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري، (حي: ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م).
عالم فقيه وشاعر، من أهل الكشف.
ولد في بلدة المعمور من أعمال بُهلا، واستوطن أماكن كثيرة، وبلغ مبلغا عظيما في الفقه والعلوم الشرعية، وملك مكتبة كبيرة.
له شعر جيّد يدل على غزارة علمه في اللغة والأدب، وأكثر أشعاره في النصائح والحكم والمواعظ والفتوحات والمدائح لأئمّة المسلمين.
عُمِّر طويلا، إذ توفّي عن أكثر من تسعين سنة.
كان من العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان سنة ١١٢٣هـ.
يذكر أنه تفرّس في الإمام أحمد بن سعيد لما كان صبيّا وقال له: ارفق بالرعيّة.
كان قرينا للمشايخ: صالح بن سعيد الزاملي، ومحمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان، وغيرهما.
أدرك أيام الإمام ناصر بن مرشد، وعاش إلى عهد الإمام سلطان بن سيف بن سلطان، وهو قد ناهز التسعين من عمره، وقد امتدح كلّ الأئمّة الذين عاصرهم.
كان واليا وقاضيا للإمام سلطان بن سيف بن مالك.
من أهمّ الآثار التي تركها:
١. مجموعة من الخطب والمراسلات.
٢. مقامة أدبية بليغة.
٣. أجوبة كثيرة في الأثر: يوجد بعض منها في كتاب «التبيان»، و«فواكه العلوم»، و«فواكه البستان»، و«لباب الآثار»، وغيرها؛ بحيث لو جمعت لكانت في مجلد كبير.
٤. مجموعة كبيرة من القصائد والمقطوعات الشعرية، وأكثر شعره في المديح والفقه، وبعضه في الفلك والطب، وله كذلك أجوبة نظمية.
المصادر: ابن رزيق؛ حميد بن محمد، الصحيفة العدنانية ص ٩٥ ـ ٩٧.
الخصيبي؛ محمد بن راشد، شقائق النعمان ٨٦/١ ـ ٩٤.
البطاشي؛ سيف بن حمود، إتحاف الأعيان ١٢٥/٣ ـ ١٣٠، ٥٠١ ـ ٥٠٢.
البطاشي؛..... إيقاظ الوسنان (كله)
السعدي، فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلّمين الإباضية ١٨١/١.
السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرأهل عمان، مكتبة الاستقامة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص ١٦١ ـ ١٦٤.

(٢) الفَسْلُ: غرس النخيل.

قالوا: ولأن يُؤكَلَ منه خير من أن تكون خرابا.

وسببُ ذلك أنّ أحدا من العلماء جاء الباطنة قبل الفَسْل، فلم يجد فيها نخلة إلا ما شاء الله، فكان مروره عليها سببًا للترخيص في عمارتها، فما أبرك ذلك القدوم»[١].

نَعَمْ ما أبركَ هذا القدوم على تلك الأرضين، فقد أحياها بعد الخراب، وأعاد إليها نظارتَها بعد اليَباب، وهكذا نظرة العلماء الثاقبة، التي تتجدَّد بحسب النوازل والوقائع، والمتشجّع بعلمه كالمتورِّع.

قال نور الدين السالميّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل مَن بعلمه تَشَجَّعا ... فهو كمَن بعلمه تورَّعا

ومَن يُرِدْ به الإله خيْرا ... فقَّهه في الدين كُنْ خبيرا

وقال الشيخ العلَّامة خلفان بن جميّل السيابي في كتابه سِلْك الدُّرَر:

وفي زمان الصَّلْت كان وقَعا ... جوايحُ السَّيْل الذي قد قَلَعا

وأغرق الأكثرَ من عمان ... واقتلعَ النخْلَ مع البنيان

وغرِقت سمائلٌ مع بُدْبُدِ ... وهكذا مَزرعُ بنْتِ سَعْدِ

ونخلةٌ واحدة قد قِيلا في ... سمائل قد بقيت لم تتلف

وأهلك النساء والرجالا ... واحتمل الأموال والعيالا

واقتلع السيلُ جميعَ الباطنةْ ... وما درى كلٌّ بها مَواطِنَةْ

وكان هذا واقعًا في عام ... إحدى وخمسين على التمام

ومائتين من سنين الهجرةِ ... وهو زمان الصلت في الإمامةِ[٢]

(١) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ١/١٣٧.

(٢) السيابي، خلفان بن جميّل، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر ٢/٥٧٠.

وقال الشيخ العلّامة محمد بن شامس البطاشي مؤرِّخًا هذه الحادثة عند ذكره لإمامة الإمام الصلت بن مالك الخروصي:

وعامَ خمسينَ وواحدٍ حَدَثْ ... على عُمانَ وصُحارَ وانبعَثْ
ذلكمُ السيلُ الذي قد شُهِرَا ... وهدَّمَ الدُّورَ وخَرَّبَ القُرى
ومات فيه بشَرٌ كثيرُ ... بغَرَق عليهمُ يصير
وغرَّق السيلُ كثيرا من قُرى ... عمانَ والخيلَ لها قد عَقَرا
كم من عمارات ودُورٍ عاليةْ ... خَرَّت على الأذقان منها هاويةْ
وكم بساتين وكم جنَّاتِ ... أمْسَت على العروش خاويات
كم حِلَلِ زلزلها من أصلها ... وكم بيوت أقفرت من أهلها
كم صارخ في ذلك اليوم النَّكِدْ ... وكم حزين حُزْنُه قَدَّ الكَبِدْ
وأعظمُ الناس يقال فادحةْ ... كذا أشدُّ الناس طُرًّا جائحةْ
سكَّانُ قِيقا وأهالي بُدبُد ... فإنّهم لاقوا أليمَ النَّكَد
أمَّا سمائلٌ فمنها عُرِفَتْ ... قد قيل نخلةٌ وبعدُ أُلِّفَتْ
أموالُهم جميعِهم عليها ... على رِضًى قد كان من أهليها
وسُمِّي المالُ الذي قد وُجِدَتْ ... فيه الحَلالَ وبه قد حُدِّدَتْ
وأهلُها قد سلِموا لم يَغْرَقوا ... لأجل ذا بعدُ عليها اتَّفقوا
كذاك قِيقا وكذاك مَزْرَعُ ... ابنة سَعْدٍ فيه ما تنازعوا
وكلُّ شخص مالَه قد عَرَفا ... فازوا به وأكلُه لهم صَفا
وبُدْبُدٌ فلم يكن من أحد ... يعرف شيئا غيرَ مال المسجد
مسجدِ قِيقَا عرفوه وبقي ... للآن معروفًا ولمَّا يَغْرَقِ
وإنه في فلج البُوَيردِ ... يعرفه الناس بلا تردُّدِ
وفي يد الإسلام صارت بُدبُدُ ... قَبيضةً لا يملكنْها أحدُ

حتى يعودَ نحوَها الأهالي ... وصُيِّرَتْ مِن بعدُ بيتَ مالِ
واجتاح هذا السيلُ كلَّ الباطنةْ ... فغرِقت عند حدوث الكائنةْ
وقال بعضُ العلما إنَّ دَمَا ... كانت قُبَيْلَ مَا لَها قد دَهَمَا
من أطيب البلاد بالأنهار ... والزَّرع والنخيل والأشجار
ومَعْقِلَ الرِّباط للإسلام ... كانت ومأوى القادة الأعلام
كذاك غيرُها من البلدان ... فأصبحتْ قَفْرًا بلا عُمْران
جَرَّ عليها دهرُها الهَوانا ... وهي التي بالسِّيب تُدْعَى الآنا
وبقيتْ قد قيل أرْضُ الباطنةْ ... سنينَ لم تُعْمَرْ لهذي الكائنةْ
لأنها مجهولةُ الأرباب ... صارت خَرابًا أيَّما خراب
فطاف بعضُ العلما عليها ... وقد رأى الكائنَ حالًا فيها
وقد أشار لهمُ أن تُعْمَرا ... إذ ليس في الخراب من خير يُرَى
وكونُها يأكلُ منها الفُقَرا ... ويزرعون أرضَها لِتُثْمِرا
أحسنُ من بقائها خرابا ... مُقفِرَةً مُوحِشَةً يَبَابا[1]

في يوم الجمعة ٤ رجب سنة ٥١٣هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١١١٩م، هطلت أمطار غزيرة وفيضانات في عمان، وخصوصا في سمائل والمناطق المجاورة لها، وذلك في عهد الإمام راشد بن علي بن سليمان بن راشد اليحمدي، حيث دمرت هذه السيول الكثير من البلدان وأغرقت الأموال والمنازل، وارتفع منسوب الماء إلى مستويات عالية حيث يذكر الشيخ سيف بن حمود البطاشي نقلا عن بعض المخطوطات القديمة «أنَّ زوجة عقيد العسكر بحصن سمائل كانت تغرف الماء من نافذة الحصن»[2].

(١) البطاشي، محمد بن شامس، سلاسل الذهب في الأصول والفروع والأدب، قسم التأريخ ص ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٢) مقال على الشبكة العنكبوتيّة.

ومن الجوائح التي أصابت سمائل أيضا ما ذكرناها عند ذكر مسجد رَجَب والتي أخبرنا عنها شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي يقول: إننا سمعنا ونحن في زنجبار أنّ الجائحة التي وقعت في سمائل في شهر رمضان من عام ١٣٧٦هـ جرفت هذا المسجد، إذ جاءت شرجة الإبراهيمية بعدما وصل الوادي، فرَجَعَتْ ودخلَتْ البيوت واجتاحت المسجدَ وحُوْشَ بيت السُّبحيَّة».

ومن السيول ما ذكرها الشيخ العلَّامة سالم بن حمود السيابي مؤرِّخًا لنزولها في سمائل وبدبد وغيرهما من المناطق، فقال:

«ليلة ١٢ من صفر ١٣٨٢هـ أذِنَ الله ﷻ بنزول الغيث على عمان، فكان على البُلْدان مطَرًا عاديًّا، غير مُضِرٍّ ولكنَّه استمرَّ منذ الساعة الخامسة ليلا إلى الساعة الخامسة نهارا، مَطَرًا متواصِلًا وغيثًا متراسلا، أسال الشِّراج والجبال، وأجرى البِقاع والوِهاد والدِّحال[1]، فأخصَبَها خَصْبًا تامًّا، وسَقاها سَقْيًا عَامًّا، وعند طلوع الشمس سال وادي مَنْصَحٍ، جارفًا عظيما، لم يُعْرَف في هذا الجيل مَن رآه كذلك، ويقال: إنه سال مثلها سنة ١٣٧٠هـ، فاجتاح البيوت والمنازل من نَفْعَا، وخربت الأموال التي مرَّ عليها جَمْعا، ولم يبق ممَّا يقرب من الوادي إلا اقتلعه واجتاحه، ودمَّر أمولا بالكبس، وأموالا بالجَرْف، وأموالا دفَنَها، واحتمل أثاثًا وأمتعةً وصِيَغَ ومَراجِلَ وصواني وتمورا كثيرة، فكان مجيئُه عبرة للمعتبر، وآية للمدَّكِر، فإنه طلع في وادي سمائل إلى مَعْقَد فلَج مَزرَعِ بِنْتِ سَعْد..... عن مَجراه إلى العالي أكثر من خمسمائة قدم، ونحن ننظر صباح ذلك اليوم، ثم جاءت الأودية بعده من وادي نِداب ووادي العُقِّ ووادي سمائل ووادي الجِيلة وتلاحقت، لكنَّها متوالية مترادفة، واستمرّ سيلانها من الساعة الثالثة نهارا إلى

(١) الوَهْدَةُ: الأَرضُ المنخفِضة. والجمع: وَهْدٌ، ووِهادٌ.
دَحَلَ الأَرضَ دَحْلاً: حفر فيها حُفَراً ضَيِّقة الأعالي واسعة الأسافل.
دَحَلَ البئرَ: حَفَرَ في جوانبها.

غروب الشمس، لا يخوضها أحد، وبقيت طول الليل جارية بقوّة، وبالخصوص وادي مَنْصَح، فإنّه غَشِـيَ نَفعا، وسَـراها إلى قُراها، ما خلا عمارة فلج السّيح، ودَمَّر الأفلاج منها، وأورثَها ضِيقا واعوجاجا، إذ كان عليها طاويًا عجاجا، فدخل على حِلَّة المَرازيق، وساح منها في الأموال، وأحاط بمَن في المقابض، وأشرفوا على الهلاك، وكثر الضَّجيج والعَجيج، وطال الصُّراخ والنَّشيج، آية من آيات الله يريها الله عباده جهارا، ليتَّخذوا ذلـك لقدرته اعتبارا، وعمَّ عمان ذلك المطر في بعض الأماكن، كما في منصح، وغالب الأماكن كما في سمائل، وسقى عمان من نزوى تشـريقا إلى أرض جَعْلان، وأكثرُه بوادي الطائيّيـن ووادي حطاط، وفي الباطنة على ما يقال إلى السُّوَيْق اهـ».

وفي يوم الأحد ٢٨من شـهر صفر لعـام ١٤٢٨هـ الموافـق ١٨ مارس ٢٠٠٧م وقعت سيول في بعض المناطق من عمان، أمّا سمائل فكان سيلُها جارفًا وعظيمًا، وقد أرَّختُه في أرجوزة وهي هذه:

الحمـدُ لله الـذي قـد جَعَلا ... غيثَ السمـاء رحمةً إذ هَطَلا
مبـارَكٌ فيـه حيـاةُ البشَـرِ ... والحيـوانِ والنبـاتِ الأخضـرِ
فـالخَصْبُ نعمـةٌ مـن الرحمن ... والجَـدْبُ نِقمةٌ على الإنسـان
لكنَّمـا حيـن يفيـض المَطَرُ ... غـزارةً هنـا يكـون الضرر
فـتحصلُ الجوائـحُ العظيمـةْ ... وتـقـع الخسـائر الجسـيمةْ
كمِثْلِ ما قد كان يـومَ الأحـد ... تاريخُـه مـن صَفَـر المُحَدَّد
سـنة ألـف ومِئِيـنٍ أربـعِ ... أَضِفْ ثَـمانًا مَعَ عشـرين وَعِ
بمارسٍ في يـوم ثـامنٍ عَشَرْ ... ألفيـنِ مَعْ سـبعةِ أعـوامٍ أُخَرْ
عمَّـت سيـولٌ لعمان كـاملةْ ... غـزيـزة ظلّـت عليهـا هاطلة
منتـصف الليـل بـدَتْ تَصُبُّ ... إلـى النهار قـد حباهـا الربُّ

وفي الصباح قد أتتنا الأوديةْ أمواجُها عارمة وعاليةْ
وفي سمائلٍ جرَتْ شِراجُ أربعةٌ وماؤها ثَجَّاجُ
كأنَّها أوديةٌ ما عُهِدَت تسيل بالقَدْر الذي الآن أتت
ثم جرى الوادي العظيم سَيْلُه وامتَدَّ للبحر هناك وَبْلُه
فدخل البيوت والأموالا أسوارَها بالهدم قد أزالا
وقلع النخيل والأشجارا للكهرباء قطَع التيّارا
وجرف الأبقار والأغناما فغرقت ولاقَتِ الحِماما
وكم من الناس نجَوْا بشدّة وبالحبال أُخْرِجوا والنجدة
وأربعون عَدُّما قد حمَلا سيَّارة كذا لنا قد نُقِلا
فدفَنَ البعضَ وأبقى البعضا مهشومةً لها بعنْف رَضَّا
من بينها حافلة كبيرة ستّون مقعدا غدت مطمورة
دفَنَها وما لها من أثر إلَّا الإطارات غدت كالعِبَر
أمَّا وِعاءُ الوادي ما كَفَاهُ مَلأَهُ وزادَ من أعلاهُ
ما بين ضفَّتيْه صار بحرا ملتطِماً ويبعثنَّ الذُّعْرا
وفي (سُرور) وصل الماء إلى ما قارب الشارع من جَسْر عَلا
والجانب الآخر نحو الجبَل في الغرب وهو بالمياه ممتلي
وسارت الأودية المجتمِعَةْ لنحو (فَنْجَا) وغدَت مُروِّعةْ
واتَّجهت للخُوض نحو السَّدِّ وملأتْه مثل بحر تُبدي
وحينما لم يكفها الوِعاءُ فاضَتْ وعَمَّ بعد ذا البلاءُ
فغمَرتْ مناطقا كثيرةْ بالسيب والحِيلُ غدَت محصورةْ
تضرَّرت مزارعٌ منازِلُ وطُرُقٌ لها الخرابُ شامِلُ
أكثر من خمسين عاماً لم تقعْ جائحةٌ كمِثْلها فيما رُفِعْ

في قَـرْنـنا الماضي يـقال نزلت ... إثـــر سيـــول لعمـــان هطلـــت
ســنة ألـــف وثلاثـمـــائة ... ستٍّ وسبعيـــن خلَتْ للهـجرة
برمضـــان أفـــضل الشهـــور ... ومـوســـم الخيـــرات والأجور
ومسجداً قد حمَلت يُـدعى رَجَبْ ... لِما أحـــاطتْه وبـــعدُ ذا انقلب
قـــد أمن النـــاس مـــن الوديان ... فســـكنوا فيهـــا بـــلا تـــوان
وضايـــقوا مسلكَها فـلـم تـجدْ ... من المـــرور فـــوقَهم أيَّـــةَ بُدّْ
والعلمـــاء الأوّلـــون منَعـــوا ... رَمْيَ النَّـــوى فيها وعنـه امتنعوا
خشيـــةَ أن ينبتَ نخْلٌ أو شَجَـرْ ... فيـمنعـــنَّ المَا ويلحق الضـــرر
وذلكـــم تحـــرَّزٌ وحـــذَرٌ ... فكيـــف مَن يبنى بها ويَـعْمُـــرُ
فنســأل الله لنـــا الســـلامةْ ... والأمـنَ في الدنيا وفي القيـامةْ
والختـــمَ بالصالح مـن أعمالنا ... والستـرَ والإصلاحَ في أحـوالنا

ثم جاء الإعصار الذي سُـمِّي (جُونُو) في شـهر جمـادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧/٦/٥م، فعمَّ بلدانا كثيرة في عمان، وبلغ حيث لم تبلغ السيول من قبل، وأغرق العاصمة مسقط، وصارت منطقة القُرم بحرا يركبون فيها القوارب، وصَعِد الناس أسـطح البيوت، ولم تكن خسائر في الأرواح إلا قليلة، والخسائر كانت في السيارات التي جرفتها السيول، وأفسدت في البيوت والمتاجر، وتعاون الناس مع الحكومة يدًا بيد، وصاروا لُحْمةً واحدة، يشدُّ بعضهم بعضا، فخفّفوا وطأة ما حلَّ بالناس من هذا الأمر الكبير.

ثم جاء إعصار (فِتّ) في ١١ جمادى الأخـرى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٦/٥م، وعمّ أيضا كثيرا من مناطق عمان، ولكنّه أقلّ ضررا من إعصار جونو.

وكلا الإعصارين لم يلحقا بسـمائل ضررا والحمـد لله، وإنما كانت أمطار رحمة وخصب.

وفي هذه الأيام وقع إعصار آخر، أطلقوا عليه اسم (شاهين)، وقد وصل يوم الأحد ٢٦ صفر ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠٢١/١٠/٣م، فضرب العاصمة مسقط أوَّلا، وفي الليل ضرب الباطنة، فأغرق السويق والخابورة، ونال من المصنعة وصحم بعض مناطقهما، ولكن الضرر الكبير في البلدين السابقين، وكان ضرره عظيما، أغرق البيوت وجرف بعضها، وأغرق المزارع، وجرف الشوارع، أمّا سمائل فأصابها منه غيث رحمة والحمد لله.

نحمد الله على السرَّاء والضرَّاء والشدَّة والرخاء، وتشير الدراسات أنَّ منطقتنا لا سيّما عمان أصبحت في هذه السنين والسنين القادمة إلى ما شاء الله منطقة أعاصير، وكلُّ ذلك بقَدَر الله ومشيئته، فهو تنبيه من الله لنا على غفلتنا وعصياننا، وتقصيرنا في حقّه تعالى، ونسأله العفو والعافية والصفح والمغفرة، إنه واسع المغفرة حليم كريم لطيف.

(سمائل تبشّر الإمام أحمد بن سعيد بالإمامة)

ومن الأحداث التي وقعت في بعض المناطق التابعة لسمائل، ما ذكره المؤرّخ الشيخ سيف بن حمود البطاشي في كتابه الطالع السعيد: أنّ الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وقبل أن يكون إماما مضى ذات مرة يريد سمائل، فجنّ عليه الليل حذاءَ نجْد السَّحَامَاة، وهو راكب على ناقته، فرأى شخصًا منتصبًا أمامَه في الطريق، فابتدأ أحمدُ بن سعيد ذلك الشخص بالسّلام، فكان من ردِّه عليه: وعليك السلام يا إمامَ عمان، فاقتحم إلى الأرض من ظهر ناقته ليعرف ذلك الشخص فلم يرَه»[1].

وحيث إنّ الشيئ بالشيئ يُذكَر كما يقال، فإنّ الإمام أحمد بن سعيد تُذكَر له قصّة مع الشيخ خلف بن سنان الغافري، تنبّأ فيها بمستقبل القيادة

(١) البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد ص١٥ وانظر: الفتح المبين في السيرة السادة البوسعيديين للمؤرّخ الشهير حميد بن محمد بن رزيق ص٣١٠.

والزعامة لهذا الرجل، قال الشـــيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي في كتابه (عمان عبر التأريخ):

(أحمد بن سعيد في طالعه السعيد)

«كان أحمد بن سعيد من أهالي أَدَم، وكان الشـــيخ خلف بن سنان الغافري معروفا بأســـرار إلهيَّة، زار أَدَمَ ولقي أحمد بن ســـعيد، وتفرَّس فيه **النجابة** التي تؤهِّله لأن يكون ملك البلاد وســـلطانها، وكان من عنصر زعامة معروفة بعمان، وكان يقال: إنّ الشيخ خلف من أهل الكشْـــف، وهم الذين منحهم الله علما عمَّا يحدث في الكون.

فلمّا رأى أحمد بن ســـعيد وكان غلاما صغيرا، وأحســـب أنه أيضا كان يتيما، تلقَّاه الشيخ بوقار، ومسَح على رأسه قائلا له: اتق الله في الرعية، معربا عنه أنه سيملك أمر عمان، ونشأ وشبَّ وشاع له ذكر في الوسَط من الناس، حتى اتصل بسيف بن سلطان اليعربي، واستعمله سيف بن سلطان المذكور، فوجد منه كفاءة لم يجدهـــا من غيره حتى جعله محلّ ثقته وســـيف دولته، وألقى إليه أهمّ أمـــوره، وكانت صحار ولا تزال هدف الغـــزاة، ولبُعْدِها عن العرش العماني نزوى.

وكان والـــي صحار يعتبر بمنزلة حاكم مســـتقلّ له حَلُّـــه وعَقْده في الطرف الشمالي من عمان إلى الحَسا وما إليها، ولكفاءة أحمد بن سعيد وللأحوال التي تناط بصحار ولّاه إيَّاها، فأدار شئونها إدارة رفعت قَدْرها وأعلت منارها، وأصبح عِلْمُها منظـــورا إليه بأعين الإكبار كما قال الإمام، وجد ســـيف بن ســـلطان من أحمد بن ســـعيد كفاءة لم يجدها من غيره، فجعله سيف دولته، وموضع شوكته وصولته، فوَّض إليه الأمور كلَّها»[1].

(١) السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التأريخ ١٤٢/٤.

قال الإمام نور الدين السالمي في تحفة الأعيان:

«وكان أحمد بن سعيد صاحب همّة عالية ومطلب سام وجرأة وإقدام، فصار مُلْكُ عمان كلُّه إليه إلا ما شاء الله، ودانت له القبائل، وسكّن الحركات وأطفأ كثيرا من الفتن، وأمر ونهى وقام بأمر الدولة، وأعطى المملكة حقّها، ودافع العجم واستراحت الرعية وتجدَّد الملك.

وتوفي أحمد الإمام سنة ستّ وتسعين ومائة وألف، فكانت أيّامه أيّام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن، وكانت مدة ملكه بعد العَقد تسعا وعشرين سنة؛ وخلّف أولادا منهم: سعيد بن أحمد، وسلطان بن أحمد، وقيس بن أحمد، ومحمد بن أحمد، وطالب بن أحمد؛ وهؤلاء كلّهم يقال لهم أولاد الإمام»[١].

(السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي وُلِدَ بسمائل)

قال ابن رزيق في الفتح المبين: وُلِدَ السيّد الحميد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي سنة الستّ والمائتين والألف بلا خُلْف في بلد سمائل، وتوفي في يوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ثلاث والسبعين والمائتين والألف من الهجرة السَّنِيّة النبويّة، فكان عدد سِنيهِ من البداية إلى النهاية سنتين وستين سنة وشهرين إلا أحد عشر يوما، وكانت وفاته لمّا انفصل عن بلدة مسقط إلى بلدة زنجبار، في مركبه المسمّى (لك توريا) على بحر سِيشَل، فغُسِّل وكُفِّن وصُلِّي عليه في المركب المذكور، ووُضِعَ في صندوق من خشَب، وأخذ المركب المذكور في سيره ستة أيام من سيشل إلى زنجبار، ودفن في حديقة بيته، الذي يسكنه في زنجبار ليلا، وقعد ولداه ماجد وبرغش في التعزية ثلاثة أيام»[٢].

(١) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ١٦٥/٢.

(٢) ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

قال السيد حمد بن سيف البوسعيدي في الموجز المفيد: تولى السيّد سعيد بن سلطان أمر الرعية بعد موت والده السلطان سلطان بن أحمد، ويروى أن السلطان سعيد بن سلطان ولد ببلد سمائل سنة ١٢٠٦هـ، فقام بأمر الرعية أحسن قيام، وذبّ عن الوطن، وبهمّته العالية وسياسته الحكيمة استطاع أن يتخذ نظاما دقيقا يشمل السلطنتين عمان وزنجبار، وهو تارة بعمان وتارة بزنجبار، واتخذ الصداقة مع الدول المجاورة والدول الأجنبية»[١].

(١) البوسعيدي، حمد بن سيف، الموجز المفيد ص٢٠.

يعتبر المؤرّخون أنّ فترة السيد سعيد بن سلطان هي الفترة الذهبية في التاريخ العماني لاعتبارات مهمّة منها:

١ ـ اتساع نفوذ دولة عمان بشكل لم تشهده قطّ.

٢ ـ المركز المرموق الذي احتله السلطان سعيد في المجال الدولي، والاحترام الذي كان يتميّز به بين حكام أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية في ذلك العصر هذا بالإضافة إلى شعبيته الواسعة بين أفراد شعبه.

٣ ـ استقرار الحكم العماني، رغم المطامع والمؤامرات الأجنبية، ففي الوقت الذي كانت الصراعات العربية ـ العربية مستمرة على سواحل الخليج العربي، وفي شبه الجزيرة العربية، فضلا عن التنافس الشديد بين المطامع البريطانية والفرنسية والفارسية استطاع السيد سعيد المحافظة على استقلال بلاده بتوازن دقيق مستخدما الدبلوماسية أكثر من القوة العسكرية من أجل الوصول إلى أهدافه.

٤ ـ قوة الاقتصاد العماني، المستند إلى تقدم وتطور التجارة العمانية التي كانت تعتمد هي الأخرى على أسطول تجاري ضخم (اعتبره الخبراء ثاني أكبر أسطول في المحيط الهندي في ذلك الوقت) تسانده قوة بحرية متميزة. حيث طوّر السيد سعيد بن سلطان اقتصاد مملكته في شرق أفريقيا بالإضافة إلى التجارة العمانية الواسعة مع الصين وجنوب شرق آسيا والهند وسيلان وإيران.

ولي السيد سعيد بن سلطان مقاليد الحكم عام ١٨٠٦، وقد اتسع النفوذ العماني في عهده إلى أقصى مداه، حيث امتدت الإمبراطورية العمانية من بندر عباس على ضفاف الخليج العربي إلى ميناء زنجبار على الساحل الشرقي لإفريقيا، بالإضافة إلى بعض الجزر الواقعة في منطقة الخليج وبحر العرب والمحيط الهندي بما فيها أرخبيل جزر القمر.

وفي عهده ازدهرت الحياة الاقتصادية، وتعايشت الأجناس من عرب وأفارقة وآسيويين وغيرهم تعايشا حسنا، وقد كان مفهوم الاقتصاد في عهد السيد سعيد بن سلطان يعتمد على تنمية حرية =

وأخبرني الشيخ بدر بن هلال بن سعود بن علي بن جبر الجبري أنّ أمّ السيّد سعيد بن سلطان هي شقيقة الشيخ محمد بن ناصر الجبري، وولد السيّد بسمائل، وبقي ستّ عشرة سنة عند خاله، ثم زوّجه ابنته، وبعد ذلك انتقل إلى مسكد (مسقط).

انتقال العلّامة المحقِّق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من بوشر إلى سمائل وقت ازدهارها:

قال العلّامة سيف بن حمود البطاشي: سمعت بعض الأفاضل من أهل البلد يرفعه عن غيره:

أن سبب انتقال الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من بوشر إلى سمائل هو من أجل وجود الشيخ سلطان بن محمد بن صلت البطاشي بها وقت توليته القضاء بها»[1].

وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله في محلّه.

أمّا تلازم العلماء لبعضهم البعض والإفادة من بعضهم البعض فالعلم رَحِم بين أهله، وبسْطُ العدل وتحقيقه على أرض الواقع الذي يحبّه الله ورسوله، وهو الذي يحقّق الأمن والازدهار بين الناس.

(معالم سمائل)

تضمّ ولاية سمائل حوالي ١١٥ قَلْعة وحِصْنا وبُرْجا، وأهمُّها حصْن سمائل، كما تضمّ حوالي ٣٠٠ مسجد، أهمّها مسجد الصحابي مازن بن غضوبة الطائي، ومن الأفلاج ما يصل عددها إلى ١٩٤ فلجا، أهمُّها فلَجُ السَّمْدي.

= التجارة مع مختلف الشعوب دون تمييز، حيث بنى أسطولا تجاريا ضخما تسانده قوة بحرية فتية، توطيداً للعلاقات التجارية المتميزة مع كل من (الصين) و(شرق آسيا) و(الهند) و(سيلان) و(إيران) وغيرها من الدول (معلومات من الشبكة العنكبوتية).

(١) البطاشي، سيف بن حمود، فتح الرحمن ومورد الظمآن في جوابات الشيخ سلطان ص٢٠.

أولاً: المساجد والمراكز العلميّة

المساجد بيوت الله في الأرض، وهي مواضع العبادة ومراكز القيادة الروحانية، وهي كالنجوم في السماء، فبها يهتدى، وبأنوارها يستضاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

وفي الحديث القدسي: «إنّ بيوتي في أرضي المساجد، وإنّ زوّاري فيها عُمَّارها، فطوبى لعبد تطهّر في بيته، ثم زارني في بيتي، فحَقٌّ على المزور أن يكرم زائره».

وقال نور الدين السالمي في جوهر النظام:

فينبغي لمن يخُطُّ البلدا ... يقدِّمنَّ للصلاة مسجدا
يعْمُرُه من قبل أن يُعَمِّروا ... لأنّ هذا للإله يُعْمَرُ
يبنونه بقَدَر البلاد ... وما بها من كثرة العُبَّاد
يوسِّعون أو يضيِّقونا ... وهكذا أيضا يوسِّطونا
ولا أرى في كثرة المساجد ... فَضْلًا لما فيها من التباعُد
والواحد الجامع للأصحاب ... أحَقُّ بالفضل وبالثواب
يبنونه ولا يزخرفونه ... والنقشَ في المحراب يَكرهونه
لا تنقشنَّه ولو مجَّانا ... لأنه زخرفة عِيانا
وحرّضن فيه على التصوين ... من التشاريف مع القرون

وفضلها من بعد أن تُعَمَّرا ... فضل عظيم قَدْرُه لن يحصرا
ذكَرها القرآن في مواطن ... أعظم بهذا الذكْر للمعاين
وأذِنَ الإله في كتابه ... أن ترفعن بالذكْر في جنابه
وإنها قيل نجوم الأرض ... لما بها من طاعة وفرض
زوّارها زوّار ربّي حُكْما ... لأنها له تضاف إسما
وصحَّ فيمَن قلبُه تعلَّقا ... به من الفضل إذا ما انطلقا
وبشِّرِ الكاسِحَ بالأجور ... إذ كَسْحُه قيل مهورُ الحُور[1]

ومن معالم سمائل وأشرفها مساجدها وهي كثيرة، أشهرها:

١ ـ مسجد مازن بن غضوبة

هذا المسجد أسّسه الصحابيّ الجليل مازن بن غضوبة سنة ستّ للهجرة النبوية الشريفة، كما ذكره العلّامة بدر الدين عبد الله بن محمد الشبلي الدمشقي المتوفى عام ٧٦٩هـ، وذكرته مصادر أخرى، ويقع المسجد في محلّة المضمار من سفالة سمائل، قريب من محلّة غيلة الدكّ، موطن الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي، والشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي، والمشهور أنّ الدعوة أقرب للإجابة في هذا المسجد، فهو مسجد مبارك، وكان مبنيّا بالطين ثم جدّده السلطان قابوس مرّتين بشكل هندسيّ أثريّ:

التجديد الأول: كان في عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، كُسِيتْ جدرانه بالحجارة، ويتّسع ٣٠٠ مصلّي، وبه بئر لخدمة المصلّين.

والتجديد الأخير الحالي افتتح يوم الجمعة غرّة رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢٧ مايو ٢٠١٧م.

يزوره الناس، وخاصة من يأتي إلى سمائل من خارجها.

(١) السالمي، عبد الله بن حميد، جوهر النظام ١٤٧/١.

قال الشيخ الخصيبي في الزمرّد الفائق: بُني مسجد المضمار الذي هو بسفالة سمائل المتوسط بين محلتي الصَّفا وغِيلة الدَّكّ من الجهة الجنوبية سنة ستّ للهجرة النبوية، وهو مسجد مازن بن غضوبة الطائي، أوّل من أسلم من أهل عمان فيما قيل، وهذا المسجد مشهور بإجابة الدعوة فيه، تختلف إليه الأخيار والأفاضل في غسَق الدُّجى، ليحيوا ليلهم فيه بعبادة ربهم، وقد جدّد بناءه السلطان قابوس بن سعيد على هيئة رائعة»[١].

قلت: إنه جُدِّد الآن بناؤه على هيئة أَرَوْع، فغدا من حيث البناء تحفة معمارية، على الطراز القديم.

أخبرني الشيخ هلال بن سالم بن حمود السيابي في رسالة بالهاتف قائلا: إنّ والدي كان يجلس بمسجد المضمار من صلاة العصر إلى العشاء، وأذكر أنّني كنت أقرأ عليه كتاب الذهب الخالص للقطب، ولكن لا يعني أنّ جلوسَه للتدريس بقَدْر ما هو حبُّه واختياره للمكان وتعلُّقُه به، فيحضر إليه الزائر أو المسترشد، فإن لم يكن أحد قرأنا من هذا الكتاب أو ذاك».

٢ ـ جامع سمائل

جامع سمائل يقع وسْط البلاد، محاذيا لشرجة الوحيديّة، لا نعرف مَن أسّسه لكنه قديم، يقول شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي في جواب لي عن هذا الجامع: قيل لي إنه المسجد الثاني في سمائل، كما قيل: إنه بُنِيَ في السنة الرابعة عشرة للهجرة، ويمكن أنّ الجمعة أقيمت فيه لأنّ الإمام عمر بن الخطاب الخروصي[٢] عمّم صلاة الجمعة في عمان» انتهى بتصرّف.

(١) الخصيبي، محمد بن راشد، الزمرّد الفائق ١٣/٢.

(٢) الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن شاذان بن الصلت الخروصي النزوي، عقدت عليه الإمامة سنة ٨٨٥هـ. =

وتقام فيه الصلوات الخمس، ويجتمع الأهالي فيه عندما يهمّهم أمر، وروي أنهم ذات مرة كانوا مجتمعين من العلاية والسفالة، فلما قضَوْا مهمّتم وما جاءوا لأجله، نهضوا لينفضّ المجلس، فقام لهم رجل وقال: استريحوا، معنا قهوة، فإذا هي حلوى في دُسُوتها[1] ومعها القهوة، ثم سألوا مَن هذا صاحب القهوة؟ فإذا هو رجل يقال له راشد بن عزيّز بن بخيت الخصيبي، ومن هنا بدأ ظهوره وانتشر خبره، حتى صار عالما فقيها قاضيا وزيرا مع السلطان تيمور.

أدركتُ في هذا الجامع الأساتذة المشايخ: علي بن حمد الناعبي، وسعيد بن سالم الداوودي، يدرّسان في الجامع بأمر الإمام الخليلي، وتجرى لهم مساعدة ماليّة من الأوقاف، ويأمرني أبي رحمه أن آتيَ إليهم صباحا لآخذ منهم دروسا، لأنه لم يرض أن أدرس في المدارس النظامية، وقال لي: تعلَّمْ العلم الشرعيّ يغنيك عن كلّ العلوم، حتى افتُتِحت الدراسة الرسميّة في الجامع عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م من قِبَل وزارة التربية والتعليم، في عهد وزيرها السيد فيصل بن علي بن فيصل، افْتُتِحَتْ في سبعة جوامع هي:

الخُوُر بمسقط، نزوى، سمائل، بهلاء، سناو، بديّة، والرستاق.

فانضمّ إلى التدريس المشايخ: رشيد بن راشد بن عزيّز الخصيبي، وموسى بن عيسى بن ثاني البكري وكان كاتبا للصكوك في السوق، ويدرّس في بيته وفي مسجد الصاروج أحيانا، وعبد الله بن سالم بن سلمان الهاشمي، ثم عُيِّن الأخير مديرا للجامع بلاإضافة إلى التدريس.

= خرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني في نفس السنة التي بويع فيها، فانهزم الإمام وعسكره، فجددوا له البيعة مرة ثانية، فمكنه الله من هزم سليمان النبهاني، وحكم على أموالهم بالتغريق سنة ٨٨٧هـ.

توفي في نزوى ودفن فيها، ولم تعلم تاريخ وفاته، إلا أنه يترجّح أن تكون سنة ٨٩٤هـ.

(١) الدُّسوت: واحدها دَسْتْ بفتح الدال وسكون السين، الوِعاء الذي توضع فيه الحلوى، ويحمل الدست ستة عشر كيلو غراما من الحلوى، أي أربعة أمنان بالمَنِّ المسكدي، كما هو معروف بعمان.

واستمرّت الدراسة بالجوامع المذكورة إلى سنة ١٤١٧هـ.

وسُمِّيَ جامع سمائل منذ ذلك الحين: جامع الشُّـراة، وهو اسم يطلق على أتباع المذهب، أخْذًا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وفي ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م افتُتِح معهد القضاء الشرعي بروي من قبل وزارة العدل، وتمّ اختيار أربعين طالبا من الجوامع المذكورة، ونقلوا إلى المعهد وكنت واحدا منهم، وكان الاختيار من قبل الشيخين الجليلين سعيد بن حمد الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويحيى بن سفيان الراشدي حفظه الله.

ودرس في جامع سمائل على يد مشايخه كثير من أهل سمائل، قبل أن تكون الدراسة الرسمية فيه، التي ذكرناها، وممّن درس فيه: أخواي صالح وسالم، درسا مع الشيخين سعيد بن سالم الداوودي وعلي بن حمد الناعبي، فصالح أكبرنا، ودرس معهما النحو والفقه وبهجة الأنوار للإمام السالمي، ودرس قبل ذلك القرآن الكريم مع عبد الله بن حميد بن سيف الدغيشي، أجّره الوالد بأربعة عشر قرشا فضّة لتعليمه القرآن الكريم من أوّله إلى آخره.

أمّا سالم فدرس معهما علمي التوحيد والنحو وذلك في عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م تقريبا، ثم انتقل للدراسة بمسجد الخور مع شيخنا الخليلي، والشيخ الربيع بن المُرّ المزروعي، كما درس مع الشيخ سالم بن حمود السيابي، وأقام معه في بيته بمطرح.

ودرس الأخ محمد بن راشد في الجامع أيضا بعد افتتاح الدراسة الرسمية فيه ثم انتقل إلى معهد إعداد القضاة.

وممّن درس في الجامع من الغبرة، ثم درس في معهد إعداد القضاة الإخوة: حمد بن جمعة بن سـلوم، وعبد الله بن محمد بن سلطان السيابيان، وحمود بن عبد الله بن حمود الرحبي جارنا بغبرة سمائل، وقد توفّوا كلّهم.

وممّن زاملناه في دراسة الجامع مجموعة من أهل العلاية، ولكنهم كانوا أكبر سنًّا منَّا بكثير وهم:

- خلفان بن حمد بن سليمان الرواحي.
- خلفان بن سعيد بن حمد الهنائي.
- حمد بن حمَّاد بن حميد العامري.
- محمد بن سعود بن عَدِي العامري.
- سعيد بن نبهان بن محمد العامري.
- سعيد بن خلفان بن سعيد النبهاني.
- وخلفان بن محمد بن خميس القصابي، وكان أصغرهم سنًّا وهو على قيد الحياة.

فلذلك جامع سمائل كان بمثابة منارة علميَّة كبيرة للبلاد، والذين أفادوا من الدراسة فيه عدد كبير لا يحصى، فهو جامع وجامعة، والحمد لله على نشر العلم الذي تحيا به البلاد، ودَرْءِ الجهل الذي ينتشر به الفساد.

وأقيمت أوّل صلاة جمعة في سمائل بجامع الشُّراة بتأريخ ٣٠ شوال ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤/١١/١٥م، وأمَّ المصلين شـيخُنا العلّامة سعيد بن خلف الخروصي قاضي سـمائل آنذاك، وكنّا ندرس في الجامع ذات يوم، فجاء الشيخ سعيد إلى الجامع ومعه بنّاء ليحدّد له موضع المنبر، فيبنيه هناك.

ولمّا كنتُ طالبا في معهد إعداد القضاة كلَّفني شيخي الخليلي حفظه الله أن أصلّي بالناس صلاة الجمعة وأخطب فيهم، وربّما كان ذلك سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م،

لأنه كان قبلي الوالد حمد بن ثنيّان بن سعيد السيابي، خرّيج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هو الذي يخطب في الجامع سنوات.

هذا الجامع جُدِّدَ بناؤه في حفظنا ثلاث مرّات، وله أوقاف متوزّعة في علاية وسفالة سمائل.

وفي هذه السنوات الأخيرة حطّ رحالَه نادي الفتى القرآني بجوار الجامع سكَنًا، وفي الجامع تعليمًا على مدار العام، ونحمد الله العليّ القدير، على نشْر التعليم والتنوير، بهمّة فتية من أهل الهدى والمنهج المستنير، وهذا النادي أو المركز من ضمن أنشطة مدرسة بيت القرآن، ومن أنشطتها مركز الشيخ خلفان بن جميّل السيابي للعلوم الشرعية، ومقرّه سكَنًا ودراسةً في محلّتنا الغبرة بسمائل، وقد قامت هذه الأنشطة بهمّة الولد العزيز الداعية الدكتور خالد بن سالم السيابي، ويعاونه مجموعة من الشباب، أهل الفضل والصلاح في التدريس والإشراف، وفي كلا المركزين سكن داخليّ، فلهم جزيل الشكر وعاطر الثناء على جهودهم الخيّرة المباركة في نشر العلم والتربية الصالحة الصحيحة، التي تسير على هدي من كتاب بالله وسنة نبيّه محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ويحسن بنا ونحن في هذا المقام أن نذكر الخطبة الأولى لصلاة الجمعة بسمائل، وذلك في ٣٠ شوال من عام ١٣٩٤هـ، حيث أمَّ الناس فضيلة الشيخ العلّامة سعيد بن خلف الخروصي قاضي سمائل آنذاك، فخطب بهذه الخطبة، وهي موجودة بقلمه ضمن الوثائق التي وجدت عنده بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أكمل لهذه الأمّة الدين، وأتمّ علينا نعمته وهي التمسّك بحبله المتين، ومَنّ علينا بنبيّنا محمد خاتم النبيّين والمرسلين، صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه الهادين المهتدين، خلفائه على حمْل رسالة ربّ العالمين، الذين أوضحوا لنا المعالم، وبيَّنوا للناس

الوسايل واللوازم، رضي لله عنهم ما قام أحدٌ بحقّ، وما دعا داع إلى الله بصدْق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا مِثْل ولا ضدّ ولا ندّ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون..».

أمّا بعد: فإن صلاة الجمعة شعيرة من شعائر الدين، وفريضة فرضها الله ﷻ، وقد ثبت دليل فرضيّتها من كتاب الله المبين، ومن سنّة النبيّ الأمين.

فمن الكتاب قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، والنداء هوالأذان لها في وقته، ومعنى: فاسعَوْ أي فامضوا، وليس هنا السعي بمعنى الإسراع في المشي، إلى ذكر الله أي إلى صلاة الجمعة في الجماعة، والنهي عن البيع بعد النداء للتحريم، والله لا ينهى عن مباح إلا إذا أدّى فعله على ترْك واجب، هذه الحجة على افتراض صلاة الجمعة من التنزيل.

أمّا من السنّة فإليكم الدليل، قال رسول الله ﷺ: الآخرون السابقون يوم القيمة، بَيْدَ أنّهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبَع، اليهود غدا والنصارى بعد غد»، أي نحن الآخرون في الزمان، والاوّلون في المنزلة، والمراد أنّ هذه الأمّة وإن تأخّر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، لأنها أوّل من يحشر، وأوّل من يحاسب، وأوّل من يقضى بينهم، وأوّل من يدخل الجنّة، كماجاء ذلك في حديث آخر: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوّلون يوم القيامة، المقضيّ لهم قبل الخلايق».

ومعنى اليهود غدا والنصارى بعد غد، أي اليهود يعظّمون غدا، والنصارى يعظّمون بعد غد، وفرضت صلاة الجمعة بالمدينة على الصحيح، لكنّها ليست

في افتراضها ووجوبها كالصلوات الخمس، لأنها يشـرط في وجوبها شـروط معروفة عند الفقهاء، كالمِصْر والإذن من السـلطان، أمّا المِصْرُ فإنها ما أقيمت على عهد رسـول الله ﷺ إلا بالمدينة، ثـم أمربإقامتها في مدينـة جواثى من البحرين، ومعلوم أنّ غالب شبْه الجزيرة العربية، أسلمت على عهده ﷺ وفي زمانـه، ولمّا ولـي الأمر الخليفـة الثاني الفـاروق رضي الله عنه ، وتوسّـعت الفتوح مصّرلإقامتها سـبعة أمصار معلومة، ولو كانت الجمعة كالصلوات الخمس لم تقصرعلى مكانين في حياة المشـرّع عن ربّه، صلوات الله عليه وسلامه، ولما حصرهـا عمرالفاروق رضي الله عنه في الأمصار السـبعة، ولذلك لـم يوجبها علماؤنا رضوان الله عليهم في جميع القرى، فهم على نور من ربّهم، لكنّهم لم يقولوا بعدم جوازها في المدن والقرى الواسـعة، وأمّا كوْن إذن السـلطان شرطا في إقامتها، فلما يـروى في حديث: «أربع للولاة: الحـدود، والجُمُعات، والفَيْئ، والصَّدَقات»، وحين أمرالسـلطان بإقامتها صار السـعي لأدائها فرضا على من حضرها، وسـمع النداء لها، لا على عبد وصبيّ وامرأة ومسافر، ومن صلّاها منهم فله فضل الإحسان، ولذلك تسقط عن مؤدّيها فريضة الظهر، لأنّ خطبتها عن ركعتين في قول، وعليه فهي منها شطر.

ويُسَنُّ لحاضرها الغسل والسـواك والتطيّب والتبكير، أي السعي إليها أوّل النهار، فاتمروا عباد الله بما أمركم الله به يثبكم، وانتهوعن كلّ مانهاكم عنه، فمن أتى ما نهى عنه ومـات مصرّا يعاقبـه، وإنّ من أفضل القربـات أداء الصلوات الخمس في الجماعـات، والمحافظة عليها في أوّل الأوقـات، جاء في حديث: «أوّل الوقت رضوان الله، وآخره عفوالله»،

والعفو لا يكون إلا عن ذنب، وجاء أيضـا: «إنّ أوّل ما ينظر فيه يوم القيامة من أعمال العباد الصلاة، فمـن وجدت له صلاة نظر في سـاير عمله، ومن لم توجد لـه صلاة لم ينظر في شـيء من عملـه»، وهمّ ﷺ أن يحـرّق على قوم

بيوتهم، لتخلّفهم عن الجماعات والجُمُعَات، فلمّا كانت الصلاة بهذه المثابة في الدين، لزم الاهتمامُ بشـأنها المسـلمين، ونصْح من تهاون بها من الغافلين، ثم عقوبته إن لم يكفه النصح، عملا بسيرة الصالحين، فلنأتمرْ عباد الله بما به أمرنا، ولننته عمّا عنه زجرنا، فإنّ اليوم عمل، وغدا جزاؤه، فطوبى لمن أتى ربّه بصالح الأعمال، فلقّاه حسْن المثال.

ختم الله لي ولكم بخير، وكفانا برحمته كل ضيْر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، أقول قولي هذا وأستغفرالله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفورالرحيم، أستغفرالله وأتـوب إليه، وأعـوّل في إجابـة دعائنا عليه، اللهم أعزّ الإسـلام والمسـلمين، وأعْلِ كلمة الحق يا ربّ العالمين، وانصر سـلطان المسـلمين، واخز الكفر والكافرين، والضالّين الملحدين، بجاه النبيّ الأمين.

اللهم صلّ وسلّم عليه وعلى خلفائه الراشدين وآله وصحبه أجمعين، ما تُلِي آيُ الذكر المبين: «إنّ الله يأمر بالعدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون».

٣ ـ مسجد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بمحلة سَحْرا من علاية سمائل

يقع على ضفّة الـوادي، جُدِّدَ بنـاؤه بالجُصّ والصـاروج العماني، وهذه المحلّة هي التي يسـكن فيها الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ قبل تولّيه الإمامة، ويروى أنّ الشـيخ العلّامة الورِع سالم بن حمد البراشدي زار الإمام ومعه الشيخ القاضي سالم بن سعيد البراشدي، وهو صغير يقود الشيخ سالم بن حمد لأنه أعمى، ففي إحدى الأيام كان الضيف في مسـجد بالمحلّة المقابلة لسحراء، ونزل مطر غزير وسال الوادي، ومنعهم من الذهاب إلى منزل الإمام بسـحراء، وبقوا حتى بعد الظهر، وما دَرَوْا إلا بالإمام يطلع عليهم من درجة المسـجد ولم تبتلَّ ثيابه ولا رِجْلاه،

وقد أتى بالطعام خبز وحلوى في مخرافة[١]، فقال له الشيخ سالم: أين مررت عن الوادي؟!، فقال: كُلْ ولا تسأل[٢].

وهو تصرّف مثير للإعجاب، كيف قطع الإمام الوادي السائل لتَوِّه، وكيف اجتاز الأمطار وشدّة الحالة الجوّيّة بسيلها وبرقها ورعدها؟!!، ولكن تلك كرامات أولياء الله، الضيف والمَضيف، رحمهم الله.

٤ ـ جامع السلطان قابوس بمنطقة المَدْرَة

وهو جامع بديع في البناء، رائق في الهندسة، واسع في الفناء، قد احتلّ في البلدة أعلى الأمكنة وأرقاها، تحيط به البيوت والأسواق، وتزدحم حوله الأقدام والأرزاق، يقام فيه مركز صيفيّ للقرآن الكريم، ودرس أسبوعيّ مركزيّ قويم.

٥ ـ مسجد رَجَب في علاية سمائل

وأسّسه رجل من أولاد سَعْد يسمّى رجَبًا، وكان يصلّي فيه الشيخ المحقّق سعيد بن خلفان الخليلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنه قريب من بيته بيتِ السُّبْحيّة، والذي جدَّد بناءَه أي البيت الشيخ عبد الله بن علي الخليلي، فهو شبْه قلعة أو حصْن، مطلّ على الوادي.

وقد سمعت من شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي لمّا نزلت الجائحة في سمائل يوم ٢٨ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ مارس ٢٠٠٧م ودخَلَتْ المسجد وهو مرتفع عن الوادي ارتفاعا كبيرا وجرفت ٤٠ سيارة، وبعض السيارات طمرتها تحت التراب سمعته يقول: إننا سمعنا ونحن في زنجبار أنّ الجائحة التي وقعت في سمائل في شهر رمضان من عام ١٣٧٦هـ جرفت هذا المسجد، إذ جاءت

(١) وِعاء من سعَف النخيل يُجنَى فيه الرطب.

(٢) الراشدي، حمود بن عبد الله، شرح القصيدة السناوية ط ١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ص ٢٣.

شـــرجة الإبراهيمية بعدما وصل الوادي، فرَجَعَتْ ودخلَـــتْ البيوت واجتاحت المسجدَ وحُوْشَ بيت السُّبحيَّة.

ثم سألتُ شيخَنا يوم الجمعة ١٣ ربيع الأوّل ١٤٤٢هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٠م بواسطة ابنه الشيخ خليل لأتأكّد عمّا سمعته منه فأكّده.

وأضاف شيخنا: «من نوادر القصص إنه كان مَحْلٌ شديد قبل هذه الجائحة، وأخبرني الشـــيخ محمد بن ناصر بن حميد الندابي أنّ والده رأى رؤيا، وصُبْح يوم هذه الجائحة جاء والده إلى المسجد لصلاة الفجر، وحدّث جماعةَ المسجد أنه رأى رؤيا: أنّ الإمام الخليلي جاء من جهة الأعلى متوجّها إلى السفالة، ومعه جيش عليهم لباس أبيض، وذلك الجيش سَـــدَّ الوادي من الضَّفّـــة إلى الضَّفّة، ويمشون وراء الإمام، واستبشـــروا بهذه الرؤيا، وفي وقت الظهر بدأ الرعد وبدأ المطر ثم نزل الوادي بقوّة».

ثم قال شيخنا حفظه الله: إن هذا المسجد بناه رجل سَعْدي يقال له: رجَب، وأتذكّر أنّ اســـمه مرّ عليّ في أوراق أوقاف آل سَـــعْد بســـمائل، وكان الشـــيخ سعيد بن خلفان يصلّي فيه، وحدّثني الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري أنّ الشيخ ماجد بن خميس العبري رحمة الله عليه تولى السفارة بين الشيخ سعيد بن خلفان وبين الإمام عزان بن قيس، وجاء إلى هذا المســـجد ونزل على الشيخ سعيد بن خلفان في هذا المسجد، ووجد عنده مجموعة من الكتب تركها في المسجد في جانب منه، وهو يسكن في السبحيّة، وأفادني فائدة خاصة بأنّ الكشّاف لا يفارقه، وكان يحمله في خُرْجه[1] عندما يسافر، كان دائما ملازما لقراءة كتاب الكشّاف، وكان ملازما الصلاة فـــي هذا المســـجد، وعندما زرت ســـمائل لأوّل مرّة عام

(١) الخُرْجُ: بضم الخاء وســـكون الراء هو: وعاء من شـــعر أو جلد ذو عدلين، يوضع ظهر الدابة، لوضع الأمتعة فيه، والجمع خُرَجَة وأخراج.
أنظر: الرازي، مختار الصحاح ٧٢/١.

١٣٨٥هـ ما كان هناك مسجد، وإنما بقيت آثاره فقط، وبُنِيَ عام ١٣٨٩هـ، ثم أعيد تجديده في الأيام القريبة هذه».

واستظهر شيخنا حفظه الله أن الشـيخ المحقّق كان يدرّس في هذا المسجد، لملازمته له، ووجود جزء من مكتبته بالمسجد.

وممّن درس على يديه الشـيخ صالح بن علي الحارثي، والشيخ جمعة بن خصيف الهنائي وغيرهم.

انتهى كلام شيخنا حفظه الله.

ورد في الحديث الشريف فيما رواه البخاري (٦٩٨٩) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ أنه قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ»[1].

وممّا ذكره خالد بن أحمد الطوقي في كتابه النفائس قائلا:

مرّ سماحة الشـيخ أحمد بن حمد الخليلي ومن معه وهم في السيارة على مسجد رَجَب بسمائل، فذكر قصّة، وهي: أنّ الشـيخ السالمي جاء لزيارة الشيخ أحمد بن سـعيد بن خلفان الخليلي، وأظـنّ أنّ هذه الزيـارة كانت بعد مجيء الشيخ السالمي من الحج، فقد حج سـنة ١٣٢٣هـ والشيخ أحمد بن سعيد توفّي في شهر الحج سـنة ١٣٢٤هـ، وفي هذه الزيارة ضيّف الشـيخ عبد الله بن سعيد الخليلي الشـيخ السـالمي والمتعلّمين الذين معه، وكان الإمام سالم من جملة المتعلّمين، فجاءوا معه، وصلّوا في هذا المسجد ـ مسجد رجب ـ، وجلسوا بعد الصلاة في المسـجد، وخرج الشـيخ عبد الله بن سـعيد حتى يعدّ لهم الطعام، فالتقى نادر بن فيصل ومعه جماعة يخوضون الوادي بخيولهم، فطلب منهم أن ينزلوا معه؛ ليتناولوا القهوة، فرفضوا، فقال لهم: عندي الشـيخ السالمي وفرصة

(١) ينظر: «فتح الباري» (٣٦٣/١٢)

تسلّمون عليه، فدخلوا المسجد وسلّموا على الشيخ، وبينما كان الحديث جاريا بين الشيخ السالمي والسيد نادر كان أحد رفقاء نادر يهمس في أذن أصحابه، وأخذ يقهقه بصوت عال، فانتهره الإمام سالم بصوت عال: اسكت.. في بيت من بيوت الله تقهقه كذاك، فانتزق ذلك الشخص على إثر زقرة[١] الإمام، حتى انقصّ حزاقه[٢]، فتعجّب نادر ومن معه ممّا حصل، وأسَرَّها نادر في نفسه.

وبعد أن خرج الشيخ عبد الله بن سعيد يودّعه سأل نادرٌ الشيخَ عبد الله وقال: من ذلك الولد مع الشيخ السالمي؟، فقال له الشيخ عبد الله: ذلك طالب علم من جهة الباطنة، فردّ عليه نادر وقال: الشيخ يُعِدُّه لأمر عظيم.

ثم أشار سماحته وهو في السيارة إلى (شَرْجة)[٣] في محلّة الجبيليّات بسمائل، حيث جلس الشيخ السالمي والإمام سالم ومن معهم من المشايخ تحت شجرة صبارة أو شجرة بيذامة، عندما جاءوا لفتح سمائل بعد تنصيب الإمام سالم، وقد كان السيد نادر بن فيصل واليا عليها، فجاءت طلقة مدفع، وقطعت ركْنة[٤] من الشجرة، فسقطت الشجرة، فكبّسوا[٥] جميعا إلا الشيخ السالمي، فقال أحد الحاضرين الله أكبر، كلّنا يخاف من الموت، كلّنا كبّسنا، فقال الإمام سالم: حتى أنا كبّست، فغضب الشيخ السالمي على الإمام سالم، وانتهره بصوت عال: أنت كبّست؟ إذَن لماذا جئت إلى هنا؟.. تُبْ إلى الله»[٦].

ليسوا رجالا لا نطيق فعْلَهم لكنّم جدُّوا وقصّرنا الخُطى

(١) الزقرة: تعني عند العمانيين الانتهار بصوت عال، ولعلّ أصلها في العربية الفصحى الزجْر، فقلب العمانيون الجيم قافا.

(٢) الحزاق: الحزام أو الرباط للخنجرأو للإزار.

(٣) الشرجة: مسيل الماء ما بين الجبلين.

(٤) الرِّكْنة: هي من الشجرة غصن كبير تتفرّع منه أغصن.

(٥) كَبَّس: تعني عند العمانيين خفض الرأس.

(٦) الطوقي، خالد بن أحمد، النفايس، ص ٩٨ ـ ٩٩.

جدّوا في العمل الصالح، قولا وعملا ونيّة، فللّه دَرُّهم.

نزل الإمام نور الدين السالمي والإمام سالم بن راشد الخروصي أيام حصار سمائل في بيت الشيخ هلال بن محمد بن سليمان الخروصي بالجبيليات، وهو أخ عدي وناصر، فكانوا ينامون فيه ليلا، وفي النهار يذهبون فيما جاءوا لأجله، هكذا أخبرني الشيخ ناصر بن محمد بن حمود الخروصي، والبيت الآن في يده اشتراه.

وممّن درّس في مسجد رجب هذا الشيخ الفقيه الأديب حميد بن عبد الله الجامعي، أبو سرور، قبل أن يتولّى القضاء.

٦ ـ مسجد الجعفريّة بمحلّة الجعفريّة من علاية سمائل

وكان يدرّس فيه الشيخ العلّامة حمد بن عبيد السليمي، وأخبرني الشيخ غسان بن سليمان المزروعي قائلا: ذهبت مع آبائي وأنا صغير السنّ إلى الشيخ حمد بن عبيد بالجعفرية، فقال لي: إقرأ لي ياولدي، فقرأت له، فأعجبته القراءة، فقال: لأبي: أريد هذا الولد ليتعلّم معي، ويقرأ لي، فلازمته، ولمّا ذهب للتدريس بمسجد الخور بمسكد أخذني معه، وسكنت في بيته، وبقيت معه مدة أدرس اهـ.

هذا هو مسجد الجعفريّة، انتشر منه العلم، وذاع فيه الخير، بجهود الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو له أسلوب خاص في التدريس، كان يشرح ويسائل الطلّاب، ولا يعذر الحاضرين من المشاركة فيما يعرفوه عندما يطرح مسألة، وقد أخبرني والدي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الشيخ هاشم بن عيسى الطائي أخذ أسلوب التدريس من شيخه السليمي.

نعم شيخنا الطائي: كان يدرّسنا في معهد إعداد القضاة بأسلوب تربويّ واضح سليم، وكان يضيف إليه شيئا من الطرافة، يجعل الطلّاب حاضري الذهن، نشطين مستمعين، وتلك مواهب يقسمها الله بين خلقه، ويختصّ بها من يشاء من عباده.

وأخبرني الشيخ محمد بن عبد الله بن علي الخليلي أنّ الشيخ حمد كان يجلس للتدريس أحيانا بمسجد القرواشيّة.

٧ ـ مسجد الشيخ خلفان بن جميّل السيابي بمحلّة غِيلة الدَّكّ من سفالة سمائل

وهو الآن يُجَدَّد بمساحة أكبر وأوسع، وقد بناه الشيخ خلفان في مقصورته[١] التي يسكن فيها، وقد كان أمامه سبلة صغيرة وبجانبه غرفة صغيرة أيضا خاصة للشيخ رَحِمَهُ اللهُ بابها من داخل المسجد، كان هذا المسجد الصغير في حجمه الكبير في معناه معْلَمًا بارزا، يأرز إليه طلّاب العلم، ومشايخ العلم، وجُلّاس حلقات العلم من سمائل وغيرها، تضرب إليه أكباد الإبل:

يقول الشيخ محمد بن راشد الخصيبي:

ولكم لنا جلسات علْم أشرقت ... بمقام شيخ العلم والعرفان
أعني به خلفان نجل جميّل ... ذاك الرضيَّ أخا العُلا والشان
أكرم بذيّاك المقام تزاهرت ... فيه العلوم وأينعت للجاني
أحيي الليالي في اقتناء العلم عن ... جِدّ وكَدّ فانثنى متفاني
قد قلّد الآثارَ لما أنْ رقى ... للاجتهاد قلائد العقيان
يا غِيلة الدَّكّ افخري وتقدَّمي ... شرَفًا بهذا العالم الربّاني

ويقول الشيخ حمدان بن خميّس اليوسفي في سؤاله للشيخ خلفان:

يا طالب الرشْد سِرْ فانزل بمسجد مَن ... بعلمه يستنير الدهر والأُمَمُ
حَبْرُ الورى معدن العرفان من سَعِدت ... به البريّة وانحلّت به الأُزَم
شيخ الحقيقة أستاذي ومعتمدي ... خلفان من أشرقت في قلبه الحِكَم
علّامة العصر مفتي السائلين فمَن ... يلذ به لم يفته العلم والكرم

(١) المقصورة مع العمانيين: بستان واسع محاط بسور.

وقال الشيخ أحمد بن عبد الله الحارثي في سؤاله للشيخ:

يـا منهـلَ الـوُرَّاد بـل يـا كعبـةَ القُصّـاد يا خلفـانُ شـمسُ نهارها
يـا قـدوةَ الأخيـار بـل يـا صفوةَ الأبـرار عمدتهـم وبـدر سـرارها

وقال السيّد حمد بن سيف البوسعيدي في سؤاله أيضا:

فـإذا بُلِيـتَ أيـا أخـي بعويصـة أو حـلِّ مشـكلة ومعناهـا انسـتَرْ
فاقصـد إلـى حَبْـر فقيـه عالـم واسـمع أخيّ لمـا نهى ولمـا أمر
مثـل الفتـى خلفـان نـور زماننـا علّامـة العلمـاء مـن بحـر وبـرّ
أعنـي سـليل جميّـل من قـد غدا بحر العلـوم ومنـه فالتقطِ الـدُّرَرْ
شـيخي لقد ضاق الخنـاق وعزّني فصل الخطاب عساك تكشف ما استترْ

وهذه الأسـئلة والأجوبة عليها موجودة في كتاب بهجة المجالس للشـيخ خلفان رَحِمَهُ اللهُ، والكتاب مطبوع مرّتين.

كنت أذهب مع والدي وأنا صغير إلى هذا المسجد فنصلّي العصر مع الشيخ إلى قُبَيْل المغرب ثم نعود إلى محلّتنـا الغبرة، وصلّينا وراءه وهو جالس ونحن وقوف، وزرناه في غرفته الصغيرة الملحقة بالمسـجد وهو مريض كبير السـنّ، وأخبرني تلميذه الشيخ غسّان بن سليمان المزروعي أنه قال له لمّـا مرض: لو خرجت إلى مكان أوسع حتى يزورك الناس، قال: قادم إلى ما هو أضيق، ويعني القبر، رَحِمَهُ اللهُ.

٨ ـ مسجد الحبّاس

ويصلّي فيه الشـيخ الأديب الكاتب علي بن منصور الشامسي، بلبل سمائل في حُسْن قراءته وجميل صوته.

٩ ـ مسجد القَديمة

وجلس فيه للتدريس الشـيخ الفقيه الأديب حميد بن عبد الله الجامعي، أبو سرور.

١٠ ـ مسجد قُرْنَة قائدْ

هو القريب من سـوق السـفالة والحصن، يقـع بين المال المسـمّى جلبة حْميدُوه والمال المسمّى بستان الحُوض، ومقابل للمكان الذي تُقام فيه هَبْطاتُ العيدين، الفطر يوم ٢٧ رمضان، والأضحى في السـابع مـن ذي الحجة، وتباع فيهما الأغنام والأبقـار وبعض ما يحتاجه العيد مع النـاس صغيرهم وكبيرهم، وهذا عُرْف مع العمانيين في مختلف مناطقهم، ولهذه الأسواق رائحتها المتميّزة، وذكرياتها العطرة.

في هذين اليومين ينزل الوالي والقاضي من الحصـن من أوّل الصباح إلى الظهر، فيبقيان في المسـجد، لحلّ النزاع الذي قد يطرأ في السوق بين الناس، وحَلُّه إما أن يكـون حُكْمًا أو صُلْحـا، يُدرَّس في هذا المسـجد القرآن الكريم سابقا، ورمّمت الحكومة هذا المسجد بالترميم الأثري، ليبقى معلمًا بارزا.

وفي عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م هدم جامع سمائل لإعادة بنائه، فنقلت الدراسة إلى هذا المسجد، لمدة سنة تقريبا، ثم أعيدت إلى الجامع بعد بنائه، هكذا أخبرني أخي محمد، لأنه في تلك الفترة كان يدرس في الجامع، وهي السنة التي دخل فيها الجامع للدراسة.

١١ ـ مسجد البَطْحاء

يقع بين محلّة الصَّفا والمكان المسمّى وقيف الرأس، والمال الذي أسفل من المسجد يسمّى جْدالَهْ، من سفالة سمائل.

يقول الشيخ عيسى بن ثاني البكري في قصيدته السمائلية:

وإلى (الغَصيبة) سِرْ ومُرَّ (بلُعبة) حتى تشـــاهد موضع (البطحاء)

في هذا المسجد كان يدرّس الشيخ النحوي سعيد بن راشد بن مسلّم الفارسي.

قال الشيخ الخصيبي في الشقائق:

«وكان ســـعيد هذا صاحب علم ومعرفة، نصبه الإمام الخليلي مُدرِّســـا في سفالة سمائل في مســـجد البطحاء الذي يقول فيه شـــاعر الأزد حمود بن حمد الخروصي في جملة أبيات:

با مسجد البطحاء أنت اليوم في شرف تضاهي مسجد البطحاء»[1]

ممّن درس النحو على يد الشيخ الفارسي حسبما أخبرني أخي صالح:

الشيخ سالم بن حمود السيابي.

الكاتب نبهان بن سالم النبهاني.

الكاتب محمد بن حميد السابي (المطوَّع).

وغيرهم.

ويصلي الكاتـــب محمد بن حميد في هذا المســـجد، لأنه كان يســـكن في المكان المسمّى وقيف الرأس، الجهة المقابلة للمسجد، وقد زرت هذا المسجد يوم الأحد ١٨ شوال ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١/٥/٣٠م، فوجدته مسجدا واسعا بعرف سعة المساجد في ذلك العصر، يتوسطه عمود، وله صرح واسع أيضا، والمسجد مرتفع، ولكنه متهدّم الآن.

(١) الخصيبي، محمد بن راشد، الشقائق، ٣٨٤/١.

١٢ ـ مسجد الحاجر

يقع في محلة الحاجر من سـفالة سمائل، وهو مسـجد أثري، لا زال قائما الآن، وكان يصلّي فيه الزاهد العابد سعيد بن صالح الجاسري، وترجمته موجودة في هذا الكتاب.

وفي هذا المسجد تدريس للقرآن الكريم سـابقا، كان يدرّس فيه سيف بن عبد الله الدفاعي، ثم ابناه من بعده محمد ويعقوب، فكانا يدرّسان في الشتاء في مسجد المُـنى بالحاجر، وفي الصيف في مسجد الحاجر.

ودرّس فيه الشيخ غسان بن سـليمان المزروعي النحو، ومن طلّابه مشايخ وأدباء وأعيان مثل:

هلال بن سالم بن حمود السيابي ـ غيلة الدكّ.

بدر بن سالم بن حمود السيابي ـ غيلة الدكّ.

خلفان بن علي خلفان السيابي ـ غيلة الدكّ.

عزان بن علي خلفان السيابي ـ غيلة الدكّ.

يعقوب بن سالم بن مسلّم السيابي ـ غيلة الدكّ.

صالح بن سيف بن سليمان الدغيشي (الشطف) ـ غيلة الدكّ.

محمد بن سيف بن سليمان الدغيشي (الشطف) ـ غيلة الدكّ.

علي بن سالم بن علي الدغيشي (الشطف) غيلة الدكّ.

عبد الله بن علي بن سالم الندابي.

عبد الله بن راشد الهاشمي ـ الصفا.

أحمد بن راشد الهاشمي ـ الصفا.

بدر بن هلال بن سعود الجبري ـ الصفا.

سالم بن راشد بن عزيز السيابي ـ الغبرة.

محمد بن سالم بن حمد السيابي[١] ـ الغبرة.

محمد بن سعود بن ناصر الدغيشي ـ الغبرة.

ربيّع بن ناصر بن سيف النهدي ـ من طْوَيْ دَهمان.

سعيد بن محمد بن حمدان الحراصي ـ الخوبار.

خليفة بن علي بن ناصر السعدي من بلدة الثرمد بالسويق، جاء يدرس في سمائل، فكان في الصباح يدرس النحو مع الشيخ غسّان، وفي المساء مع الشيخ سعيد بن خلف بمسجد الصَّفا، حيث يسكن الشيخ سعيد، وَوُصِف بأنه سريع الحفظ، ولكن أصابته أمراض نفسيّة وهو بسمائل، ثم عاد إلى بلده فتوفّي.

له سؤال نظميّ للشيخ سعيد بن خلف الخروصي وجواب الشيخ له.

هذا وقد ذكر لي أخي صالح بن راشد أنّ الزاهد سيف بن محمد بن عبد الله بن محمد البوسعيدي وهو من أهل الشريعة التابعة لسمد الشأن بولاية المضيبي جاء إلى مسجد الحاجر، ثم جاء المعلّم سيف بن عبد الله الدفّاعي ورأى الرجل، ثم ذهب إلى بيته وأتى بأمباتين وصحن وسكّين، ثم رجع إلى البيت ليأتي بالقهوة، فلما جاء وجد الزاهدَ ذاهبا، وتاركا ثمان بيسات عند الصحن، والبيسات هي عملة ذلك الوقت.

١٣ ـ مسجد المُنى بالحاجر أيضا

وهو مسجد أثري أيضا وباق على هيئته إلا بعض الإصلاحات المضافة إليه.

---

(١) ودرس في الأزهر، وصار مدرّسا للتربية الإسلامية، ثم سكن مصر في عدة محافظات، وآخرها في مرسى مطروح على حدود ليبيا، وتوفي بها ليلة الثالث من رجب ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١/٢/١٥م، ودفن بسمائل، رَحِمَهُ اللهُ.

١٤ ـ مسجد الخُمَيْريّات

وهو بالموضع المسمّى الخميريّات من الحاجر أيضا.

ودرّس فيه المشايخ:

عيسى بن ثاني البكري، ومحمد بن راشد الخصيبي، وأخوه رشيد بن راشد، وتراجمهم موجودة في هذا الكتاب، درّسوا في علوم الشريعة من فقه ونحو وغير ذلك، والمسجد الآن متهدّم، وهو يقابل مسجد الصفا من سفالة سمائل.

قال الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في قصيدته: التذكار الوطني:

وكذا الخميريّاتُ بالتدريس قد ... زهرت زمانا فاق كلّ زمان

أحيي بمسجدها رسومَ النحو عن ... همم سمَت عيسى سلالة ثاني

هو قارئٌ هو مقرىءٌ هو كاتبٌ ... هو شاعرٌ هو ما له من ثاني

وإذا ثنى عَزْمَ امريء خَطْبٌ دها ... أمضى العزوم ومالـه من ثاني

يقول الأستاذ الأديب أحمد بن موسى بن عيسى بن ثاني البكري متحدّثا عن سيرة أبيه:

«فقد سمعت والدي مرة يقول: إنه كان يصحب أباه الشيخ عيسى أثناء تصدّيه لمهمّة التدريس في مسجد (الخميريّات) من سفالة سمائل، وكان من جملة طلّابه»[1].

(١) حوار أجراه سالم بن حمدان الحسيني مع الأستاذ الأديب أحمد بن موسى البكري متحدّثا عن أبيه، وذلك يوم الاثنين ١٦ رمضان ١٤٣٨هـ/ ١٢ يونيو ٢٠١٧م، لصحيفة عمان، (ملحق روضة الصائم)، بعنوان: «المجالس السمائلية».. أسهمت في تكوين شخصية البكري العلمية وثقافته الدينية.

١٥ ـ مسجد الصَّفا

وهو في محلّة الصَّفا من سفالة سمائل، مبنيّ بالصاروج العماني، ولا زال قائما على هيئته، وقد سكن الشيخ العلّامة سعيد بن خلف الخروصي في محلّة المُرِّيَّة في بداية توليه القضاء في سمائل سنة ١٣٨١هـ، ثم انتقل إلى محلّة الصفا، وكان يصلي في هذا المسجد، وأتذكّر أنه في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م تقريبا جاء أحد مشايخ الأزهر زائرا سمائل وكان الوالي الشيخ محمد بن زاهر الهنائي فجاءت للوالد دعوة من الوالي لحضور محاضرة لهذا الشيخ في المسجد المذكور، لكون الشيخ سعيد بن خلف يصلي في هذا المسجد، وكان في رمضان فذهبنا مع الوالد بعد صلاة التراويح، والصفا قريبة جدًّا من محلتنا الغبرة، فاستمعنا إلى محاضرته، بحضور الوالي والقاضي وبعض الأعيان والحضور الآخرين، وكان ذلك شيئ مستغرب أن تكون محاضرة ومن رجل مصريّ، كلّ ذلك كان شيئا جديدا على عمان، وخاصة خارج العاصمة.

أقام الشيخ سعيد بن خلف في هذا المسجد حلقة علم، وممّن يحضرها على حسب ما أفادني ابنه الشيخ محمد:

عبد الله بن علي بن سالم الندابي، وله أسئلة نظمية للشيخ سعيد.

أحمد بن راشد بن حميد الهاشمي وأخوه عبد الله بن راشد بن حميد الهاشمي.

أحمد بن سعيد بن حمود الحضرمي.

سعيد بن حمد بن عائل.

خليفة بن علي بن ناصر السعدي الذي ذكرناه سابقا.

١٦ ـ مسجد النَّغَائل

بمحلتنا الغبرة من سفالة سمائل، وقد بنى هذا المسجد الوالد سلّوم بن سالم بن رشيد السيابي (ت: ٢٤ محرم ١٣٦٦هـ)، هو عمُّ أبي، أدركت هذا

المسجد مبنيّا بالطين، ثم جُدِّد بناؤه من قبل الوالد ناصر بن سلّوم وبعض المساعدات من أهل الخير، وذلك في نهاية القرن الهجري الماضي، في حدود ١٣٩٩أو ٨٠هـ، ثم جُدِّد بناؤه مرّة أخرى، وافتتح يوم الخميس ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠٢٠/٢/٢٨م.

هذا المسجد يؤذّن فيه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ويؤمّ المصلّين، ثم بعد ذلك أناب عنه أستاذنا عبد الله بن سالم الهاشمي ليصلي بالناس، وكانوا يقيمون حلقة قراءة القرآن الكريم بعد صلاة الفجر يوميّا، يقرؤون كلّ يوم جزءا، ثم يذهبون للقهوة الصباحية في السبلة، ثم ينتشرون بعد ذلك كلّ إلى عمله.

هذا المسجد شهد في السنوات الأخيرة حياة خاصة، وهي حياة العلم الشرعي، حيث انتقل إليه مركز الشيخ خلفان بن جميّل السيابي للعلوم الشرعية المنبثق من مدرسة بيت القرآن، وسكن الطلاب بجانبه، ويدرسون في المسجد وفي المكتبة ومدرسة القرآن الكريم، وكل هذه المرافق والحمد لله في أرض المسجد، فالمركز يستقبل في الصيف أربعين طالبا من مختلف الولايات، لمدة خمسة أسابيع أو ستة، وفي الشتاء يقرب من عشرين طالبا، فيدرسون في الصباح في مدارسهم النظامية، وبعد الظهر يعودون إلى مقرّ سكناهم، وتكون لهم دروس في العقيدة والفقه والنحو، ولهم نصيب من حفظ كتاب الله الكريم، ولهم دروس في التزكية والأخلاق، وما أحوج كل ذلك في زماننا، الذي طغت فيه المادة على الناس وشغلتهم عن العلم الشرعي الذي يعرفون به أحكام دينهم من عبادات ومعاملات وأخلاق، ولولا هذه المراكز الصيفية لما عرف أبناؤنا شيئا من تعاليم دين الله، ويقوم على هذا المركز ومركز نادي الفتى القرآني ومدرسة بيت القرآن أخونا وولدنا الدكتور خالد بن سالم بن حمد السيابي المدرّس بكلية العلوم الشرعية، ومعه نخبة من الإخوة الفضلاء الصلحاء من مدرّسين ومشرفين، وفّقهم الله وبارك في جهودهم.

وفي عام ١٤٣٧هـ قام النشاط في هذا المسجد على أوْجه، وازدحمت عليه الأقدام، فكتبت عنه الآتي:

(مسجدُ النغائل والصيف الْمُمَيَّز)

«ذلك المسجدُ الصغير في حجمه، الحديثُ في بنائه، الكبيرُ في معناه، القابع بين النخيل بغبرة سمائل، فيحاء عمان، عهدتُه قبل خمسين سنة مبنيّا بالطين وله بابان ونافذتان، وله صرْحٌ صغير، تطلّ عليه شجرة (الزامّ) من جهة الشرق، رآها والدي رَحِمَهُ اللهُ ذات ليلة في المنام تسجد، فقال لمن حوله: اسجدوا لله تعالى فهذه الشجرة تسجد، وهو الذي يرفع فيه الأذان ويؤمُّ الناس، نصلّي فيه الصلوات الخمس، ونجلس لحلقة تلاوة القرآن الكريم فيه كلّ يوم بعد الفجر إلى طلوع الشمس، والقنديل معلّق يتدلّى من سقف المسجد، وفي رمضان تكون الحلقة بعد العصر إلى قبيل المغرب، مسجدٌ له عبَقُ الذكريات، وجميل اللقاءات، وأحلى الحكايات، ضمَّ نخبة من الصالحين، ومجموعة من القانتين، فهو نور المكان، وضياء الأزمان، واليوم ونحن في رمضان من عام ١٤٣٧ للهجرة ٢٠١٦م، تتعاقب على هذا المسجد فتية العلم والإيمان، وبراعِمُ الطُهْر والإحسان، وتتزاحم فيه المراكز الصيفية كتزاحم الطائفين حول المُلْتَزَم، بَدْأً من الساعة الثامنة صباحاً حتى المغرب، تتحلّق فيه حلقات التعليم، مقسّمة الوقت دون أن تكون هناك فرصة مضاعة، فمن الساعة الثامنة إلى الظهر يفد إليه طلّاب نادي الطفل القرآني، الذين يقيمون هذا العام في قسْمهم الداخلي بالمحلّة، ومن الظهر إلى العصر يأتي دور مركز الصدّيق الصيفي، ومن العصر إلى المغرب يبقى طلّاب مركز الشيخ خلفان بن جميّل السيابي في المسجد بين تلاوة أو حفظ للقرآن الكريم، أو تعهُّدٍ لدروس العقيدة أو الفقه واللغة العربية، ويُحْيونَه بصلاة التراويح والتهجّد، وهم يقيمون أيضا في قسمهم الداخليّ بجوار المسجد، فما أبهى صور تلك الحلقات، وما أسمى مكانة تلك التجمّعات، وما أكرمها عند الله

تعالى، تظلّلهـا الملائكة بأجنحتها، وتنزل عليها السـكينة ببركاتها، وتغشـاها الرحمة بثوابها وفيوضاتها، ويذكرها الله فيمن عنده، فيُعلي لها شـأنا، ويرفع لها مكانا، وهكذا تحلو الحياة وتجمُل، بعلم نافع، وقلب خاشـع، بتربية صالحة، وتنشئة ناجحة، وما أعظم أجر القائمين على تلكمُ الحلقات، والمشرفين عليها، وكلّ من قدّم خدمة في هذا المجال، فلهم من الله الأجر العظيم، والمقام الكريم، إنني لأُكبِرُ هممَهم العالية، ونفوسَـهم المتفانية، وفّـق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، وتقبّل الصيام والقيام، ورزقنا حُسْنَ المنقلَب ولُطْفَ الختام».

عبد الله بن راشد السيابي

١٥ رمضان ١٤٣٧ هجري الموافق ٢٠١٦/٦/٢١م

وفي الغبرة مساجد أخرى، وقد سألت الأخ صالح بن راشد عمّن بناها فقال:

مسجد الثمين: بناه سعيد بن حميد بن سعيد الدغيشي، وقد جُدِّدَ حديثا في هذه الأيام، وقد كُتِب في لوحة داخل المسـجد أنّ هذا المسـجد بني منذ مائة وخمسين سنة.

مسجد المُرِّ: بناه ابنه محمد بن سـعيد بن حميد الدغيشي، وقد جُدِّدَ حديثا في هذه الأيام.

مسجد الحُجْرة: بناه الإسماعيليُّون، في عهد الإمام عزان بن قيس[1] تقريبا.

(١) الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي.
بويع بالإمامة سنة ١٢٨٥هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٦٨م في مسقط، بعد سالم بن ثويني.
اتصف بالحزم والشجاعة، فقمع الفتن، وقاتل من عصاه، وحسنت سيرته، واطمأنّ الناس في أيامه.
قتل سنة ١٢٨٧هـ، ودفن بجبروه.
المصادر: الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان، ٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩.
السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان، ٢/٢٥٣.
مجموعة من المؤلفين، دليل أعلام عمان، ١١٧.

مسجد النَّطَالة: بناه أولاد سلُّوم بن ناصر الدَّغَشَة، وهم آباء الوالد حمود بن حمد بن سلُّوم الدغيشي، انتهى نقلا عن الأخ صالح.

وأمّا الأخ سليمان بن جمعة بن سيف الدغيشي فيقول:

إن مسجد الثمين بناه سيف بن حميد بن سعيد الدغيشي، وكذلك مسجد النطالة ولم يكمله، وأكمله ابنه أحمد بن سيف، ومسجد المرّ بناه سعيد بن حميد بن سيف، وبنى مسجد الحجرة أيضا، وأجرى فلج غويز المرّ.

وعلى كل حال فإن التأريخ إذا لم يكتب في وقته، فإن الروايات تختلف بعد ذلك في النقل، فجزى الله خيرا من بنى هذه المساجد وأسّسها لتقام فيها الشعائر، وكذلك من أعاد بناءها وجدّدها.

١٧ ـ مسجد الصاروج

على ضفاف الوادي، في محلّة الحْجِلْ القريبة من محلّة السوق، بسفالة سمائل، نقش محرابه طالب بن مشمل بن عمر بن محمد المنَحي عام ٩٧٠هـ/١٦٥٢م، وهذا الرجل له مهارة فائقة في النقش، فهو فنّان محترف، ووالده كذلك مشمل بن عمر، فقد نقش محاريب مساجد نَخَل، وابنه علي بن طالب نقش مسجديْ مقزّح بإزكي وحجرة آل براشد بسناو.

ودرّس فيه أستاذنا الشيخ موسى بن عيسى البكري، وأخبرني الدكتور محمود بن مبارك بن حبيب السليمي أنه درس معه في هذا المسجد، وكذلك الأخ محمد بن سعود بن ناصر الدغيشي أيضا.

١٨ ـ مسجد المزارعة

على ضفاف الوادي في محلّة السوق، وهو سوق السفالة، وهو مسجد أثري مرمّم بالجصّ والصاروج، ونقش محرابه مشمل بن عمر المنَحي سابق الذكر سنة ٩٧٤هـ.

١٩ ـ مسجد الأغبري في محلة الخزاميّة من علاية سمائل

صُمِّم محرابه وتمّ بناء المسجد في رجب من عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م في عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي.

٢٠ ـ مسجد القِبلتين بمحلّة الشرجتين من علاية سمائل

ولكنه الآن خَرِب متهدّم، وقد روى لي الأستاذ عامر بن سعيد بن سيف السليمي أنّ أباه قال له: شاهدت علامتين لمحرابين في هذا المسجد.

وكذلك أخبرني الشيخ محمد بن عبد الله بن علي الخليلي أنه شاهد هذا المسجد بمحرابيْه قبل تهدُّمه.

٢١ ـ مسجد الفَجِّ بِسُرور

وهو مسجد أثَريّ، مبنيّ بالجُصّ والصاروج العمانيّ، وكان فيه تدريس للعلوم اللغوية والشرعية، فدرّس فيه النحو الشيخ القاضي محمد بن سليمان الرمضاني (ت: ١٣٦٥هـ)، كما درّس فيه شيخنا حمود بن حميد الصوافي عام ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م ودرستُ معه في هذا المسجد، ثم رجع الشيخ حمود إلى سناو، وبقي يدرّس فيه الشيخ الدكتور مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي، الذي جاء بصحبة الشيخ حمود بن حميد إلى سرور.

وكان الشيخ حمود يدرّس في مسجد الصاروج القريب من المظفورة ومن سوق سرور وقت العصر، وفي الصباح في مسجد الفجّ.

٢٢ ـ مسجد القَصْر

وهو مسجد أثري، بقرية مَنال من وادي بني رواحة، ويقال إن امرأة اسمها سَرْحة هي التي بنَتْ هذا المسجد، ورمّم عام ١٩٩٨م.

٢٣ ـ مسجد الصُّوَيْرِيج

وهو مسجد بُني حديثا في منطقة الصويريج، وأصبح جامعًا، وذِكْرُنا له من حيث وجودُ التدريس فيه، ففي كل صيف تقام فيه أنشطة لتدريس القرآن الكريم، وبعض العلوم الشـرعية، والقائم على إدارة ذلك الأسـتاذ صالح بن جمعة بن ناصر السليمي.

٢٤ ـ مكتبة الشيخ العلَّامة حمد بن عُبَيْد السليمي

هي بمَحَلَة الشَّرجتين من علاية سمائل.

القائم عليها الأستاذ عامر بن سعيد بن سـيف بن حمد بن عبيد السليمي، أحد أحفاد الشيخ حمد بن عبيد.

تأسّست المكتبة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، وأهدافها:

- إحياء ذكرى الشيخ العلّامة حمد بن عبيد السليمي رَحِمَهُ اللَّهُ.
- الاهتمام بموروثه العلميّ.
- نشر الثقافة.
- المساهمة في الأنشطة الثقافية والعلميّة في الولاية والسلطنة والعالم الخارجي.
- تقديم خدمة القراءة وإعارة الكُتُب.

وفي المكتبة تدريس للقرآن الكريم وعلومه صيفا وشتاء.

٢٥ ـ مركز الفيحاء التعليمي بالخوبار

القائم عليه الولد عيسى بن سعيد المسـعودي، وفي المركز تدريس للقرآن الكريم صيفا وشتاء، وفيه قسـم داخليّ للطلّاب، وهو بمنطقة الخوبار، تعليما وسكنا، ولقد أحيا المنطقة بوجوده، ذلك لأنّ التعليم الشرعيّ هو الحياة الحقيقيّة المُـثلى، والطريقة المرضيّة الفُـضلى.

٢٦ ـ مركز أمير البيان الثقافي بسمائل

وموقعه في منطقة المَدْرة، وهو باسم الشيخ عبد الله بن علي الخليلي، وحُقَّ له أن يقام مركز ثقافيّ باسمه، وفي بلده سمائل، لمكانته الاجتماعية الكبيرة، ومكانته الثقافية والأدبية الواسعة، وقد أخبرني ابنه الشيخ خالد بن عبد الله أنّ المركز في طور التصميم والإعداد، وأنه يشتمل على مكتبة ومتحف وقاعات ومرافق، تتناسب مع الأنشطة الثقافية المختلفة.

فلذلك أدعو القائمين عليه في الإسراع في بنائه، ليكون معلمًا بارزا في البلاد، يرتاده الزائر والمقيم، ولينتشر بوجوده النفع العميم.

٢٧ ـ مكتبة الشُّراة العامَّة

تحت إشراف وزراة التراث والثقافة والشباب، ولها موافقة مبدأيّة لتحمل اسم مركز سمائل الثقافي.

وهي الآن في مرحلة الإعداد والتهيئة لينطلق المشروع بإذن الله تعالى، وتقع في وسط مدينة المَدْرة الحيويّة بالنشاط التجاري والسكّاني، وقريبة من جامع السلطان قابوس، تتكوّن من ثلاثة أدوار، وبها قاعات ومكتبة ومرافق.

أدعو أهل الخير أن يساهموا بأموالهم في البناء والإعداد والتهيئة، ليكون لهم صدقة جارية بفضل الله، «وما تنفقوا من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم اجرا».

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

* * *

ثانياً: الحصون والقلاع والبيوت الأثرية

ومنهـــا:

١ ـ حصن سمائل

يقول الشيخ الأديب هلال بن سالم السيابي في قصيدته السمائلية:

مَنْ (لِحِصْنٍ) يكاد يلتحف التاريخُ منه لِطُول عِتْق بِلِبسِ

لـــم تَـــزده القـــرون إلا جـــلالا ... من أريـــج لـــكل أرْوَعَ نَطْس[١]

عبـــق المجـــدُ فيه أكبـــر من أن ... تنتويـــه يـــدُ الزمـــان بطَمْـــس!

فـــإذا مـــا رأيتـــه قلـــت: هـــذا ... عرْشُ مُلْك أو أنه رُكْن كرســـي

وكـــذاك التاريخ لـــو هُـــدَّ رُكْنٌ ... قـــام ركْـــن منـــه بأعظـــم دَرْس

وإذا ما التفـــتّ للجانب الأيمن ... شـــاهدتَّ آخَـــرًا غيـــر مَنْســـي!

أخلقت ثوبَـــه الليالـــي، ولكن ... ثوبُ أمجـــاده بهـــيُّ الدِّمَقْس[٢]

ورفيعٍ بمدخل الـــوادي ما ناف ... بســـوء ولا تســـامى بِجِبْـــس[٣]

حـــرَسَ الـــواديَ البَهـــيَّ بأيْـــدٍ ... وحمـــاه بـــكلّ أمجد نَـــدْس[٤]!

من معالم سمائل البارزة الحصن، وله دلائل تأريخية كبيرة، فهو قاعدة الأمن والحمايـــة والتحصين، وهو مقرّ الحكـــم والإدارة، ورمز الهيبـــة والعزّة، وتبلغ مساحة الحصن الإجمالية أكثر من عشرة آلاف متر مربّع وبه ثمانية أبراج.

---

(١) عَالِمٌ نَطْسٌ: مُدَقِّقٌ فِي الْأُمُورِ، بَعِيدُ النَّظَرِ.

(٢) نوعٌ من نسيج الحرير أو الدّيباج المقصّب والمذهّب.
نسيج غنيّ بالزّخارف من القطن أو الحرير أو الكتّان أو الصوف.

(٣) جِبْس: اللئيم، والغبي.

(٤) النَدْسُ: الطعن.

وقد ورد التعريف به في الموسوعة العمانية:

«يقع على بُعْد أربعة كيلومترات من مركز الولاية، ويطلّ على وادي سمائل، ويتوسّط منطقتي سفالة سمائل وعلايتها، وقد بني نصفه على هضبة صخرية، ويمتدّ نصفه الآخر حتى قمّة الجبّل المحاذي.

تعود أوَّل الإشارات التاريخية عن حصن سمائل إلى فترة حكم النباهنة، عندما كان خردلة بن سماعة بن محسن بن سليمان بن نبهان واليا على سمائل في القرن السادس الهجري، ثم تذكر المصادر التاريخية أن مانع بن سنان العميري كان واليا على سمائل في فترة نهوض دولة اليعاربة بقيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وفي حينها كان الإمام ناصر يعدّ لقيام الوحدة العمانية، ولكن مانع العميري تظاهر للإمام بالطاعة وهو لا يوافقه، وقام بحشد الحشود ضده، وهمّ الإمام بهدم الحصن لئلا يكون مأوى للفرقة، إلا أنه بعد قتل مانع أمر الإمام بتجديده، وتذكر المصادر أنه أنفقت أموال طائلة في ذلك.

ومن جملة ما بناه الإمام البرج الدائري والبرج المربّع القائمان على قمّة الجبل، وهما مبنيّان بالحصى والصاروج، ويشرفان على سفالة سمائل وعلايتها، وقد زِيدَ حينَها بناء سور الحصن.

وفي ولايتي عبد العزيز بن سعيد وأحمد بن عبد الله الرواحي على سمائل أيّام الخلاف بين أولاد سعيد بن سلطان استبدلت البوّابة لتصبح في الجهة الجنوبية بدل مكانها الأقدم في الجهة الشرقية.

ذكر المؤرّخ الكبير حميد بن محمد بن رزيق النخَلي في كتابه «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» أن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي انتزع الحصن من محمد بن ناصر الجبري حين علم أنه غير مُوالٍ له، إلا أن الأخير حاصر الحصن في فترة لاحقة.

ودلّت التقديرات العُمْرية لأساسات الحصن التي أجريت في عام ٢٠٠٤م أنه يعود إلى أكثر من خمسمائة سنة، وأنه شهد العديد من الإصلاحات والترميمات المتعاقبة في الفترة التي سبقت حكم النباهنة وفي فترة حكمهم وأيام الحكمين اليعربي والبوسعيدي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن أجزاء من الحصن بنيت في عام ١٠٠٩هـ/١٩٠٠م في عهد عمير بن حمير، وأنّ أجزاء أخرى بنيت عام ١٧٢٤م (١١٣٦هـ) في فترة الإمام محمد بن ناصر الغافري، وأجزاء ثالثة بنيت في عهد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي في ١٧٦٥م (١١٧٩هـ)، وآخر إضافة للحصن كانت في عهد السلطان سعيد بن تيمور، وشرعت وزارة التراث والثقافة بترميم الحصن في عام ٢٠٠٤م.

يدخل إلى الحصن عبر مدخل كبير به بوّابة خشبية زُيِّنَ جزؤها العُلْويُّ بزخارف هندسيّة، ويعلو المدخل سَقَّاطة الرَّمْي للسوائل المغليَّة على المهاجمين، ويمتدّ أمامه مسقوف «صَباح» على جانبيه مصاطب «دكّانات» لجلوس الحرّاس.

ويحتوي الحصن على أكثر من ٣٦ غرفة متفاوتة المساحة، تقع معظمها في مستواه السفلي، وله ثمانية أبراج دائرية ونصف دائرية ومربعة، يحتوي كل منها على كثير من الكُوّات وفتحات الإضاءة والتهوية «مُرْق»، ومرامي البنادق.

يضم الحصن بيت الوالي وهو الجزء الأكبر منه، ويتكوّن من طابقين، وبه ثكْنات الجند وغرف المعيشة ومسجد ومدرسة وغرفة اجتماعات «سبلة»، ويحتوي كذلك على مخازن التمور، بعضها قائم وبعضها اندثر، دلّت الحفريات الأثرية على وجوده، وبالحصن ثلاث آبار.

للحصن عدد من النوافذ والأبواب الخشبية، وبه ممرّ سرّي يستعمل في فترات الحروب، بني معظمه بالطين وبعضه بالصاروج»[١].

(١) الموسوعة العمانية ١٨٦٤/٥.

قال الكاتب عبد الله بن خلفان بن قيصر:

خبر سيرة الإمام على سمائل

«قال الراوي لهذه الخطابات المُسَطَّرة والروايات المُحَبَّرة:

ثم إنّ الإمام ترك مانِعَ بحصنه، وتوجَّه بجيشه العظيم عازما ـ نصرَه الله ـ على بناء حصن سمائل القديم، فأتاه وأسَّس قواعده، وأقرّ حينئذ هنالك أوايدَه، وأعلى بِناه فأشاده، وأطال فِناه فأجاده، ثم جعل فيه واليا من جَنابه، عاملا بما أنزل الله في كتابه، ثم رجع الإمام إلى نزوى، فيما يسند إلينا من الحديث ويُروَى، وجهّز جيشا إلى مِقنيات[1] وعزم عليها، فخرج إلى نزوى متوجِّها إليها، ثم اشتدّت ما بينهم الوقائع، واشمأزَّت القلوب من أليم الفجائع، فما لبثوا في حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر في التقدير، وافتتح الإمام الحصن بإذن الله، والله على كل شيء قدير، ثم جعل الإمام فيها والياً على الإطلاق، وهو محمد بن علي من أهل الرستاق»[2].

نعم هذا هو حصْن سمائل، بمركزه التأريخيّ، ومكانته المرموقة الراقية، تعاقبتْ عليه سُلْطات، وتزاحمات فيه رُكَبٌ وجماعات، ورُفِعَت فيه منارات، وهتَفت فيه بنادق، وحُفِرت فيه خنادق، وجُعِلتْ فيه سرادق، تداولته الأيام، وتصفّحته الليالي والأعوام، أقيم فيه العدل تارة، ورُفَعت له منارة، وأظلم فيه الجور زمانا، وخُمِد معه الشرع أحيانا، كما مرّ علينا من تأريخ بعض مَن قبضه وساد فيه: «وتلك الأيام نداولها بين الناس»، وبقي الحُصْن في عصرنا كغيره من الحصون، مَعْلَمًا تأريخيّا للزيارة والاستطلاع، نقرأ فيه صفَحَات الماضين، وسجِلَّ الغابرين، نستنطق الأحجار، ونستلهم منها الأخبار، وممّا يؤسف له أن نرى وفود السيّاح والزائرين في حصون عمان وقلاعها التأريخية، لا سيّما قلعة نزوى، بلد العدل والعلم والتراث، نرى السيّاح الوافدين وهم عُراة، لا يلبسون

(١) بلدة من أعمال عبري، يسكنها بنو كلبان.

(٢) ابن قيصر، عبد الله بن خلفان، سيرة الإمام ناصر بن مرشد ص١٦.

ساترا محتَشِمًا، ولا يلتزمون بعادات هذا البلد وقِيَمِه، واللّومُ على مَن يدير هذه المواقع ويشـرف عليها وينظّم الزيارات لها، لم يجعلوا اللباس المحتشِم شرطا للدخول، وشـعارا للزيارة، وما ذا يكلّفهم ذلك؟، فالسـائح بنفسه يدفع رسوما على هذه الزيارة، وقد رأينا في بلاد الغرب اشتراطَ لباس معيَّن لبعض المواقع، وإن كانت توصف بأنهـا مواقع دينية، فحصوننا وقلاعنـا مواطن العدل، وقلاع الشـريعة، وفيها مسـاجد أو قاعات أو غرف للصلاة، وقد كانت مقـرّاً للأئمّة والحُكّام، وموئلا للعلماء الأعلام، ومعاهد لطلّاب العلم الكرام، فكيف تُهانُ في زماننا بأيدينا، وتُنْتَقَصُ حُرْمتُها، وتُبْتَذَلُ مكانتُها، ألا هل من سـامع؟؟؟ ألا هل من مجيب؟؟؟، اللهمّ إنّي قد بلَّغتُ، اللهمَّ فاشهدْ.

السيّد سعيد بن سلطان يعيّن مسؤولا من البلوش يقبض حصن سمائل

جاء في الموسوعة العمانية:

«سيطر العمانيون في عهد السلطان سعيد بن سلطان (حكم: ١٢١٩ ـ ١٢٧٣هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨٥٩م) على مناطق عديدة من إقليم بلوشستان مثل: جواذر وشهبار وميناء حاسـك وميناب وبندر عباس، ووصل أفراد قوات السـلطان سـعيد بن سلطان القادمين من مكران في مسـقط وحدها ما يقارب ٢٠٠٠ فردا، وكان هذا العدد في تزايد مستمرّ، بينما تألّف الحرس السلطاني الخاص في عام ١٢٩٩هـ (١٨٥٢م) من ٣٠٠ جندي من مكران.

واعتمد السلطان سـعيد على المحاربين من بلوشسـتان في تثبيت سلطته ومواجهـة الأخطار الداخلية، وعيّـن بعض البلوش في مناصـب إدارية؛ منهم: دُرّة بن جمعة البلوشي واليا على مسقط، وسـعيد بن إسماعيل البلوشي قابضا على حصن سمائل»[1].

(١) الموسوعة العمانية ٢/٥٥٤.

الشيخ القاضي الفقيه سليمان بن بلعرب السليماني وسجنه بحصن سمائل

ومن القصص التي وقعت على أحد المسجونين في هذا الحصن ما رواها صاحب النمير، ونقلها عن مخطوطة لديوان الحبسي، والمخطوط بمكتبة السيّد محمد بن أحمد البوسعيدي، كما ذكرها في كتابه: السلوى في تأريخ نزوى قال:

«سُجِنَ مُقَيّداً بحصن سمائل عمان الشيخ القاضي الفقيه سليمان بن بلعرب السليماني[1]، فلبث فيه مدة طويلة من الزمان، فرأى من المشقات والبليّات والامتحان ما لا يحصيه إلا الواحد المنّان، فرضي بقضاء المالك الرحمن، وحمده وشكره على كل حال، وسأله كشْف ما إليه آل، إذ إليه مرجع الأمر والمآل، فأنقذه من جميع المهالك، إنه الجواد الكريم المالك.

ولقد نظم عند ذلك هذه الأشعار التي ستأتي هنا، داعياً الله ﷻ ومتوسّلاً إليه بنبيّه المرسل محمد ﷺ، وذاكراً فيها حاله وما هو فيه، وجعلها قالب حكمة فائقة، وعبرة شافية رائقة، والحمد لله على كل حال، وأولها هذه المنظومة:

أوٍ لقلب ذائبٍ بل مُحْرَقِ ... في مدمع مترقرق متدفّقِ
من شرّ حادثة إله العرش لي ... منها فمن كان الإله له وقي

(١) هو سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبد الله بن بلعرب بن عبد الله بن بلعرب الذي هو من بني محمد بن سليمان السليماني العقري النزوي، من مشايخ القرن الثاني عشر الهجري، وهو الذي جمع ديوان الشيخ الشاعر راشد بن خميس بن أحمد الحبسي، الذي أصله من القرية المسمّاة (عين الصوارخ) من ولاية عبري، ثم اتخذ بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف اليعربي نزوى وطنا له.
ومن مؤلفاته:
ـ كتاب (المؤتمَن في ذكر مناقب نزار واليمن)
ـ أشعار الأحزان من زنزنة السجّان.
ـ ديوان السليماني.
انظر: السيفي، محمد بن عبد الله، السّلوى في تأريخ نزوى، المجلّد الثاني، تراجم الأعلام ٣٠٨/١ ـ ٣١٤.

ألقِيتُ في سجن غدوت مجاور ... الجرذان فيه وهو شرُّ مضيّق
سِجْنٌ مُذِلٌّ للذي يرمى به ... لو كان من سادات أهل مُحَرَّق
يا ويح نفسي فيه كيف خلاصُها ... منه بذا الزمن اللئيم الأحمق
يا أيها الجِرْذُ المجاور لي به ... ما ذا أتاك معي بسجن ضيّق
أصَمَتْكَ حادثة الزمان فصرت ... مثلي شرّ مأسور بقيد موثَق
أم أنت فيه ساكن قبلي مع ... الجرذان خبّرني اليقين وأصدق
أنا فيه قبلك ساكن مع إخوتي ... ومحلّنا هذا ولمّا يطبق
وكذا الخنافس فيه جارات لنا ... وبنات وَرْدان وبُقٌّ قد لقي
والقمل ثم النمل والجُعْلان ... والحَشَرات فيه جميعُهنّ تلتقي
والجنّ فيه ساكنون وكلّ ... مشتمل عليهم بل بهم متعلِّق
وأراكَ صرتَ مجاورا فيه لنا ... من مغرب أقبلت أم من مشرق
ما ذا التجاورُ والتشارُكُ بيننا ... فيه فأخبرْني بأصدق منطق
ما ذا الذي في دارنا بك ... جاء حتى كلُّنا فيه جميعا نلتقي

إلى أن قال:

إذ مَسْكني بالعقر من نزوى العُلى ... لا بالأبيرق مسكني والأبرق
لمحمد الزاكي فتى الزاكي سليمان ... سموت لخير أصل مُعْرِق
من آل سامة النزاريّين أصحاب ... الجميل ذوي السماح المغرِق
قوما غدوا في دهرهم كثمينة ... الغوّاص قد لمعت بأحسن مفرق
أزعجت من نزوى العلى فتركته ... معكم لإمضاء القضاء الأسبق
أهلا وسهلا إذ قدمت سمائلا ... معنا ألا فاسكنْ به وترفّق
كيف الترفّق في مكان موحش ... ضَنِك بغيض مفزع بل مفرق
لا تسمعنّ به حسيسا لا ولا ... فيه أنيس مؤنس أبدا لقي

وجاورته هنالك سنّورة سوداء، فصارت تؤنسه وتنام معه، وتأكل من طعامه، وتأكل عنه الحشرات فقال:

أحمد الله ذا الجلال على ... كل قضاء مقدَّر منه عنّا
بلدتي نزوى العُلى خير دار ... كم سررنا بخيرها وفرحنا
جئت منها سمائل الخير أرجو ... كلّ خير فيها وما أتمنّى
فإذا في رجليّ أثقلُ قيْد ... مع سجن به المسرّة تفنى
لك سبحان مالك الملك إني ... أرتجي الآن عند خوفي أمْنا
جاورتني بالسجن سنّورة سوداء ... صارت أنسي إذا الليل جَنّا
بوسادي نامت مضاجِعتي لكن ... أنا قد سامرت همَّا وحُزْنا
قلتُ ماذا دهاكِ يا هذه الهرّةُ ... حتى حللتِ مثليَ سِجْنا

وسال عليه السيل ليلاً هناك، فجعل ينادي السَّجّان بأعلى صوته، ليحتال له في صرفه، وليخبر من جعله عليه بذلك فلم يجبه ولم يلتفت إليه مع علمه بذلك، فتأذّى من السيل كثيراً، وتوكّل على الله تعالى فكفاه، فقال:

الحمد لله على كل حالْ ... الحمد لله على كل حالْ
المالك الأشياء والكلّ في ... قبضته وهو إليه المآلْ
سبحانه سبحانه ذو العلى ... سبحانه سبحانه ذو الكمال
سال عليّ السيل بالسَّحَر في ... شرّ ليال بئسها من ليال

وتأذّى من القيْد كثيراً ولم يجد معيناً غير الله تعالى فقال:

واللهِ واللهِ من قَيْد دُهِيتُ به ... في شرّ سجن بدار ليسَها داري
فهو الكريمُ وكشّافُ الهموم وفرّاجُ ... الغُموم الحفيظُ الحافظُ الواقي
المالك الملْك ربٌّ لا شريك له ... سبحانه من عظيم العفو غفّار

كم من هموم جلاهـا لطفُه فله حمدٌ وشـكرٌ بآصال وأسـحار
ثـم الصلاة على خيـر البرية ما غادٍ همى من خلال المزْن أو ساري

ومرّت عليه الأعياد، وهو هنالك على ذلـك، فلم يزدد إلا حزناً على حزن، وهمّاً على همّ ممّا هو فيه، حتى إنه عطش نهار العيد منذ طلوع الشـمس، ولم يكن معه حينئذ ماء للشرب، فجعل ينادي السجّان ليناوله ماء مرة بعد مرة بأعلى صوت، ولم يناوله ولم يلتفت إليه، مع علمه بذلك حتى إنه أشرف على الهلاك، لأنه كان ذلك الوقت وقت حرّ، فيسّر الله له الماء آخر ذلك اليوم فشرب، وحمد الله على كل حال وشـكره، وتوكل عليه وفوّض جميع أمره إليه ﷻ، وقال هذه القصيدة من البحر المنسرح، نهار عيد الحج من السـنة التاسعة والأربعين بعد المئة والألف يصف فيها حاله، ويحمد الله تعالى ويشكره على كل حال ويدعوه ويوحّده، فقال عند ذلك شعرا:

الأمـر الله لا إلـى أحـد سـبحانه مـن مدبّـر صمَـد
رب قـدير مهيـمن يـده بالأمـر والقهـر فـوق كلّ يـد

إلى أن قال:

أصبح النـاس في سـمائل في عيـد وعيدي قيْـد فـوَا نكَدي
ونـزوى أهلهـا بِعيدِهـم أضحوا ونزوى دون القُرى بلدي
بزهوهـم أصبحـوا وزينتهـم في زهرة مـن فَرْق إلى سَـمَد
وكلُّهـم فـي خيـر وفـي فرَح وطيب عيـش مع أهلهـم رَغَد
إلّا أبـي ثـمّ صِبيتـي وكـذا أهلي لـدى إخوة هـم عَضُدي
لأننـي فـي سـمائل ذو قَلَـق في شـرّ سِـجْن مُضَيَّق نَكِد»[1]

(١) السيفي، محمد بن عبد الله، النمير، ٣١١/٥ ـ ٣١٤.
السيفي،..... السَّلوى في تأريخ نزوى، المجلّد الثاني، تراجم الأعلام ٣٠٨/١ ـ ٣١٤.

هذه صورة مقرّ السجون سابقا، كانت في القلاع والحصون، فيها المشقّة والعَنَت، والضيق والعسر، ليست كسجون هذا العصر، المزوّدة بكل ما يحتاجه السجين، نظيفة نقيّة، ولكن لكلّ عصر أحوال، ولكلّ زمن أدوات.

ويقيم بالحصن عادة الوالي وعسكره، فهم يوفّرون للحصن الأمن والحماية، ويعينونه على بَسْط الأحكام وتنفيذها، فبهم يصول ويجول، وتجرى له رواتب على حسْب اليُسْر والعُسْر في موارد الدولة، وهذه رسالة من الإمام محمد بن عبد الله الخليلي في أمر الحصن:

«بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده، إلى الشيخ المحترم الولد سليمان بن حمير النبهاني، سلام عليك ورحمة الله وبعد: فإنّا نحمد الله إليكم، كتابك وكتاب خلفان بن عثمان رأيته، واكتبْ له يصرّح لنا الأناس الذين يَعُدُّ عليهم بأسمائهم، أمّا إبراهيم بن سعيد فقد كتبتُ له، وأمَّلَ بتقريب مَن يُعُدُّ عليهم، ولم يعيّن لنا إلّا..... فأمَّلَ بتقريبه، وبلغني أنّ أولاد سعود وصلوك فرخّصْهم يرجعون، ومتى نلتقي نحن وأنت يصير العُرْف فيهم، وفي كثير من القضايا، وما ذكرت من عُقَداء[1] حِصْن سمائل وتريد لهم كعُقَداء حِصْن بُهْلا، حصْن بُهْلا فيه عقيدان، وحصْن سمائل فيه خمسة أو أربعة، فمن أجْل ذلك قرّرنا ذلك، وزيادة قرش لكلّ واحد في الشهر لا بأس.

سلّم على الأصحاب، كما من هنا المشايخ العزري والرقيشي، حرّرته يوم ٨ من ربيع ١ سنة ١٣٥٨هـ».

ثم كتب لعسكر الحصن مخاطبا لهم بتخفيض رواتبهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده، إلى المشايخ كافة عسكر حصن سمائل بعد السلام عليكم: إعلموا أنّا قد أنزلنا عن

(١) جمع عقيد، وهو مسؤول العسكر.

كل أحد من العساكر فريضة شهرين ممّا مضى، وقرّرنا لأصحاب الخمسة منكم لشهر أربعة، وأسقطنا عن كل أحد من الآخرين قرشا من فريضته، والسلام حررته يوم ٤ من شهر شعبان ١٣٥٥هـ».

وهما رمضان وشعبان من هذي السنة لتعلموا ذلك» اهـ.

وهكذا تكون الأجرة والنفقة على حسب اليسر والعسر، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

والحاكم أمين في بيت المال، يُسْأَل عنه يوم القيامة، من أين جَلَبه وفيما أنفقه، والإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ ضرب المثل الأعلى في الأمانة والنزاهة والعدالة، فكان يجوع مع الأمّة إذا جاعت، بل جاع حينما شبعت، فهو الصائم القائم، ينام على الحصير، ويقنع بالشيئ اليسير، حتى لقي ربه رضي الله عنه وأرضاه.

ما أشبه سيرته بالسيرة العُمَريَّة في عدلها ونزاهتها وعفّتها وورعها، فهم رجال الله، ورجال الآخرة، لا ينظرون إلى الدنيا إلا قنطرة للآخرة، ومحطّة للعبور، وظلًّا زائلا، ومتاعًا راحلا، فما أسعد تصوّرهم لها، وما أربح تجارتهم معها: ﴿أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٢ ـ **بيت الصاروج بالخوبار**، وبه مجموعة غرف ومخازن وتحيط به الأبراج، وقد رمّمته وزارة التراث والثقافة سابقا.

٣ ـ **بيت الجَنُّورية بالحاجر**، وقد بناه الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن ناصر الخروصي الذي كان واليا على سمائل من قبل اليعاربة، ويقع البيت فوق قمّة جبَل، وسكنه بنفسه بعدما خرج من الولاية.

٤ ـ **قلعة الشَّــهْباء**، وهي في قمّة جبل تقع في منطقة المَدْرة، وتشرف على مدخل المدينة من جهة الغرب، ويقابلها من جهة الشمال برج «الدَّوَاة» الذي هو على أُمّ فلج المحيدث[1].

٥ ـ **بُرْج هَصّاص**، في قرية هصّــاص، وبه غرف ومخازن، وهو يختلف عن البروج العادية، فهو يشبه حصنا صغيرا.

٦ ـ **البيت الحديث وبيت البستان**، يتكوّنان من عدة أدوار وعدد من الغرف والمخازن وبهما أقواس معمارية جميلة، يقعان بقريتي الجَناة ووُصَاد من وادي بني رواحة.

٧ ـ **بيت السُّــبْحيَّة**، بيت كبير أثَريّ، شِــبْهَ القلاع في عمــان، يقع في علاية ســمائل، بناه الشــيخ المحقِّق ســعيد بن خلفان الخليلــي، وجَدَّد بناءه الشــيخ عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي، وهو مطلّ على الوادي، شرقيّ مسجد رَجَب.

٨ ـ **بيت البارونــي**، بيت كبير أثريّ، شِــبْهَ القلاع في عمــان، يقع محاذيا لشرجة الإبراهيميّة، من علاية سمائل، بناه الشــيخ سليمان بن عبد الله الباروني ليكون مدرسة وسكنًا له، والآن يملكه الشيخ سعود بن علي الخليلي، الذي جَدَّد بناءه على شكله السابق.

* * *

(١) الفلج: هو قناة محفورة في باطن الأرض، أو على ســطحها ســواء كانت مغطّاة أو مكشــوفة لتجميع المياه الجوفية، أو مياه العيون والينابيع الطبيعية أو المياه السطحية أو اعتراض وتجميع مياه الســيول، بحيث يتم انتقال المياه المتجمّعة من مواردها في قناة الفلج طبيعيا بواسطة قوة الجاذبية الأرضية فقط في اتجاه الشريعة دون استعمال الآلات لرفعها.
وأمُّ الفلج هي: آخر فرضة (ثقبه) علــى الفلج في عكس اتجاه جريانه، يبدأ عندها دخول المياه إلى قناته (لإمداده بالمياه أو جزء منها) ويجب أن يكون منسوبها أعلى من الشريعة حتى يستمر الفلج في الجريان.

ثالثاً: ضريح الصَّحابي مازن بن غضوبة بموضِع الدَّقْدَقَيْن

هذ وقد كثر فيه الكلام في هذه الأيام الأخيرة معنا بعمان، نظرا لما ورد في بعض كتب السِّيَر، من أنّ مازن قتل ببَرْذَعة وهي في أذربيجان، والمشهور عند أهل بلد مازن وهي سمائل أنّ قبره بمكان يعرف بـ «الدَّقْدَقَيْن»، قريب من حصن سمائل، ونظرا لما هو الراسخ في المذهب من عدم تعظيم الأموات والتطواف حول قبورهم وكثرة الزيارة لهم، صار الكثير لا يعرف عن قبر مازن شيئا، فزيارة القبور لأجل التذكير بالآخرة، لا للتوسّل والتشفّع، ففي الحديث الشريف: «زوروا القبور فإنها تذكّركم الآخرة»[(١)]، وقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنه يَرِقّ القلب، وتدمع العين، وتذكّر الآخرة، ولا تقولوا هُجْرا»[(٢)]. أي الكلام الباطل من نَدْب ونواحة وغير ذلك ممّا لم يأذن الله به ورسوله.

وعلّم النبي صلوات الله وسلامه عليه أصحابه ماذا يقولون عند زيارة القبور، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث بُرَيْدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: «السَّلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[(٣)].

قال نور الدين السالمي رحمه الله:

أتُعمَرَنْ قبورُنا الدوارسُ ... ويتردَّدَنْ إليها الدارسُ
وهذه المساجدُ المعَدّهْ ... نخربها وهي لذاك عُدَّهْ
لا تجعلوا بيوتكم قبورا ... إلى خرابها أتى مشيرا

(١) الحديث رواه أبو هريرة، ابن ماجة، رقم ١٢٨٥، النسائي، رقم ٢٠٣٤.
(٢) صحيح مسلم ١٩٧٧، صحيح الترمذي رقم ١٠٥٤.
(٣) صحيح مسلم رقم ٩٧٥، النسائي ٢٠٤٠، أحمد ٢٣٠٨٩.

إذ لم تكن في الذكر للعبادةْ ... مثل بيوت الله والإفادةْ
بل إنها مواضع الخراب ... وموضع الثواب والعذاب
قد نُقِلوا أصحابُها عن العمل ... فليس للأعمال فيها من محل
والنفع إن كان له انتفاع ... يأتيه حيث كان لا يُضَاع
والمصطفى قد زارها وما قَرا ... إلا سلاما ودعا وأدبرا
ولم تكن قراءة القبور ... بسنّة توجد في المأثور
لو كان خيرا سبق المختار ... له وصحبُه متى ما زاروا
فشَرْطُ مَن وقّف لا أراهُ ... باقٍ لِخُلْفه لما رواهُ
وكلّ ماخالف أمر المصطفى ... يبطل لو يشرطه من وقفا
ثم زيارة القبور إنما ... تُفعَلُ للتذكير بالأخرى اعلما
يزورها ولا يقول هُجْرا ... مَن زارها بل يذكرنَّ الأخرى
ولا تُزارُ أبدًا تعبُّدا ... إن شئت هذا فاقصدنَّ المسجدا
واقرأ هناك وخُذَنْ ما وُقِفا ... للقبر واعلمنّ أنه وَفا
لأنما القراءة المطلوبةْ ... جاء بها وأنها محبوبةْ
والشرط باطل فلا نلتزمُهْ ... وإن يكن مَن قد مضى يلتزمُهْ
حسبُكَ أن تتّبع المختارا ... وإن يقولوا خالف الآثار[1]

وفي عصرنا صار قبر مازن مزارا، وبنيت حوله غرفة غير مسقوفة، ووضعت على القبر الأغطية الملوّنة، وفرشت الطريق الذاهبة إليه بما يسمّى الإنترلوك، ويأتي يوم الجمعة أناس كثيرون من مسقط وغيرها من المسلمين، وأكثرهم من الأعاجم إلى سمائل، فيصلّون الجمعة في جامع سمائل، جامع الشُّراة ثم يذهبون

(١) السالمي، نور الدين، جوهر النظام (باب الوقف ٥٥/٣).

إلى القبر لأنه قريب منه، ويأتون بالأكل والشراب هناك، ولذلك نخشى أن يزداد تعظيم القبر، فيصبح مزارا من داخل السلطنة وخارجها في الأيام المستقبَلة، فعلى الدُّعاة والولاة في سمائل أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن يجعلوا له حدًّا يقف عنده الزائر، لأننا رأينا في بلدان كثيرة كيف تعظّم القبور ويطاف حولها، ويحجّ الحاجون إليها، وتوجّه إلى صاحبها سؤالات دفع البلاء وجلب المنفعة، وهذا بعيد عن شرع الله، لأنّ النافع والضارّ هو الله وحده.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٨].

فالله المستعان وهو وحده يتولّى الصالحين من عباده.

❊ ❊ ❊

رابعاً: الأسواق

واحدها سُوق، والسُّوق مؤنَّثة.

وتوجد بسمائل ثلاث أسواق، يقول الشيخ سعيد بن خلف الخروصي في قصيدته السمائلية:

وهذه الدار بها أسواقُ ثلاثةٌ وخيرها يُساقُ
لأهلها فَلْيُشْكَرِ الخلّاقُ سبحانه لِتَكْثُرَ الأرزاقُ
ويجزلَ الأجرَ مليكُ الأمرِ

وأقدمها السوق التي هي قريب من الحصن، وجُدِّد بناؤها عام ١٢٢٧هـ، وبها حوالي ٨٠ دكّانا، ولها أربعة مداخل، وأهمّها باب الصباح، وهو الباب الرئيس

للسوق، وقد استمرّ البيع والشراء حتى عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، حيث انتقلت التجارة بعد ذلك في منطقة المَدْرة، وهي حديثة بأسواقها ومراكزها التجارية وبيوتها ومدارسها، وبها المستشفى، وهكذا الأيام تعمر أمكنة وتخرب أخرى.

والسوق الثانية سوق العلاية، وهي سوق كبيرة وواسعة، والسوق الثالثة بمنطقة الخوبار، وكانت السلع تحمل من السوق القديم إلى بقية الأسواق الأخرى، ولكن تعطّلت الآن هذه الأسواق وخربت وبقيت أطلالها وذكرياتها، وكان بسوق السفالة وسوق العلاية كتبة للصكوك، يأتون بعد صلاة الظهر، ففي سوق السفالة لهم موضع معروف يجلسون فيه، ولهم في سوق العلاية غرفة تقع أعلى الباب الرئيس للسوق.

وكل هذه الأسواق الآن خرِبة، فعسى مَن يأتي لتجديدها وإحيائها، كما جُدِّدت بعض الأسواق القديمة، كسوق نزوى وسوق بهلاء وغيرها.

❊ ❊ ❊

خامساً: الأفلاج

من معالم سمائل أفلاجها، وهي نوعان: غِيليّة وداؤوديّة.

الفلج الداوودي: الذي يكون في شكل نفَق تحت سطح الأرض، يتصل بمجموعة فُرَضٍ رأسيّة، تكون فيما بين أمّ الفلج (المنبع) والشريعة (الموزِّع) قبل أن يتفرّع إلى سواقي، يمتدّ جريانها إلى مناطق الاستخدام، ويصل عمْق هذه الأفلاج إلى عشرات الأمتار، وتبلغ نسبة الأفلاج الداوودية في السلطنة حوالي ٤٥٪.

الفلج الغِيلي: يستمدّ مياهه من غيول الأودية، أو من المياه السطحية الجارية وشبه السطحية، بأعماق لا تزيد عن ٣ ـ ٤ أمتار، ويزيد منسوب المياه في هذا

النوع من الأفلاج مباشـــرة بعد هطول الأمطار، وقد يجـــفّ عند انقطاع الأمطار لمدة طويلة، وتبلغ نسبة الأفلاج الغيلية في السلطنة ٥٥٪.

والأفلاج هي التي تســـقي النخيل والأشجار، ويستخدمها السُّكَّان سابقا في شرْبهم وشرب حيواناتهم، وسائر استعمالاتهم، وذلك عُرْفٌ جارٍ بينهم في جميع الأفلاج العمانية.

ومن أشهر أفلاج سمائل فلج السَّـــمْدي (بفتح السين وسكون الميم)، وهو يســـقي جانبا كبيرا من العلاية والسفالة، وشـــهرته في عمان كفلج (دارس) في نزوى، وفلج (الخَطمَيْن) في بركة الموز، وفلج (المَيْسَر) في الرستاق وغيرها من الأفلاج المشهورة.

وقد ورد في الموسوعة العمانية تعريف تفصيلي بفلج السَّمدي وهو:

«فلج السَّـــمْدي فلج غِيليّ حيّ، يقع في علاية ســـمائل بمحافظة الداخلية، ومصدر تغذيته وادي سمائل.

جاءت تسمية فلج السَّمْدي من كلمة ســـمَدَ بمعنى عَلا ورفع نفسه ونصَب صدره، وسبب التسمية دليل على عُلُوّ مكانة الفلج لدى الأهالي.

يحتوي على ساعد واحد يعرف باسم ساعد السَّمْدي، ويبلغ إجمالي طول قنواته حوالي ٢٥٥م، وجميعها قنواته سطحية، منطقة الاحتياج لهذا الفلج هي قريـــة العلاية[١]، وتبلغ مســـاحتها الكليـــة حوالي ١٠٨ هكتارات، والمســـاحة المزروعة منها ٧٨ هكتارا تقريبا، ويبلغ معدّل تدفّقه حوالي ٩٩ لترا في الثانية، حسب إحصاءات مشروع حصر الأفلاج الذي نفّذته وزارة البلديات الإقليمية وموارد المياه عام ٢٠٠١م، بينما يصل مجموع الاحتياج السنوي من مياهه إلى حوالي ٢١٤٨٤٠٨م.

(١) الصحيح أنه يسقي في العلاية والسفالة.

فلج السَّـمْدي من الأفلاج ذات الجودة العالية، إذ أنّ الموصلية الكهربائية بمياهه تبلغ حوالي ٨٠٠ ميكروسـيمنز لكل سـنتيمتر، والرقم الهيدروجيني بها ثمانية، كما يبلغ متوسّط حرارة مياهه حوالي ٣٠م»[١].

وفي سمائل أفلاج عِدَّة مثل:

المحيدِث: يقع في بداية الضفّة الشرقّية من سمائل، يسقي الفاغرة وغيرها.

بِلْفَاعي: يمرّ بيت السبحيّة للشيخ عبد الله بن علي الخليلي.

السَّمْدي: ينبع من الوادي، وهو أكبر أفلاج سمائل، ويسقي في العلاية والسفالة.

المريفع، مقابل المحيدث، يسقي القديمة وما حولها.

الفَرْسَخي: يسقي نَغْزا والجَعفرية والعُرقوب وغيرها.

الدَّغَالي: يسقي ابتداء من الشَّرجتيْن، ثم نَغْزا، ثم العُرقوب، ثم الجَمَّار، ثم دَغَال، فالمَحْشُورة، فالخُزاميَّة، فالمَضارِب، وأخيرا يَسقي الدَّقْدَقيْن.

الحِيلي: يسقي من خُدَيْرا مشرّقًا.

القَلْعي: آمّتُه قبل شَرْجة الوحيدية، ويمرُّ الكَفْرة وغِيلة داؤد وغيرها.

بوغُول: يمرُّ في بيت أولاد الشيخ راشد بن عزيّز.

فلجا بُودَجالة والحيقي: يسقيان الصَّفا والغُبرة.

فلجا الزُّغْلي والصَّغَيِّر: يسقيان الحاجر.

المعيشيق: ساقيته بين البريمة والشارع المعبَّد في الوادي، يسقي الخوبار.

الحصَيِّن: مقابل المعيشيق، وهو في الوادي، يسقي الخوبار أيضا.

فلج المَنْقَل: مقابل المعيشيق والحصَيِّن، يسقي المَـنقَل وقت الخَصْب.

---

(١) الموسوعة العمانية ١٨٦٨/٥.

أمّا **الدَّنّ وفاروه والمزرع** وغيرها فلها أفلاج خاصّة أيضا.

وفي الغبرة فلج صغير يسمّى (غُوِيز المُـرّ) وله ساعدان: حلو ومُرّ، يقع على الشارع المعبّد، أجراه حميد بن سعيد بن حميد الدغيشي، هكذا أخبرني الأخ سليمان بن جمعة بن سيف الدغيشي، لأنه من أجداده، وبيتهم معروف بأولاد القاضي.

* * *

سادساً: النخيـــل

نخلة الفَرْض واشتهار سمائل بها وهي شعارها.

النخلة شجرة طيّبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى في حقّها: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وقال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

تَوَكَّلْ عَلَـى الرَّحْمَنِ فِـي الأَمْرِ كُلِّهِ ... وَلا تَرْغَبَنْ فِي العَجْزِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبْ
أَلَـم تَـر أن الله أوحـى لمريـم ... وهُزِّي إليك الجذعَ يَسَّاقِطِ الرُّطَبْ
ولو شـاء أن تَجنيه من غيـر هَزِّها ... جَـنَتْه ولكن كلُّ شـيء له سبَبْ[1]

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) الأبيات للشاعر أبي الهدى الصيّادي، واسمه: محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني، أبو الهدى. أشهر علماء الدين في عصره، ولد في خان شيخون «من أعمال المعـرّة» وتعلّم بحلب وولي نقابة الأشـراف فيها، ثم سـكن الآسـتانة، واتصل بالسـلطان عبد الحميد الثاني العثماني، فقلده مشيخة المشايخ. وحظي عنده فكان من كبار ثقاته. واستمر في خدمته زهاء ثلاثين سنة.

ورد في صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي؟، فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله قال: «هي النخلة»[(١)].

وقد روى ابن حبّان عن أبي رزين مرفوعا: «مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيّباً، ولا تضع إلا طيّباً»[(٢)].

حَدَّث «الأَصْمَعِيُّ عن أبي عَمْرو بن العلاء قال: رأيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ فاسْتَفْصَحْتُهُ، فقلتُ: مِمَّن الرَّجُل؟ قال: مِنَ الأَزْدِ، قلتُ: مِنْ أَيِّهِمْ؟ قال: مِنْ بَنِي الحدّان بن شَمْس، فقلتُ: مِنْ أيّ بلاد؟ قال: مِنْ عُمَان، قلتُ: صِفْ بلادَك، فقال: سِيفٌ أَفْيَحُ، وفَضَاءٌ صَحْصَح، وجَبَلٌ صَلْدَح، ورَمْلٌ أَصْيَح، فقلتُ: أخبرني عن مَالِكَ، فقال: النَّخْل، فقلتُ: وأين أنتَ عن الإبل؟ فقال: كلّا؛ إنَّ النَّخْلَ أَفْضَلُ، أَمَا عَلِمْتَ أنَّ النخل حِمْلُها غِذَاء، وسَعَفُها ضياء، وكَرْبُها صِلاء، ولِيفُهَا رِشَاء، وجِذْعُها غِمَاء، وقُرْؤُهَا إِنَاء!، فقلتُ: وأنَّى لَكَ هذه الفصاحة؟ فقال: إنّا بِقُطْرٍ لا يُسْمَعُ فيه ناجِخَةُ التيّار»[(٣)].

يقول الشيخ الباحث سلطان بن حمد الشيباني:

«ونظرا للعلاقة الحميمة بين العماني والنخلة أُثِرَتْ في الكتب القديمة اصطلاحات خاصّة بالعمانيين في هذا الشأن، كالتنبيت والتحدير والخَراف

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ٣٤/١.

(٢) رواه أحمد في حديث طويل تقدم ورجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة وقد وثّقه ابن حبان. أخرجه الرامهرمزى (٦٦/١، رقم ٢٩)، والحاكم (٥٥٨/٤، رقم ٨٥٦٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي فى شعب الإيمان (٥٨/٥، رقم ٥٧٦٥).
[٢/١٣٣] رواه النسائي في الكبرى: عن يحيى بن حكيم، عن ابن أبي عدي، عن شعبة.

(٣) الصحاري، الإبانة في اللغة العربية، ٣١/١.

والجَداد (أو الجذاذ) والدَّراك والطَّناء والدَّوْس والكَناز، ومن الشواهد على ذلك قول أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (ت: ٢٥٥هـ) في (كتاب النخلة): «وأهلُ عُمَان يسمُّون شراء الثمار الطِّناءَ (ممدود)، يقال: أَطْنَيْتُها (مخفّفة) إذا بعتها، واطّنيتها (مشدّدة الطاء) إذا اشتريتُها»، وللنخيل أحكام كثيرة حفلت بها المصنفات العمانية، وممّا هو داخل في علوم الزراعة ما نجده من أبواب مفصّلة عن المزارعة والمساقاة وحرث الأرض في كثير من المطوّلات الفقهية، كما نجد أبوابا أخرى في أحكام إحياء الأرض الموات وزراعتها، وشهدت الرموم، وهي الأرض الخراب ـ حضورا كبيرا لدى فقهاء عمان، وعقدوا لها فصولا مطوّلة في كتبهم، تدلّ في مجملها على حرصهم الشديد على تنظيم الاستفادة منها وضرورة إصلاحها، ويندرج تحت هذا الجانب حرص العمانيين على تقسيم حصص المياه وعدم التعدي فيها، والاستفادة من الماء الفائض، وغير ذلك ممّا يتصل بالآبار والعيون والأفلاج، وفي هذه الأخيرة أثرت سجلّات مخطوطة توضّح قسمتها وتوثّق حصصها، عرفت بنُسَخ الأفلاج، والأفلاج بحدّ ذاتها نظام ريّ يتداخل تصنيفه بين علوم الزراعة والهندسة والفَلَك، لما فيه من أساليب إبداعية أتقنها العمانيون وتوارثوها عبر الأجيال»[١].

هذا وإن الفَرض من أجود التمور وأشهرها بعمان، وفي سمائل خصوصا له مكانة كبيرة، ومنزلة شهيرة يعرفه الخاص والعام في عمان كلّها.

ورد في الموسوعة العمانية:

الفَرْضُ أحد أصناف النخيل، ويوجد هذا النوع في معظم عمان، ويعدّ من الأصناف الرئيسة التي تقوم عليها مصانع التمور، وتنضج ثماره في منتصف

(١) من محاضرة له ألقاها بمناسبة الاحتفاء بنزوى عاصمة الثقافة الإسلامية، والتي أقيمت بقاعة الشهباء بجامعة نزوى، والمحاضرة بعنوان «الإِنْتَاجُ العِلْمِيُّ العُمَانِيّ في مجالات الزِّراعة والعِمَارة والطِّبّ والفَلَك.

موسم القيظ، وهو من الأصناف المنتشرة في سمائل، ولذلك قيل: (سمائل فيها الفَرْض مائل)، كما اتخذته الولاية شعارا لها.

تكون ثمار الفرض شقراء في طور البُسْر، ثم تتحوّل إلى اللون البُنّي المحْمَرّ في طور الرُّطَب، وإلى البُنّيّ المسودّ في طوْر التمر.

يدخل مجال التصنيع في طور التمر لإنتاج الدبس، ويختلف قوام الثمرة وطعمها تبعا لطورها، حيث يتّسم قوام البُسْر بأنه متوسّط وطعمه قابض، والرطب قوامه طريّ، وطعمه جيّد حُلْو، أمّا التمر فقوامه نصف جاف، وطعم ثمرته جيّد حُلْو.

تتخذ الثمرة شكلا أسطوانيا في طور البُسْر، وبها قمّة مخروطية بنبلة صغيرة، وقاعدة مائلة إلى الاستواء، ويصل وزنها إلى ١٥,٤ جم، ويبلغ طولها ٣,٩ سم، أمّا قُطْرها فيبلغ ٢,١ سم، وتحتوي على كمّيّة قليلة من الألياف وقشرتها ملتصقة، ولحمها أبيض مشوب باصفرار، أمّا جوفها فغير ممتلئ بالنواة[١]، والنواة ملساء، ولونها عسَلي ويصل وزنها إلى ٦ جم، وطولها إلى ٢,٢ سم. ويظهر في قاعدة الثمرة تفروق[٢] (قَمْع) بارز، حافّته غير منتظمة، وتبلغ نسبة وزن لحم ثمرة الفرض إلى وزنها الكلّي (نسبة التصافي) ٩٤٪.

ذكر الفرْض أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) في كتاب الماء، فوصفه بأنه ضَرْب من التمر من أجود تمر عمان، وينقل الأزدي عن أحد الشعراء قوله:

إذا أكلتَ سمَكا وفرضا ذهبتَ طولا وذهبت عَرْضا

(١) تسمّى في عمان: فَلْحَة.

(٢) في عمان يقال له: تَعْفروق.

كما يذكر ابن منظور في معجم لسان العرب» أنّ الفرض ضرب من التمر، وأنه من أجود تمر عمان، هو والبلعق.

قال أحد الشعراء وهو وافد إلى الجلندى بن المستكبر يمدحه:

جُلَنْدى الذي أعطى الوَدِيَّ بحِمْلها مُسَخَّرةً ما بين فرْضٍ وبَلعَقِ

والوَدِيُّ: الفسائل.

ورد ذكْر الفرض في الأقوال العمانية المأثورة كما في قولهم:

١ ـ طيحَةٌ من فرْض ولا عَفْدة من بْقْلْ: وعَفْدة أي قفزة، وبقْل نوع من أنواع النخل، إشارة إلى التباهي، حيث فضّل الشخص أن يقال بأنه سقط من الفرض، لكونه نخلة محبّبة إلى الناس بدلا من القول بأنه قفز من نخلة البقل وهي غير معروفة، وهكذا فهو يحبّذ أن يزعم بأنه تعثّر من أمر جليل ولا يقال بأنه اقتحم أمرا حقيرا.

٢ ـ «لا تزرع النارجيل في صحار، ولا الفرْض في ظفار».

يحذّر هذا القول عن إضاعة الوقت وهدر الجهد، ويشير إلى التخطيط وتجنّب أي عمل تكون نتيجته سلبية، كمن يريد زراعة شجرة النارجيل في صحار فإنها لن تثمر، وكذلك من يريد زراعة نخلة الفرض في ظفار التي لا تنمو فيها النخيل.

٣ ـ سُحُّ الفرض عمود الأرض، والسُّحّ هو التمر، يدل على محبة الناس لنخلة الفرض، وأن ثمرتها معتمد أكل الناس من التمر.

كما ورد ذكرها أيضا في مواضع من الشعر العماني، كما في قول الشاعر راشد بن خميس الحبسي:

طالت بنخل باسقات وقد طابت بفرض طيّبٍ فاخر»[1] اهـ

(١) الموسوعة العمانية، ٢٧٢٩/٨ ـ ٢٧٣٠.

جاء في جريدة الشورى المصريّة:

زيارة أَمْريكي إلى عُمَان سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م

«وجاء قبله تَلغرافٌ من الشركة الأمريكانية في البصرة تطلب الإذن لأحد رجالها في زيارة (سمائل) المشهورة بنخيل (الفَرْض)، المحبوب في أمريكا، الذي تسوقه هذه الشركة في مراكب مخصوصة تأتي من أمريكا، فكتب الوزير السيِّد (محمد بن أحمد)[1] من (مسقط) إلى (سليمان باشا الباروني) يطلب له الإذن، لأنَّ عمان لا يدخله أجنبيٌّ مطلقا، فاستصدر (الباروني باشا) له إذناً من الإمام أيَّده الله، وبلغ إليه تلغرافيّا، وهو بالبصرة، فأتى ووصل إلى (بُدْبُد)، و(الباروني باشا) هناك، فأكرمَه ووجَّهه إلى محلِّه بـ (سمائل)، وبعد أن طاف في البساتين وشاهد نخل الفرض، رجع إلى (بدبد) وقدَّم للباروني باشا بعض الهدايا، فاستسمحه في عدم قبولها قائلاً: لو يعلم إمامُنا أنّ أحداً من رجاله يقبل هديَّة، خصوصاً من ضيف أجنبيّ لقطع يدَه، فأعادها معتذراً شاكراً.

وممّا تكلَّم به في حضرة جماعته قوله: إن أصحابي في (البصرة) قالوا لي: إنّ العمانيّين يأكلون الإنسان حَيًّا، وأنَّك ستقتل ولابُدَّ، لأنّ الأمن مختلٌّ هناك، لكنّي أنا رأيت الأمن هنا عامًّا أكثر من كلّ مكان، حتى العراق التي فيها دولة عربية، تشرف عليها الدولة الإنكليزية، لأنّي أسير بلباسي الأوربِّي في جبال وأودية عمان وما معي إلا أصحاب الدوابّ التي عليها صناديقي وأركب عليها، ونبيت على قارعة الطريق في (السَّيح) بدون حارس يحرسنا، وأرى الناس يسيرون منفردين في الطرقات رجالاً ونساء وفي بطون الأودية،

(١) السيِّد محمد بن أحمد بن ناصر البوسعيدي (الغشَّام) (ت: ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م) كان وزيرا للماليّة، ووالياً على مطرح في عهد السلطان تيمور بن فيصل، ناب عن السلطان في توقيع اتفاقيّة السيب بين السلطان والإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٩٢٠م.
دليل أعلام عمان ١٤٤.

وما سمعت ولا فهمت من أصحاب الدوابّ الذين معي ما يدلُّ على أنّهم في خوف أو حذر قطّ.

وقد شاهدت من الآداب واحترام الأهالي بعضهم لبعض في مجالسهم، كوقوفهم للجليل والحقير إذا قدم عليهم، ما جعلني متحيِّرا جدًّا، وما هذا إلا دليل على أنَّ حكومة الإمام عادلة، والأمَّة متربّية، بخلاف ما يشاع علينا في الخارج.

والأمريكاني هذا رجل أديب ظريف وله قوّة زائدة على تحمُّل مشقَّة السفر، وتحمّل حرِّ الشمس المحرقة في عمان، ومشيه في الثنايا والأدوية، وهو يتكلّم العربية الفصحى مع تأنٍّ وسكون، ويقال: إن أصله إنكليزي في أمريكا، هذا ما أمكن بيانه مختصراً من أخبار عمان».

هذه شهادة رجل غير مسلم، للعدالة والأمن المنتشريْن في ذلك الوقت في عمان، والفضل ما شهدت به الأعداء، فهم إن وجدوا عكس ذلك يفرحون بنشره، والنيْل من موطنه، ونسبة التخلُّف لأهله.

هذا ومن القصص الطريفة عن نخلة الفرض:

أخبرني الشيخ سليمان بن عبد الله اللويهي أنّ ناصر بن راشد بن ناصر الخياري (صانع الحلوى) من الرستاق أخبره بأنّ أباه مرض بالفالج، وهو المعروف بالشلل الآن أو الجلطة، فوصف بعض الناس لأب راشد أن يطعمه تمر فرض ويجعل معه السمن ويعصد في النار، فأعطاه إياه وبعد ثلاثة أيام مشى على الجدار وبعد عشرة أيام شُفِي.

وممّا قيل في الفرض:

قال أبو وسيم:

فكأنّ الفرضَ لمّا أن بدا ... قد تلألأ برقُه ثم خَبَا

فإذا سبّحَ برقٌ فوقه ... من حديد جاءنا سيْلُ سَبا

وقال الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي:

وكأنّ الفــرضَ لمّــا أن بــدا عملــتْ حمرتُــه ليــلا بهيــمْ
فــإذا ســبّح رعــدٌ فوقــه مــن حديــد جاءنا ســيْلٌ عظيمْ

قال الشــيخ ســالم بن حمد الحارثي في كتابه النخلة: ويختص أهل سَمَد الشأن وأهل سمائل بنخلة الفرض، ولا يجود في غيرهما كما يجود معهم، حتى أنهم اختلفوا في أيّ بلد أحسن تمر الفرض، فوضع بعضهم قطعة تمر من فرض سمائل في حَجَرة، ووضع قطعة من فرض سَمَد، ثم بعد مدّة وجدوا أثر دُسومة في الحَجَرة التي فيها تمر سمَد»[١].

فكأنّ القصة هنا تشير إلى تفضيل تمر الفرض الذي هو بسَمَد الشأن، ولكن أهل سمائل، لا يسلّمون بذلك.

وأخبرني أستاذي عبد الله بن سالم الهاشــمي رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه وقعت مفاضلة بين تمر فرض ســمائل وبين تمر فرض فنجاء، فاتفقوا علــى وضع بعض التمر من البلدين في إناء فيه ماء، كلّ واحد في إناء مستقلّ، من الليل حتى الصباح، فلمّا نظروه في الصباح وجدوا تمر فرض سمائل لم يتأثّر بالماء، وإنما بقي متماسكا، والآخر متأثّرا.

وأخبرني أن نخلة فرض واحدة في المال المســمّى (جَلْبة حميدوه) القريبة من سْتَال الشــهيرة وهما في ســفالة ســمائل، هذا الفرض طُنِيَتْ (بِيعَتْ) غَلَّتُه بسبعين قرشا فضة، في زمن التعامل بالقروش.

وروى لنا الشيخ سليمان بن عبد الله اللويهي أيضا: أن شخصا حِجْريّا من بديّة ذهب إلى الحجّ، وذات يوم خرج الى الســوق ليشــتري تمرا، فجاء إلى

(١) الحارثي، سالم بن حمد، النخلة ص٥٦.

بائع التمور فسـأله عن نوع من الأنواع معه، فقال له: بكم هذا التمر؟، فقال: أنتم لا تأكلون هذا، قال له: ما اسم هذا التمر؟، قال: اسمه النَّبيئيين، وكان هذا التمر غالي الثمن، ويقصد أنّك لا تسـتطيع أن تشـتري منه، وهو تمر خاص لا يشتريه كلّ واحد، فذهب عنه، ولمّا رجع إلى بلاده عمان، ذهب إلى سمائل قرب موسم الحج القادم، واختار تمرا من نوع (الفرض) واشتراه من سمائل، وذهب إلى الحج وأعطاه ذلك التاجر، فقال له ما اسـم هـذا التمر؟ قال له: فرض، فاعترف بجودته وحُسْـنه، ومقامه بين التمور، وقال: ما بُعِثَ النبيئيين إلا لأداء الفرض..

هذه القصص وغيرها فيها من التجارب الدقيقـة ما تبيّن للقارئ الكريم مقام الشيئ المُتَحَدَّث عنـه، وهـي طريفـة أيضا تنبسـط لها النفوس، وتَطرَب لها الآذان.

القسم الثالث

سمائل والباروني



زار الشيخ الباروني اللّيبي النَّفوسي عمان، واستقبلته سلطانا وإماما وشعبا استقبالا حارّا، وهذا من توفيق الله ﷻ له، حيث وضَعَ له القبول، وآواه بعد صراع من المحتلّ لبلاده، ولسمائل النصيب الأوفى والأكبر من هذا الزعيم، حيث استوطنها وتأهّل منها، وبدأ بإصلاحاته منها، كما سيظهر لنا إن شاء الله تعالى، ولا بدّ من التعريف به وبشخصيّته المجاهدة الباسلة فأقول:

هو الشيخ المجاهد سليمان بن عبد الله بن يحي الباروني.

(و: ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ـ ت: ٢٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)

ولد بجادو في جبل نفوسة بليبيا من عائلة البارونيين المجيدة والبارزة في العلم والسياسة والحكم في طرابلس بليبيا... وجربة بتونس.

أخذ مبادئ العلوم عن أبيه الشيخ عبد الله بن يحي الباروني (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، وفي سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، ثمَّ في عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م انتقل إلى مصر، حيث درس بالأزهر الشريف مدَّة ثلاث سنوات، فعاد إلى موطنه فأرسله أبوه سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م إلى ميزاب بالجزائر، ليتخصَّص في العلوم الشَّرعِيَّة في معهد قطب الأئمّة الشيخ اطفيّش ببلدة يَسْجِن، فاتَّخذ له دروسا خاصَّة في أبواب كبرى من عدَّة فنون، والتقى هناك بالعالميْن البارزيْن اللذيْن كان لهما بعد ذلك صيتٌ ذائعٌ على المستوى العالمي، وهما: الشيخان أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش نزيل مصر، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم رائد الصحافة الجزائرية، وثلاثتهم تتلمذوا في معهد القطب الشيخ امحمَّد بن يوسف اطفيَّش، فكان ما أخذوه عنه كلّه بركة، وتشابهت حياتهم في تقلُّباتها ومراحلها، وأطوارها.

إنَّ حياة الشيخ الزعيم سليمان البارونـي خِضَمٌّ من الأحداث، وروافد الأعمال الجليلة يتبع بعضها بعضا، ويكاد الباحث لا يحصي جلائل أعماله، فضلا عن جلائل آثاره التي تعدَّدت وتنوَّعت فمن أعماله الكبرى:

ـ محاربته للِاستعمار الإيطالي محاربة لا هوادة فيها، فأذاقه الهزائم تلو الهزائم.

ـ عمله الدؤوب على وحدة أهالي ليبيا إباضية ومالكية، بربرًا وعربًا، لتكوين جيش إسلامي موحَّد يواجه غزو إيطاليا سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

ـ لمَّا عزمت تركيا على الِاستسلام في أواخر الحرب العالمية الأولى، أنشأ هو وبعض المجاهدين الجمهورية الطرابلسية ومجلسها الشوريّ عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، برئاسة مجلس شرعي منهم الباروني، وذكر أنَّه عُيِّن رئيسا لهذه الجمهورية.

ـ مساعدة الحزب الدستوري التونسي مادِّيا ومعنوياً.

ـ مراسلاته السياسية، والإسلامية إلى رؤساء وملوك العالم، والهيئات العالمية ينصحها ويوجِّهها، واعترفت له عصبة الأمم بآرائه السديدة.

ـ محاولته التقريب بين الملك السعودي عبد العزيز وشريف مكَّة سلطان الحجاز.

أمَّا المناصب التي تولَّاها خلال هذه الفترة والشعارات والنياشين التي وُشِّح بها صدره نذكر ما يلي:

ـ عضو مجلس المبعوثان باسطنبول تركيا.

ـ عضو مجلس الأعيان إلى الانقلاب التركي لأتاتورك.

ـ رئيس الجمهورية الليبية سنة ١٣١٣هـ/١٩١٨م، وعضو مجلسها الشرعي.

ـ لقِّب باشا.

ـ قلَّده ملك الحجاز نيشان الِاستقلال الهاشمي.

ـ قلَّده السلطان تيمور بن فيصل سلطان عُمان نيشان الشرف السعيدي.

هذه بعض أعماله السياسية، ومناصبه القيادية الريادية، وبدهي أنّ رجلاً بهذا المستوى، لا يحيى حياة هادئة مستقرَّة، فالباروني اضطُهِد وأدخل السجن وحيكت ضدَّه المؤامرات، ورفضت دول استعمارية استقباله في أراضيها...

بعد إصدار العفو عنه من قِبل السلطان عبد الحميد (١٢٥٨ ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٤٢ ـ ١٩١٨م)، بواسطة من شيخه اطفيّش القطب سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م، قصد تونس ثمَّ مصر حيث واصل جهاده عن طريق المؤتمرات والنشر.

فمن أعماله الثقافية وآثاره الباقية، التي تعبِّر وحدها عن عبقرية هذا الرجل في مختلف ميادين الحياة: السياسية، والإجتماعية، والثقافية، ما يلي:

ـ تأسيسه لجريدة «الأسد الإسلامي» في مصر، في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وكان يطبعها في المطبعة البارونية فينالها ما ينال الجرائد الوطنية الحرَّة من الإرهاق والتضييق والتعطيل، ولم يصدر منها إلَّا ثلاثة أعداد فقط.

ـ إنشاؤه جريدة «الباروني» باسطنبول مخصَّصة للقضية الليبية عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

ـ نشره في جرائد كبرى مصرية وجزائرية، وخاصَّة في جرائد أبي اليقظان الوطنية، فله فيها مقالات نارية.

ـ تأسيسه لمطبعة الأزهار البارونية بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وفيها طَبع جزءا هاما من التراث الإباضي من بينها كتاب الأزهار الرياضية.

ـ له كتاب «تعليقات على سُلَّم العامَّة والمبتدئين»، و«سلَّم العامَّة...» من تأليف والده.

ـ له مؤلَّف في تاريخ أسرته، عنوانه: «مختصر تاريخ العائلة البارونية»، (مخ).

ـ قد كان يحضِّر المادَّة العلميَّة لكتاب عنوانه: «تاريخ الحرب في طرابلس الغرب» غير أنَّه لم يتمَّه.

ألَّف كتاب «الأزهار الرياضية، في أئمّة وملوك الإباضية» جزءان، اِحترق الجزء الأوَّل، ولم يبق إلا الجزء الثاني الذي طُبع، وهو كتاب في تاريخ الدولة الرستمية بديع في زمانه.

ـ له ديـوان شعر مطبوع سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، فضلا عن أشعار متناثرة.

ـ إنشاؤه للمدرسة البارونية بسمائل بعُمان.

وعموماً كان كتـوبا مداوما على تحرير المقالات والقصائد، والتآليف...

وكانت له حوارات ساخنة مع أمير البيان شكيب أرسلان، حول قضايا العالم الإسلامي في عصره، نشرت في الصحف العَرَبِـيَّة آنذاك.

زار مـختلف بقاع العالم العربي الإسلامي، واستقبله بعض ملوكه: كسلطان العثمانـيين، وشريف مكَّة، وخـديوي مصر، وسلطان عمان، وملك العراق...

وفي العراق عالج حمَّى الملاريا واسـتقرَّ بـه عاما، ثمَّ توجَّه إلـى بُمْبَاي (Bombay) بالهند، وهو ابن الاثنتين والسبعين سنة للمداواة، ولكن المنيّة وافته في يوم ٢٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/٠١ ماي ١٩٤٠م فدفن فيها».

جاء البارونـي إلى عمان من مكـة المكرمة، بعد أن حج فـي عام ١٣٤٢هـ، فرخّص له الإنجليز أن يأتي عمان بسعي من حكومة الملك حسين، ملك الحجاز، فارتحل من جُدّة آخر شهر الحجّ، فنزل في مسقط في أوائل شهر المحرّم، وأرسل له السلطان تيمور رسالة إذ هو في الهند، يقول فيها: «قدوم مبارك لبلادنا، أرجو أن شعبي قد استقبلكم بكل احترام» ٧ محرم ١٣٤٣هـ، فحصل له ترحيب واسع، صار له الأثر البالغ في الاستقبال الرسمي الكبير للباروني، ثم دعاه الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى زيارة عمان الداخل، فأرسل له هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من إمام المسـلمين محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي إلى أخيه ذي الشرف الباذخ والمجد الشـامخ المجاهد في الله الحامي لدينه سـليمان بن عبد الله الباروني، أمّا بعد: فإنا نحمد الله إليك، لا زلت أخانا محافظاً شـرف حرّيتك، سـاعياً في عزّ اسـتقلال بلادك، ألا وإنّ أعلام مجدك منشورة، وسيوف عدلك مشهورة، فللّه دَرُّك حيث أنت هكذا هكذا وإلا فلا لا.

الداعي لتحرير الكتاب إليك بعد إهداء السلام والتحية والإكرام إعلامك بأنّ إخوانك أهل عُمان مسرورون بسلامتك وصحتك، مستبشرون بقدومك وطلعتك، وقد وجّهنا إليك هذا الرسول طالبين منك الوصول على بركة الله زائراً إخوانك، مشرّفاً أوطانك، فاضرب لنا موعداً لنوجّه إليك رجالا من الخاصة رفقاء الطريق، وأخبر رسولنا بكلّ ما يلزم لنحيط بذلك علماً، والله الميسّر، والسلام.

حرر في ١٣ محرم سنة ١٣٤٣هـ».

(سمائل تستقبل الزعيم الباروني)

استقبل الإمامُ الخليليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخَ الزعيمَ سليمان الباروني في سمائل يو ١٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ، ومعه العلماء والقضاة والأعيان، فأُطلِقَت البنادق، وألقيت القصائد ترحيبا وإكراما له.

وعند ذكرنا للأدباء والشعراء تتبيّن هذه القصائد الملقاة في موضعها عند الترجمة لقائليها إن شاء الله.

ثم انتقل إلى نزوى وزار الشرقية، وتجوّل في مناطق عديدة ورجع إلى مسقط في شهر شعبان من العام نفسه.

وللشيخ الباروني مكانة علمية وسياسية واجتماعية كبيرة.

يقول سماحة شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي: «إن الحديث عن العظماء يجب أن يكون عظيما، وأن يكون مدروسا من شتى النواحي، وإنما أعتصر الذاكرة لأحاول أن أسلّط الضوء ولو شيئا يسيرا عن هذه الشخصية العظيمة، شخصية سليمان باشا الباروني، الزعيم المجاهد المصلح، الذي بذل حياته كلّها من أجل دينه ومن أجل أمّته، وكان يشتدّ كلّ الاشتداد في أمر يتعلّق بالدين والأمّة، ويتسامح كلّ التسامح في أمر يعود إلى شخصه، فقد كان رجلا

في أمّة وأمّة في رجل، كان يحمل هموم الأمّة بين جوانحه، وهي التي تؤرّق ليله وتشغل نهاره، كان يهتمّ بجمْع كلمة الأمّة ورأْب صَدْعها، ورفْع كلّ ما كان نازلا بها من المحن والمصائب، ولم يكن متقوقعا على نفسه، وإنما كان رجلا عالميّا، وكان يخاطب جميع ذوي الاختصاصات بألسنتهم، فكان يخاطب الساسة بمنطق السائس السياسي المحنّك، العارف بمداخل الأمور ومخارجها، كما كان يخاطب العلماء بمنطق العالم المحقّق الفاهم الداري بما يتحدّث فيه.

ومن عنايته البالغة بهموم الأمّة، تلكم الخطابات التي وجّهها إلى مؤتمر نزْع السلاح، كان يوجّه رسالة إثْر رسالة من أجل أن يبصّرهم بالحقيقة، وقد كان ساسة الدول هم المؤتمرون المجتمعون، فكان يوقفهم على الحقيقة ويبصّرهم بها، وهذا يدلّ على حِنْكته السياسية بجانب درايته العلميّة، وكان ممّا خاطبهم به أنه لا سِلْم مع الاستعمار، وأنّ المشكلة كلّها إنما هي ببقاء الاستعمار، وأنّ الحرب إنما تنتهي بانتهاء الاستعمار، كما ذكّرهم بما عسى أن يترتب لو شُنّت حرْب مستقبلية على هذه الدول المستعمرة، ذلك لأن الشعوب كلها تريد أن تنتعش، وكلها تريد أن تتحرّر، لأنّ الحريّة إنما هي مطلب فكريّ لكلّ شعب من الشعوب، بل لكلّ فرد من الأفراد، فما من أحد يرتضي العبوديّة لنفسه، وما من شعب أيضا يرتضيها.

وعرّفهم بمخاطر الحرب لو شَبّت، كما أنه كان يوقظ الضمير من الأمّة في الدول المستعمِرة، أو في البلدان المستعمَرة، بحيث كان يبصّرهم بأنّ وعود المستعمِرين إنما تنقلب وَبالا عليهم، فكم في الحرب الأولى مَن وقَف مع المستعمِرين نظر إلى الوعود التي وعدوا بها، وقدّمت الشعوب قوافل من الضحايا في الحرب العالمية الأولى، وكانت نتيجة ذلك أن تلك الدول لمّا خرجت من الحرب إنما عاملت هذه الشعوب بمزيد من القهر، وعاملتها بمزيد من الاضطهاد، فكل من طالب بإنجاز الوعود كان مصيره إمّا إلى السجون وإمّا إلى المشانق.

وهذا بطبيعة الحال يدلّ على أنّ الرجل كان على خبرة بالسياسة العالمية التي تدار في القِمَم المستعمِرة، وكان من حمْله همَّ الأمّة أنه كان ينظر إلى ما وقعت فيه الأمّة من الاختلاف والشقاق والنزاع، بسبب الاختلاف المذهبيّ، فكان يحمل همّا كبيرا من ذلك.

إذ لم يدرك الناس بأنّ أَوْلى ما تكون عليه هذه المذاهب هو التكامل، بدلا من التناحر والشقاق والخلاف، فلذلك وجّه رسائله إلى علماء الأمّة من كلّ المذاهب الإسلامية، وكان يضع الإصبع على مكان الدَّاء، فقد سألهم عن اختلاف الأمّة ونزاعها ألّا يعود إلى التعصّب لهذه المذاهب، أوَ ليس الأوْلى بهذه الأمّة أن ترجع إلى ما كانت عليه في صدرها الأول في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم، بحيث كان كل أحد إنما ينتمي إلى الإسلام، ولا ينتمي إلى مذهب، وكان كلّ أحد إنما يرجع إلى القرآن وإلى السنّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولم يكن يرجع إلى إمام من أئمّة المذهب، ثم أليس أوْلى بالنظر إلى أئمّة المذاهب أن يكونوا علماء في مجموعة واحدة، كلّها تنتسب إلى الإسلام، بدلا من أن يكونوا أحزابا موزّعين، كلّ واحد منهم ينتسب إلى إمام.

وما هو الرأي في من يدعو إلى أن تندمج هذه المذاهب جميعا في أصل الإسلام، وتتناسى الانتساب إلى أئمّة المذاهب؟ هل يعدّ من دعا إلى ذلك مصلحا أو غير مصلح؟، وإن كان غير مصلح فكيف يكون إصلاح الأمّة وجمْع شتاتها؟ وإن كان مصلحا؟ فكم ترون أنّ هذا الأمر يكلّف من جهود ومن أموال؟ وأيّ بلد أولى أن يكون مناخا لهذه الدعوة؟ بحيث تبذر بذورها فيه وتؤتي ثمارها فيه، والأسئلة كانت تدور حول هذا المحور.

وأنا ما اطلعت على إجابة العلماء إلا إجابة الإمام السالمي من عمان، بحيث أيّده على هذه الفكرة، وأيّده بأنّ الرجوع إلى الأصل وهو الكتاب العزيز والسنة

النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أوْلى بهذه الأمّة، وأنّ هذا الذي يجمع الشتات ويلمّ الشمْل ويقضي على هذا الخلاف ويجعل الأمّة، كما قال الرسول ﷺ: «ترى المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسَّهَر».

ولا ريب إن هذه الدعوة إن كانت تدلّ على شيء، فإنها تدل على أنّ الداعي إليها إنما كان يحمل هموم الأمّة جميعا، ويرى الأمّة كيف استُضْعِفَت، وكيف أُهِينَت، وقد أدرك أنّ التفاف الأمّة بعضها مع بعض هو الذي يرتفع بها ويرتقي بها، وأنّ الاختلاف هوالذي يمزّقها كلّ ممزَّق، ويُطْمِعُ أعداءَها فيها، وأنّ دعوة القرآن إنما هي إلى الوَحدة والتآلف، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويأمر الله ﷻ بالاتحاد، كما يأمر بالإيمان والإسلام، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

ويحذّر القرآن الكريم هذه الأمّة أن تنقلب إلى ما انقلبت إليه الأمم الأخرى من التفرّق والاختلاف والتنازع والتناحر والتدابر، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

إن من كان يدعو إلى هذا ولا سيّما في ذلك الوقت الذي كانت تتأجّج فيه العصبيّات، وكان كلّ أحد يستمسك بما وجد عليه أسلافه، ولا يريد أن يترك شيئا من ذلك أو يتسامح في أيّ ذرّة من هذا، لا ريب أن هذه الدعوة تدل على أن الداعية لم يكن يحمل هموم نفسه أو هموم أسرته أو هموم مجتمعه فحسب، أو هموم مذهبه فحسب، وأنما كان يحمل هموم الأمّة جميعا، فإذَنْ الأمّة بحاجة إلى أن تدرس تراث أمثال هؤلاء الأعلام، الذين كانوا يدعون إلى جمع الكلمة،

وألفة القلوب، ووحدة الصفوف، والتلاقي جميعـا على المنبع الذي جمع هذه الأمة في صدرها الأول، وهو الكتاب والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسـلام، فرحم الله علَمَنا العظيم، الذي دعا بهذه الدعـوة، ورحم أعلام الأمّة الذين دعوْا إلى الإصلاح ووحدة الصفّ وجمْع الكلمة.

ونسـأل الله ﷻ أن تمتدّ آثارهم، وأن تبقى هذه الدعوة دعـوة ظاهرة، وأن تؤتي ثمارها بعون الله وتوفيقه»[١].

وللباروني همـم عالية في الإصـلاح مادية ومعنوية، فقرّر أن يبني مدسـة ومستشفى، وأن يجلب مطبعة ويؤسّس جريدة.

أمّا المدرسة فهي في سمائل، التي كان يريد منها نموذجا ينطلق بعدها إلى بناء مدارس أخرى في المناطق، وقد جمع لها المال من المحسنين أهل الفضل والغنى، وأكثر مـا كان تمويل بنائها مـن زنجبار وله في ذلك رسـائل عديدة، نوردها كما هي لتكون حافـزا لأهل الخير في كلّ زمان ومكان، للتسـابق إلى الخيرات، والتنافس إلى الإحسان: «قل إن ربّي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين».

❊ ❊ ❊

(١) الملتقى التاسع بجامعة العلوم الاسلامية العالمية بالأردن بعنوان التواصل العماني المغاربي في العصر الحديث ـ سـليمان باشـا الباروني وحضوره فـي الثقافة العمانية الـذي نظمته وحدة الدراسـات العمانية بجامعة آل البيت بالتعاون مع مركز الدراسـات العمانية بجامعة السلطان قابوس وجامعة العلوم الإسلامية العالمية مساء الأربعاء ١١ ـ ٧ ـ ٢٠١٢.

(رسائل الباروني المتعلّقة ببناء المدرسة بسمائل)

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأجلّ الأكرم الفاضل الأخ الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. دام موفقا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شرّفني كتابكم، ومسألة المدرسة أجبتكم عنها، أرجو وصوله، وقد حصلت الموافقة من حضرة الإمام والشيخ عيسى، واستحسنت لها أرضاً قريبة من الأرض التي اشتريتها من مدّة لأبني بها بيتاً، وهذه الأرض وقْف فلزم تعويضها بمال أنفع وأحسن منها للوقف؛ ونحن بصدد ذلك، وبعد تمام المعاملة نباشر العمل في البناء. إن شاء الله. إلا أن أبزكربون أَلِفَ من العمانيين أن يقبض حوالاتهم يتّجر بها أولاً، ثم يعوّضهم عنها أرزاً وسكّرا وقهوة، وغير ذلك كما يريد، فهو إلى الآن لم يسلّم الحوالة مدّعياً أنها لم تصله، وخواصّه يقولون: وصلته من مدة، فاضطررت أن أكتب اليوم إلى سموّ السيد نادر في ذلك لعله يسلّمها له، والمرجوّ فيما بعد إرسال الحوالة باسمي، وأنا أكلّف مَن يقبضها من الشيخ محمد بن صالح الطيواني، ولا ترسلوا إلا بعد أن أعرّفكم بقرْب انتهاء الحوالة الأولى ويصلكم حسابها. والله الموفق المعين. وسلامي إلى الأخ الكامل ابنكم ناصر، ومن شئتم،

ومن هنا الولد سعيد والشيخ السعدي يسلّمان عليكم، إني في انتظار وصول العائلة، فقد رخّص من طرابلس، ووافقت بريطانيا على مرورها بأسكندرية وكراخي، فأرسلنا إليها تذاكر السفر (الباسات) من مسقط، وقد وصلني تلغراف من اسكندرية، يشعر بوصولها إليها، وبمناسبة تعطيل المدارس سيصحبها الولد سعيد المقيم في المدرسة العباسية الأميرية، من مدة ٧ سنين لا يؤذن له في

الخروج من اسكندرية، والآن أرسلنا إليه تذكرة سفر من مسقط، ودمتم في رعاية الله، وكل عام وأنتم في خير وهناء ٣ محرم ١٣٤٧ من أخيكم سليمان الباروني.

سلامي إلى الأخ الأجل الكامل الشيخ محمد بن سعيد الكندي، وأنا بانتظار وصوله لطلب الإمام، والشيخ عيسى إقامته في نزوى.

سليمان

* * *

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جليل المقام السّـرِيّ الفاضل الأخ الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. دام موفّقا معافى

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد: فقد كنت في نزوى للاجتماع الذي بلغكم بحضرة الإمام، ثم رجعت إلى سـمائل، وباشـرت بناء المدرسـة بحضور أعيان سـمائل كافة، ومئات من الفقـراء أكَلَ الجميـع الأرز باللحم، وشـربوا القهوة، جعل الله ذلك زيادة أجـر وثواب وبركة لكـم؛ وذلك يوم ١٤ جمادى الأولـى، والعمل مسـتمر كل يوم بنشـاط، لأن الحجـارة والصاروج المشـترى لذلك كثير. والله المعين. وقد أرسـلت إليك تلغرافاً قبل يومين في إرسال ألفي قرش بكل سـرعة، أرجو أنكم اهتممتم بذلك، لأن مرادي مواصلة العمل لأجل أن ينتهي حسب المراد قبل دخول وقت الحرّ، لأن الحركة فيه هنا صعبة، سلامي إلى أنجالك النجباء ومن شئت، ومن هنا الأصدقاء يقدّمون لكم التحية والشـكر على همتكم في إحياء البلاد بالعلم، ودمتم لأخيكم سـليمان الباروني. ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٧ هجرية.

سمائل

بلغني أنك سافرت للتداوي، أرجو أنك نلت الشفاء بإذن الله.

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأكرم الأجل الهمام حميد الخصال الأخ الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. زِيدَ قدره.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد: فإن العمل جار في المدرسة باهتمام إلا أن رغبة الإمام. أعزه الله. في توجّهي بصحبته إلى الجهة الغربية من عمان، لبعض مصالح اضطرتني إلى الامتثال فصحبته، وتوقف البناء إلى أن أعود، وأما سوق الحجارة وما يتبعها فمستمر، وقد قدّمت إليكم تلغرافاً، ثم كتاباً فيه إرسال ٢٠٠٠ قرش، وأجابني الشيخ الكندي على لسان نجلكم الفاضل بأنكم في السياحة، ولم تخبروه بإرسال شيء، ونرجو أنكم رجعتم، وأنتم في صحة وعافية، وأنا في انتظار الحوالة، وإذا كانت ٣٠٠٠ فأحسن، لأني سأضاعف الصنّاع والعمل وأحضر الأبواب والرواشن لتتمّ المدرسة؛ ونشتغل بمعدّتها العلمية كالكتب، والأدوات، والمعلّمين، ونلتفت إلى مسألة المستشفى. والله المعين.

سلامي إلى الأخوين الجليلين ناصر وحارث ومن شئتم، ومن هنا الإمام. أعزه الله. والمشايخ يسلّمون، ودمتم لأخيكم سليمان الباروني ٤ رمضان ١٣٤٧هـ.

* * *

الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأجـــل الأكرم الغيور في الدين والوطن الشـــيخ ســـليمان بن ناصر اللمكي. دام موفقاً.

عمان

الوزارة العمانية الجليلة

٣ صفر ١٣٤٧هـ سمائل

الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد: فقد كان شرّفني كتابك الأوّل المشعر بإرسالك ٢٠٠٠ روبية إعانة للمدرسة المأمول إنشاؤها في عمان لإحيائها. إن شـــاء الله. وقد أجبتك في الحال على يد الوالد الشيخ سعيد الكندي، شاكراً فضلك واهتمامك بما يعود بالخير على دينك ووطنك، وأخبرتك بأن لا ترسل غيرها حتى ننفق هذه ويأتيك حســـابها، وأرجو أن الكتاب وصلك، ثم عرّفتك بكتاب آخر في المحرّم لمّا صار بزكربون يماطل في تسليم الحوالة، مدعياً عدم وصولها ليتّجر بهـــا كما هي عادته مع أصحاب الحـــوالات العمانيين، لكن لمّا كتبت إلى حضرة السيد نادر، وســـأله لم يمكنه إلا تسليمها، وقد وصلتني وهي ألفان وخمسمائة وست وستون روبية، والمراد البناء فيها، لأنّ مبغضي الإصلاح الذين لا يربحون إلا من جهل الأمّة أحدثوا أموراً يريدون بها تعطيل المســـألة، لكنهم لم يتوفّقوا بعد أن وافق الإمام. أعزه الله، وحضرة الشيخ الأمير. والحمد لله. وقد شـــرعنا في جمع لوازم البناء كالحجارة والنورة، والخشب حتى يكون وضع الأســـاس مع يوم المولد تبرّكاً، وسنوافيكم بأخبارنا. والله الميسّر الموفق. وعند ارتفاع جدارها قليلاً نرسل إليكم رسمها. إن شـــاء الله. إن عمان لا تصير مرتّبة، ولا يمكنها التقدّم إلا بمدرسة، ومستشفى، ومطبعة، وجريدة، أمّا المدرسة فستتمّ. بإذن الله. وأمّا المستشفى والمطبعة والجريدة فستكون بعد المدرسة، إذ

من العار أن تكون مملكة ذات تاريخ جليل الشأن بها جميع أنواع الأمراض الفتّاكة، ولا مستشفى، ولا طبيب، ولا دواء فيها، وقد ورد في بعض الآثار: «أنه لا يجوز للإنسان أن يسكن بلداً لا طبيب فيه».

ومن العيب أن يكون مذهب ومملكة لا مطبعة لهما، وكلّما دعت الحاجة إلى طبْع شيء، ولوكانت رسالة صغيرة ترسل إلى الهند أو العراق أو مصر؛ وقد دخلت المطابع حضرموت مع بداوته، والكويت الصغيرة، وعمّا قريب تدخل البحرين وأين عمان الكبيرة!! نسأل الله التوفيق والإعانة، سلامي إلى الصديق القديم الأخ الشيخ ناصر، وإخوته الكمّل، والأخ الشيخ محمدالكندي، والشيخ سالم الرواحي، والشيخين عبد الله وأحمد ابني سليمان، ومن شئتم من الأصدقاء، ومن هنا سعيد وعيسى والشيخ السعدي يسلّمون عليكم، من أخيكم في الله سليمان الباروني.

❊ ❊ ❊

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب العزة الجليل الكامل الشيخ سليمان اللمكي النائب السلطاني. زيد قدره.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإني من أربعة أيام في تعب من الألم المعلوم، وقد انتقلت إلى المدرسة لأن هواءها أصفى من داخل البلاد، وقد حرت في هذه الحالة، والأمر الله.

شرّفني قبل أربعة أيام فقط كتابك المحرر في شهر رجب، وتعجّبت من تأخره إلى اليوم،

كما وصلني قبله بيوم واحد ١١١ قرشاً صرف الـ ١١٨ روبية، فشكرت فضلك. زادك الله بركة. وقد أرسلت إليك قبل هذا كتاباً داخله كتاب إلى الشيخ الكندي وفيه كفاية، أرجو وصوله واعذرني الآن في الاختصـــار، ولك الفضل، وأهنّئك بعيد الفطر المبارك، وكذا الأنجال المشـــايخ ناصر وحارث وإخوتهم والشـــيخ الكندي؛ ومن شئت والسلام.

من أخيك المخلص سليمان الباروني ٢٠ شوال ١٣٤٨ سمائل.

إذا أمكن تقديـم تحيتي لعظمـة السلطـــان الجليل وسمـوّ ولـيّ عهـده فأحبّ ذلك.

كنت كتبت إليكم على الاحتياج إلى ألـــف روبية أخرى لإتمام العمل، فإذا تكرّمتم بها أرجو إنها في الطريق على يد الشـــيخ محمـــد الطيواني، ودمتم في رعاية الله.

❊ ❊ ❊

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سمائل ٢٢ جمادى الأولى ١٣٦٨هـ.

حضرة نائب الســـلطنة صاحب الفخامة الشـــيخ الجليل ســـليمان بن ناصر اللمكي. وفقه الله.

الســـلام عليك ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد: فقد وصلت ســـمائل، وباشرت إتمام المدرسة ـ والله المعين. وقد تلاقيت مع الأخ محمد بن سعيد وأخيه الشيخ صالح وزارا المدرسة، وبيدهما الخريطة الموضوعة لها قبل البناء، وبعد التمام أرسل إليكم صورتها بالآلة المصورة.

وأرجو أن يكون ذلك قبل شهر رمضان. بإذن الله، وقد وصلني كتابكم الكريم تاريخ ١٨ ع١ الذي ذكرتم فيه حوالة ٢٤٠٠ روبية، ثم وصلني كتاب الشيخ الطيواني بوصول الحوالة إليه في مسقط، فلكم الشكر الجزيل، وزادكم الله بركة في المال والأهل، والسلام على الأنجال الكرام، ومن شئتم من الإخوان، وأرجو أن تقدّموا احترامي وتحيّتي إلى صاحب العظمة السلطانية، وسموّ وليّ عهده الأمير. حماهما الله ووفقهما. ومن هنا المشايخ والأصحاب يسلمون، ودمتم في رعاية الله. من أخيكم المخلص سليمان الباروني.

* * *

الرسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة نائب السلطنة الجليل سامي المقام الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. زيد قدره.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا وقد وصلت مسقط، واليوم في بوشر قاصداً سمائل، وقد وجدت كتابين من سعادتكم أحدهما مؤرّخ في صفر والثاني في ربيع ٢ ولعلّهما تعطّلا هنا في مسقط، وأرجو أن كتبي إليكم من العراق وصلتكم، وقد ذكرت لكم فيها عن إرسال القسط الأخير، وعلى قول الناس: إن البناء قد تمّ ولم يبق إلا الصَّلْح (الصقل، والأبواب، والسقْف) وسنباشر في ذلك حين وصولي. بإذن الله. وأرسل إليكم صورة الحساب ورسم البناء، وقد أهدت إليّ وزارة معارف بغداد للمدرسة جملة كتب مدرسية وخرائط، وكرة أرضية كبيرة عربية، وألواح، ورسوم كبيرة، قدّمت بعضها هديّة للمدرسة السلطانية بمسقط.

تحيتي إلى الأنجال الكرام، والإخوان الأفاضل كافة، وصاحب العظمة السلطانية ووليّ عهده الجليل. حماهما الله. والسلام من أخيكم المخلص سليمان الباروني. ٢٩ ربيع ٢ ١٣٤٨هـ.

* * *

الرسالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المقام السامي ذي السعادة النائب السلطاني بالمملكة الزنجبارية الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. دام كماله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد:

فقد قدّمت إليكم قبل هذا كتابا أرجو وصوله، إن صحتي تكاد تعود إلى ما كانت عليه قبل دخولي إلى مسقط وعمان. والحمد لله. إلا أن الأطباء، وبالأمس بعد المعاينة والتحقيق من أن الداء قد زال تماماً ولم تبق إلا بعض آثار له تزول مع استعمال الدواء مدة شهر آخر في بغداد، قالوا: ننصحك ألّا تعود إلى عمان، وإن كان ولا بدّ فبعد سنة على شرط تبديل الهواء في كل سنة خارجها، فاندهشت لما سمعت ذلك، وقلت: إلى أين المصير؟ فإني ممنوع من دخول جميع بلاد الله، ولم تبق إلا عمان، ولولا الملِك فيصل لما تحصّلت على رخصة الوصول إلى بغداد للتداوي، فقال أحد الأصدقاء: هذه أيضاً ويزة إلهية، المنع الأول كان من البشر، وهذا سماوي، فما الحيلة! وفي النهاية أخبرتهم بصفات الجبل الأخضر في عمان وهوائه وارتفاعه؛ فقالوا: لا بأس حينئذ أن تسكنه، فاستراح لذلك خاطري، وخرجت من هناك مضطرب الفكر، وأنا أكرّر قول القائل:

سيفتح بابٌ إذا سُدّ باب بلى وتهون الأمور الصعاب

وقصدت قنصلانيّة فرنسا، وقد كنت راجعتها على إعطاء رخصة لمدة شهرين لتبديل الهواء في الشام، ولما دخلت الدار وجدت الرخصة حاضرة، فشكرت الله على فتح هذا الباب الذي كان مغلقاً منذ سبع سنين، وتحققت صدق مآل البيت المتقدم. والحمد لله. الذي منّ باليسر بعد العسر، وقد كتب قنصل مصر كتابة طيبة في طلب الإذن لي في دخول مصر، والمأمول حصوله لأن المعارضين في السابق لدخولي إليها لم يكونوا الآن في شيء من مناصب الحكومة، والتيسير بيد الله، إني بعد شهر أو بعد ٢٠ يوما أقصد عمان لأن همتي مصروفة إلى إتمام المدرسة. بإذن الله.

وأرجو أن أجدها تامّة لأن البناء مستمر فيها تحت نظر وكيل من طرفي، فأرجو أن تتكرموا بإرسال الألفين الباقية حين وصول هذا إليكم حوالة إلى مسقط باسم القاضي الشيخ محمد بن صالح الطيواني، وإني عازم على إنشاء المستشفى. بإعانة الله. وربما أختار له مكاناً غير سمائل أحسن هواء، فإن حاجة البلاد إلى مستشفى وطبيب أشدّ من كل شيء وكبير، أمّا رغبة الأطبّاء هنا للوصول إلى عمان للتداوي والربح، فلم يرغبوا لعلمهم بعدم استعداد البلاد، وعدم وجود نظام فيها، وفقدان معدّات الراحة لمن يعلّم بها في المُدُن. والأمر الله.

سلامي إلى المشايخ الكرام أنجالكم والإخوان كافة، وأرجو عرض احترامي إلى جلالة السلطان المعظم وولي عهده الجليل؛ كما أرجو أن تذكّره إذا أمكن بالتفضل ببعض كتب المذهب المطبوعة في المطبعة السلطانية للمدرسة، كما ذكرت لك سابقاً لينال ثوابها، ويحفظ له التاريخ العلمي ذكرها. ودمتم في رعاية الله.

٣ ربيع الأنور ١٣٤٨هـ من أخيكم سليمان الباروني.

يعلم الله كم كان سروري وابتهاجي بين العراقيين عظيماً، إذ شاهدت رسم جلالة السلطان وولي عهده باللباس العربي الجميل في أثناء سياحته إلى لندن،

وهكذا يجب على ملوك الإسلام المحافظة على تقاليدهم التي لا عيب فيها، والتي تدل على الثبات، والإخلاص.

وفقه الله وأعانه..

أرسلنا حوالة نمبر ٢٢٠٩ بواسطة صيته ليلاً فيها ٢٩٠٠ ربية ألفين وأربعمائة ربية في ٢٨ اسبتمبر ١٩٢٩ موافق ٢٣ ع ١٣٤٨/٢هـ.

* * *

الرسالة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السعادة المحسن الجليل الأخ الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي. دام في عافية موفّقا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد: فإني الآن قد تحسّنت حالتي من المرض الذي يعاودني مدة إقامتي في عمان، وقد شرّفني كتابك الكريم في إرسال القسط الثاني من ٢٠٠٠ وقد وصل، وأنا في غمرة من المرض عاجز عن الكتابة والقراءة، وإذ تحسّنت حالتي قررت الوصول إلى العراق لتبديل الهواء والتداوي، وتركت من يقوم مقامي في تسليم دفترالانتهاء، والملاحظة كل يوم، وأملي أن أعود بعد شهر ونصف. إن شاء الله. وأجد الطبعة الأولى تامة كما يلزم، تفتح المدرسة يوم المولد الشريف تبركاً، وسأفكّر في مسألة معلّمي الحساب، والجغرافيا، والتاريخ، والخط، وأنا في بغداد، وربما أطلب أحد أصحابنا الإباضية لذلك من مصر أو تونس. والله الميسّر.

وقد عزمت على جعل مكتبة فيها للمطالعة، واشتريت جملة من كتب المذهب المعتبرة في عمان، وأفكّر في الكتابة إلى عظمة السلطان السيد

خليفة بعد تشريفه من أوروبا أن يتفضل بما أمكن من كتب المذهب المطبوعة في المطبعة السلطانية كقاموس الشريعة، والهيميان، وإذ ذاك أكتب إلى سعادتك لرغبة في ذلك فتنال الثواب من الجهتين. والله الموفق. سلامي إلى النجلين الكريمين الشيخ ناصر والشيخ حارث وإخوتهما؛ ومن شئت، وقد وصلت العاصمة مسقط بالأمس وأبى سمو السيد سعيد وليّ العهد أن أكون إلا ضيفه إلى أن تحضر الباخرة القاصدة إلى البصرة. جازاه الله خيرالجزاء ووفقه. أمّا ما ذكرته في كتابك من أقوال بعض من لا خلاق لهم، واعتراضاتهم على البناء، فأمر يطول شرحه، لكن العمل مستمر. والحمد لله. ولا عبرة بالأقوال، ودمتم في رعاية الله محفوظين من أخيكم المخلص سليمان الباروني.

❊ ❊ ❊

الرسالة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة النائب السلطاني الشيخ الجليل سليمان بن ناصر اللمكي. وفقه الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، كما علمت وصلت سمائل، وصحّ قول الأطباء الذين نصحوني ألّا أعود إلى عمان في الوقت القريب، لكن شغلني أمر البناء وإتمامه، فرجعت وعاد الألم عينه بعد وصولي بشهر ونصف، وأتعبني إلا أنه هان باستعمال الدواء الذي استصحبته، والآن صحّتي في تحسّن، وسأداوم على الدواء إلى أن يتمّ البناء، وأسافر قبل رمضان، وربما يكون إلى مصر، لأن حكومتها أذنت لي في الإقامة ثلاثة أشهر لتبديل الهواء ورؤية أشغالي، وأملي ألا تطيل مدة الإقامة بعد حضوري بنفسي، ومراجعتي للحكومة بواسطة

الأصدقاء. والأمر الله. ما شاء فعل، قال لي بعض أدباء بغداد: لما سمع بنصيحة الأدباء: «إن الدول منعتك من المغرب كله، والآن يمنعك الله بوسيلة المرض من المشرق فإلى أين تنتقل؟».

تحيتي إلى الأنجال الكرام والمشـــايخ، ومن هنا الشـــيخان أحمد بن حامد الراشدي والشيخ خلفان السعدي يسلّمان.

من أخيك سليمان الباروني. ٢٧ ج ٢ ١٣٤٨هـ.

رأيت أن أذكّركم بوطنكم العزيز، الذي لا زالـــت أياديكم البيضاء تخدمه، فأرسلت إليكم مع الشـــيخ الأخ محمد بن سعيد أربع عمائم من صنْع (صْيَا) إذ بلغني أنها مقبولة ومرغوبة في جهتكـــم. فالمرجو أن تصلكم وتتفضّلوا بقبولها تذكاراً للأنجال النجباء، ودمتم في عناية الله.

هذا وقد أشـــارت جريـــدة وادي ميـــزاب الجزائرية في عددها الســـابع والتسعين ربيع الأول من سنة ١٣٩٧ هجرية، وهذا نص ما ورد: «قال مكاتبنا الفاضل من عمان، بعد شهر فاخر يشـــرع في بناء مدرسة لترشيح المعلّمين المقرر إنشاؤها على الأسلوب. النمط والطريق. العصري بناء وتعليما، وقد تبرع لها أحـــد أفاضل مملكة زنجبار بســـتمائة جنيه ذهبـــاً أي ما يقرب من ٨٠ ألف فرنك.

لا يزال الضعف من المرض الذي أصاب الشـــيخ الباروني ملازماً له، وقد طلـــب كثيرا الاستشـــفاء، ورحل بالهواء فـــي بعض الشـــطوط الهندية ككرجي وبمباي، فلم تســـمح له بذلك صحته ثم تمهّل الشـــيخ الباروني، وقد تحسّنت صحته قليلا» اهـ.

الباروني واهتمامه بالإصلاح:

هذه الرسائل العشر من الشيخ الباروني حول بناء المدرسة، وقد ظهرت جهوده الخيّرة، واهتماماته المستمرّة حول التحديث والتطوير في رفعة عمان، وكذلك اهتمامه ببناء مستشفى ومطبعة، ويرى أن ذلك من ضروريات الحياة في هذا العصر، وإن كان في المقابل من يعارض توجّهاته وهممه، ويراها من باب التغيير والتبديل العصري الذي لا يجوز، خوفا من الزيادة في الانفتاح، والبعد عن منهج السلف، والاكتفاء بتسيير الدولة تسييرا محافظا، ويرى الشيخ الباروني أن هذا النظر قاصر لا يصلح إلى إدارة دولة تبقى ثابتة الأركان، ولذلك نراه في بعض خطاباته من غير هذه الرسائل يشتدّ في نقد تلك المواقف المحبّطة عن التقدّم، فالرجل خَبَر الحياة وحلَب الدهر أشطرَه حلوه ومُرّة، والعمانيون في ذلك العصر بعيدون عمّا عايشه هو أو كافح ونافح من أجله، ومهما بلغت طموحاته من إتمام تنفيذ ما خِطَطه، أو اعترضته عوارض الدهر والحياة، فإنّ له ثوابه وأجره فيما كان ينويه، ويقوم به.

ومن رسائله التي كان يبعثها من سمائل لمحبّيه في وادي ميزاب بالجزائر في إصلاحاته وجهوده:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

سمائل

٩ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ

جناب الأخ الأجل الفاضل الحاج عمر العنَق، دام موفّقا آمين

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، إني في خير ولله الفضل، تلقّيت كتابك المؤرّخ في ٢٤ صفر بكل سرور، إذ دلّ على صحتك وتحسّن أحوالك، وهناء البلاد وخصْبها وراحة الإخوان والحمد لله على ذلك كثيرا، إني في اجتهاد

في تنظيم المملكة، مبتدئا بماليّتها التي كانت ضائعة، وبعد حفْظها أباشر العمل في غيرها، وعلى كل حال اطّلعتم على تنويه جرائد العراق ومصر بأمر عمان، والله المعين.

في هذه الساعة وصلني عدد من جريدة وادي ميزاب الغرّاء، فامتلأت أفئدة الجميع سرورا واستبشارا بطلوع بدْرها أدامها الله خادمة الإسلام والشعب، فأبلغ تحيتي وتهنئتي للأخ الهمام... إلخ».

❊ ❊ ❊

ومن ذلك رسالة أخرى منه للمذكور، وهي تعرب عن جملة من إصلاحاته.

وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجَنَاة ـ ٢٨ رمضان ١٣٩٥هـ

جناب الأجلّ المحترم الأخ الوفيّ الحاج عمر العنق زِيدَ قدْرُه. السلام عليك ورحمة الله وبركاته، إني في صحّة تامّة ولله الفضل، وقد عدت من سياحة أجريت فيها بعض مصالح، واليوم بمركز وادي بني رواحة قاصدا سمائل مؤقّتا، وقد كتبت إليك غير هذا بواسطة «وادي ميزاب» الأغرّ أرجو أنه وصلك.

❊ ❊ ❊

وإلى هذا المشروع الجليل يشير إشارات خاطفة في رسائله المتوالية، وفيما يلي نورد نماذج منها:

منها رسالة منه إلى أخيه ـ هذا ـ مؤرّخة ـ في ٢٠ رجب ١٣٨٧هـ

وهذا نصها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

جناب الأجل الأستاذ الكامل السياسي الأخ... زِيدَ قدْره

السلام عليك ورحمة وبركاته

أكتب إليك هذه الأسطر مع تعب لملازمتي الفراش منذ شهر بعد رجوعي من نزوى من الألم المعهود، أمّا عيسى منذ شهر لم يبارح غرفته، وهذا حالنا مع هواء عمان والأمر لله.

أمّا بناء المدرسة مستمرّ من يوم رجوعي من نزوى، نسأل الله الشفاء والإعانة، حصل لي الإذْن من ملك العراق في الوصول إلى بغداد للتداوي، حيث منعت بريطانيا دخولي إلى كراتشي والهند، وسأذهب إلى بغداد إن شاء الله في أواخر رمضان، بعد إتمام الطبقة الأولى من المدرسة، لأنّ هذا الألم أتعبني ولازمني وأخاف عاقبته، والله الميسّر.

ودم سالما لأخيك: سليان الباروني».

* * *

ومنها رسالة الحاج عمر العنق مؤرخة في ١٥ رمضان ١٣٤٧هـ

وهي تفيد الاستمرار في بناء المدرسة وسفره صحبة الإمام لتفقّد بعض الحصون رغم ما هو عليه من المرض، وهذا نصّها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

... أحرّر لك هذا بقلم الرصاص وفي هذه الورقة وأنا في الطريق عائد إلى سمائل صحبة حضرة الإمام أعزّه الله من تفقّد بعض حصون الجهة الغربية.

وقد طالت المدة ولـــم أرَ منك خطابا، كما إني لـــم أكتب إليك لأني كنت ملازما للفراش مدة ٤٠ يوما، ثم حصل الشفاء والحمد لله، وبناء المدرسة مستمرّ، وعمّا قريب تصلني آلة الرسم وأرسل اليكم صورتها ولو قبل تمامها.

تفصيل بعض الحوادث في كتابي إلى الأخ الأســتاذ أبي اليقظان، فاعذرني الآن، وإني سأصل الى العراق للتداوي، فإنّ الملك فيصلا أرسل إليّ إذْنا، ودمْ سالما لأخيك المتشوّق إليك وإلى ذلك القُطْر العامر.

سليمان الباروني».

* * *

ومنها رسالة أخرى لأخيه هذا ـ من بغداد مؤرّخة في ١٨ صفر ١٣٤٨هـ

تتضمّن إرجـــاء إصلاحاته عامّة في عمان إلى أن يســتأصل داء مرضه حتى يتفرّغ لها بقوة.

* * *

وهذه رسالة أخرى:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

... وصلت بغداد وباشـــرت التداوي وصحتي في تقدّم مطّرد يوميّا والحمد الله، وعلى رأي الدكتور سأقيم هنا نحو شهر آخر، حتى يستأصل الداء ويخرجه من مكامنه في الجسم.

ولعلّ بعد هذا يمكّنني الإقامة بعمان بهناء، ويمكّنني القيام بعمل نافع جدّا، أمّا على حالتي الأولى التي كانت لا يمرّ عليّ شـــهر قـــطّ وأنا صحيح فلا أقدر على عمل وصحتي في كلّ وقت مهدّدة بخطر.

ومتى يبرز ميزاب: بشّروني، ودمتم في رعاية الله.

بغداد ـ أوتيل دار الضيافة العراقية سليمان الباروني».

ومنها رسالة أخرى منه لأخيه هذا أيضا مؤرخة في ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨هـ، وهي تتضمّن الأخبار بإتمام بناء المدرسة والبيت وغير ذلك وهذا نصّها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

السياسي المحنّك العلّامة الأستاذ، دام كماله، سلاما واحتراما.

إني في خير لولا ملازمة الألم المعهود، وإني أستعدّ للسفر ولا أدري الآن إلى أين ?، والله يقدّر الخير، قد تمّ بناء المدرسة والبيت، وسأرسل اليكم رسم المدرسة، أهنّئكم بعيد الأضحى المبارك أحياكم الله لأمثاله أعواما كثيرة في عزّ.

شرّفني كتابك المؤرّخ في ٣ شوال، وساءني تعطيل الجريدة «ميزاب» في مهدها، والأمر لله يفعل ما يشاء.

أكتب اليك هذا العيد وأنا في تعب من الحمّى والحمد الله.

سلامي إلى الإخوان كافة

من اخيكم سليان الباروني».

❊ ❊ ❊

ومنها رسالة أخرى إلى المرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨هـ وهي مصحوبة ببعض رسوم المدرسة بعد تمام الطبقة الأولى منها كما تفيد عزمه على السفر لاستصحاب معلّم أو معلّمين معه لها.

وهذا نصّها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

قدّمت إليك غير هذا أرجو وصوله، وهذه صورة المدرسة مصغّرة على ما فيها لعدم توفّر لوازم أخذ الصور هنا.

وإني أستعدّ السفر عند وصول أوّل إذْن لي من إحدى الدول الثلاث، ولعلّي أتوفّق إلى استصحاب معلّم أو معلّمين عند رجوعي.

أمّا الآن فسأتركها مغلقة والله الميسّر المعين. الخ والسلام من أخيكم سليمان الباروني».

وقد كتب بعض المرجفين عن إغلاقها ما كتب فأجابه الباروني باشا عن شُبَهِهِ بما يلي:

حضرة مدير جريدة الفلق الغرّاء، سلاما واحتراما

أمّا بعد: فقد قرأت في عدد من الفلق ما كتبه إليكم مخابركم الفاضل من مسقط من أن مدرستنا التي في سمائل أصبحت مناخا للإبل، ثم قرأت في عدد آخر ما كتبه إليكم من إشاعة اعتزالي أمور عمان وعزمي على الإقامة بمسقط، ولكون الخبرين مبالغا فيهما أبيّن لكم الحقيقة:

وهي أن افتتاح المدرسة تأخّر لأسباب لا حاجة إلى بيانها، وهي مغلقة الأبواب ولا يضرّها الانتظار!

فقد بقي آدم عليه السلام أربعين سنة (على قول) صورة من طين ثم نفخ الله فيه الروح، فعمرت بذرّيّته الكرة الأرضية، وسينفخ في المدرسة من روحه بعد سنتين من تشييدها، فتشرق منها شمس العلوم وتحيا المملكة العمانية إن شاء الله.

نعم وصل إليّ نحو مرّتين المشايخ أنجال الأمير الشيخ عيسى للمذاكرة في مصالح وطنية، ووصل إليّ العلّامة ناصر بن راشد الخروصي وغيره لذلك أيضا، ولكون المدرسة في مكان طلْق الهواء خارج البلد، استحسنوا أن يكون مبيتهم ومذاكراتنا هناك، وصادف وصولهم مرة أيام المولد النبوي، فأحيينا ليلته مع جملة من الأفاضل على سطْحها، هذا ما كان.

وأمّا إشاعة اعتزالي أمور عمان فقد راجت على إثر تقريري عزل ونقل بعض عمّال وقضاة هم حَجَر عثرة في طريق الإصلاح الذي تنشده الأمّة، فلم يوافق الإمام أعزّه الله على ذلك، بل عزل بعضهم وأعاده بسرعة، وتقريري تأديب بعض جُباة عبثوا بأمر الزكاة، فهربوا والتجأوا إلى عظمة الإمام، وهو في نزوى فأعادهم مكرَّمين.

وفي هذا الأثناء ورد تلغراف في وصول عائلتي بغداد قاصدة إليّ من طرابلس الغرب، فأسرعت المسير إلى مسقط، فتوهّم من لا علم له بخبر العائلة ما بلغكم في سرعة البرق، ثم زالت الأوهام بوصول العائلة، وإذ لم يساعدها الهواء وأصيبت بحمّى الملاريا، عادت إلى بغداد في الأسبوع الماضي صاحبتها السلامة.

وأنا أستعدّ للرجوع إلى سمائل إن شاء الله. ودمتم موفّقين

مسقط ١٢ شوال، سليان الباروني».

من هذه الرسالة تتبيّن لنا رائحة العتاب في أمر بعض العمّال وهم الولاة، وكذلك في بعض جُباة الزكاة، ولكن بأسلوب راقٍ محترَم، يليق بالمعاتِب لكونه من العلماء المصلحين العاملين، الذي يعرفون أن طاعة وليّ الأمر من طاعة الله ورسوله، وبالمُعاتَب وهو إمام المسلمين، العدل الوليّ الرضيّ، ذلك لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ خبير بالأمر من جميع جوانبه ومآلاته، وربّما أورث عزل هؤلاء ضررا أكبر، يقدّره الإمام ويعرفه، أو أنه لم يظهر له من الأسباب ما ظهر للشيخ الباروني، وإلّا فهو محلّ ثقة كبيرة مع الإمام، وقد أوكل إليه الإصلاح وقبض بيت المال، وتلك وظيفة عظيمة، قال تعالى في يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال الشيخ أبو اليقظان:

«وأمّا الجيش فقد رسم له الخطوط الرئيسية كذلك وصرف له عنايته الخاصة، وبدأ بقلعة سمائل فنظّم دفاتر حصَر فيها الذخائر الحربية ودفاتر لتنظيم العسكرية، وأخذ في تجديد السلاح لها وفي تفقّد القلاع والحصون بالمملكة، ورأى أنّ الجيش في حاجة أكيدة إلى التدريب العسكري على النظام الحديث، وأنه في حاجة لبلوغ هذه الغاية السامية بالجيش إلى جلب الضبّاط من الخارج.

ولكن أمراضه المزمنة كانت أمامه عقبة كأْدَاء في أيّ إصلاح، وأنه كما رأيت لا يهنأ له عيش ولا يقوم بأي عمل ما لم يستأصل ذلك المرض من مكامنه بجسمه الكريم.

وأمّا الصحّة فإنه كذلك كان مشروعها ضمن برامج إصلاحاته من بناء المستشفيات وجَلْب الأطبّاء لها، وقد بدأ فاستدعى دكتورا حاذقا كان من أحبابه وأصدقائه منذ الحروب الطرابلسية ١٩١١ ـ ١٩١٩م وهو الدكتو فؤاد بشير الشامي.

ولكن ما كاد يدخل عمان حتى غشيته غاشية حمّى الملاريا الخبيثة، فنشبت مخالبها فيه فتوفّي بسمائل.

وكان مصابه على الباروني باشا ورجال عمان عظيما وخَطْبه جسيما، ومن هنا توقفت أعمال الباشا أيضا في هذا الصدد والأمر لله»[1].

أقول: فللّه دَرُّه من مجاهد مخلص لأمّته الإسلامية، فهو كالغيث حيثما وقَع نفَع، فمحاولاته للإصلاح في عمان كبيرة، ولكن إرادة الله فوق كلّ إرادة، فهو مدبّر الأمور ومسيّرها.

(١) أبو اليقظان، الباروني في أطوار حياته ج٢ من ٢٩ إلى ٥٢.

ومن هذا المبنى انطلقت أوّل مدرسة نظامية في سمائل في بداية عهد السطان قابوس، إذ كان الشيخ سعود بن علي الخليلي هو وزير المعارف.

ومن مخاطبات الشيخ الباروني فيما يهمّ الحجّاج من توصيات وإرشادات خطابه هذا:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

إلى حضرة الأجلّ الهُمام الأخ الشيخ سالم بن محمد الرواحي ـ سلّمه الله.

كنتُ كتبتُ إليك أن تطلع إخواننا حجّاج عمان والزنجبارعلى كتابي إلى حجّاج إخواننا المغاربة، لكن لـمّا اطّلع عليه حضرة الإمام أعزّه الله، أمرني أن أكتب إليكم نسخة منه وهو هكذا:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمّا بعد: فإنّ الله قد مَنَّ عليكم بنيل فضيلة الحجّ الشريف، وسهّل لكم طُرُقَه في هذا العام، حتى تمكّن أهل المشرق والمغرب في الملاقاة والتعارف، فتعارفوا وتزاوروا وتَهادُوا وتحابّوا، وليكرمْ بعضكم بعضا بالضيافة المعتادة، فإنّ في ذلك جمْعا للقلوب، وتناصحوا وليرشدْ بعضكم بعضا في هذه المدّة الوجيزة التي أنعم الله عليكم بالاجتماع فيها، في أقدس بقاع الأرض وأطهرها، مهبط الوحي ومهْد النبوّة..... واعتنوا بالنظافة في مأكلكم ومشربكم وملبسكم ومسكنكم وأبدانكم، فإنّ في ذلك وقاية من الأمراض بإذن الله، والنظافة من الإيمان، ولأنفسكم عليكم حقّ، فحافظوها من كلّ ما يعود عليها بالضرر، ولا أضَرَّ من الأوساخ للصحة والله الواقي.

ولتكن حركاتكم مدّة إقامتكم في البلاد المقدّسة موافقةً لقوانين الحكومة المحليّة المطابقة للحق، واجتنبوا بقدْر الإمكان ما يكدّرها، وراجعوها برفْق فيما تضطرّون فيه إلى مراجعتها بواسطة عقلائكم الممارسين لأحوال الحكومات،

ولا تنفّروا أصحاب الفِرَق الأخرى من أنفسكم بعدم إرشادكم إيّاهم إلى ما يسألونكم عنه من حقائق المذهب، وأحيلوا الجواب في ذلك إلى أعلمكم هناك، ولا تغضبوا ولا تنازِعوا أحدا لمجرّد استفهامه منكم عن صلاتكم مثلا، فإنّ الكثير من الناس يتشوّقون إلى الوقوف على حقائق المذهب، ولا تظهروا لأحد فقركم أو ضعفكم أو فقر بلادكم أوعدم اتفاق جماعتكم، فإنّ ذلك ينقصكم في نظر الناس ويذهب بهيبتكم.

والمرجوّ أن لا تنسونا من دعاء الخير في كل موقف وقفتم فيه داعين الله العليّ الأعلى.

هذا وإمامُنا المعظّم العدْل محمد بن عبد الله الخليلي أعزّه الله يقدّم إليكم سلامه، وفي نصيحته الحكيمة التي أرسلها إليكم كفاية إن عملتم بها.

والله المسؤول أن يتقبّل أعمالكم الصالحة، وأن يجعل حجّكم مبرورا، وأن يعيدكم إلى أوطانكم سالمين، وأن يمُنّ على الجميع بحُسْن الخاتمة والسلام.

من أخيكم سليمان الباروني النفوسي الطرابلسي ٤ شوال ١٣٤٧هـ».

(لاحقة خير)

إلى حضرة إخواننا الأجلّاء الأفاضل حجّاج عمان والزنجبار، وفّقهم الله.

السلام عليكم ورحمة الله، أمّا بعد: فهذه نسخة من كتابي إلى إخواننا حجّاج المغرب، أمرني الإمام أعزّه الله أن أكتبها إليكم، لأنّ ما فيها من الكلام لائق بكم أيضا لتعملوا بها، والله الموفّق المسؤول أن يمتّعكم بالصحة وقبول حجّكم ورجوعكم إلى أوطانكم سالمين، آمين، والسلام.

من أخيكم سليمان الباروني النفوسي.

سمائل.

ومن الرسائل الباروني المهمّة التي يتحدث فيها عن أخبار العالم ومآسيه ويطلع عليها العلماء في عمان هذه الرسالة:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

جناب العالمين الهمامين، بركة المذهب الوالد الشيخ ماجد بن خميس، والرئيس الأخ الشيخ إبراهيم بن سعيد، أسعدهما الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إني أحمد الله في عافية، وقد شرّفني كتابكم الكريم، فضاعف أُنْسي، ولم تحدث أخبار غير القديمة، فالحرب مستمرّة في الشام، وربّما ينالون من فرنسا استقلالهم، لعجزها كما يُشَمُّ من كلام الجرائد، وفي المغرب لا تزال الحرب قائمة تحت رئاسة أحد زعمائهم.

أمّا الأمير عبد الكريم فقد نقلته فرنسا إلى جزيرة قريبة من الزنجبار.

حكومة التُّرْك الملحدة الملعونة تجاوزت الحدَّ في شنْق العلماء والعظماء من التُّرْك المتمسّكين بالدين، والمشانق منصوبة في كلّ مكان، والقتل دائم والأمر لله.

ابنُ السُّعود أرسل ولده الكبير إلى مصر، وولده الثاني إلى عواصم الدول الكبيرة، وعيّن بعض قناصل في أوروبّا إشهارا لنفسه، وقد قتَل الذين تآمروا عليه في مكة، وهم من أقاربه والمقرّبين عنده.

أبطل الإنجليز عسكر العرب من البحرين وأنزل فيها عسكره، والمناور محيطة بها، أمّا أهل دبيّ ومن معهم فمستبشرون بما يبلغهم من نهوض عمان وعزْمها على التنظيم، وقد وردت منهم كُتُبٌ ونَظْمٌ، وكذلك وردت كُتُبٌ من بعض أكابر فارس.

أرجو دوام مواصلتكم، والسلام على الإخوان الأفاضل كافّة.

من أخيكم سليمان الباروني».

الباروني والمهمّات الخارجية عن الإمام والسلطان:

كان للشيخ الباروني مكانة كبيرة مع السلطان تيمور والإمام الخليلي، ممّا جعلهما يندبانه عنهما في مهمّات خارجية، ومن ذلك بَعْثُه للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملِك نجْد وتوابعها في ذلك الوقت لقيام الحرب بينه وملك الحجاز عليّ بن الحسين، فكتب السلطان تيمور رسالة في هذا الشأن وهي:

«من تيمور بن فيصل إلى حضرة صاحب العظمة سلطان نجْد وتوابعها أخينا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لا برح في رُقِيّ وإجلال.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»،

أخوكم يحمد الله الواحد الأحد بحال يسرّكم، ويرجو من الله أنكم بحال يسرّ إخواننا المسلمين، ومنذ برهة من الزمن انقطعت بيننا المكاتبات الودّية فعساه الشاغل خيرا.

أما الباعث على طرفنا هذا الوداديّ هو أنّ حامله جناب الشيخ الجليل عندنا سليمان باشا الباروني، أحد رجال الإسلام ومن علماء مذهبنا، قصد السفر إلى مركز عدلكم الذي أضاءت أنواره أقصى ممالك الإسلام، فلزم تجديد مراسلات الصداقة وروابط المحبة بيننا، ولا شكّ في أنها لا تتغيّر.

وبهذه المناسبة أتشرّف أن أصرّح لعظمتكم بأنّنا في كدَر وأسَف عظيمين من استمرار الحرب حول بيت الله الحرام بين إخوان مسلمين، كلّ منهم يعظّم البيت المقدّس ويحترمه، نسأله تعالى أن يوفّق الجميع إلى الوصول إلى طريقة حلّ تحقن الدماء وترضي أهل الإسلام جميعا.

وحيث إن حامل كتابنا هذا هو على ما نحن عليه من الكدر، كلّفناه بأن يعرب لعظمتكم عن أحاسيسنا الدينية توضيحا لما كتبناه هنا، فالمرجوّ اعتماد

كلامه في هذا الصدد فإنه الثقة الأمين، ولا شـكّ في أنّ لكم الخبرة التامّة فيه وفي أمثاله، وله تفانٍ وتضحية في كلّ ما يتعلق بإصلاح حال الأمّة الإسلامية.

وفي الختام أتمنّى دوام علائق المودّة الخالصة وقبول احترامي..

رمضان سنة ١٣٤٣هـ».

وفي المقابل بعث السـلطان مع الباروني رسـالته الثانية في التوقيت نفسه للشريف علي بن الحسين ملك الحجاز يقول فيها:

«من تيمور بن فيصل إلى حضرة صاحب الشرف العالي أخينا الملك الشريف علي بن الحسين المحترم، دام إقباله وإجلاله السلام عليكم ورحمة الله..

أمّا بعد: فإن أخاكم يحمد الله جلّ شأنه في عزّ من فضله تعالى، يرجو أنكم في صحة تامّة مؤيّدين بروح من مالك المُلْك، متوَّجين بالفوز في كلّ حركة فيها راحة إخواننا المسلمين آمين.

حامل كتابنا هذا هو الوجيه المحبوب لدى الدولتين المحترم الشيخ سليمان باشـا الباروني، أحد علماء مذهبنا ومن رجال الإسلام المعروف لديكم شخصا وعملا، متوجّه إلى سـاحة ملككـم مضحّيا خِدْماتـه فيما فيـه مصلحة الأمّة الإسلامية، ولديه إخلاص كامل لسـيادة والدكم والدنا، وقد أصحبناه كتابنا هذا لينوب عنّا في عرْض إحساسـاتنا وتألُّمِنا العظيم ممّا لا زلنا نسمعه من استمرار الحرب حول حرم الله المقدّس بين إخوان مسلمين كلّهم يدينون بتعظيم بيت الله الحرام وشعائره المقدّسة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نسـأله تعالى أن يلهم الجميع ما فيه حقن الدّماء وسـرور العالم الإسلامي ووقاية الأماكن المقدّسة من كيد الكائدين، وحيث إن الحامل المذكور لرسالتنا من الثقاة الأمناء عندنا، فلا حاجة إلـى التوصية على اعتماد ما يبديه لديكم من الفكر فيما فيه الصلاح، كما نلتمس من جلالتكم التنزّل إلى تسـهيل ما يعسـر

عليه في هذا السبيل، فإنه وأمثاله الذين حاربهم الدهر ولا يزال حربا لهم ممّن يجب أن تسهّل السُّبُل أمامهم ليقوموا بخدْماتهم الخيرية الإسلامية.

وفي الختام أرجو دوام اتصال حَبْل المودّة المتين، وقبول احترامي الخالص والسلام..

١٢ رمضان ١٣٤٣هـ».

وكما بعثه الإمام الخليلي حول المؤتمر الذي سينعقد في مصر في موضوع الخلافة وقال في رسالته:

«من إمام المسلمين بعُمَان محمد بن عبد الله الخليلي، إلى جناب المجاهد في سبيل الله الغيور في دين الله أخينا الشيخ سليمان الباروني وفّقه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حيث إنّ العالم الإسلامي في اضطراب واهتمام بقضيّة الخلافة والأماكن المقدسة، فقد تقرّر على ما بلغنا مؤتمر لأجل ذلك، فإنا نكلّف جنابك باسم الأمّة العمانية أن تحضر هذا المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض السامي في مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية، وليكن رأيك في مسألة الخلافة مطابقًا لقواعد الشرع الصحيحة وهي لا تخفى عليك.

أمّا مسألة الأماكن المقدّسة فليكن رأيك فيها مبنيّا على حمايتها من عبث العابثين بها، ووقايتها من تسلُّط كلّ يد أجنبيّة عليها، مهما كانت مقاصدها وصبغتها، وقد استحسنّا جِدّا تكليف السلطان إيّاك بالتوجّه إلى الحجاز مندوبًا من طرفه وحاملا كُتُبَ نصيحة منه إلى المتحاربين حول بيت الله الحرام، فنِعْم الرأي رأيتماه، فإنّ المسألة من أهمّ ما يجب أن يهتمّ به كلّ مسلم، وإنّنا لا نزال في شُغْل من ذلك، والمنتظر من جنابك موافاتنا بالأخبار الصحيحة بدون

فاصلة، والله تعالى نسأله أن يوفّقك والمسـلمين أجمعين إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم آمين..

رمضان المعظم ١٣٤٣هـ».

والمؤتمر موعد انعقـاده في مصر عام ١٣٤٤هـ، وقد تلقّى الشـيخ البارونـي دعوة من شيخ الأزهر للحضور، ولكن دول الاستعمار سدّت الأبواب أمامه فلم يتمكّن من الحضور.

البارونـي والمهمّات الداخلية بعمان:

ولمّا كان البارونـي مع السـلطان يبعثه أيضا في مهمّات داخلية، يتبيّن ذلك ممّا كتبه الأديب حمود بن سالم السيابي، حيث قال:

المجاهد سليمان البارونـي والشـيخ علي بن عبد الله الخليلي والوالد في مهمّة سلطانيّة لحصون الباطنة

بقلم/ حمود بن سالم السيابي

من جبال نفوسـة التي غلبت الروم من جديد، انسلّ سـليمان البارونـي من غِمْد الارض النازفة بالمقاومة.

جاء بنَزَق الثوّار وثبات المجاهدين ولم يرتدّ إلى غِمْده أبدا.

كان عمر المختار الحقيقي الأجدر ببيت شـوقي (ركزوا رفاتَك في الرمال لواءَ)، إلا أن الالتباسات السياسية أنتجت شـخصا آخر، وصنعت عُمَرا مقاوما آخر، فدفعته إلى الواجهة، فكان عنوان المقاومة البديل لمدّ جهاديّ توارى.

حمل الرجل أحلامه إلى شـطآن بحر عمـان، بعد أن كابد مكْـر الطليان، وأحابيل سـلاطين آل عثمان، وتيمّم شطر نزوى بيضة الإسـلام، حيث يتلألأ وجهها بشمس الرضيّ أبي الخليل وقمَر أيامه.

جاء يتأبّط مشروعا تنويريّا، يتمثّل في مدرسة تنقلب على ثوابت المدارس، ومطبعة تهدر في صمت أربعة عشر قرنا عاشته مسيرة الإبداع، فلم تحصد إلا النزر اليسير الذي سلم من غضب الطبيعة والغزو التتاريّ (للرّمّة)، إلى جانب جريدة تنقل مفاعيل الحراك السياسي الإماميّ، الذي تئنّ به الرسائل الخطّية والرُّسُل، إلى حراك يخترق المحظورات، ويجاهر بالمسكوت عنه، ويقدّم الإمامة كدولة حاضرة في المشروع الأُممي، متفاعلة مع محيطها الإنساني، ومؤثّرة فيه بما تزخر به من حيوية فكرية وموقع على الخارطة.

إلا أنّ البعض أراد للإمامة أن تبقى ومُضة نور، تتطهّر بها النفوس بعيدا عن وعثاء السفر إلى المجهول، وأن تظلّ حبيسة المحراب وحلقة الدرس، وأن تحافظ على إرثها التطوّعي، حيث يسخّر الإنسان نفسه لها متى دعته لذلك، دونما حاجة إلى إرساء دعائم دولة المؤسَّسات وتحديث أجهزتها.

كلّ هذه الأمور تقاطعت مع تطلّعات هذا الجهادي الليبي، الذي اندفع بغيرة عربية إسلامية لنقل الإمامة من مؤسسة مستنسخة من مناخات ألف وأربعمائة عام إلى دولة قابلة للحياة، وقادرة على التفاعل مع محيطها بنِدّيّة تليق بتاريخها وجغرافيتها واسمها الذي سطّره الأسلاف العظام كناصر بن مرشد وسعيد بن سلطان، وقادرة للدفاع عن رايتها، وعن اسمها الذي تتقلّده.

وممّا زاد في تعبئة هذا الشعور الوطني الجارف في الداخل ضغوطات الشطر الإفريقي للوطن، حين اشتعلت الأماني العمانية في زنجبار وغيرها من منافي الاغتراب، وحرّضت على أهمية إقناع الإمام الخليلي بتشكيل مجلس شورى من أجنحة دولته، تساعده على نقل الدولة من الاجتهاد الفردي والممارسة العفوية للإدراة والحكم إلى الأداء المؤسّسيّ الذي يدير الدولة، وذلك بوجود مجلس للشورى وأجهزة للمالية والتعاون الدولي ودوائر للخدمات، إلى جانب تفعيل

مشـــروع الباروني التنويري، والبدء بتنفيذه لتواكب دولة الإمامة في عمان حركة التقدم الانساني.

إلا أنّ الطـــرف المنغلق في دولـــة الإمامة كان الأقوى، فنجـــح في وَأْد كل المحاولات التصحيحية التي ضربت أماني هذا القادم من شـــطآن المتوسّـــط، والذي يتنفّس أوروبا ويســـتميت في غرس فســـيلة فـــي أرض ترويها الأفلاج، وتتنفّس شـــطآن أربعة عشـــر قرنا، قبل أن يرفع الباروني لواء الناصح المحبّ، الذي يرى المخاطر تحـــدق بعمان وتتهدّدها، فاندفع بفـــورة الثوّار إلى ولايات عمان ليثورها وينقلها من بياتها الشتوي الطويل، ويحضّها لتتوحّد وتتجاوز حالة التشطير البلهاء، التي لا تليق بعمان، ولا تنسجم مع الوحدة العضوية والجغرافية والسياسية لشعبها.

إلا أنّ أحلام الباروني تراجعت، فالطرف المنغلق في دولة الإمامة نجح في تكسير مجاديف سُـــفُنه، ليعبر بعمان نحو التقدّم، واســـتطاع أن يهمّشه ويقزّمه ويحصره في أكثـــر أركان الدولة ضيقا، بحجـــة عدم إتاحة الفرصـــة له ليعبث بالثوابت، ويصدّر للدولة أفكارا هي في غنى عنها، على أن يبقى دوره محصورا في التمثيل الخارجي للدولة بوجهيْها الإمامي والسلطاني، ومتى احتاجت نزوى ومسقط وطلبت منه القيام به، أمّا الشـــأن الداخلي فالعماني أرأف لنفسه بنفسه وأعرف به من غيره، وبذلك استقبل الباروني أوّل رسالة مخيّبة لآماله، فالتمس الباروني العذر للانغلاقيين، كون الدولة بشـــطريها الإمامي والســـلطاني تواجه خطرا كبيرا يتجلّى بطمَع الجار بواحاتها، فتريّث في تنفيذ مشـــروعاته التنويرية والإصلاحية، ومركّزا اهتمامه على تجييش شطري الدولة وساحلها الشمالي في تشكيل جبهة صلبة في وجه الأطماع الخارجية.

وبعد أن نجـــح الباروني في طـــيّ صفحة الخطَـــر الخارجي تفـــرّغ لتنفيذ المشروع التنويري الذي جاء من أجله وعلى رأسه النهوض بالتعليم.

ومن بيته في (فاروه) بسمائل بدَأ يخطّط لإنشاء أوّل مدرسة عصرية في دولة الإمامة، حيث تحدّد لها أن تكون بسمائل، وتحديدا بشرجة الإبراهيمية، إلا أنه فوجيء بمَن يعترض على الفكرة من الأســـاس، وبأنه لا طائل من وراء إقامتها، سوى ما أسماه بتبديد أموال بيت مال المســـلمين في إنشاء مدرسة لا تحتاجها دولة الإمامة، لأنّ كلّ مســـجد بدولة الإمامة هو في حدّ ذاته مدرسة، وكلّ بيت لعالم حلقة عِلْم، وكلّ سبلة بمثابة معهد يؤهّل الناشئة لتتفاعل مع بيئتها، إلا أنّ الباروني لم ييأس، فتمسّك بالحُلْم الذي جاء من أجله، وأصرّ رغْم كلّ الصعاب على تنفيذ مشروعه، فاجتهد في البحث عن مصادر لتمويله بعيدا عن بيت مال المسلمين، وحين تعثّرت نِياقُه، لم يجد مخرجا سوى اللجوء للمحسنين لينقذوا مشـــروعه، ففاتح أثرياء زنجبار، وعلى رأسهم الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي، الذي أرسل إليه ٢٥٦٥ روبية، ثم تلاها بإرســـال ٣٥٩٥ روبية، ثم فاتحه الباروني بأن يضيف إلى ما سبق ويرسل ٢٠٠٠ قرش، ثم بعث إليه رسالة أخرى يقول فيها: وإذا كان ٣٠٠٠ قرش سيكون أفضل.

وبعد أن انتهى البناء اتّجه الباروني إلى بغـــداد، مخاطبا أصدقاءه للحصول على دعمهم لمتطلّبات المدرسة من قرطاسيّة ودفاتر وأدوات كتابيّة.

ورغم أنّ بيت مال دولة الإمامة لم يســـاهم بقرش في بناء مدرسة الباروني بســـمائل، ومع ذلك وجد الباروني من يحرمه حتى مِن قطْف ثمار مشروعه قبل أن يبدأ، إذ نجح نفس الجَناح المتشدّد في تحذير الإمام من (الأسكول)، الذي يريد البارونـــي أن يقيمه على غِرار مدارس النصـــارى، وأنّ على الإمام أن ينأى بدولته من (المعاونة على الشرّ).

وفيما كانت ســـمائل توقد النار تحت مراجل الأرزّ واللحم، احتفالا بانتهاء العمل في المدرسة البارونية، كانت مراجل الباروني تغلي كمَدًا وغيْضا على هذا الاســـتقبال لمشـــعل تنويري قد يغيّر شـــكل الدولة ومضمونها، ويثـــري أداءها

السياسيّ المستقبليّ، وإزاء هذا الانكسار وجد المجاهد الباروني في الشيخ عيسى بن صالح الطائي منقذا ينتشله من القُمْقُم الضيّق ليدخله إلى الأُفُق السلطاني الأوسع، فترك حياض الإمامة السابحة في عفَوِيّة من نور إلى أكناف الرّباط السلطاني، الذي يتوهّج ألَقًا وحيوية وتطلّعات لاستشراف المستقبل.

وتعددت الآراء في أسباب انتقال البارونـي من دولة الإمامة إلى دولة السلطنة، حيث رأوا أنها أكبر من الاختلاف على (الأسكول) الذي ينوي الباروني افتتاحه في سمائل، فالشيخ سعيد بن حمد الحارثي يعزو سبب خروج الباروني من سمائل لجهل الناس بالضوابط المالية التي أدخلها الباروني في دولة الإمامة، فقد أمر الإمام لأحد رعاياه بمبالغ، وكان البارونـي خازنا لبيت المال، وذهب الرجل إلى الباروني لاستلام ما أمر له به الإمام فلم يجد الباروني، فدفعته الجُرْأة على مال عام المسلمين أن يكسر باب المكان الذي تحفظ به الأموال، ويأخذ المبلغ دون أن ينتظر الخازن ليعطيه ما قرّره له الإمام، وحين كسر الباب هبّ الغوغائيّة على أثره واستولوا على الباقي، وحين علم الباروني بذلك بكى، فبعث للإمام في نزوى برسالة يبثُّه همَّه وشكواه لهذه الجرأة لدى البعض.

أمّا القاضي الشيخ سيف بن محمد الفارسي فيعزو السبب إلى أنّ الناس نجحوا في تشويه صورته، وأبلغوا نزوى أنّ الباروني ما هو إلا يهوديًّا مدسوسًا عليهم، وأنه يحتفظ تحت طربوشه بعقوصه التي لو خلعها لتدلّت كعقوص اليهود.

أمّا الشيخ محمد الشيبة السالمي فيرى أنّ الباروني استقال، وأنّ الإمام الخليلي لم يرغب بإحراجه فقبل الاستقالة.

أمّا الباروني نفسه فيقول عن خروجه من سمائل ومن نطاق دولة الإمامة: إنّ زوجته الجَبريّة السمائليّة ماتت من الملاريا، وإنّ كلّ أسرته معرّضة لأن تفتك بها

الحمّى، فاضطر إلى نقلها إلى مسقط للاستشفاء، وأنّ الاطباء نصحوه بالسفر الى الخارج، فقصد بغـداد للعلاج، وإن الأمـور اتجهت بعد ذلـك ليواصل دوره التنويري في مسـقط، الشطر الثاني للدولة كمستشار للسـلطان سعيد بن تيمور للشؤون الداخلية.

يقول والدي وكان يومها قاضيا ببوشـر في دولة جلالة السـلطان سعيد بن تيمور: دخَل رسـولُ بيت العَلَم دارَ الولاية ببوشـر يحمل أمْـر تعيين المجاهد اللّيبي سليمان الباروني مستشـارا للسـلطان، وتكليفه بمهمّة تفقّدية وتفتيشيّة لحصون الولايات السلطانية من مسقط إلى (الشِّميلية)، مرورا بصحار، وتضمّن التكليف أمْرا سلطانيّا سـاميًا إلى والي بوشر الشـيخ علي بن عبد الله الخليلي وقاضي بوشر سالم بن حمود السيابي لمرافقة مستشار السلطان في مهمته.

ويضيف الوالد: بدأ الإعداد للرحلة، وسرنا الثلاثة يحفّنا رهْط من مستخدمي الوالي ومرافقي الباروني، ومررنا بكل الحصون، فكان الباروني يدوّن ملاحظاته، وقد شدّته السيب بطبيعة أرضها وغزارة مياهها، حيث تقطعها الأودية وتنتشر بها (بحائص) الماء، وتكاد مياه آبارها العَذْبة فـي متناول مَن يريد أن يغترف منها، بل تكاد تتحوّل إلى ينابيع تجري على وجه الأرض، إلى جانب جودة مزروعاتها من (الأمبا) والليمون والحمضيات فضلا عن النخيل.

وأشار الباروني الذي افتتن بالسيب وأرضها ومياهها: «أنّ السيب تساوي تربتها ذهبا، ولو كانت مثل هذه البلدة في غير عمان لكان وضعها قد اختلف تماما».

يضيف الوالد: ولقد اسـتعدت انطباع الباروني عن السـيب لدى لقائي بجلالة السـلطان سـعيد حين قلّدني ولاية السـيب، حيث أبلغت جلالته بإمكانات السيب الواعدة.

وكان حديث الباروني عن بقيّة الولايات معطَّرا بنفس المشاعر، من طبيعة أخّاذة وبساتين بهيجة، وجوامع وحصون وبيوت تكشف عن همم وهامات وأمجاد.

ونعود للمهمّة السلطانية التي جمعت الباروني بالشيخ علي الخليلي والوالد لندع الوالد يتحدّث فيقول: لقد واصل الركب سيره إلى أن بلغنا صحار، حيث وقفنا على جامعها، وساءتنا الحالة الصعبة التي كان عليها الجامع، حيث أناخ الزّمان ركابه عليه، فكان الثائر اللّيبيّ ثائرا لحال الجامع، ومرثيا للحالة التي بلغها كرباط من رباط المسلمين، تقام فيه الجمعة، وتعاقَبَ على منبره الأئمّة والصلحاء والأخيار، فاقترح في تقريره المرفوع إلى جلالته بسرعة ترميم هذا الأثر الإسلامي العريق.

يستطرد الوالد قائلا: لم تكن المهمّة بالنسبة لي جديدة، فعمان كما نعهدها تعاني كلّ مرافقها من عاديات الزمان، ولكن الجديد بالنسبة لي هي الإقتراب من الحركة الجهادية اللّيبيّة ومقارعتها للاستعمار، وموقع جماعتنا المغاربة في تلك المقارعة البَطَلَة.

كما عشْتُ الرجل المجاهد عن قُرْب، وعشت عطاءات أعمدة المذهب هناك، وما صدر من كتب عبر المطبعة البارونية في القاهرة، فكانت ليالي المهمّة وأيّامها معطّرة بما عشناه من ثراء مفكّر ومجاهد كسَر الزمن العماني، وجاء متقدّما عليه، وليت قومي عرفوه وقدَّروه وعانقوا أحلامه.

وفيما كان الموكب يمخر عباب ولايات الباطنة، كان الوالد يستعيد شريط احتفال الداخل العماني وفرحة الرّجال بهذا المجاهد الكبير، ويستذكر قلائد الشعر التي انتظمت من سمائل إلى نزوى فالحمراء فبُهلى ثم شرقيّة عمان إلى القابل ومرورا بنَخَل وانتهاء بمسقط.

وكان الوالد يتأمّل وجه الباروني ويستقرئ تصاريف الأقدار، فهذا الباروني القادم من ذُرى نفوسة الساطعة بعمائم الإباضيين، يعود إلى نزوى ليجلس ركْبَة بركبَة مع إمام الدولة الإباضية، ثم ينتقل إلى سلطان الدولة الإباضية، وهو اليوم في هذه السيارة يجلس كَتِفا بكَتِف مع الشيخ علي بن عبد الله الخليلي والي السلطان الإباضي وقنطرة الخير بين مسقط ونزوى.

وفيما كانت الطرق الترابية تهبط بالسيارة وتصعد، كان الوالد طرفا في حوارات طويلة ومعمّقة في تاريخ عمان، حيث كان الوالد والشيخ علي الخليلي يسهبان في استعادة الأمكنة وسادة الأمكنة والأحداث التي صنعت مجد الأمكنة، وكان الباروني بين فترة وأخرى ينقل النار إلى قرْصه، فيتحدّث عن العثمانيين والطَّلْيان والاستعمار، الذي يقبض بخناق الأمّة، وما تواجهه دول شمال إفريقيا وكنانة العرب وفلسطين والشام والحجاز من مخاطر وتحدّيات.

انتهت المهمّة ورفع الباروني تقريره إلى بيت العَلَم، وجلس ينتظر أن تكبر بذوره التي غرسها في حقول الحلم بغد عمانيّ جميل، إلّا أنّ الوضع في قصر العلم وإن بدا فيه السلطان سعيد بن تيمور شابّا منفتحا على عصره، إلّا أنّ الموارد المالية خذلت السلطان، والأحداث هزّت ثقته في كلّ شيء، فبدَلًا من أن يطوّر مؤسّسات الدولة التي شكّلها والده كمؤسّسة مجلس الوزراء، إذا بالسلطان سعيد يلغي المجلس ويستبدله بنظارات للداخلية والخارجية ونظارة للمعارف، فلم يتمكّن الباروني من أن يتحرّك في إصلاح ما أفسدته قساوة الظروف السياسية، فبدأ من جديد ينسحب من المشهد، مكتفيًا بتقديم المشورة والإبقاء على الصلة مع السلطان سعيد كصديق على مدى عِقْد من الزمان.

وقد اصطحبه جلالة السلطان سعيد بن تيمور عام ١٣٦٠ هجرية الموافق ١٩٤٠ ميلادية إلى الهند، فكان موته بها إثْرَ سكتة قلبيّة وتحديدا في الأوّل من مايو من عام ١٩٤٠، وبدلا من أن يعرض الباروني نفسه على أطبّاء الهند، ليبثَّهم أوجاعه إذا بالموت يسبقه إليهم فمات إثر سكتة قلبية في بمبيّ، وليرتكز لواءٌ في أرض طالما لمعَتْ كَدُرَّة في التاج البريطاني الاستعماري، وهو المجاهد المشتعل بكلّ نزَق الثُّوّار.

يقول الوالد: بعث الإمام الخليلي قيمة ما تركه المجاهد الباروني لتسليمها لورثته، وكنت أنا ولصدفة التاريخ مع الشيخ علي بن عبد الله الخليلي نتولى تسليم هذه العائلة الكريمة نصيبها من تركة الباروني.

وحينما أتينا الدار طرقنا الباب، وكرّرنا الطَّرْق كثيرا فلم يردّ أحد، وظنّا أن لا أحد بالدار، وفيما كنّا نهمّ بالرجوع إذا بصوت خافت يخاطبنا من وراء الباب، فأبلغناهم أنّنا رسولا الإمام الخليلي، وجئنا لهم بنصيبهم من تركة المجاهد الباروني، فطلبت صاحبة الصوت منّا بأن نضع الأمانة التي جئنا بها خلْف الباب، فتركناها وسِرْنا.

أمّا المدرسة والمعروفة ببيت الباروني فقد باعها الورثة، ثم اشتراها لاحقًا الشيخ سعود بن علي الخليلي ورمّمها لتبقى جزءا من ذاكرة سمائل.

لقد اختفى كلّ أبطال المشهد الذي غشاه الباروني ذات صباح نزويّ، الإمام الرضيّ الخليليّ، وجلالة السلطان تيمور، وجلالة السلطان سعيد، والشيخ علي الخليلي، وسيّدي الوالد، وبقيت جدران المدرسة التي لم تعرف رنين الجرس ولا طابور الصباح، ولا عرفت سواد الصبّورة ورائحة الطباشير إلا في عهد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظّم، الذي عيّن الشيخ سعود بن علي الخليلي وزيرا للمعارف، فحوّلها بعد أشهر لتولّي

جلالته مدرسة عصرية، تقف للنشيد السلطاني، وتخصّص في جدولها اليوميّ حِصَصًا لتعليم اللّغة الانجليزية والفنون الجميلة، وتعزف على (الاكورديون) نشيد (صوتٌ للنهضة نادى هُبُّوا جمْعًا وفرادى)».

تفاصيل أكثر في المجلّد الأول من كتيّبي (فارس على صهوات القرن العشرين).

انتهت مقالة الكاتب البارع حمود بن سالم السيابي، وفي طيّاتها أخبار مهمّة عن الشيخ الباروني وإصلاحاته، وقد صاغها الكاتب بإحكام، ودوّنها بإتقان، وكتاباته كلّها أدبية شائقة، ويظهر فيها أدب أبيه الشيخ العلّامة المؤرّخ الكبير.

الندوة المقامة في ذكرى الباروني بطرابلس وقصيدتي في الندوة

هذا وإني ما عشت عصر الباروني، ولكنّي قرأتُ عنه كثيرا، فعرفت من خلال ذلك الرجلَ وهمّتَه، والشجاعَ ونخوتَه، والمجاهدَ وصولتَه، والمصلحَ وخطّتَه، وقد كتب الله لي ووفّق أن أحضر الندوة التي أقيمت له في ليبيا وفي عاصمتها طرابلس بعد الثورة، في الفترة من ٢٠ ـ ٢٣ جمادى الأخرى ١٤٣٤هـ الموافق ١ ـ ٤ مايو ٢٠١٣م، وقد حضرها شيخنا الربّاني العلّامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله ورعاه، كما حضرها مجموعة من الإخوة من عمان، فكانت أيام الندوة ولياليها زاهرة بسيرة الشيخ المجاهد الباروني، وزرنا جبل نفوسة بصحبة شيخنا حفظه الله، فللّه ما أحلى تلك الأيام، وأجمل تلك الأوقات، وأصفى تلك الساعات، وكان نصيبي من تلك الندوة قصيدة ألقيتها في الندوة، تحمل في طيّاتها تحيّة عاطرة من عمان عامّة ومن سمائل خاصّة، في ذكرى نزيلها الشيخ الباروني، الذي تتعطّر بسيرته الأزمنة، وتتطيّب بمسكنه الأمكنة، وهذه هي القصيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

حـــيّ ذكرى المـجاهد الباروني في سما المجْد والكفاح المصون
حـيّ ذكـراه في سـمـاء المعالي خطَّها الدهـــر باليَراع المُبين
حيّ ذكراه في طرابـــلس غَـرْبًا وعمـــان الوفا بـــشرق مكيـن
قـائـــدٌ فاتـــحٌ وشهْـــمٌ هـمامٌ وعظيمُ الفعـــال ليْثُ العَـرين
حنّكتـهُ تـــجارب الدهـر حتى وازَنَ الأمـر بيـــن شَـدّ ولينِ
رضَعَ المـجدَ خالصا في سـموّ ما ارتـضى قـطُّ نهْجَ أهـل الهُون
وتـغـــذّى بهمّـــة لا تُبـارى دونهـا النجْمُ في مقـام السكـون
بـــيتُ عـلْـــم وعـــزّة وإبـــاء وصلاح وزيْـن تـقـــوى ودِين
طـاف ما بيـــن تونسٍ وحِماها يشـحـذُ الفكْـــرَ جامعُ الزيتـون
لـم يفتْـــهُ لأزهر العلـم سعـيٌ فهـو في مصر مثـل غيث هَتـون
وتـجلّـى للقطب نـــورُ سَـمـاه في مِـزابٍ لنيْـــل كـلّ الفنـون
هكـذا المـجد بيـن عِلْم وحُكْم وبيـــان وعـــزّة التمكيـــن
جرّعَ الخصْـمَ عَلْقمًـــا وزُعَـافًا من لَظى السيـف والقَنا المسنون
لـم تهَبْه مـــواطئ الموت يـومًا أو تَعُقْهُ مـــواطن التـحصيـــن
ما أُلِيـنَتْ بالحـــرب منـه قَنـاةٌ أو أطـاحت به مهـاوي السجون
لـم يَـــرُعْه مستعمِـرٌ عـاث بغيًا بـــل تصدّى لـه بعـــزم متيـن
فلـــذا كِيدَ بالدســـائس والمَكْر ونيْـل الأذى وجَـــمّ الفتـــون
وإلى الله شـــدّ مـسعـــاه حَجًّا كـان نصْرا وفيـضَ لطـف هَتـون
ثـم سـاقتْه نـــحو داري عمـان خَفَقـاتُ للقـــلب ذاتُ شُـجون
فأتـــاها والعـدل تـــاجُ حِماها راية الحـق رفـرفرت في الحصون
وأضـاءت بـــه المواطن بشـرى في سهـول يـرتـادها أو حُـزون

في حما المُلْك مسقط أو بنزوى ... دار عدل وعزّة في الجبين
كم أقيمت منابرٌ وتوالت ... حفَلاتُ الترحيب ذاتُ فنون
من خطيب مبرِّز وقصيدٍ ... صار يُتْلى بنغمة ولحون
ورصاص البارود قد عطّر الجوّ ... ابتهاجا بالمقدم الميمون
نال من حضرة الإمام مقاما ... في ذُرا الصدْر مُحْكَمَ التمكين
وأعان الإمامَ في مصرف المال ... وحفْظٍ وكان خيرَ أمين
وبداري سمائل المجد أضحى ... بارزَ الدَّوْر مُتْقِنَ التحسين
حَطّ رحْلًا وقرّت العين فيها ... بزواج يقود للتوطين
وبنى الصرْحَ شامخاً في ابتغا ... العلم وتدريسه بنهج متين
فلهذا سمائل العزّ نالت ... حظوة بالأمير ذاتَ شؤون
فلِزامًا عليّ أسعى بصدْق ... عن بَنيها فذا الوفا يدعوني
أيُّها الحفلُ خُذْ تحيّاتِ دارٍ ... قد زهت بالأمير بضْعَ سنين
يا طرابلسُ أطربي اليوم جَمْعًا ... بتراث الأمير والتدوين
أكرمي فيه قائدًا وعظيمًا ... ومَهيبًا بكلّ فعْل رزين
واهنئي بالجديد عَهْدًا تجلّى ... أرغدَ العيش ظاهرَ التحسين
واختمي الحفل بالتحيّات تبقى ... في سما المجد عزّة لقرون
عاش مَن هَمُّه الصلاح وتقوى ... في رضا الله في حِماه الحصين
عاش مَن كان دَرْبُه في المعالي ... نال بالفوز خيرَ دنيا ودِين
ربّ واختمْ بصالح الفعْل منّا ... ومقال ونيّة ويقين

سمائل / ١٨ جمادى الأخرى ١٤٣٤هـ
٢٩/ إبريل ٢٠١٣م

وهذه قصيدة غرّاء من الشيخ الأديب فارس القصيدة العربية هلال بن سالم بن حمود السيابي:

(في ذكرى الفارس العربي سليمان باشا الباروني)

ربّ السيف والقلَم

قبّلتُ في راحتيْك السيف والقلما ... يا ابنَ العوالي وأدْمنْتُ الهوى العَرِما
أرى بحدَّيْه تاريخا مطهّرة ... فصولُه كشعاع الشمس مرتَسِما
وألثمُ العَرْف من حدّيْه منتشيًا ... فإن سكرتُ به يوما فلا جَرَما
فقد ملأتُ كؤوسي من سُلافته ... وبتُّ أجترّه بين الورى شِيَما
ظللت أشربه صِرْفًا على ظمأ ... فما رَوِيتُ ولكن زدت حَرّ ظَما
وكيف يُروى فتى الصحراء من ظمأ ... وقلّما قد رأت عيناه بَلَّة ما
أسامرُ الأفْق في برلين أُنشِدُه ... عن واحد مَلأَ الشطآن والأُكُما
عن الذي تعرف الرايات طلعته ... وتعزف البِيدُ ماغنّى وما رسَما
ناءٍ غريبٌ بلا أهل ولا ولد ... يستذكر الأهل والأوطان والحشَما
لكنّه أمّةٌ للعرب قائمةٌ ... يارُبَّ فردٍ يساوي في الورى أُمَما
بعارضيْه تُرى أنوارُ «حيدرة» ... وسيف «سَعد» بكفّيْه إذا عزَما
واري الزناد على علياء ينشدها ... قد علّقت بشماريخ الضحى خِيَما
مولّه النفس أو تنجاب رؤيته ... عن بارق لذُباب السيف قد بسَما
صوّبت عيني إلى الأعلى فما بَصُرَتْ ... على الثريّا سوى مَرْآهُ مرتسما

❊ ❊ ❊

أجَلْ فتى الصيد مــن أبناء يعرب ما ... ســامرت نجمك إلا قــد رعفت دَما
لمســت في جانبيــك العــزم متّقدا ... يزجــي الأعنّــة للأمر الــذي عَظُما
حتى كأنّ صلاح الديــن» صاح بها ... إلى النفيــر فباتــت تعلــك اللُّجُما
فقلــت والنفس حَرّى مــن مواجعها ... هذا فتى الخطب إن يوما بنا هجما!
هذا الــذي يتمنّــى الســيف قبضته ... وتعشق الخيل منه في الوغى الشُّكُما
هذا الــذي أطّلعــت منــه طرابُلُسٌ ... غضنفــرا يحمــل الرايــات مقتَحِما

* * *

يا ابن الجحاجحة الشــمّ الألى شمَخوا ... لا بــدْع إن بتَّ فينا الشــامخ العَلَما
إنّ الأُلــى بذخــت عِــزًّا مواكبُهــم ... قد أشــهروك فكنت الصارمَ الخَذِما
تابعــتُ خطْوك مذ كنــت الفتى ألَقاً ... ترتــاد دربــك لا نِكْسًــا ولا بَرِمــا
فما تركــت ذرى «جــادو» وطلعتها ... حتى حططت بميــزاب العلى القدما
ترتــاد مــن قطبهــا أعلى ســراوتها ... ذُرى وأســمى مقامات العلــى قِمَما
تفــرّس القطبُ في الآتــي لحضرته ... فهالــه الأمــر ممّــا بــان أو كُتِمــا
رأى بجنبيــك فــذّا دون مفرقــه ... هــام الثريّــا وضرغامــا إذا اقتحما
فكنــت منــه ومــن تيّــار أبحــره ... قــلادة الــدرّ فاقــت غيرهــا قِيَمــا
ورحت «للأزهــر» المعمــور تطلبه ... آثــار شــيخك أنّــى كان وانتظمــا
والأقدميــن الألــى كانــوا بمطّلــع ... شــهْبًا كمثل صحاب المصطفى شِيَما
والمُعلَميــن بــه مــن عهــد أوّلــه ... كمثل يَغْــلا بن زلتاف ومــن عَظُما
لله درّك لمّــا تَشْــكُ مــن تعــب ... وإن عدا بك حِقْــد الغرب مضطرما
ولم تــزل راحــلا فــي كلّ معترك ... مثل النجوم تهادى من ســما لِسَــما

حتى طلعت منيرا كالضحى ألَقًا ... ترنو إلى النجم والمرّيخ معتزما
وما وصلت إلى ما قد صبوت له ... يوما لعمْري وطلت العُرْب والعجما
ومن تعلّق بالمرّيخ مطلبه ... فكيف يرضى بما دون السما قسَما
فهل عرفت من التاريخ شيمته ... لمّا رأيت على كلّ الخطى الأزَما
أجَلْ ومن حمل الرايات في أُنُفٍ ... لا بأس إن صدم الأقمار واصطدما

* * *

فتى الصناديد من قحطان كم بصري ... يرنو إليك وكم خطبي يبؤُ بما
لقد رأيتك مسكونا بواحدة ... تأبى سوى أن تكون الواحد العَلَما
قد بتّ تخطو خطاك البِكْر منبلجا ... لمّا شمخت على الغابات مقتحما
لا تستقرّ على جنْب ولابلَد ... وللطموح سعير يشعل الضَّرَما
لا سيّما وديار الضاد راسفة ... تحت القيود تعاني الذلّ والألَما
ضاقت بسايكس بيكو في تطاولها ... وأنت إبن الشَّرى والأمر قد أَزِما
وقد تفجّر بالعظمى مدويّة ... نارا على الكون كالزخّار حين طما
فكنت ليث الشرى في كلّ ملحمة ... سيفا صقيلا وصمصاما يفيض دَما
ولليراع صليل لا يقلّ مدى ... عن الحُسام إذا ما جال أو نظما
يوما ببرلين تدعوها وتنشدها ... وتارة بفروق تلتقي الزُّعَما
ومرّة بربى بغداد ملتهبا ... وتارة بربوع النيل محتدما
صبرت للخطب قد شدّت حيازمه ... عليك فاجتزته مستبسلا خَذِما
وقفت كالليث في وجه الطغاة ولم ... تكلَّ يوما ولمّا تعرف السَّأَما
حتى نزلت بدار لا يملّ بها ... نزيلها لو تمادى العهد أو قَدُما

وبتّ من مسقط تدعو العروبة ... والإسلام ملتهبا تستنفر الهِمَما
حتى بلغت مقاما من يديْ ملِك ... مظفّر بتّ منها السيف والقلما
فأنت أرفع شخص بعد رتبته ... تعيد ما انبتَّ من أمر وما انهدما
أعني ابن فيصل تيمور العُلى فلقد ... دعاك لمّا رآك الصارم الخَذِما
وزرت في بيضة الإسلام سيّدها ... تدعو إلى الوحدة الكبرى ولاجرَما
لقيت فيها الخليليّ الإمام ومن ... كمثله في المعالي سيّدا علَما
كما التقيت من الأعلام كوكبة ... ناروا على بيضة الإسلام شهْبَ سمَا
وما دعاك سوى الإسلام من أسف ... لمّا غدا حبله المشدود منصرما
جزعت من حال ما عاينت في وطني ... فبتَّ فوق رمال الخُلْف مقتحما
تصيح فينا عمان كلّها وطن ... وتلعن اللعن من جزّا ومن قسما
فما الإمام وما السلطان غير يد ... للصالحات وأخرى للبلاد حمى
كلا الزعيمين للجُلّى هدى وتقى ... تحتاجه، وحسام يمنع الحُرُما

❊ ❊ ❊

يا أيها البطل المغوار حسْبُك لو ... عرفت ما حاق بالأوطان أو أزِما
وأيّ عاصفة مرّت وقاصفة ... لم ترع إلّاً لمظلوم ولا ذِممَا
وثّابة بديار العرْب مغرمة ... هوجاء لمّا تدع بيتا ولا خِيَما
قد زلزل النيل ما بالرافدين جرى ... وبات يكتسح الأهرام والحرَما
وناح من بَرَدَى حزنا بلابله ... على خيول لشمس لم تزل حُلُما
ظلّت ترجّي بأرض العُرْب معتصما ... فلم تجد في ديار العُرْب معتصما
فهل لإلمامة ترعى ملاعبها ... بها وتحيي بها ما مات أو هُدِما

أطلل علينا رعاك الله ضيغمة ... تردّ من عاديات الدهر ما عَظُما
وعُدْ إلى مفرق الفيحاء إنّ بها ... قوما يوالون في أبرادك الشمَمَا
مازال بيتك فيها عزّ مفرقها ... وللسعود عليه بيرق وسما
قد صار في يد من أعلت دعائمه ... فانظر إليه وشاهد فوقه العَلَما

* * *

أبي سلمتَ بدار الخلْد في ألَقٍ ... ها قد وفيت لمن كرّمته كَرَما
حدّثتني ويفاعي غير مكتمل ... عنه، فأشربتُ قلبي حبَّه دِيَما
رسمتَه مثَلاً أعلى لمقتَبَلي ... فهل بلغت المدى أم دون ذاك سما
«ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركه» ... وإن يك امتشق الصمصام والقلَما
فإن يكن ما رأت عيني لِعِثْيَرِه ... فقد رسمت عواليه لمن عزما
نظمت حبَّك فيه عِقْدَ لؤلؤة ... فهل لشعريَ أن يسمو به قِيَما
وهل يظلّ به ظلّا لمنتجع ... وهل سيبقى مدى التاريخ منتظما
فكم سمعتك توليه الثناء بما ... هو الجدير به بَدْءًا ومختتَما

هلال بن سالم السيابي / السيب

١٢ جمادى الثانية ١٤٤٠

الموافق ٢٢ فبراير ٢٠١٩

القسم الرابع

ولاة وقضاة سمائل



الـولاة والقضاة فـي معظـم البلدان الكبيـرة من عمـان، يعيّنهـم الأئمّة والسلاطين، فهم الممثّلون للحاكم الأعلى والنائبون عنه في بسْط العدالة ومنْع المظالم وحفظ البلاد من عبث العابثين، وسمائل كغيرها من البلدان الكبار في عمان، فقد تناوب عليهـا ولاة وقضاة كثيرون، وعلى حسـب اطلاعي حاولت بالبحث والتنقيب عمّن ولي سـمائل، أو كان قاضيا، بها فكانت الخلاصة كما تراهـا أيها القـارئ الكريم، عِلْمـا أنّ بعضهـم لُقِّبَ بملِك، وذلـك في وقت الانقسامات الكبيرة في عمان، فترى الواحد منهم يقبض بلدا ويكون حاكما لها دون غيره، وذلك في غياب السـلطة المركزية، فتقرأ فـي التأريخ: مَلِك نزوى، مَلِك سمائل، مَلِك بُهلى، مَلِك سَمَد، مَلِك مقنيات، وهكذا.

وفي بحثنا نقسّم هذا الباب إلى أقسام:

أولاً: مَن تسمّى بمَلِك أو حاكم

ـ خردلة بن سماعة بن محسن بن سليمان بن نبهان النبهاني (ق: ٧ و ٨هـ)

كان ملِـكا على سـمائل، وهو الذي قتـل العلّامة أحمد بن سـليمان بن عبد الله بن أحمد بن النضر الناعبي، حينما امتنع مـن أن يعطيه نصف مَهْر ابنة أخيه عائشة بنت محمد، إذ هو القيّم عليها، ومهرها كان خمسين محمّدية بعملة ذلك الزمان، فلمّا امتنع قـال له: «كنّا نريد منك نصف الخمسـين فقط، والآن لا نريد إلّا دمَك»، فردّ عليه ابن النضر: أمْرُ حياتي لمن خلقك لا لك.

فأمر بإلقائه من حصن سمائل، فمات شهيدا رَحِمَهُ اللَّهُ، وهجم على منزله وحرق كلّ مؤلّفاته وكُتُبه، وانتقم الله من خردلـة حينما اقتتل هو وأخوه جَبْر في إزكي، فقتل أحدهما الآخر[1].

(١) المصادر: السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان ٣٥٩/١ ط مكتبة الاستقامة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النُّعمان ١٩٣/٢.
السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التأريخ ٨٤/٣.

ـ الصقر بن محمد بن زائدة الجلنداني

قيل عنه: «إنه كان مستور الحال، إلا أنه لمّا أخفى أخاه الذي كان مع الخارجين على الإمام، إذ لمّا سألوه أنكر أنه في بيته، فلمّا تبيّن للإمام غسّان (بويع: يوم الإثنين لست خلون من جمادى الأولى سنة ١٩٢هـ وتوفي يوم الأحد بعد صلاة الفجر لأربع بقين من ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ) أنه كان في بيته وأنه أخفاه قتله، لمساعدته للبغاة للتستّر عليهم».

وذُكِرَ أنّ هاشم بن الجلندى أصابته رمية فجرحته في رأسه وهو بدِما (السيب حاليا) مع الإمام غسان بن عبد الله، فاتَّهم هاشمُ الصَّقْرَ بنَ محمد أنه أمر به من رماه، وكان الصقر بسمائل، فأمر غسّان بحبسه، فأنكر ذلك عليه القاضي سليمان بن عثمان»[(١)].

ـ عُمَيْر بن حَمْيَر النبهاني

وورد في بعض المصادر أنه: **عمير بن حمير بن سلطان العميري** (حيّ في ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)[(٢)].

أمير سمائل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وقعت العداوة بينه وبين السلطان سليمان بن مظفّر النبهاني، ودارت بينهما حروب انتصر فيها عمير، وأخرج سليمان من بهلا إلى القرية[(٣)]، ثم عاد إليها سليمان مرة أخرى وتوفي، واستقرّ الأمر على أن يتولّى أمر بهلا سيف بن محمد الهنائي.

---

(١) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان ١٢١/١، ابن رزيق، الشعاع الشائع ٣٦، ابن رزيق، الفتح المبين ٢٢٧، السيابي، عمان عبر التأريخ ٣٩/٢.

(٢) السرحني، سرحان بن سعيد، كشف الغمّة تلجامع لأخبار الأمّة، ٢٩٢.
ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين، ٢٥٢.
ابن رزيق،..... الصحيفة القحطانية ١٢٦/٥.
دليل أعلام عمان ١٤٤.

(٣) قرية بني صُبْح حاليّا تابعة لولاية الحمراء.

وعمير هذا هو الذي أعاد الجهاضم إلى وطنهم سمَد الشأن بعد أن أخرجهم من أوطانهم وفرّقهم السلطان سليمان بن مظفّر النبهاني، وكان مالك بن أبي العرب اليعربي معينا لعمير في عمله المذكور، ولذلك وقعت العداوة بينه والسلطان سليمان، ووقع بينهم ما وقع من الحروب ومنها في سنة ١٠١٩هـ.

قال الشيخ العلّامة المؤرّخ سالم بن حمود في كتابه عمان عبر التأريخ معلّقا على تلك الحروب والانقسامات والتحزّبات، تحت عنوان: التفرّق عنوان الوَهَن:

«هذا حال المملكة العمانية في هذه الأثناء، تدور على مقنيات وينقل وبهلاء ونزوى وسمائل وسمَد الشأن والرستاق، وهنا موطن التهارش: القتال والقلاقل والاضطراب، فصغرت المملكة العمانية، حتى أصبحت أشبه بمشيخة قبائلية، تتهارش على هذه الفريسة حُبًّا للرئاسة، ولو كانت غير كبيرة الشأن، بعدما كانت عمان تسيطر على النواحي النائية إلى حضرموت والبحر الأحمر، وإلى اليمامة وإلى البحرين، كما عُلِم ذلك ممّا مرّ، أصبح اسم السلطنة مقصورا على هذه الرقعة التي هي قلب عمان، فإنه في هذه الأثناء صار مُلْك بهلاء للشيخ سيف بن محمد الهنائي، وصار ملْك سمائل إلى نزوى، وسمد الشأن إلى الأمير عمير بن حمير، وصار مُلْك الرستاق إلى السلطان مالك بن أبي العرب اليعربي، وصار مُلْك الظاهرة إلى آل هلال رهْط الجبور، وصار الساحل العماني من صور إلى مسقط وصحار وجلفار إلى البرتغال، وهكذا اقتسم هؤلاء هذه المملكة السامية المنيعة، وتلاعبوا فيها حتى صحّ على حالها قول القائل:

وتفرّقوا شِيَعًا فكلُّ قبيلة فيها أميرُ المؤمنين ومنبرُ

هذا ما أفضى إليه الحال العماني، فمتى ينجلي الكوكب الدريّ الذي يقضي بسَعده الجامع على نحس المفرّق الواقع، ويجتمع الشمل، ويلتئم الشعث،

وتعود المياه في مجاريها، انظر هذه الأحـــوال، فصوت الحق فيها خافت، وراية العدل فيها مطويّة، وأعلام الشـــرّ على الرؤوس لا تزال منشورة، وأوجه العلماء غير مرئيّة، ومصابيح الشريعة لا تعرف، إنا لله وإنا إليه راجعون».

وقال في موضع آخر: «وكانت سمد الشأن لعلي بن قطْن الهلالي، وكانت إبرا لمحمد بـــن جيفر بن جبر الجبـــري،..... وكانـــت نخَل لعمّه (ناصر بن مرشـــد) سلطان بن أبي العرب، وكانت الرســـتاق في يد أبيه، وبعد موته تولّاهما بنو عمّه، وكان حُصْن الغَبّي[١] لآل هلال رهط الجبـــور، وكان حصن مقنيات في يد الجبور أيضا، وكانت ينقل في يد الجبور أيضا، ومالكها ناصر بن قطن.... وكانت صحار بيد البرتغال، وكذلك مسقط، بل هي العاصمة إذ ذاك، لما لها من الأهمية، وكانت جلفار (رأس الخيمة حاليّا) بيد العجم، والمالك لها ناصر الدّين العجمي»[٢] اهـ.

فصدق الشيخ عمّا قاله من وصْف دقيق لما آل إليه الافتراق والاختلاف، من حروب جائرة، وعداوات بغيضة، تجلب الشرّ لبني الإنسان، وتمتدّ آثارها لسنين طوال عجاف، وهذا ما نلاحظه في عصرنا الحالي أيضا، حيث تلعب الأمم القويّة بنا، سياسة وتدبيرا وتدميرا، تأخذ ما في الجيوب، وتفرّق أُلْفة القلوب، وتدسّ الدسائس، وتجعل من الجار عدوّا، ومن القريب بغيضا، ونحن المسلمين ننساق وراء كلّ ناعق، نرتدي ثياب الذلّة، ونرضى بالهوان والمذلّة، حفاظا على كرسيّ زائل، وعَضّا على حكم عُودٍ اخضرارُه ذابل، ونضحّي لأجله بالدِّين، حتى ينتهي

(١) الغَبّي: بلدة قرْب العراقي بولاية عبري، كانت مشهورة في السابق، وبها حصن مشهور، ولم يبق من كل ذلك إلا الرسوم والأطلال.

(٢) السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التأريخ ١٣٢/٣ وما بعدها).
(دليل أعلام عمان ١٢١).
المعولي: محمد بن عامـــر، قصص وأخبار جرت في عمان، تحقيق الدكتور ســـعيد بن محمد الهاشمي، ص٢٠٦.

المصير إلى نتيجة لا دين ولا دنيا، فيا لله العجب؟، متى نصحوا من السُّبات، ونستيقظ من الغفلة، ونفيق من اللهو واللعب.

«يا أمّةً ضحكتْ من جهلها الأُمَمُ».

ـ مانع بن سنان بن سلطان العميري (ق: ١٠ و١١هـ)

كان حاكما على سمائل بعد موت عمير بن حمير، قبيْل قيام دولة اليعاربة، بقيادة إمامها ومؤسّسها الأول ناصر بن مرشد اليعربي (بويع: ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)، وقد بغى مانع على الإمام ناصر، وكانت بينهما معارك ووقائع كثيرة.

قُتِلَ على يد مدّاد بن هلوان خِدْعة بإذن الإمام، وكانت وفاته قبل سنة: ١٠٥٩هـ.

قال الشيخ سالم بن حمود السيابي في إسعاف الأعيان: وآل عمير قوم لهم شرف في قبائل عمان، وقد تولّوا جانبا من مُلْك عمان، كما أخبر التأريخ عنهم، وفيهم مشاهير الرجال وتولّوا مُلْك بهلاء..... وذلك أيام بني نبهان، وإليهم يشير سليمان بن سليمان النبهاني، حيث يقول وهو بفارس مستنجدا بمَلِكها على أخيه حُسام:

خليليّ هل حِصْنُ العميريّ عامرٌ وهل عَقْرُ نزوى مخصباتٌ مرابعُه

وأراد بحصن العميري حصن بهلاء.

وقد ملكوا سمائل إلى وقت قيام دولة الإمام ناصر بن مرشد، وكان بها يومئذ مانع بن سنان العميري، فأخرجه الإمام من حصن سمائل بالحرب لظلمه، ثم لم تعد إليهم» اهـ.

وقال في عمان عبر التأريخ:

كان مانع بن سنان واليا على سمائل، ولمّا جاء الإمام ناصر بن مرشد إلى وادي بني رواحة انضمّ مانع إلى الإمام، وكان من أقرب الناس إليه، وتظاهر

للإمام بالطاعة والصداقة، فأقرّه الإمام على سمائل، بل ترك عنده من جيش المسلمين فرقة، والذي يفهم من حال مانع بن سنان أنه يريد الإشاعة بأنه مع الإمام على حال اتحاد؛ ليتقوّى بذلك في أعين أعدائه، أو أنه يريد المكر بالإمام؛ ليكون الإمام طوع رغبته، فإنه كان من جملة الداعين للإمام إلى مُلْك سمائل، وقبض وادي بني رواحة؛ لأنه المضيق الذين يفضي من داخلية عمان إليها، ومن سمائل إلى عمان الداخلية فإنه هو الحلقوم، كما أنّ وادي العُقّ كذلك لشرقية عمان، واتفق مانع بن سنان مع الإمام على أن يسير معه إلى نزوى.

ولما طرد الإمام أهل عقر نزوى وهم..... حين رأى منهم ما يخلّ بالأمر، ورأى نفاقَهم المعلِن شقاقَهم التجأ فريق منهم إلى مانع بن سنان في سمائل، فآواهم بعد العهود والمواثيق التي واثق بها الإمام على الطاعة، فتوجّه إلى الإمام لحرب المذكور، وعندما وصل الإمام سمائل لبّاه مانع بن سنان، وتصنّع للإمام بالأكاذيب الخاطئة، وصالحه الإمام على ألّا يخرجه من حصنه، ويكون تابعا للإمام مذعنا للحق، فتركه على ما هو عليه، وفي الآونة الأخيرة كاتب سيف بن محمد الهنائي الذي كان ببهلاء سرًّا على الإمام، وجمعا الجموع ودخلا نزوى، واحتويا على العقر وجميع شؤونه، ولم يبق للإمام إلا حصنه وهو محصور فيه، وكادوا يحتلّونه كليّا، همّوا أن يقتلوه من أصله وهم جموع وافرة.

وعند ذلك قيّض الله للإمام أنصارا يؤيّدونه، فجاءه أهل إزكي ورهْط من بهلاء وقوم من بني ريام ففرّجوا أزمته، وقاتلوا عنه حتى أيّده الله بهم، ولمّا تمّ أمر نزوى وظهر أمر الإمام على عدوّه، همّ بهدم حصن مانع بن سنان في سمائل؛ لئلا يكون مأوى لبغيه، فخرج الجيش له حتى سمائل، ولمّا علم مانع بن سنان بالقصد هرب إلى فنجا، راجيا أن يرجع الجيش عن الحصن، حيث إنّ مانعا غير موجود به، فقضى الجيش على حصن مانع، ولمّا تحقق مانع من هدْم الحصن راح إلى مسقط عنه ملتمسا له مناصرا، ومنها إلى لِوى عند محمد بن جيفر، ثم راح إلى جلفار،

وكلّ هذه الأماكن التي راح لها في يد البرتغال إذ ذاك، وكان يحاول النصرة منه، ورأى الإمام أن قتل مانع بن سنان أمْرٌ لابدّ منه، فأمر الإمام مَدّاد بن هلوان فعمل مدّاد الحيلة لمانع، وتعارف مع والي لِوى حافظ بن سيف، فكاتبه مدّاد وأطمعه في إدخاله حصن لوى، وأخذه من يد الوالي بالحيلة، فتواعد في ليلة معلومة.

وكان إذ ذاك في دَبا عند الشحوح، فجاء فرحا مسرورا طامعا في حصن لِوى، ونزل صحار؛ ليدبّر هو ومدّاد الحيلة لحصن لوى، فعيّن له مدّاد الليلة الموعودة، وإذ ذاك فرّق الوالي عسكره في البلاد كأنهم جواسيس يتجسّسون أحوال البلد، وتعاهدوا أن يلتقوا في مكان خاص، ويكون مانع قد وصل ذلك المكان، فما شعر مانع إلا والرجال محيطة به من اليمين والشمال، فقبضوا عليه قهرا وقتلوه صبرا، وأراح الله المسلمين منه، هذه قضية المذكور أوردناها مسلسلة حتى النهاية..... فلمّا صار حصن بهلا إليه، رجع إلى نزوى وألسنة الناس تثني عليه، فما لبث فيها إلّا أياما قلائل حتى جمع جيشا فدلف به إلى سمائل، فلمّا وصلها عاهده مانع على اتباع الحق، وعفا عنه، لمّا رآه راتقا للفتق، ثم إن الإمام أمر ببنيان حصن سمائل القديم، فلمّا تم ولّى فيه الشيخ محمد بن إبراهيم.

شرفت سمائل بالإمام العادل ... وسمَت بشمّ مناقب وشمائل
وجدت بناصر نصرها فتناظرت ... أرجاؤها ببسيط بشر كامل
فغدا بها غيث الرفاهة سائلا ... وغدت بذاك وسائلا للسائل
دار غدت دارين في نفَحَاتها ... إذ فضلها بإمام فضل عادل
قد أشرقت فضياؤها من جوهر ... يمحو به ظُلَمَ البهيم الحايل
لا غرو إن أضحت به مخضّرة ... لمّا حماها بالوشيح الذابل
لسيوفه في كل باغ رنّة ... وبكا الصوارم بابتسام الباسل[1]

(١) ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ٢٦٥. =

ثانيًا: مَن جَمَع بين الولاية والقضاء

ـ الشيخ الوضّاح بن عُقْبة، أبو صالح

والي سمائل وقاضيها، وهو عالم فقيه عاش في القرن الثاني الهجري، أخذ العلم عن العلّامة موسى بن علي وغيره من الفقهاء، قال ابن رزيق: «أرسل إليه الإمام غسّان بن عبد الله اليحمدي الأزدي (ت: ٢٠٧هـ) كي يسلّمه الصقر بن محمد بن زائدة، فمضى الوالي معهم إلى الإمام خوفا عليه من أن يبطشوا به، ثم ولّاه الإمام المهنّا بن جيفر على توام الجوف (البريمي)، فخرج المغيرة بن روشن الجلنداني ومن معه من بني الجلندى بغاة على المسلمين، فوصلوا إلى توام الجوف فقتلوا الوضّاح»[١].

ـ الشيخ راشد بن سعيد بن راشد الجهضمي

وال وقاض لسمائل في عصر الإمام أحمد بن سعيد.

أورد الشيخ المؤرّخ سيف بن حمود البطاشي في آخر كتابه الطالع السعيد بعض الأحداث التي وقعت في أيام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وهي منقولة من صخرة تقع بوادٍ قرْب الجميعيّة أعلا بلد العوابي، يمين الطريق، نقلها الشيخ مهنّا بن خلفان بن عثمان الخروصي وفيها:

= ابن رزيق،..... الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمّة عمان، ٢٠٥.
ابن رزيق،..... الصحيفة القحطانية ١٨٧/٥، ٢٠٣.
السرحني، سرحان بن سعيد الإزكوي، كشف الغمّة، ٣٤٩.
السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان، ٤/٢.
السيابي، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان ٣٢.
السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التأريخ ٣ ـ ١٥١/٤ ـ ١٥٣.
المعولي: محمد بن عامر، قصص وأخبار جرت في عمان، تحقيق الدتور سعيد بن محمد الهاشمي، ص ٢٣٤.

(١) ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين، ٢٠٠، دليل أعلام عمان ١٦٩.

«سوّلت نفس بني ريام أن يثبوا إلى سمائل، على أن يحربوا الإمام أحمد بن سعيد (بويع بالإمامة عام ١١٥٤هـ وتوفي ١٩ محرّم ١١٩٨هـ)، وكان والي سمائل الجهضمي، وكان الإمام قد جيّش جيوشا من الغربية، وجاء ابن عمّه خلفان بن محمد والي مسكد، وابن عمّه خميس بن سالم، فالتقوا بسمائل وعقدوا صُلْحا على يد الشيخ يحي بن مفرّج، ومهنّا بن سليمان من تنوف .....»[١].

وفيما يظهر أن هذا الوالي هو الشيخ راشد بن سعيد بن راشد بن حنظل بن راشد بن محمد بن دهمان بن فارس الجهضمي من سمد الشأن، وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وكان من العلماء الذين حضروا واجتمعوا على عزل الإمام بلعرب بن حمير اليعربي من الإمامة عام ١١٦١هـ.

وُصِفَ هذا الشيخ الجهضمي أنه: «من مشهوري فقهاء زمانه، ومن المتصدّرين للفتيا، وقد كان على جانب كبير من الزهد والورع وكثرة العبادة، وتذكر في ذلك أخبار عديدة»[٢].

وله مكتبة كبيرة تحوي مئات الكتب، وله فتاوى كثيرة في الأثر.

وتوفي يوم ١٨ من شهر محرم ١١٧١هـ.

ـ الشيخ خلف بن طالب بن علي بن مسعود بن لاهي بن قاسم بن راشد بن مالك بن عمر العبري

والي الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي[٣]، وكان إلى سنة ١٠٦٤هـ حيًّا.

---

(١) البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد ص٤٠٩.

(٢) (البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد، نُبَذٌ من تأريخ الإمام أحمد بن سعيد ص٤٠٩، السعدي، فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلّمين الإباضية ٢٢٢/١).

(٣) الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي ثاني الأئمة من دولة اليعاربة، بويع بالإمامة سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م بعد وفاة ابن عمه الإمام الأرشد ناصر بن مرشد مؤسس الدولة اليعربية في عُمان، ومات على أرجح الأقوال سنة ١٠٩١هـ/١٦٨٠م.

قال الشيخ العلّامة إبراهيم بن سعيد العبري في تبصرة المعتبرين في تأريخ العبريين: «ومنهم الشيخ العلّامة المفضال خلف بن طالب بن علي بن مسعود، فهو ابن أخ الشيخ محمد بن علي المقدّم ذكره، وقد كان هذا الشيخ أكثر علْما وأجلّ قدْرا، على ما أخذناه من مآثره وآثاره، وما سمعناه من سيرته وأخباره، فقد صار واليا لهؤلاء الأئمّة في عدّة أماكن، فكان واليا على بلدة مَنَح، ثم على سمائل وأعمالها من وادي بني رواحة إلى فنجا، على ما رأيته في بعض الكتب المنسوخة له، ثم على مسقط لإمام المسلمين الوليّ سلطان بن سيف بن مالك رضي الله عنه»[1].

نسَخ له بشير بن محمد بن علي العبري جزءا من كتاب بيان الشرع بتأريخ ٧ صفر ١٠٦٨هـ، وذكر في خاتمته أنه عرضه في حصن سمائل، وأنه كان شاريا (جنديّا) عند شيخه خلف بن طالب بن علي أيام ولايته على سمائل.

ـ الشيخ عدي بن سليمان بن راشد بن حسن الذهلي

من الرستاق كان واليا وقاضيا بسمائل في عصر الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، منسوخ له كتاب في ٥ ربيع الثاني ١١٠٣هـ.

وهو من علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

ونسخ له الكاتب محمد بن سالم بن محمد بن أحمد بن مبارك بن غريب بن محمد بن خاطر بن غريب المزروعي الحاجري السمائلي أحد الكتب، ولكن لم يظهر اسم الكتاب وقال: «نسخه لشيخه وسيّده ونور بصره الشيخ الثقة الرضيّ الوليّ عدي بن سليمان بن راشد رحمه الله تعالى، وهو يومئذ والٍ في سمائل في عصر مولانا وسيّدنا إمام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي رحمه الله تعالى وأذلّ أعداه».

(١) العبري، إبراهيم بن سعيد، تبصرة المعتبرين ص ٧٣.

قتل هذا الشيخ الذهليّ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذي الحجة سنة ١١٣٤هـ/ سبتمبر ١٧٢٢م.

ويوجد الكثير من كتب الفقه منسوخة له؛ مثل كتاب المصنّف وغيره.

من آثاره العلمية: مسائل عديدة في كتب الأثر[١].

ـ الشيخ العلّامة حمد بن عبيد بن مسلَّم السليمي

والٍ وقاض للإمام الخليلي على سمائل، وتوجد وثائق في ١٣٤٨هـ و١٣٥٥هـ تدلّ على العهْد الذي كان فيه، وكان مساعده في القضاء تلميذه الشيخ عيسى بن صالح الطائي، الذي صار بعد ذلك قاضيا في مطرح، ثم صار قاضيا للقضاة.

ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن علي الخروصي

قاض من قبل الإمام الخليلي، وكان الوالي الشيخ محمد بن راشد الخروصي أخ الإمام سالم، ثم صار الشيخ عبد الله واليا وقاضيا على سمائل، حسبما ذكر ذلك ابنه الكاتب سليمان بن عبد الله، واستمر في القضاء بها إلى سنة ١٣٥٨هـ.

ـ الشيخ خالد بن مهنّا بن خنجر البطاشي

وال وقاض على سمائل من قبل الإمام الخليلي في ١٣٧٢هـ، وفي ١٣٧٣هـ توجد منه كتابة وكالة بخط يده لعبد الله بن سيف بن عبد الله الرواحي وكيلا ونائبا في مال مسجد دَغَال من علاية سمائل، بأمر الإمام الخليلي للشيخين خالد بن مهنّا وعبد الله بن علي الخليلي، تأريخ الوكالة ٢٢ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣هـ، وبقي الشيخ خالد بسمائل إلى وفاة الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ،

(١) السالمي؛ تحفة الأعيان ١١٠/٢، ١١٥ ـ ١١٩.
البطاشي؛ إتحاف الأعيان ٣٨٨/٣.
بدوي وآخرون؛ دليل أعلام عمان ص١١٦.
السعدي، فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلّمين الإباضية ٣٤١/٢.

وقد عيّنه الإمام الخليلي أيضا واليا وقاضيا في دَما والطائيين قبل سمائل، أي في سنة ١٣٧٠هـ.

وفي ١٣٧٤هـ نقله الإمام غالب بن علي الهنائي إلى بدبد، ليكون واليا وقاضيا بها، ولمّا انقضت دولة الإمام غالب في ١٣٧٥هـ، نقله السلطان سعيد بن تيمور إلى إبراء سنة ١٣٧٥هـ وبقي فيها حتى ١٣٨٨هـ، ثم نقل إلى وادي بني خالد واليا وقاضيا أيضا، ثم أعيد إلى إبراء واليا وقاضيا في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، وفي ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م نقل إلى ولاية دِما والطائيين، ثم إلى بهلاء واليا، وفي ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م نقلت خدماته إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قاضيا بديوان عام الوزارة، وعمل مستشارا قضائيا بوزارة شؤون الأراضي سابقا، وفي عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م نقل قاضيا بظفار وبقي بها إلى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ثم أحيل إلى التقاعد لأسباب صحية[1].

وبقية ترجمة حياته في كتابي: معجم القضاة العمانيين.

ـ الشيخ هاشم بن عيسى بن صالح بن عامر بن سعيد بن عامر بن خلف بن صالح بن محمد بن صالح بن سعيد بن علي الطائي

والٍ وقاض من قبل الإمام الخليلي.

ـ الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور بن ناصر بن خلفان بن ناصر بن خلفان بن ناصر بن أحمد البوسعيدي

من الشريعة، ولي سمائل مرتين:

الأولى من قبل الإمام الخليلي، إذ وجدتُ له توقيعا على وثيقة مؤرخة ٩ من ربيع الثاني سنة ١٣٦١هـ، كتبها الشيخ سيف بن حمد الأغبري، وشهد فيها

(١) ابنه الشيخ القاضي أحمد بن خالد البطاشي في رسالة منه لي بتأريخ ٢ جمادى الأخرى ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢٠/١٢/١٨م).

الكاتب صالح بن سعيد الفهدي، والقاضي أحمد بن سالم بن فريش الشامسي، وكتب الشـيخ أحمد بن ناصر: «عُرِض عليّ هذا المكتوب وعندي ثابت وكتبه أحمد بن ناصر والي سمائل بيده».

والثانية: نقل إليها من نَـخَل، والتي وليها في الحادي من جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ، ونقل إلى سمائل بعد السـيد حمود بن علي البوسعيدي مباشرة وصار واليا وقاضيا بسمائل، توفي يوم الحادي عشر من شهر الحج ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

* * *

ثالثًا: الـوُلاة

ـ عشيرة بن مالك

ذكر الإمام الصلت بن مالك: أنَّ عشيرة بن مالك كان والياً على سمائل، وأنّ رجلاً قال بيـن يديه وبين يدي أصحابه: إنَّ فلانـاً زانٍ ـ لرجل غائب ـ فكتب عشيرة إلى الإمام غسّـان (بويع: يوم الإثنين لست خلون من جمادى الأولى سنة ١٩٢هـ)، فسأل عن ذلك؟ فكتب إليه: إن قامت عندك بيّنة عادلة على قوله فاجلدوه الحدّ، وإن لـم تكن بيّنة عادلة على قوله إلا أنت وواحد فارتفعْ إليّ أنت والشاهدان، حتى يشـهدا بين يديّ أكون الحاكم عليه، قال الإمام الصلت بن مالك:

فقامت عليه البيّنة العادلة عند عشـيرة وَجَلَده، والمقذوف غائب، ولم يعلم ولم يطلب شـيئا، وأمّا محمد بن محبوب فلم يكن يرى عليه حدّا حتى يطلب المقذوف، ولم يكن يرى أن يحدّ في غيبته، وقال في ذلك: عسى أن يصدقه»[1].

(١) الكندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشرع ٩٠/٧١.
السيفي، محمد بن عبد الله، النمير ١٢٥/٢.

ـ محمد بن يزيد

كان واليا على سمائل (ق: ٣هـ/٩م).

قال أبو الحواري: إن عثمان بن محمد بن وائل، ويزيد بن حمّاد السعالي بايعا محمد بن يزيد إماما، وقد كان مع من خرج مع أصحاب راشد، وكان واليا له على سمائل يعرف ذلك الخاصّة والعامة، وقال: يزيد بن حماد وأبو عبد الله النعمان ومحمد بن عبد الله أنهم اجتمعوا في المسجد منهم عثمان بن محمد بن وائل، وأبو عبد الله النعمان، ويزيد بن حمّاد، ومحمد بن عبد الله، ومحمد بن خالد بن يزيد وكتبوا بإمامة محمد بن يزيد إلى الرستاق، وخرج عثمان بن محمد بن وائل، وعلي بن محمد بن علي إلى الأعتاك يدعون إلى نصرة محمد بن يزيد فيما سمعنا.

قال: ولأبي المؤثر وأبي قحطان كلام في هؤلاء الأئمّة، وفيمن بايعهم»[(١)].

ـ الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن مبارك الخروصي

كان واليا في عصر اليعاربة، وهو الذي بنى البيت الكبير في الجنّوريّة من حاجر سمائل، وذرّيّته باقية إلى الآن في الجبيليّات من سفالة سمائل[(٢)].

ـ الشيخ محمد بن إبراهيم

عيّنه الإمام ناصر بن مرشد اليعربي واليا على سمائل، كما مرّ سابقا.

---

(١) السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التأريخ ١ ـ ٤٠٤/٢.

(٢) أخبرني بذلك الشيخ ناصر بن محمد بن حمود الخروصي.

ـ الشيخ محمد بن سالم بن عبد الله الدرمكي

منسوخ له الجزء التاسع والثلاثون من كتاب بيان الشرع، نسخه له الكاتب أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن مسعود بن رمضان، وفرغ من نسخه يوم الإثنين ٢٥ رجب ١١٦٩هـ، وقال إنه نسخه لوالي سمائل المذكور[١].

ـ الشيخ سيف بن علي بن محمد البوسعيدي

والي سمائل في عهد الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، ظهر ذلك في مخطوطة الجزء الثالث والخمسين من كتاب بيان الشرع، نسخها علي بن محمد بن عبد الله الوِبْلي الرستاقي بلدا، ومن بني عبد السلام نسَبا،، نسخه لسالم بن محمد بن أحمد السمائلي، الساكن منها محلّة الحاجر، وفرغ من النسخ صبيحة السبت ٢٣ شوال ١٠٨٣هـ في حصن سمائل، وكان واليها سيف بن علي.

قلت: فيما يظهر لي أن هذا الوالي هو سيف بن علي بن محمد البوسعيدي، حيث وردت ترجمة له في معجم الأعلام وغيره ما نصّها: «والٍ عاش في أواخر القرن الحادي عشر، وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، عندما زحف سلطان بن أحمد على البحرين، واحتلّها دون قتال، عيّنه واليا عليها، ثم عزله وولى ابنه الأمير سالم بن سلطان، وولّاه مسقط أيضا».

وقد مدحه **الشاعر خلفان بن عبد الوهاب الصحاري**:

ومن القصيدة:

سبَتِ العقولَ بخدّها المتورّد وبعَطْفها المتهزّع المتأوّد
خُودٌ إذا أبصرت غُرّة وجهها أبصرت شمسا تحت ليل أسود

(١) (فهرس مخطوطات بيان الشرع ٤٨١/٨).

لمّا دعاني نحوها داعي الهوى ... لبّيتُه وعصيت قول مفنّدي
فالآن فرّ قنا وكدّر عيشنا ... بعد الهنا رَيْبُ الزمان الأنكد
لا أشتكي ما نابني من صرْفه ... إلّا إلى الوالي الوليّ السيّد
غيث الورى ليث الشرى سامي الذرى ... سيف سليل عليّ إبن محمد
بحر الندى بدر الدجى ساقي العِدا ... كأسَ الردى بمثقّف ومهنّد
الأريحيّ اللوذعيّ المنتقى ... البوسعيديّ الأجلّ الأسعد[1]

ـ السيد سالم بن أحمد البوسعيدي

كان واليا في عصر الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وتوجد وثيقة تتضمّن معرفة الحدود ما بين الفلجين السَّمْدي والدَّغَالي من علاية سمائل، كتب أصلها عامر بن محمد ولد رمضان السمائلي، بمحضر أعيان سمائل، وبمحضر الوالي المذكور، سنة ١١٩٠هـ، ونقلها من أصلها الشيخ نبهان بن سيف بن سعيد البكري، بأمر الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، بتأريخ ٩ صفر ١٣٤٥هـ، ثم نقلها من المنقول الشيخ القاضي حميد بن عبد الله بن حميد بن سرور[2].

ـ **عبد العزيز بن سعيد بن سلطان البوسعيدي**، كان واليا على سمائل.

ـ **أحمد بن عبد الله الرواحي**، كان واليا على سمائل.

---

(١) دليل أعلام عمان ص٨٦، البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد ٣٣٣.
فهرست مخطوطات الشيخ حمد بن عبد الله البوسعيدي ص١٠٢.

(٢) الشيباني، سلطان بن حمد، الشيخ سعيد بن خلف الخروصي وصلته بالتراث والمخطوطات، بحث مقدم للندوة التي أقيمت عن الشيخ سعيد بن خلف، ونشر كتابها، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م، ص١٣٥.

ـ السيد محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، حاكم سمائل.

قال العلّامة المؤرّخ الشيخ سيف بن حمود البطاشي يرفعه عن العلّامة الشيخ محمد بن شامس البطاشي قال: سمعت الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ما ازدهرت سمائل مثْل ما ازدهرت أيام كان حاكمها محمد بن سعيد، ووالِيها اليحيائي، وقاضيها الشيخ سلطان»[1] اهـ.

والمقصود بمحمد بن سعيد هو: السيِّد محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، وردت ترجمته في دليل أعلام عمان بأنه: «ولد في ١٢٤١هـ/١٨٢٦م وتوفي عام ١٣٢١هـ/١٩٠٢م، أمير، رابع أبناء السيد سعيد بن سلطان، ولد بعمان، كان تقيّا يشغل نفسه بأمور الدين، ويرفض كل الأمور المتعلقة بالدنيا، في صغره عيّنه أبوه حاكما على السويق والمُدُن المجاورة، وعلى إثْر وفاة والده وكَّله إخوته المقيمون بعمان بنقل ميراثهم من زنجبار».

قلت: أمّا كونه هو الحاكم لسمائل فذلك تعيين له من والده فيما يظهر، كما عيّنه في السويق حاكما أيضا، ورتبة الحاكم هنا أعلى من الوالي، فلديه تفويض كبير مطلق، ولا يرجع إلى والده إلا في المسائل الكبيرة العظمى، التي تحتاج إلى أمر من الحاكم العام.

وسألت شيخنا الخليلي حفظه الله عن السيد محمد هذا فقال: هو المقصود من كلام الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أب السلطان حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان حاكم زنجبار (ولد بسمائل سنة ١٢٧٠هـ، وولي الحكم في ١٣١٤هـ إلى أن توفي في ١٨ يوليو ١٩٠٢م)، وكان أخوه خالد بن محمد بن سعيد هو المرشّح للحكم ولكنه تعذّر، والسلطان حمود أب السلطان علي بن حمود، الذي ولي

(١) البطاشي، سيف بن حمود، فتح الرحمن ومورد الظمآن في جوابات الشيخ سلطان، ص١٤٦. السيفي، محمد بن عبد الله، النمير ٢٠٩/٣.

الحكم بزنجبار بعد وفاة أبيه، فمحمد بن سعيد يُذْكَر بالصلاح، وذكرته السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان في مذكّراتها بأنه لأجل أمانته ودقّته في الأمور اختارته الأسرة كلّها أن يقسم بينهم الميراث، فجاء إلى زنجبار، ولمّا رأى ما في القصور من الترف، ومنهجه منهج الزهد فما ارتضى ذلك، ولم يطل بقاؤه هناك ورجع إلى عمان ولم ينه مهمّته، وهو الذي أتى للشيخ سعيد بن خلفان أبوابا من زنجبار، ومنها الباب الذي ببيت السُّبْحِيَّة بسمائل، أخبرني بذلك الشيخ عبد الله بن علي الخليلي، أمّا الوالي اليحيائي فلا أعرفه، ولكن القاضي هو الشيخ سلطان بن محمد البطاشي من دَما والطائيين، ويقال: إن هذه الأشياء من جملة ما رغبّت الشيخ سعيد بن خلفان للانتقال إلى سمائل، وكانت تلك الأيّام أيّام ازدهار» انتهى كلامنا بتصرُّف.

وكذلك قال الشيخ المؤرّخ سيف بن حمود البطاشي بأن المقصود هو السيد محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي في كتابه[1] فتح الرحمان ومورد الظمآن.

أمّا الوالي اليحيائي فهو:

الشَّيْخُ الوَالِي المُصْلِحُ أَبُو مُحَمَّدَ وَرَاشَدَ وَحَمَدَ: أَحَمَدُ بِنُ مُحَمَّدَ بِنِ أَحْمَدَ بِنِ رَاشِدَ بِنِ مُسَلَّمَ بِنِ حَمَدَ بِنِ بَخَيِّتَ بِنِ غَيْثَ اليَحْيَائِيُّ الخَروصِيُّ الضَّنْكِيُّ.

عَاشَ فِي القَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ.

وُلِدَ فِي بِدَايَةِ القَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ فِي قَرْيَةِ المعَذَّاء بِوِلايَةِ ضَنْكَ مَا بَيْنَ عَامِ: [١٢٠٠هـ] وَعَامِ: [١٢٠٥هـ].

تَرَبَّى فِي كَنَفِ وَالِدِهِ، فَهُو مِنْ بَيْتِ الزَّعَامَةِ وَالمَشِيخَةِ فِي قَبِيلَةِ اليَحْيَائِي فِي وِلايَةِ ضَنْكَ.

(١) البطاشي، سيف بن حمود، فتح الرحمان ومورد الظمآن، ص ٢٨.

وَقَدْ عَاصَرَ مَعَ وَالِدِهِ الأَحْدَاثَ التَّأْرِيخِيَّةِ مِنْ دُخُولِ الوَهَّابِيَّةِ إِلَى أَرْضِ الصِّيْرِ وَالبُرَيْمِيِّ بِقِيَادَةِ مُطْلَقَ بنِ مُحَمَّدٍ المُطِيرِي (ـ: ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) وَابْنِهِ سَعِيدَ، وَمَا تَبِعَهُ مِنْ دُخُولِهِمْ إِلَى وِلايَةِ ضَنْكَ مِمَّا أَدَّى إِلَى خُرُوجِ أَبِيهِ مِنْ ضَنْكَ إِلَى صُحَارَ بَعْدَ قِتَالٍ وَحِصَارٍ، وَبَقِيَ مُحَاصَرَاً فِي مَنْطَقَةِ (دُوتَ) سَبْعَةَ أَيَّامٍ مَعْ خَادِمِهِ يُقَاتِلُ الوَهَّابِيَّةَ، حَتَّى تَدَخَّلَتْ قَبِيلَتَا بَنِي كَعْبٍ وَبَنِي كَلْبَانَ فِي الأَمْرِ، إِمَّا أَنْ يَفُكُّوا عَنْهُ الحِصَارَ وَيَخْتَارَ الذِّي يُرِيدُهُ بِالبَقَاءَ أَوِ الخُرُوجِ مِنَ البِلادِ، وَإِمَّا دُخُولُ هَاتَيْنِ القَبِيلَتَيْنِ فِي القِتَالِ مَعَه، فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلَى الخُرُوجِ مِنْ ضَنْكَ إِلَى صُحَارَ، وَكَذَلِكَ مُحَاوَلَةُ الوَهَّابِيَّةُ دُخُولَهم إِلَى صُحَارَ، وَمَشَارَكَتُهُ مَعِ السُّلْطَانِ سَعِيدَ بنِ سُلْطَانَ فِي الدِّفَاعِ وَالقِتَالِ ضِدِّ الوَهَّابِيَّةِ، وَقَدْ قَاتَلَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ مَعْ وَالِدِهِ، وَقَدْ فَقَدَ وَالِدُهُ اثْنَيْنِ مِنْ أَبْنَائِهِ فِي هَذَا القِتَالِ، حَتَّى قَالَ أَهْلُ صُحَارَ عِنْدَمَا رَأَوْا بَسَالَةَ قِتَالِهِ وَثَبَاتِهِ فِي أَرْضِ المَعْرَكَةِ: «لَوْ قَاتَلَ بِهَذَا القِتَالِ فِي بِلادِهِ لَمَا خَرَجَ مِنْهَا» فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: «أَنْتُمْ لا تَعْرِفُونَ بِالأَمْرِ الذِّي وَقَعَ فِي بِلادِي «؛ حَيْثُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الخِيَانَةُ مَعِ القَبَائِلِ التِّي اتَّفَقَتْ أَنْ تُقَاتِلَ مَعَهُ، فَإِذَا بِهِمْ يَقْلِبُونَ عَلَيْهِ رَأْسَ المَجَنِّ، فَبَدَلاً أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ فِي القِتَالِ ضِدَّ الوَهَّابِيَّةِ، فَإِذَا بِهِمْ مَعِ الوَهَّابِيَّةِ يُقَاتِلُونَهُ فِي عَقْرِ دَارِهِ.

ثُمَّ اضْطَرَّ بِهِ الحَالُ إِلى السَّفَر إِلَى زِنْجِبَارَ، أي الأبُ ومعه ابنُه أحمد، بِنَاءً عَلَى أَمْرِ السُلْطَانِ سَعِيدَ بنِ سُلْطَانَ، مِنْ أَجَلِ أَنْ يَتَوَسَّعَ فِي رِزْقِهِ وَمَا فَقَدَهُ مِنْ أَمْلاكِهِ وَأَمْوَالِهِ فِي ضَنْكَ، فَمَكَثَ فِيهَا سَنَةً، وَلَمْ يَطِبْ لَهُ المَقَامُ فِي أَرْضِ زِنْجِبَارَ؛ وَقَفَلَ رَاجِعَاً إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ؛ فَنَزَلَ فِي مَسْكَدَ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ الحَالُ بالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ فِي قَرْيَةِ الحَسَنَاتِ بِوِلايَةِ نَخَلَ، فَاشْتَرَى مِنْهَا أَمْوَالا، وَبَنَى فِيهَا بَيْتَاً كَبِيرَاً، وَالأَمْوَالُ وَالبَيْتُ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا لأَحْفَادِهِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ عُيِّنَ الشيخُ أحمد بن محمَّد وَالِيَاً مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ سَعِيدُ بنُ سُلْطَانَ البُوسَعِيدِيُّ عَلَى وِلايَةِ سَمَائِلَ؛ وَلَمْ أَجِدْ مَا يُشِيرُ إِلَى زَمَنِ تَوَلِّيهِ الوِلايَةِ،

وَلَكِنْ يُمْكِنُ القَوْلُ أَنَّهُ تَوَلَّى فِي فَتْرَةِ الخَمْسِينِيَّاتِ أَوِ السِّتِّينَاتِ مِنَ القَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ. [١٢٥٠هـ إِلَى ١٢٦٠هـ].

وَاسْتَقَرَّ بِهِ الحَالُ فِي سَمَائِلَ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي جَابِرَ مِنْ قَرْيَةِ «البِيرِ» مِنْ قُرَى وَادِي سَمَائِلَ، وَرُزِقَ مِنْهَا بوَلَدَيْنِ: مُحَمَّد وَرَاشِد.

وَفِي وِلايَتِهِ ازْدَهَرَتْ سَمَائِلَ أَيَّمَا ازْدِهَارٍ عِلْمِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَحَيَاتِيًّا وَاسْتِقْرارًا.

وَقَدِ ازْدَانَ الازْدِهَارِ بِمَجِيءِ الشَّيْخ المُحَقِّق سَــعِيدِ بنِ خَلْفَانَ الخَلِيلِيّ، عِنْدَمَا دَعَاهُ مَشَائِخُ آلِ سَعْدٍ وَبَنو بَكْرٍ إِلَى سَــمَائِلَ لِتَعْلِيمِ أَوْلادِهِمْ، وَقَدْ كَثُرَ وَقَوِيَ هَذَا الازْدِهَارُ عندما صار الشيخ الخليليّ زعيمًا قبَليًّا، فجُمِعَ له العلمُ والزَّعامة.

مِمَّا زَادَ خَطُّ الإِصْلاحِ وَالصَّلاحِ، وَكَثُرَ طَلَبَةُ العِلْمِ الشَّرِيفِ الذِّينَ تَوَافَدُوا إِلَى المَدْرَسَةِ الخِلِيلِيَّةِ السَّمَائِلِيَّةِ.

ثُمَّ آلَ بِالشيخِ اليحيائيِّ الأَمْرُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سَمَائِلَ وَيَسْتَقِرَّ بِهِ الحَالُ في بلده (ضَنْكَ)، عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَعَشِــيرَتُهُ مِنْ قَبِيلَةِ اليَحْيَائِيّين أَنْ يُدِيرَ شُــؤُونَهَا وَأُمُورَهَا، وَأَنْ يُرْجِعَ مَكَانَتَهَا بَيْنَ قَبَائِلَ ضَنْكَ، فَلَبَّى لَهُمْ مَطْلَبَهُمْ بَعْدَمَا طَابَ لَهُ المَقَامُ وَالعَيْشُ فِي سَمَائِلَ.

وَأَتَوَقَّعُ رُجُوعَهُ مِنْ سَــمَائِلَ إِلَى ضَنْكَ فِي حُدُودِ مَا بَيْنَ عَامِ: [١٢٧٥هـ] إِلَى عَامِ: [١٢٨٠هـ].

وَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ سَلاطِينِ البُوسَعِيدِ:

١ ـ السَّــيِّدَ سُــلْطَانَ بِنَ أَحْمَدَ بِــنِ سَــعِيدٍ البُوسَــعِيدِيَّ، (١٢٠٦ ـ ١٢١٩هـ/ ١٧٩٢ ـ ١٨٠٤م).

٢ ـ السَّـيِدَ سَـعِيدَ بِنَ سُـلْطَانَ بِنِ أَحْمَـدَ البُوسَـعِيدِيّ، (١٢١٩ ـ ١٢٧٣هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨٥٦م).

٣ ـ السَّيِدَ ثويني بِنَ سَعِيد بِنِ سُلْطَانَ بِنِ أَحْمَدَ البُوسَعِيدِيّ، (١٢٧٣ ـ ١٢٨٢هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٨٦٦م).

٤ ـ السَّيِدَ سالمَ بنَ ثويني بِنِ سَعِيد بِنِ سُلْطَانَ البُوسَعِيدِيّ، (١٢٨٢ ـ ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٦ ـ ١٨٦٨م)[1].

انتهى بتصرُّف.

قلـتُ: سألتُ عن هذا الوالي حفيدَه الشيخ حمد بن أحمد بن حمد بن أحمد (الوالي) اليحيائي، فلم يعرف عنه شيئا في بداية الأمر، وطال البحث مدة طويلة مع كثير من الباحثين المؤرّخين في عصرنا، كما بحثـت عنه في قرية البِير مع بني جابر، فأشـرق وَبِيصٌ من الأمَل في العثور على معرفة هذا الوالي، فكانت الترجمة على يد الولد الباحث المؤرّخ عيسـى بن سـعيد المسعودي السمائلي فجزاه الله خيرا، كما أخبرني الشـيخ حمد اليحيائي عن أجـداده ومنهم الوالي المذكور أنّ أصولهم من بُهلى، وأنهم على المذهب الإباضي.

أمّا في قرية البِير فقد اتصلت بناصر بن سـعيد بن حمدان الجابري في يوم ٤ شعبان ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١/٣/١٨م وقال لي: «إنّ أباه أخبره عن مصاهرة الشيخ اليحيائـي لهم، فالتـي تزوّجها هي: موزة بنت سـعيد بن سـالم، ونحن جدُّنا عمير بن سالم أخ سعيد، فهذا ناصر بن سعيد بن حمدان بن حميد بن محمد بن عمير بن سـالم، وتركت هذه المرأة مـن زوجها اليحيائي ولديـن هما: محمد وراشد، وتوفّيا في الحج، ولم يخلِّفا ذرّيَّة.

(١) المسعودي، عِيسَى بنُ سَعِيدٍ، زَهْرُ الخَمَائِلِ في ذِكْرِ أَعْلَامِ وَعُلماءِ وَأَعْيَانِ وَادِي سَمَائِلَ (الكتاب غير مطبوع).

وقد زارنا الشيخ خميس بن حمد مرّتين، لمّا كان واليا على بدبد، وذكر لنا النسب والمصاهرة، وطلب منّا زيارته في ضَنْك، وتوفّي الوالد ولم نزره لِبُعْد المسافة» اهـ.

هذا وقد اطلعت على مجموعة من الرسائل موجَّهة من السطان فيصل بن تركي للشيخ محمد بن أحمد اليحيائي في السنوات: ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥هـ (ابن الوالي).

مجموعة أخرى: إلى الشيخ محمد بن أحمد بن محمد اليحيائي.

من سنة ١٣١٩ ـ ١٣٢٦هـ.

رسالة واحدة: إلى الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد اليحيائي.

في ٢٨ شوال ١٣٢١هـ (ابن الوالي).

وفيها: سلِّم على إخوتك راشد وأولادك.

وتلك الرسائل للشخص نفسه.

رسالة واحدة نصّها: «**بسم الله الرحمن الرحيم**، من فيصل بن تركي إلى جناب المشايخ العزاز الحشام محمد وراشد أولاد أحمد بن محمد اليحيائي، سلّمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحن نحمد الله، له الحمد والشكر، ولا زاد علم إلا هذه الأراجيف التي لا تحتها طائل، ونظنّها بروق خُلَّب، وأنتم إذا صار باعث أو طرق حادث فتوجَّهوا مع اللازم حيث يدور، هذا ما لزم بيانه والسلام.

يسلّموا عليكم الأخ محمد والأولاد تيمور وإخوته، وكتبه مملوكه عبد الله بيده».

في ١١ ربيع الأول ١٣٢٠هـ».

فهذه الرسائل للشيخين محمد وراشد ابني الوالي، وأمُّهم الجابرية التي سبق ذكرها.

ـ السـيِّد ناصر بـن محمد بن سـعيد بن خلف بـن تميم بن سـالم بن عبد الله بن خلف بن عبد الله البوسعيدي

من الخلُّوت بسفالة سمائل.

عمل واليا على سمائل في عهد السـطان تركي بن سعيد بن سلطان (حكم في: ١٨٦٣م).

ـ السيِّد نادر بن فيصل بن تركي البوسعيدي

أرسله أبوه السـلطان فيصل بن تركي ليقبض سمائل بعد نصْب الإمام سالم بن راشـد الخروصي سـنة ١٣٣١هـ، ثم أتى الإمام ومن معه من الجيش لفتح سمائل، ومعهم الإمام نور الدين السـالمي، والشيخ عيسـى بن صالح الحارثي، وحاصروا الحصْن وفيه السيّد نادر، حتى خرج منه بعد شهرين أو أقلّ بواسطة الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي، وخروجه من الحصن في ٢٨ شعبان ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣/٨/١م.

وتوفي في شهر ذي القعدة ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

ـ السيّد قحطان بن يَعْرُب البوسعيدي

كان واليا على سمائل، قبل نصْب الإمام سالم بن راشد الخروصي، والسيّد نادر أرسله أبوه ليعَزِّزَ الموقف بقبضه سمائل.

والسـيّد قحطان هذا هو جَدُّ السـيّد عبد الحميد وإخوانه سـيف وقحطان وسلطان أبناء يعرب بن قحطان بن يعرب.

ـ السيد الزاهد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي النزْوي

ولقبه (راعي ظبيـة) وهي ناقة له، كان رجلا فاضـلا صالحا، ولّاه الإمام سالم بن راشد الخروصي سمائل، بعد فتحها من قبل الإمام، وقبل ذلك كان

واليا علـــى إزكي، فلمّا قدم الإمـــام من نزوى بعد ما صلّـــى بها جمعتين من مبايعته، زحف على إزكي، وســـلّمها لهم واليها السيّد سعود المذكور وانضمّ إليهم، ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الله الســـالمي في نهضة الأعيان وقال: «جعل الإمام والياً على سمائل الشهم الفيصل الزاهد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي»[(١)].

توفي في نفـــس الليلة التي توفي فيهـــا صاحبُه العلّامة ســـليمان بن محمد الكندي بنزوى بمرض الطاعون، وذلك في سنة ١٣٣٧هـ، رحمهما الله.

وقد رُوِيَ أنّ السيّد سعود رأى في منامه قُـبَيْل موته قصريْن في الجنّة، فقيل له: هذا واحد لك، والآخر لصاحبك سليمان بن محمد.

سمعت هذه الرؤيا من غير واحد، وحدّثني بها شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي، ولكن، قال: ما أعرف الرائي منهما.

ولكن أخبرني الشيخ عبد الله بن سعيد بن ناصر السيفي، وهو رجل ثقة أنّ الرَّائيَ هو السيّد سعود بن حمد.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

قال ابن كثير في تفسيره:

«يخبر تعالى أنّ أوليـــاءه هم الذين آمنوا وكانوا يتّقون، كما فسّـــرهم ربّهم، فكلّ من كان تقيًّـــا كان لله وليًّا: أنّه (لا خوف عليهم) [أي] فيما يســـتقبلون من أهوال القيامة، (ولا هم يحزنون) على ما وراءهم في الدنيا.

(١) السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان ٢٢٠.

وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف: أولياءُ اللهِ الذين إذا إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ».

وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزّار:

حدثنا عليّ بن حَرْب الرَّازي، حدَّثنا محمد بن سعيد بن سابق، حدَّثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري ـ وهو القُمِّي ـ عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبيْر، عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله، مَن أولياء الله؟ قال: «الذين إذا إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ»، ثم قال البزّار: وقد روي عن سعيد مرسلا.

وقال ابن جرير: حدّثنا أبو هشام الرفاعيّ، حدثنا ابن فضيل حدّثنا أبي، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البَجَلي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: مَن هم يا رسول الله؟ لعلّنا نحبُّهم. قال: «هم قوم تحابُّوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوهُهم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس». ثم قرأ: (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1].

ـ الشيخ خالد بن الوليد الهنائي

ولّاه الإمام سالم بن راشد الخروصي سمائل.

ـ الشيخ سعود بن بدر بن هلال بن زاهر الهنائي

ولّاه الإمام الخليلي بعد القاضي عبد الله بن محمد الخروصي، وذلك في ١٣٥٨هـ، وجعل معه الإمام غالب بن علي الهنائي قبل أن يكون إماما، جعله قاضيا.

(١) تفسير ابن كثير ص٢١٦.

قال الشيخ الخصيبي: وكان الشيخ سعود بن بدر بن هلال رجلا فاضلا ديّنا، توفي منذ سنين عديدة، وقد صار واليا في سمائل من قبل الإمام الخليلي فأحسن ولايتها»[١].

ـ الشيخ محمد بن راشد بن سليمان الخروصي

أخ الإمام سالم، كان واليا على سمائل.

ـ الشيخ يحيى بن الإمام سالم بن راشد الخروصي

كان واليا على سمائل في عهد الإمام الخليلي، وتوجد بعض المخاطبات له من الإمام في ١٣٦٩هـ وهو والٍ بها، وكذلك خطاب منه للقاضي عبد الله بن محمد الخروصي، ذكر فيه رجوعه إلى سمائل من عند حضرة الإمام يوم ١٤، كما ذكر أشياء أخرى وتحرير الخطاب يوم ١٥ من محرم ١٣٧١هـ.

ومن كُتُب الإمام له:

«**بسم الله الرحمن الرحيم** من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى الشيخ الأكرم الأحشم الولد يحى بن الإمام سالم بن راشد، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله إليك، ولا خبر هنا إلّا الخير، أمّا بعد: فكتابك وصلني، وما بلسان الولد خلفان علمته، وأقول: سيكثر الناس عليك السؤال، وأضرّ الناس على الإنسان أصحابه وخواصّه.

واعلم أنّ الدار فيها أناس، ولابدّ من المواساة، فاجتهد لله وللمسلمين في قبض الزكوات، والاقتصاد هو المأمور به، وزاهر بن حمد لا نراه، لأنه وإن كان نعْم الرجل، لكنّه ثقيل الوطأة، والكريم احذره، فإنه سينفق ولا يكفيه كغيره، واصلك محمد بن سيف بن سليمان، كلّمناه في أمر الجبايه فأسعف، واختر

(١) الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان ١٧/١.

الجُباة في الديار، وناظر خفان بن جميّل، فإنه أدرى، وكذا أهل العلاية، واعتمد الحق وكذلك أهـل الديار الذين في ولايتك وشـدّ عضدهـم... واقبضها على حضرة الشـيخ خلفان، وصرّح عليها إلا حروة اربع مئة ربيّة تكون في قبضتك لأوّل وهلة، والسلام، والدِّلاء والحِبال ستصلك ووطايا للعسكر. حرّرته يوم ٢٥ رجب ١٣٦٩هـ».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده، إلى الشيخ الأكرم الولد يحيى بن الإمام سالم الخروصي، سلام عليك ورحمة الله وبعد: إنه وصلني كتاب من سـيف بن علي ذكر فيه أنّ الجُبـاة لم يدفعوا له شيئا، وأنه لا سعة له في الإنفاق، وهو كما قال، فإن كان الجُباة قد دفعوا الزكاة إليك، فلا تسأل سـيف بن علي في شـيئ، وإلا فمُرْهُمْ أن يدفعوا إلى سيف، وكذلك يقول سيف إن محمد بن سعيد بن نصير وأصحابه جُباة النقود والحَلْي ما حاسـبوا فيما قبضوه من الزكاة العـام الماضي، فهذا كتاب لهم حاسِـبْهم واقبض ما عندهم والسلام، حرّر يوم ٢٣ من شهر القعدة سنة ١٣٦٩هـ، صحيح إمام المسلمين».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسـلمين محمد بن عبد الله بيده إلى الشيخين المحترمين الولد يحيى بن الإمام سالم رحمه الله والشيخ العلّامة خلفان بن جميّل، سلام عليكم ورحمة الله وبعد: فاعلما أنه أهمّ الأمور صلاح العمّال أوّلا، وأن تجرى الأمور على نمـط واحد، القاضي لـه فريضـة، ولا..... في أموال الأوقاف، وليكن مستقيما في وظيفته، ثم استقامة الوكلاء، و..... على ما بلغني منه أنه لم يحاسب، وادّعى أنّي سلّطته في مال الفقراء والمساجد التي بيده، هذه أعدّها منه خيانة وافتراء، فلا أرى توكيله رأسـا، ولا جَعْله أمينا على شـيئ من أمور المسلمين، وقد سـقطت منزلته، ويخرج من المحشورة ويعطى مخسورة، والذي نراه له سنعطيه إياه، وهو ليس في عمل، وإن رأيت منه تمنّعا يا يحيـى

فأودعْه القيْد والسلام، وقد نظرت في الأُعطيات وهي غير كثيرة على أعيان البلاد، وكذلك في العسكر، وقد زدتُ ونقصتُ فيها، أمّا محمد بن سعيد فقد بلغني أنّ فريضته سبعة وزاده الشيخ خلفان ثلاثة، أقول: تردّ فريضته لسبعة، وإن كان السوق تحتاج لأحد فاختر أنت يا يحيى من تراه من العسكر إن كان محمد بن سعيد أو غيره، وهذا أمر أجريناه على الكل..... كشف الغَمّاء والبركة من الأرض والسماء.

هذا ولو أرسلتم بَرْواتنا التي من عند علي بن منصور لكان أحبّ إلينا، لأنّ بعضها ترجع علينا وبعضها على الدولة، وحرّرته بيدي يوم ٢٨ من شهر شعبان سنة ١٣٦٩هـ.

ومحاسبة الوكلا حسن جميل، وسيف بن حمود النبهاني وغيره من الوكلاء من لا ترون منه استقامة أخّروه، وإلا يا يحيى اعزله».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده إلى الشيخ الأكرم الأجلّ الولد يحيى بن الإمام سالم، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا لدُنّا علم سوى الخير والمسرّة والحمدلله على ذلك وبعد: فبيانك بيد الولد سالم وصل، وذكرت من قبل الدراهم التي هي من فضلة المساجد بالعام الماضي أنه دار منها عند القاضي ابن جميّل، فاعلم أنّ هذه المسألة بينك والقاضي بنفسك، وكذلك زكاته، لتعلم ذلك، حرّر يوم ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٠هـ.

أقول: إن هذه المسألة ومسألة أخرى وهي مسألة العسكر سيكون القول فيها عند وصول منصور، ومن العدل التناصح وعدم المداهنة، ولا نحبّ أن تكون المسألة وأنت سببها، الأَوْلى أن يكون من غيرك، وشُدَّ عَضُدَك فيها، حرّرته بيدي».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده إلى الشيخ الأكرم الولد يحيى بن الإمام سالم، سلّمه الله تعالى وبعد: فكتابك وصل، ويسرّنا قيامكم، فجدُّوا واجتهدوا والله ناصر من ينصره، ولابدّ من وصول أحد من طرفنا، وها نحن في تذميره، وسيصلكم قريبا، وما ذكرته بذيل كتابك تجده مع الواصل إن شاء الله تعالى، هذا والسلام. حرر يوم ٢١ شوال ١٣٧١هـ».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ الكرام الأخوين خلفان بن جميّل وحمد بن عبيد، والولدين يحيى بن سالم وعبد الله بن علي المحترمين، سلّمهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله إليكم، ولا خبر هنا إلا الخير، وبعد: فقد وصلنا كتاب من الشيخ الرقيشي يخبر عن وصول أحد من طارفة بن السعود البريمي في سيارات، وكأنّه لم ينكشف له ماجاءوا به، فالله أعلم ما الحامل، فإن يكن خيرا قدّر الله ذلك، فالخطب يسير، وإلا فالمسألة ممّا تهمّ المسلمين، فيجب عليهم الاعتناء بها والنظر فيها، إذ لابدّ من المقاومة والمدافعة عن الدين والوطن والحريم ما أمكن، وعمان مصر كلّها، ويجب عليهم الدفاع بالأموال والأنفس، والله المستعان وعليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا والسلام، حرر يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٧١هـ».

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ كافة الجُباة لسفالة سمائل، سلام عليكم ورحمة الله أمّا بعد: فإني أحمد الله إليكم، ثم المطلوب منكم بيع التمر الباقي لديكم من الزكاة بما يقدّره الله من الثمن، وتطلعوا الولد يحيى بن الإمام سالم في أمر البيع المذكور، وتُسَلَّم للولد يحيى بن الإمام سالم قيمة ذلك التمر كاملا، وتسلّموا إليه كذلك ما تبقّى معكم من الدراهم من الزكاة، ولأنّ الولد يحيى قد حاسَبَنا عمّا وصله من المبالغ، وحاسَبنا كذلك على ما صدر منّا من الأمارات عليكم، وقد وجّهنا إليه الفرائض

للأشـــهر المقبلة منذ الآن، وخذوا منه وصولا فيما تدفعونـــه إليه، لتعلموا ذلك والسلام، حرر يوم ٢٤ صفر عام ١٣٧٠هـ».

صحيح إمام المسلمين بيده.

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المســـلمين محمد بن عبد الله إلى كافّة القابضين من وكلاء مساجد سمائل، بأنّنا عمّدنا الولد يحيى بن الإمام سالم بن راشد أن ينظر في مصالح أموال المساجد والمساجد بنفسها واستقامتها من بنيان وفَسْـــل وغللها، وعليكم أيّها الوكلاء امتثال أمره في جميع المصالح والموازرة في ذلك، وكونـــوا عباد الله إخوانا أعوانا، والله يســـدّد أحوالكـــم ويعينكم على طاعته، وهو حسبي ونعم الوكيل، حرّر يوم ١٧ شوال ١٣٦٩هـ».

صحيح إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده.

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ الكرام العزاز الأخ خلفان بن جميّل السيابي والولد يحيى بن سالم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمّا بعد: فقد وصلنا سعيد بن حمود راعي الهُوب وفاضل بن حمدان يقول فاضل: إنّ في بلد الهوب وقف يفرّق يوم تاسع الحج، وقد كلّموك يا يحيى في قضيّتهم ولكن تعذّرت، أقول: اســـأل الشـــيخ خلفان عن القاعدة، وضع الأشياء في مواضعها، هذا والسلام.

حرر يوم ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٦٩هـ.

كتبه بأمر والده مســـلّما عليكم محبّكم أحمد بن عبد الله بن أحمد الحارثي وصلنا زائرين حضرته الكريمة.

صحيح إمام المسلمين بيده.

أقول: لا عِلْمَ لي بهذا كتبه خلفان بن جميّل بيده».

ـ الشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صالح بن علي الحارثي

ولد عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ولي سمائل مرتين.

الأولى: بعد الشيخ يحي بن الإمام سالم.

والثانية: بعد السيد بدر بن سعود بن حمد البوسعيدي.

وتوفي عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

وهذه بعض الرسائل موجّهة إليه من السلطان سعيد بن تيمور أثناء عمله واليا على سمائل من قبل السلطان:

«**بسم الله الرحمن الرحيم** من سعيد بن تيمور إلى جناب الشيخ المحبّ المكرّم أحمد بن عبد الله الحارثي ـ والي سمائل دام بعافية.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته:

إننا نحمد الله ونشكره على كلّ حال، عساك في صحة وعافية.

وبعد:

فقد وصلنا إلى العاصمة مسقط في اليوم السادس عشر من الشهر الجاري، ونحمد الله الكريم على حُسْن توفيقه وعنايته.

هذا المحبّ صَخْر[1] أرسلناه إلى ذلك الطرف، لنظر طريق السيارات وحصنيْ بدبد وسمائل وتحرير تقرير عن كلّ ذلك، كما أنّنا أمرناه أن يبيّن بشأن تصليح طريق سمائل إلى نجْد المغبارية وما الذي تمّ في ذلك، إيضا الطريق من فنجا إلى الحصن.

(١) صخر بن حمد بن شامس بن حسن العامري أب عبد الله وذياب ومحمد، كان مفتّشًا للولاة والحدود من قبل السلطان سعيد بن تيمور في ذلك الوقت.

كتابك المرسل مع الأخ بدر بن سعود وصل وفهمنا ماذكرت فيه، وسنأمرك في الوصول إلينا بعد أيام قليلة إن شاء الله. والسلام

تحريرا في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥هـ».

محبك سعيد بن تيمور.

«**بسم الله الرحمن الرحيم** من سعيد بن تيمور إلى جناب الشيخ المحبّ المكرّم أحمد بن عبد الله والي سمائل ـ دام بعافية.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد: فهذا الخبير الزراعي مستر أَلِنْبَاخْ في طريقه إلى بهلا لنظر بعض الأراضي الزراعية، وقد أرسلته إلينا حكومة البحرين لمدة أسبوع فقط، أحببنا إطلاعك في ذلك.

إنّ ناظر الشؤون الخارجيّة سيستفهمنا بشأن بيت للطبيب الذي ننتظر وصوله في المستقبل القريب (ونعني بيت بالإيجار الشهري)، فهل توجد بيوت مناسبة لهذا الغرض؟ نرجو الإفادة، لا شكّ أنه من المستحسن أن يكون البيت ما بين العلاية والسفالة.

هذا والسلام ٣ شعبان سنة ١٣٧٦هـ محبّك سعيد بن تيمور».

(الرسالة مكتوبة بخط يد السلطان نفسه).

بسم الله الرحمن الرحيم من سعيد بن تيمور إلى جناب الشيخ المحبّ المكرّم أحمد بن عبد الله الحارثي والي سمائل ـ دام بعافية.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته

إننا نحمد الله ونشكره على كلّ حال، عساك في صحة وعافية وبعد:

فكُتُبُك المؤرّخة في ٢٠ و٢١ شهر رمضان المبارك وصلت، وفهمنا ما ذكرت فيها إلى آخره.

إن مسألة الزكاة على التجـــارة والحـليّ والنقـود فقـــد تحـدّث معنا الشـــيخ عبد الله بن علي فيما يختصّ بعلاية ســـمائل وأجبناه بما يلزم، وأنّ عليهـــم أن يدفعوا ذلك كغيرهم، وعن حســـابات الأوقاف فقـــد علمنا أنها موجودة في دفاتر المحاسب السابق عباس، ومسألة الأوقاف وغيرها سننظر فيها إن شاء الله.

فهمنا ماذكرته عن سرقة الديزل واستحسنّا قيامك في المسألة، ومتى تحقق الفاعل بيده فلا نرى سؤالا على الغير، وعلى كلّ حال فقد أكّدنا على الشركة بأن لا تترك في المستقبل شيئا من أشغالها بلا حرَس.

وصلنا كتـــاب من أكابر بنـــي... بشـــأن الطَّبْل، وأنهم يـــودّون الرخصة لأولادهم الصغار بأن يضربوه في أيام العيـــد، فأجبناهم أنّ هذا غير ممكن، وأنّ مايحجره الشـــرع فهو محجور، فليكن لديك معلومـــا عن ذلك، وهذا كتابهم للاطّلاع.

لقد أمرنا لك بالمعاش بواسطة ناظر الشؤون الداخلية حسْب طلبك.

عن بنيان الحصن فسيأتيك الأمر فيما يلزم بإذن الله تعالى.

لا نرى مســـيرك إلى الشـــرقية في هذا الوقت، وقد تحدّثنا في هذه الشؤون عندما كنت بمسقط أخيرا.

عند وصول كتاب المنْجِد من الهند سنرسله إليك.

فهمنا أنّ ناظر الشؤون الداخلية أمر لك بالقيود، ومثل هذه الطلبات يجب أن توجّهها إليه رأسا وهو يقوم بها، والسلام.

تحريرا ٢٤ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٦هـ».

محبك سعيد بن تيمور.

«**بسم الله الرحمن الرحيم** إلى جناب الشيخ المحبّ العزيز أحمد بن عبد الله الحارثي والي سمائل ـ دام بعافية.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإننا فقد أذِنّا لسِرْ ولِيَمْ لِنْدْزَى ممثّل شركة النفط بالمرور بوادي سمائل (في سيارته) في طريقه إلى مسقط، وهذا الإذن لهذه المرّة فقط لتعلم والسلام».

ظفار ١٣ رجب ١٣٧٥هـ

محبك سعيد بن تيمور (الرسالة بخط يد السلطان بنفسه).

ـ السيد بدر بن سعود بن حمد البوسعيدي

كان واليا بسمائل في عهد السلطان سعيد بن تيمور، وفي عهد السلطان قابوس بن سعيد صار وزيرا للداخلية من ١٩٧٠ ـ ١٩٧١م.

ـ السيد حمود بن علي بن حمود البوسعيدي

وال في عهد السلطان سعيد بن تيمور وبقي بها أقلّ من سنة، ثم جاء بعده الشيخ أحمد بن ناصر البوسعيدي.

ـ الشيخ ناصر بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي

صار واليا على سمائل في عهد السلطان سعيد بن تيمور إلى ١٣٨٤هـ، ثم ترك سمائل لأمور جعلته يتّخذ قراره هذا.

ـ الشيخ محمد بن زاهر بن غصن بن هلال بن زاهر بن سعيد الهنائي

تولى سمائل منقولا من بديّة، وذلك في ١٣٨٤هـ تقريبا.

وظلّ واليا بسمائل حتى ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م، ثم أحيل إلى التقاعد، وتوفي في شهر ذي الحجة ١٤٠٦هـ الموافق أغسطس ١٩٨٦م.

وكان الشيخ ناصر بن سنان الهنائي نائبا للوالي في سمائل، ولقد اطلعت على الفصل الذي كتبه الشيخ سعيد بن خلف الخروصي قاضي سمائل في ٢٠ جمادى الأخرى ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥/٦/٣٠م بين أولاد محرز أهل بلدة بَعْد من جهة والرحبيين أهل بلدة نُقْصي من جهة أخرى، في فلج أبو لبانة وهو فلج نقصي الداخل في بلدة بَعْد في وسْط أموالها الشاربة، والنزاع في قطْع ما يعترضهم من جبل في خدمة فلجهم، فتمّ الصلح بينهم بحضور الشيخ علي بن زاهر الهنائي والي المضيبي، والشيخ ناصر بن حميد الراشدي قاضي سَمَد الشأن، والشيخ ناصر بن سنان الهنائي نائب والي سمائل، وذكر في الصلح أنه تمّ بحضور جِباه أهل نُقْصي، وذكر منهم: ناصر بن عيسى بن سيف الرحبي، وناصر بن مسلّم بن سالم الرحبي، مندوبيْن عن الشيخ سعيد بن سلطان الرحبي، وسالم بن حسن بن سالم، ومحمد بن خصيّب، وعلي بن ناصر، والوكيل محمد بن حامد الرحبيّين، ومن أهل بَعْد: زائد بن خلفان، وعدي بن سيف بن عدي، وسعيد بن عبد الله، وسليمان بن سرحان، وعبد الله بن أحمد بن سيف آل محرز، وسالم بن سعيّد، وسالم بن علي آل بدوّة، ومن ضمْن الأوراق المتعلّقة بالدعوى فصل آخر من القاضي حافظ بن سعيد بن سليمان بن سرحة العامري كتبه بيده بحضور الفريقين في العشرين من شهر المحرم سنة ١٢٠١هـ.

ومن الشخصيات المذكورة فيه: الشيخ ماجد بن سرحان المحرزي، والشيخ عبد الله بن سالم بن عبد الله البوسعيدي، وأخوه خميس بن سالم، وهو يومئذ والٍ عليهم وناظرٌ بينهم.

وكتب أسفله:

قد صحّ عندنا بما كتبه الأخ الثقة القاضي حافظ بن سعيد في هذه القرطاسة كتبه الأقلّ لله عبده عبد الله بن سالم بن عبد الله البوسعيدي بيده، قد صحّ عندنا بما كتبه الشيخ الثقة العالم حافظ بن سعيد بن سليمان العامري في هذه

القرطاسة كتبته وأنا الأقلّ لله عبده خميس بن سالم بن عبد الله البوسعيدي، ما كتبه الشيخ الفقيه الحافظ سعيد بن سليمان من الحق هنا فهو ثابت عندنا كتبه سالم بن هاشل بيده».

وقد أطلت الحديث هنا لأسجّل هذه الأحداث والشخصيات والتواريخ، لكي تبقى في ذاكرة عمان التأريخية، حتى لا تضيع مثل ما ضاع الكثير من أمثالها.

ـ السيد حمود بن سالم بن حميد البوسعيدي

صار واليا لسمائل بعد الشيخ محمد بن زاهر عام ١٩٧٥م.

منقولا من بدِيّة التي وليها عام ١٩٧٢م.

ثم نقل من سمائل إلى المضيبي إلى أن توفي بتأريخ ١٢ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠/٢/٢٨م.

كما تولّى أيضا في لِوى ومحْضَة ونَـخَل.

ـ الشيخ محمد بن حمود بن محمد البوسعيدي

من نزوى وليَ سمائل من ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤م.

ـ السيد حمد بن سالم بن حميد البوسعيدي، وليَ سمائل من ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م.

ـ الشيخ محمد بن خليفة بن علي الحارثي، وليَ سمائل من ١٩٨٦ ـ ١٩٩١م.

ـ السيّد محمد بن أحمد بن محمد البوسعيدي

من بركاء وليَ سمائل من ١٩٩١ ـ ١٩٩٣م.

ـ الشيخ سليمان بن سيف بن ناصر الغافري

من خَفْدي بالرستاق وليَ سمائل من ١٩٩٣ ـ ١٩٩٧م.

ـ الشيخ أحمد بن راشد بن حمدان المعمري

من عبري وليَ سمائل من ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٠م.

ـ الشيخ أحمد بن صالح بن سعود المعولي

من وادي المعاول وليَ سمائل من ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٦م. م.

ـ الشيخ الدكتور خليفة بن حمد بن هلال السعدي

من السويق وليَ سمائل من ٢٠٠٦ ـ ٢٠١١م.

ـ الشيخ أحمد بن عبد الله بن حمد الكندي

من نزوى وليَ سمائل من ٢٠١١ ـ ٢٠١٦م.

ـ الشيخ ماجد بن خليفة بن علي الحارثي

من القابل وليَ سمائل من ٢٠١٦م وإلى الآن، وعمل في الثمانينيات من القرن الماضي مساعدا للوالي بسمائل.

❊ ❊ ❊

رابعًا: القضـــاة

ـ سَلَمَة بن مانع الضَّبِّي

قاض، فقيه

كان قاضيا على سـمائل فـي عهد الملك خردلة بن سَـمَاعة بن محسـن النبهاني، قال الإمام نور الدين السالمي في تحفة الأعيان: وكان قاضيه سلمة بن مانع، الذي هو من بني ضبّة، وإذا أراد أن يجلس للقضـاء (أي المِلك خردلة) أرسل إليه، وتارة يهجره شهرا، ويقول سلمة: أنساه الشيطان ذِكْري[1].

(١) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان ٣٥٥/١؛ السـيفي، محمد بن عبد الله، النمير ٣٣/٢؛ السيابي، عبد الله بن راشد، معجم القضاة العمانيين.

ـ الشيخ سلطان بن محمد بن صلت بن مالك البطاشي

(و: العقد الرابع من ق ١٣هـ/ ١٩م، ت: ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م)

عاش في القرن الثالث عشر الهجري؛ من بلدة احْدى من أعمال وادي الطائين.

نشأ في أسرة علم وشـرف، واجتهد في طلب العلم وتحصيله، فكان يسأل علماء عصره؛ كالشـيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي، والشيخ مهنّا بن خلفان البوسعيدي، والشيخ حمَّاد بن محمد بن سالم البَسْط النَّخَلي، كما استفاد كثيرا من المحقّـق سعيد بن خلفان الخليلي.

وبعد أن صارت له مكانة علميّة رفيعة؛ توجّه الناس إليه بالأسـئلة من كل مكان، وممَّن توجَّه إليه بالسؤال الشيخان نصير بن محمد بن سليمان المحاربي، وعدي بن سعيد بن راشد المحاربي.

سافر إلى زنجبار بشرقي إفريقيا بصحبة السيّد سعيد بن سلطان، وقد طلب منه أن يكون قاضيا في بركاء.

ولي القضاء على سمائل وجعلَها وطنًا له.

كان قاضيا بسمائل في عهد الشيخ المحقّق سعيد بن خلفان الخليلي، والذي كان يسكن بوشر وانتقل إلى سمائل بسبب ازدهارها بذلك العصر.

قال العلّامة سـيف بن حمود البطاشـي يرفعه للعلّامة محمد بن شـامس البطاشي قال: سمعت الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ما ازدهرت سـمائل مثل ما ازدهرت أيام كان حاكمها محمد بن سـعيد، ووالِيها اليحيائي، وقاضيها الشيخ سلطان» اهـ.

قلت: فيما يظهر أن المقصود بمحمد بن سعيد هو: محمد بن سعيد بن سلطان البوسـعيدي (ولد: ١٢٤١هـ/١٨٢٦م وتوفـي ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، فقـد عرف بالصلاح

والتقوى من بين إخوانه، وقد عيّنه أبوه أيضا حاكما للسويق والقرى المجاورة بها، وعلى إثر وفاة والده عيّنه إخوته المقيمون بعمان بنقل ميراثهم من زنجبار.

وقد ترك الشيخ البطاشي العديد من الآثار العلمية.

توجد قصيدة لأبي طالب القسيمي في رثاء الشيخ البطاشي، وهي مؤرّخة بتأريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٧٨هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٨٦١م[١].

ـ الشيخ راشد بن عزيّز بن بخيت الخصيبي

كان قاضيا في سمائل، وقد وجدت له حكْما مؤرّخا بيوم ٧ ربيع الأول سنة ١٣٢١هـ وذلك في بيت الصاروج بالخوبار بين الشيخ علي بن جبر بن محمد بن ناصر الجبري وولده سعود بن علي من جهة والمشايخ ناصر بن سيف الندابي وسالم بن سلطان الرحبي بالنيابة عن أولاد محمد بن سلطان المجالبة من جهة أخرى، وعرض هذا الحكم على الإمام نور الدين السالمي رَحِمَهُ اللَّهُ وانتقده، والحكم موجود في فتاوى نور الدين.

ـ الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي

كان قاضيا بسمائل في عهد الإمام سالم بن راشد الخروصي.

ـ الشيخ ناصر بن عامر بن سليمان بن محمد الريامي

(و: ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، ت: ليلة الخميس ٥ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/ ١٨ يناير ١٩١٨م).

قاض، فقيه، وأديب شاعر، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ من بلدة النزار من ولاية إزكي.

---

(١) (انظر: دليل أعلام عمان ص١٤٦).
البطاشي، سيف بن حمود، فتح الرحمن ومورد الظمآن في جوابات الشيخ سلطان / مطبوع.
السيفي، محمد بن عبد الله، النمير ٢٠٩/٣.

كان أحد العلماء الذين قاموا ببيعة الإمام سالم بن راشد، وقد تولى له القضاء على سمائل، كان أديبا محبّا للشعر، وله ديوان شعر كبير، مزّقه في حياته، فلم يبقَ إلا بعض القصائد التي في أيـدي الناس، كما ترك أجوبة علمية وأدبية[١].

ـ الشيخ ربيعة بن ماجد بن سليمان بن سعيد الكندي

ولد في رجب ١٢٦٠هـ ـ ١٨٤٤/٨م.

من الهجار بوادي بني خروص.

عاصر الأئمّة الثلاثة:

عزان بن قيس البوسعيدي.

سالم بن راشد الخروصي.

محمد بن عبد الله الخليلي.

عمل قاضيا بسمائل فترة وجيزة، وعمل قاضيا بمطرح.

توفي ليلة السبت من جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧/١١/٢٧م[٢].

ـ الإمام غالب بن علي بن هلال الهنائي

جعله الإمام الخليلي قاضيا بسمائل قبل أن يكون إماما، وجعل الوالي عليها الشيخ سعود بن بدر بن هلال الهنائي سنة ١٣٥٨هـ كما مرّ ذلك من قبل[٣].

---

(١) الريامي؛ ديوان الريامي ٩/٢.
الشيبة السالمي؛ نهضة الأعيان ص ٢٩٩.
الخصيبي؛ شقائق النعمان ٢٦٨/١.
الرواحي؛ سيرة الشيخ عبد الرحمن الريامي (مخ) ص ٣.
البهلاني؛ نزهة المتأملين ص ٩٨.

(٢) السيابي، معجم القضاة ٢٠٤/١.

(٣) السيفي، السلوى ١٤٦/١.

ـ الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي

ولي قضاء سمائل في عصر الإمام الخليلي في ١٣٧٠هـ تقريبا.

ـ الشيخ الفقيه سليمان بن سالم الكندي

أرسله الإمام الخليلي ليتولى القضاء بعدما سافر الشيخ خلفان بن جميّل إلى زنجبار سنة ١٣٧٢هـ، وأرسل الإمام الشيخ منصور بن ناصر الفارسي إلى سمائل ولكنه سقط من فوق راحلته وهو لا زال بنزوى، فانكسر وهنا أرسل الإمام الشيخ الكندي إلى سمائل وبقي بها أربعة أشهر ويرافقه القاضي حمود بن عبد الله الراشدي وهو لا زال طالبا في ذلك الوقت عند الإمام بنزوى[١].

ـ الشيخ عيسى بن صالح الطيواني

ولي القضاء في سمائل في عصر الإمام الخليلي، وكان مساعدا في القضاء مع شيخه الشيخ حمد بن عبيد السليمي، ثم نقل إلى محكمة مسقط ومطرح، وترقّى في القضاء حتى صار قاضي القضاة بها.

ـ الشيخ محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي،

قاض من قبل الإمام الخليلي.

ـ الشيخ العلّامة سالم بن حمود بن شامس السيابي

ولي القضاء بسمائل أيام كان السيد حمود بن علي واليا على سمائل.

---

(١) الراشدي، حمود بن عبد الله، الحديث النديّ ص ٩٣.

ـ الشيخ العلّامة سعيد بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي

من ولاية نَخَل، ولد عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

عيّن قاضيا لسمائل عام ١٣٨١هـ/١٩٦٠م، وفي هذه الفترة كان الوالي الشيخ ناصر بن عيسى الحارثي، ولمّا ترك الولاية بقي الشيخ سعيد بن خلف واليا وقاضيا بسمائل، ثم نقل الشيخ محمد بن زاهر الهنائي إلى سمائل ليكون واليا عليها.

ونقل الشيخ سعيد من سمائل إلى الرستاق في ١٤ جمادى الأخرى ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧/٦/١م، ثم نقل منها إلى البريمي في شهر رجب ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠/٦/١م.

ثم إلى محكمة الاستئناف بمسقط قاضيا بها في ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ثم عيّن مساعدا لمفتي عام السلطنة عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الأحد ٢ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧/١/١م.

ـ الشيخ ناصر بن حميد بن سعيد بن سليم بن أحمد بن عويمر الراشدي،

ولد في ١٣٤٠هـ/١٩٢١م.

درس بنزوى مع الإمام محمد بن عبد الله الخليلي.

ولي القضاء بسمائل في ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وعملت نائبا له عندما كان قاضيا بسمائل في بداية تعييني في عمل القضاء في ١٤ ذو القعدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢/٩/١م، وعرفت فيه العدالة والنزاهة وقول الحق في المنشط والمكره، رحمه الله ورضي عنه وغفر له، وجمعنا به في مستقرّ رحمته.

قال الشيخ محمد بن راشد الخصيبي عنه في شقائق النعمان: «فهو من أهل الصلابة في الحق والغيرة في الدين».

توفي في بلده سَمَد الشأن من ولاية المضيبي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

ـ الشيخ محمد بن سالم بن حمد بن سعيد البراشدي

ولد في عام ١٣٣٧ هجرية ١٩١٨م تقريبا.

بسناو من أعمال ولاية المضيبي، فنشـأ بها في كَنَف والده العلّامة الرضيّ سالم بن حمد البراشدي.

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م طلبه الشـيخ سلطان بن سـيف الحوسني ليكون مدرّسا للعلوم الشـرعية في بلدته الهجاري في ولاية الخابورة فوافق على ذلك وذهب اليها.

وفي هذه السنة عيّنه السلطان سعيد بن تيمور قاضيا إزكي وبقي بها إلى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ثم نقل إلى البريمي، وبعدها تنقل إلى عدة ولايات، ومن بينها إبراء، وجعلان بني بوعلي

ولي القضاء بسمائل مرتين:

الأولى: نقل إليها من إبراء فـي ١٩٨٢م، وكنت نائبا له في سـمائل في عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م، فهو نقل إليها بعد الشـيخ ناصر بن حميد الراشدي، فقد عرفت في الشيخ محمد ما عرفته في سابقه الشيخ ناصر بن حميد من النزاهة والرزانة والعدالة والـورع والتحرّي في الوصول إلى الحق في الأحـكام، وتلك لَعَمْري منزلة كبرى لا يصلها إلا الموفّقون، ولا يحرص عليهـا إلّا المؤمنون، فالقضاء مزلّة الأقدام، ومضلّـة الأفهام، يقول ابن حبيب من المالكية في ذكره لشـروط تولّي القضاء: «إن لم يكن علْـم فعقل وورع، فبالعقل يسـأل، وبالورع يقف»، ما أروعه من مقال، وما أدقّه من تعبير، يجب أن يكتب بماء الذهب، وأن يتحلّى به جِيد الزمان، ليكون نبـراس طالبي الوِلاية، ومنهـاج خاطبيها ليحصّنهم من التردّي والغواية، نسأل الله السلامة في الدين والدنيا والآخرة.

ثم نقل من سمائل إلى سناو في ١٩٨٣م.

الثانية: عام ١٩٨٦م، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد في ١٩٩٣م.

ثم عاد الى بلده حتى توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الخامس من شعبان ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ـ الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد بن محسن بن زهران العبري

كان قاضيا بسمائل في ١٩٨٥م.

من ولاية الحمراء، ولد سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م في بلده الحمراء.

توفي ليلة السبت ٢٢ شعبان ١٤١١هـ ـ ٩/٣/١٩٩١م، وبقية ترجمة حياته في كتابي معجم الفقهاء العمانيين.

ـ الشيخ سيف بن حمدان بن سعيد بن أحمد بن ناصر بن عبد الله بن عمر بن خلف بن سنان السبتي الفنجوي

كان قاضيا بسمائل.

من فنجاء، ولد عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

ولي القضاء عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م في السويق ثم شناص ثم لوى.

أمّا صحم فقد بقي فيها ١١ سنة قاضيا، ونقل منها وعاد إليها أكثر من مرة، كما ولي القضاء في السيب وظفار، التي وقع عليه فيها حادث سير كبير، وولي قضاء دّبا من محافظة مسندم والبريمي وضنك والمصنعة وبدبد وسمائل والحمراء وإزكي التي كانت آخر محطات عمله، حيث أحيل إلى التقاعد في يناير ١٩٩٤م.

وتوفي يوم الأحد ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١/١/١٧م[1].

---

(١) (السبتية: حفصة بنت سيف بن حمدان، الشيخ سيف بن حمدان السبتي ـ مسيرة بذل وعطاء ص١٤ وما بعدها).

ـ الشيخ سالم بن راشد بن سالم بن خلفان بن سعيد بن خلفان بن سعيد بن محمود بن ربيع بن أحمد بن محمود القلهاتي

من وادي بني جابر بصور.

ولد في شهر رمضان ١٣٦٣هـ.

ولي القضاء في سمائل مدة ثمانية أشهر فقط في ١٩٨١م.

كما تولى القضاء في صور وعبري وبدبد وقريات، ثم صار قاضيا بالمحكمة العليا، وخرج إلى التقاعد في هذا العام ١٤٤٢هـ/ نهاية شهر ديسمبر ٢٠٢٠م.

أخبرني الشيخ سالم أنه جاء إلى مسجد الخور بمسقط ليدرس فيه، فقال لشيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي وهو مدرّس فيه ذلك الوقت في الثمانينيات من القرن الهجري الماضي: أريد أدرس النحو، فقال له: سر مع الشيخ الربيع بن المرّ المزروعي، وهو زميل شيخنا في التدريس، فسار إلى حلقته بالمسجد، فأعطاه درسا في النحو فحفظه، وتقدّم مرة ثانية إلى الشيخ الربيع ليأخذ درسا ثانيا، فقال له: هذا الدرس معك إلى يوم غد، فقال الشيخ سالم: إذَنْ المسألة تحتاج إلى وقت طويل: وأنا أردت أن أجلس معهم مدة قصيرة، فذهبت إلى سوق مطرح لأشتري ما يوجد من كتب النحو بالمكتبة، فوجدت شرح الأجرومية فقط فأخذته، وذهبت إلى البلد فقمت أقرأ فيه، وهكذا علّم نفسه بنفسه، فكان عصاميًّا، ونال معرفة واسعة في الفقه والميراث والنحو والأدب، فهو يحفظ من الشعر الكثير، وينظمه وإن كان مقلّا لكن شعره جزل ورصين.

ـ الشيخ سليمان بن عبد الله بن خلفان اللويهي

من الرستاق.

كان قاضيا بسمائل في ١٩٩٦م. وولي القضاء في ينقل وبركاء والمصنعة وفي المحكمة العليا.

وهو فقيه ونحويّ وحافظ، وله حلقة تدريس في بيته بالرستاق، وكان يخطب الجمعة، وينظم الشعر، ولكنّه مقل، وأول نظم له اطلعنا عليه مرثيّته في الشيخ الورع الغيور سعيد بن حمد الحارثي.

كانت لنا جلسة كل يوم أربعاء في المحكمة، نتدارس فيها الأحكام والفقه والنحو والأدب، ومرض هو في السنتين الأخيرتين من عمره فكان يرقد في المستشفى فيتصل بنا ذلك اليوم ويطرح مسائل للمدارسة، وكذلك عندما يكون بالرستاق وهو لا يستطيع المجيئ للمرض، والملازمون لهذه الجلسة الشيخان سالم بن راشد القلهاتي ومسعود بن محمد الراشدي وكنت معهم، أدوّن المسائل في كرّاس خاص، وقد نظمت قصيدة في هذه الجلسة، والتعريف بها والإشادة بدورها وبمجالس العلم.

توفي عصر الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثاني ١٤٤١هـ الموافق ٢٠١٩/١٢/٢٠م.

ـ الشيخ جابر بن علي بن حمود بن جابر المسكري

ولد في قرية اليحمدي من إبراء في ١٧ شوال ١٣٣٨هـ الموافق ٥ يوليو ١٩٢٠م.

درس مع المشايخ:

ـ مالك بن سعيد بن أحمد المسكري.

ـ فَتْح بن ناصر المسكري.

ـ زاهر بن علي الإسماعيلي في بلدة الحزم بإبراء.

ـ سليمان بن سالم الكندي.

ـ علي بن عامر المسكري ودرس معهما في علاية إبراء.

ثم ذهب إلى مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بنزوى، فجلس هناك ثلاث سنوات تقريبا سافر إلى زنجبار سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م لطلب المعيشة، وظل هناك زهاء عشر سنوات، وعاد منها سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م تقريبا.

ولي القضاء بداية في الكامل والوافي ١٦ من شعبان ١٣٨٢هـ الموافق ١١ يناير ١٩٦٣م.

بعد ما عاد من زنجبار، وتنقّل بين عدّة ولايات وهي:

الكامل والوافي، جعلان بني بو علي، صور، بدبد، سمائل، بديّة، وسناو.

ولي القضاء بسمائل في ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

كما ولي القضاء في بدبد، ووجدت له أحكاما في:

«بدبد ١٤٠٤/١٠/١٠هـ ـ ١٩٨٤/٧/٩م.

«بدبد ١٤٠٥/٩/٩هـ ـ ١٩٨٥/٥/٢٩م.

بدبد ١٤٠٦/٧/١٢هـ ـ ١٩٨٦/٣/٢٣م.

«بدبد ١٤٠٦/٨/٥هـ ـ ١٩٨٦/٤/١٥م.

أحيل إلى التقاعد في ١٧ رجب ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/١/١م وقضى اثنتين وثلاثين سنة في القضاء.

توفي ليلة الجمعة ٢٤ من ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / ١١ يناير ٢٠١٨م[١].

(١) كتب ترجمة حياته عبد الرحمن بن سعيد بن محمد المسكري، وأرسلها إليّ الدكتور أحمد بن جابر المسكري.

ـ الشيخ حميد بن عبد الله بن حميد الجامعي، أبو سرور،

ولي القضاء بها في ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، وترجمته موجودة في الكتاب.

ذكر الكاتب سليمان بن عبد الله بن محمد الخروصي في أوراق أطلعني عليها حفيده حمد بن سعيد بن سليمان الخروصي أنّ الشيخ محمد بن راشد بن سليمان الخروصي أخ الإمام سالم، ولّاه الإمام الخليلي سمائل، والقاضي الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي.

ثم ولي سمائل قاضيها الشيخ عبد الله بن محمد الخروصي، ثم عذر من العمل، ومكث سنتين وستة أشهر بلا عمل، ثم طلبه السلطان سعيد بن تيمور وعيّنه قاضيا في مطرح ومكث بها ثماني وعشرين سنة، وابنه سليمان كاتب معه، ثم رجعا سمائل.

وصار سليمان بعد ذلك كاتبا مع والي سمائل الشيخ يحي بن الإمام سالم بن راشد الخروصي، ثم تولى الشيخ أحمد بن عبد الله بن صالح الحارثي، ثم السيد حمود بن علي البوسعيدي، ومكث فيها تسعة أشهر، ثم السيد بدر بن سعود بن حمد البوسعيدي، ثم الشيخ أحمد بن عبد الله الحارثي مرة أخرى، ثم الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور البوسعيدي، ثم الشيخ ناصر بن عيسى بن صالح الحارثي، ثم الشيخ محمد بن زاهر بن غصن الهنائي.

وممّن تولى القضاء في سمائل أيضا المشايخ:

ـ محمد بن حمد النبهاني.

ـ سعيد بن صالح بن أحمد الحبسي.

ـ محمد بن سالم بن محمد الأخزمي.

ـ عيسى بن سلطان بن سالم الشبيبي.

ـ عمر بن عبد الله البهلاني.

ـ سيف بن سعيد العزري.

ـ إبراهيم بن سعيد بن سيف المعولي.

ـ موسى بن سالم العزري.

ـ ناصر بن عبد الله الناعبي.

ـ محمد بن علي الشعيلي.

ـ محمد بن علي السعدي.

ـ خليفة بن سيف الهنائي.

ـ السيد علي بن سليمان البوسعيدي.

ـ بدر بن حمد الراشدي.

ـ محمد بن عبد الله بن سالم الهاشمي.

ـ سعيد بن سالم الجابري.

القسم الخامس

جُباة الزكاة في سمائل في عهد الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ



يمثّل رَيْعُ الزكاة جانبا مهمّا للدولة، فيختار الإمام لقبضها من الناس الأمناء، حتى تكون محفوظة غير مضاعة، ويرسل الإمام الجباة للبلدان والقرى التابعة له، وفي عصر الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ كان يختار طلّابه الذين درسوا معه، فهو قد خَبرَهم وعرف ثقتهم وأمانتهم، وكثير منهم ولّاه القضاء بعد ذلك.

وهذه رسالة من الإمام توضّح الجُباة في سمائل، بعثها إلى واليه بسمائل:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى الشيخ الأجلّ الأكرم المحترم الولد يحي بن الإمام سالم.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وإنا نحمد الله إليك، أخبارنا خير والحمد لله، وبعد: فكتابك وصل وفهمته، وسيصلك الولد عبد الله بن ناصر بعد يومين وبيده الحوائج المطلوبة.

فأقول: جعلت الجباة على العلاية سيف بن علي بن محمد، ومحمد بن سيف بن سليمان، وعلي بن منصور الشامسي، ومحسن بن سعود العامري، ومحمد بن سعيد بن نصير، وعبد الله بن ناصر بن سيف، وجباة السفالة: نبهان بن سالم بن عامرالنبهاني، ومحمد بن حميد السيابي، وعبد الله بن أحمد بن حمود الخروصي، وسالم بن ناصر بن راشد، وسعيد بن صالح الجاسري.

وعبد الله بن محمد بن راشد لا أرى إرساله لأنه في عمل.

فاعلم يا يحيى أنّ فريضة العسكر عليك بعد شهر رجب لتعلم ذلك، وكن يقظا في الأمور، والسلام عليك وأصحابك من هنا الأولاد والصحب.

ويا يحيى لم تذكر لنا جُباة صَيّا وسيجا وهيل ووبال وعَمِّدْ إليهم الأكفاء.

صحيح إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده». ٣ شعبان ١٣٦٩هـ.

هؤلاء الجُباة من سمائل، وأوردت ترجمتهم في الكتاب هذا، إلا الشيخ سالم بن ناصر بن راشد الخروصي فهو من العوابي، ابن أخ الإمام سالم بن راشد.

ومن كُتُب الإمام لأهل سمائل في هذا الشأن:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، إلى كافة أهل وادي سمائل، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فكُتُبُكم تكفيني عن جيش، وما ذكرتموه من قبل الجباية والوكالة: أنتم يا معشر أولاد سعد لم نَرَ منكم من يصلح لهذا الشيء، وأنتم يا معشر الشوامس لم نَرَ فيكم من يصلح لهذا الأمر، وأنتم يابني هناة لم أَرَ منكم من يصلح لهذا الأمر، إلا عبد الله بن مسعود فأظنّه لا يقبل.

وما ذكرتموه من قبل أولاد الوكيل، لو شاطرناهم بنصف أموالنا لم نؤدّ حقهم، وإن كنتم تعنون ابن عبّاد فهو عصام لاعصام له، كما قال الشاعر:

نفس عصام سوّدت عصاما وعلّمته الكَرَّ والإقداما
وصيّرته بطَلًا هُماما حتى علا وجاوز الأقداما

وما قلتموه من جهة نبهان بن سيف يخرج من المحشورة ويعطى مخسوره، وما ذكرتموه عن ابن عبيد، وقلتم إن العمى يضرّ فمن أُخِذَ منه البصر أعطي البصيرة فذلك، ولو كان العمى يضرّ لضرّ البحر الزاخر مسلم ابن أبي كريمة التميميّ، ولضرّ شيخنا السالميّ، والسلام».

المقصود بالجباية هنا هي جباية الزكاة، والوكالة هي في بيت مال المسلمين، يحفظ الوكيل الأموال ولا يصرف شيئا منه إلا بأمر الإمام،

وتكفي هذه الشهادة العظيمة لأولاد الوكيل من الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ ، فهم محلّ ثقته، والقائمون على خدمته.

ومن جُباة الزكاة للإمام الخليلي في سرور ولزغ: محمد بن حمود الحسيني، وناصر بن سالم بن تميّم الحسيني، وسيف بن حمد بن سيف الرمضاني، وحميد بن خلفان التويجري، في الخمسينيات من القرن الهجري الماضي، وعلى سبيل المثال هذه إحدى رسائل الإمام في هذا الشأن:

«بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ محمد بن حمود الحسيني وحميد بن خلفان التويجري بعد السلام: اعطوا سَعْده الحسنيّة القرش الذي ذكره لكم سابقا فيه الولد جبر من زكاة لزغ، والسلام، يوم ثاني جمادى الأخرى سنة ١٣٥٥هـ».

والمقصود بجبر هو الشيخ جبر بن سعود بن علي الجبري.

وهؤلاء ترجمت لهم، كلٌّ في موضعه من هذا الكتاب، بما تيسّر لي من معلومات عنهم.

ومن توثيق محاسبة الجُباة من قبل الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الوثيقة:

«وقع الحساب في هذا الدفتر على حضرة حمد بن سالم، فصار الحاصل من الداخل ثلاثمائة واثنان وخمسون قرشا، والواصل في البَرْوات والعُشْر الذي للجُباة مائتان قرشا وخمسة وسبعون قرشا، يبقى حينئذ على الجُباة خمسة وثمانون قرشا، كتبه إمام المسلمين محمد بيده يوم ٧ شعبان سنة ١٣٦٨هـ».

القسم السادس

الأدَبُ، واشْتَهَارُ سَمائلَ به، ومَجَالِسُها الأدَبيّة



أوّلاً: الأدَبُ عند العَرَب مَعنًى، ومَكانَةً، ومَجَالسًا.

ثانيًا: الأدَبُ في عُمَان.

ثالثًا: المجالس الأدبية في سمائل.

سيقودني الحديث عن الأدب في سمائل واشتهارها به إلى الحديث عن الأدب عموما عند العرب، وعنه خصوصا في عمان، كما أتطرّق إلى معنى الأدب أيضا، ليكون الموضوع مترابطا ذا صلة ببعضه البعض.

أوّلاً: الأدَبُ عند العَرَب مَعنًى، ومَكانَةً، ومَجَالسًا

١ ـ معنى الأدَب

أمّا الأدَبُ فقد ذكَر ابن فارس: أنّ الأدب دعاء الناس، إذا دعوتَهم إلى شيء.

وسُمّيت المأدَبة بفتح الدال وبضمّها: مأدَبةً؛ لأنه يُدعى الناس فيها إلى الطعام.

والآدِب، هو الداعي.

نحن في المَشْتاة ندعوا الجَفَلى لا ترى الآدِبَ فينا ينتقِرْ

وكذلك، فإنّ الأدب أمرٌ قد أُجْمِع على استحسانه.

وعُرْفاً: ما دعا الخَلْقَ إلى المحامد ومكارم الأخلاق وتهذيبها.

وذكر ابن حجر في شرحه لكتاب الأدب، من صحيح الإمام البخاري، قال: الأدب استعمال ما يُحْمَد قولاً وفعلاً.

وعبّر بعضهم عنه: بأنه الأخْذُ بمكارم الأخلاق.

وقيل: الوقوف مع الأمور المستحسنة.

وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك[1].

(١) فتح الباري: ٤٠٠/١٠.

والأدب الذي يتأدَّب به الأديب من الناس، سُمِّي أدَباً لأنه يأدِب الناس إلى المحامد، ويدعوهم إليها.

وجاء في المصباح عن الأدَب: تُعلُّم رياضة النفس، ومحاسن الأخلاق.

وقيل: الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه اهـ.

إذَنْ الأدب محمدة قيّمة، وخَصلة سامية، وحِلية جميلة، لمَن عرَف حقّ هذا الأدب، وسار به إلى مكارم الأخلاق وجميل الصفات.

٢ ـ مكانة الأدَب عند العرب

للأدب عند العرب مكانة كبيرة، فهو لسانُهم المُعَبِّرُ وإعلامُهم الناطقُ بأيّامهم وأخبارها، وحياتهم وأسرارها، وسِلْمهم وحربهم، وفخرهم وذكرهم.

وقد ورد في كتاب الأدب العربي في العصر الجاهلي قوله:

«يُعَدُّ الأدب العربي في العصر الجاهلي أقدمَ نتاج أدبي عربي معروف، وقد انتشر الأدب العربي في العصر الجاهلي في منطقة شبه الجزيرة العربيّة، لذلك تأثّر الأدب بالأحوال السياسيّة والتجارية التي مرّت بها الجزيرة العربية، وقدَّ سمَّى النقَّاد هذا العصر بعصر ما قبل الإسلام، فهو يسبق بعثة رسول الله ﷺ بحوالَيْ سبعين عامًا، وقد جاء تسمية الأدب الجاهلي بهذا الاسم من حال العرب في تلك الفترة الزمنيّة؛ فقد حكمت بينهم العصبية القَبَليّة، وشاعَت بينهم عادات تدلُّ على تفشّي الجهل في المجتمع في ذلك العصر، كوَأْد البنات والنزاع والحروب والثارات وغيرها، ولعلَّ قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم يفسّر المطلوب، فقد قال:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينَا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهلينا

والأدب العربي في العصر الجاهلي كان أدبًا عظيمًا خالدًا، فقد ارتقى الشعر كما ارتقت الخطابة في ذلك العصر، واحتلّ الشاعر والخطيب مكانة عظيمة عند الجاهليّين، حتَّى بقي شعرهم خالدًا حتى هذه الأيام.

وجسَّد الشعرُ الجاهلي الأدبَ العربي في أسمى مراحل نضوجه، فكان ناضجًا لغةً وصياغة ومعنًى، ولكنَّ الشعر الجاهلي لم يصل كلُّه، فهناك الكثير من الشعر الذي ضاع ولم يدوَّن من قبل الرواة، ومنه ما نُحِل وضاع أيضًا، وقد اشتهرتْ في العصر الجاهلي المعلّقات العشر، التي عَدَّها النقّاد أعظمَ قصائد الشعر العربي في العصر الجاهلي، وربَّما في العصور اللاحقة أيضًا، ومن أبرز شعراء العصر الجاهلي:

امرؤ القيس وهو أوّل مَن وقف على الأطلال، واستوقَفَ وبكى واستَبكى، والشاعر الحكيم زهير بن أبي سُلمى، وصُنّاجة العرب الأعشى ميمون بن قيس، والشاعر الفارس عنترة بن شدّاد العبسي، والشاعرالنابغة الذبياني، وطَرَفة بن العبد، وعمرو بن كلثوم وغيرهم، وقد عَرَضَ الشعر الجاهلي أخلاق العرب ومروءتهم وشجاعتهم وفروسيّتهم، كما كان الشعر وسيلة إعلامية ترصدُ الأحداث الكبيرة والمعارك والنزاعات التي كانت بين القبائل، فمعلقة زهير بن أبي سُلمى على سبيل المثال، رصدت حادثة الصلح بين قبيلتَيْ عَبْس وذبيان، وقد تعدّدت أغراض الشعر العربي في العصر الجاهلي، حيث تناول الشعراء العرب الغزل والرثاء والمديح والفخر والهجاء والوصف والحكمة وغيرها، وجدير بالذكر أنَّ القصيدة الجاهلية لم تكن محصورة بموضوع أو بغرض شعريّ واحد، بل كان معظم الشعراء يتناولون الغزل في مطالع قصائدهم، ثم ينتقلون إلى غرض القصيدة الرئيس، ثمَّ يختمون بشيءٍ من الحكمة، أي كانت القصيدة تتناول أكثرَ من غرض شعريّ».

٣ ـ الأسواق الأدبيّة عند العرب[١]

أسـواق العرب الأدبية كان لها كبيـر الأثر في تهذيب اللّغـة العربية، فكلّ شـاعرٍ وخطيبٍ كان يفضي بأحسـن ما عنده من المعاني العالية في العبارات الجَزْلة المُـتَـنَخَّلة فيتلقّفها السّامعون، ويتعلّم في هذه الأسواق الوافـدون إليها جميل المعاني ودُرَرَ الكلمات من نظم ثمين لفحـول الشعراء.

وكان العرب في هذه الأسواق يأمنون على دمائهم وأمـوالهم أثـناء التقـائهم بها، فيعتبر أهل الجاهلية هذه الأسـواق حَرَمًـا يأمن فيها الإنسـان دَمَه ومالَه، ما دام في ضيافة السوق وحرمتها؛ ولهـذا كانَ لكلّ سُـوقٍ (قَوَمَة) يقومون بأمر السوق وبالمحافظة على الأرواح والأموال فيها، فقـد كان في العرب قوم يستحلُّون المظالم يسمَّون بـ(المُحِلّون)، إذ كانـوا لا يقيمون وزنًا لحرمة هذه الاسواق.

وأشهر أسواقهم:

أ ـ سُـوقُ عُكَاظ:

أقيمت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، (٥٤٠ للميلاد).

وهي أشهر أسواق العرب قاطبة، وهي عامّة تجارية واجتماعية وأدبيـة أثّرت في لغة العرب وفي توحيد لَهَجَاتها.

وهي إحدى الأسـواق الثلاث الكبرى في الجاهلية، وكانـت العرب تأتيها لمدة عشـرين يوما من أوّل ذي القعدة، ثم تسير إلى سـوق مِجنَّة، فتقضي فيها الأيام العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، ثم تسير إلى سوق ذي المَجَاز فتقضي

(١) (الموسوعة العربية، أسواق العرب، التأريخ، المجلّد الثاني ص٤٤٩، وانظر:
تأريخ الأدب العربي لمصطفى صادق الرافعي ٧٧/١ وما بعدها، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
سعيد الأفغاني، أسواق العرب (المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٣٧).
عرفان محمد حمّور، أسواق العرب (دار الشورى، بيروت ١٩٧٩).
جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، الجزء السابع (بغداد ١٩٦٠).

فيها الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة، ثم تسير إلى حَجِّهـــا، وسكان سوق عكاظ الأوائل هم قبيلة هوازن وقبيلة عدوان.

يقول: الخليل بن أحمد عن سوق عكاظ هي: سوق كان العرب يجتمعـــون فيها كل سنة شهراً، ويتناشدون ويتفاخرون ثم يفترقون فهدَمه الإسلام.

وقـــال الجاحظ: وكانوا بقرب ســـوق عـــكاظ وذي المجاز، وهما ســـوقان معروفان وما زالا قائمين حتى جاء الإسلام.

وقال ياقـوت الحموي: إنّ الأصمعيّ قال عن سوق عكاظ: نخْلٌ في وادٍ، بينه وبين الطائف ليلـة، وبينه وبين مكة ثـــلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب، بموضع منه يقال له (الأثيْداء)، وبه كانـت أيام الفجار.

كانت سوق عكاظ بالجاهلية مفخـــرة العرب، من حيـث الأدب والشـعر وتبادل الأخبار والصلح بين القبائل وغيرها الكثير.

انتهت عام ١٢٩هـ.

ب ـ سوق مَجِنَّة:

هي: سوق من أسواق الجاهليـــة الثلاث الكبـــرى في موسـم الحج، كان يرتاده النبي محمد ﷺ لدعوة القبـائل العربية للإسلام،

ورد عن طارق بن عبد الله المحاربي أنه قال: رأيت رسول الله يمرّ في سوق ذي المجاز وعليه حُلّة حمراء، وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، ورجل يتبعـــه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيـعوه فإنه كاذب، فقلت: من هـذا..؟ قالوا: فتى بني عبد المطلب، فقلت: من هـذا الذي يتبعه ويرميه بالحجارة..؟ قالوا: هذا عبد العُزَّى أبو لهب»[1].

(١) (ابن الملقّن، البدر المنير، حديث: ١٤٧٢٩٨، ٦٨٠/١، ابن حزم، المحلّى، ١١٢/٩، شعيب الأرناؤوط، تخريج سنن الدارقطني، رقم ٢٩٧٦، ابن حبّان، رقم ٦٥٦٢).

تقع هذه السوق في بلاد قبيلة كِنانة التي تحميها، كما كانت قبيلة هوازن تحمي سوق عُكاظ، وقبيلة هُذَيْل تحمي ذي المَجاز، هذه السوق كانت لقبيلة كنانة وتقع على أرضها، وتقام في العشر الأخيرة من ذي القعدة، يقصدها العرب بعد أن تنفضّ سوق عكاظ، يتمّمون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء وتفاخر، وهي تستوي في نظر المحرِمين من العرب، وتتمتّع منهم جميعا باحترام واحد، حتى أنّ بعضهم لا يردها إلا محرما.

وموقع هذه السوق في الموضع المسمّى مَرَّ الظهران، وهو وادي فاطمة الآن، قرب جبل يقال له الأصفر، وأنها على أميال يسيرة من مكة، شرقيّ محطة أبي عروة، وشمالي الجموم، وبجوار هذا الجبل كانت توجد عين ماء.

ج ـ سوق ذي المَجاز:

وهي إحدى أسواق العرب الأدبية في الجاهلية، وكانت العرب ترحل إليها بعد فراغها من سوق مِجنَّة، لقربها من جبل عرفات، حيث يقيمون فيها حتى يبدأ موسم الحج، فيدخلون مكة لحج البيت الذي يعظّمُه جميع العرب.

وهي من أهمّ الأسواق التي كان يلتقي فيها قوافل التجار.

وسُمِّيَتْ بذي المجاز لأنه يتم فيها تفويج الحجيج وإجازتُهم منها إلى عرفات، وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات بناحية جبل كبكب.

وقيل: إنها بمِنى بين مكة وعرفات، وهذه السوق من ديار قبيلة هُذَيْل وهم أهلها وجيرانها.

د ـ سوق المَرْبَد:

كانت سوقًا للإبل منذ أيام الخلفاء الراشدين، حتى إذا كان عهد الأمويين اتّسعت وصارت سُوقًا عامّة، تتّخذ فيها المجالس، ويخرج إليها الناس كلّ

يـــوم، وتتعدّد فيها الحلقات، يتوسطّها الشعراء والرُّجّاز، ويؤمُّـــها الأشـــراف وسـائرالناس، يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجَوْن ويتشـاورون، وظلّت هذه السوق عـلى مجدها هذا حتّى خربت البصرة وتقلّص عمرانها فخربت.

وكان للمربد شأن عظيم في اللّغة قريب من شأن عكـاظ لولا امتيـاز عكـاظ بموقعه في وسط الجزيرة العربية وبُعْده عن مناطق اللسان الأعجميّ.

واستمرت سوق المربد تؤدي رسالتها وغرضـها حتى العهد الأول من العصر العباســي، والمربد هي السوق التي ورثت مكانة ســوق عكاظ، وحلّت محلّها لحين من الدهر.

وكانت تقام فيها مبارزات في الشعر بيـــن الفـــرزدق وجرير، وعرفت بشـــعر النقائض، وكان في الجاهلية ـ حتى عصر الخلفاء ـ ســـوق للإبل، وكانت تحبس فيه الإبل ولذلك سمُّي بالمربد، وأهل المدينة يطلـقون على المكان الذي يجفّف فيه التمر مربدا، وكان مربد البصرة في بدايـــة العصر الأموي عكاظ المسلمين كما يسمّونه.

إتجه له الأدباء والشعراء وعلماء اللغة، ونظرا لموقعه الجيّد فقـــد كان مكانًا لتبادل الثقافـــات والشـــعر والبلاغـــة والمفاخرات الشعرية ويجمع الحجاج والقوافل البرية للأقاليم الجديـدة التي تم فتحها، وكان يمدُّ البصرة بتجارة وثقافـة.

لقد ظل (مَرْبِدَ) البصرة مزدهرا حتى بدايات القرن الخامس الهجري.

أمّا الأسواق الموسميّة فأشهرها:

سُوق دُومَة الجندل، سُوق المشقّر، سُوق هَجَر، سُوق عُمان، سُوق حَباشة، سُوق صُحَار، سُوق الشِّحْر، سُوق عَدَن، سُوق صنعاء، وسُوق حضرموت.

قال الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه تأريخ آداب العرب:

«وهي أسواق كانوا يقيمونها في أشهر السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض، فكانوا ينزلون «دَوْمَة الجَنْدَل» أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل، ثم ينتقلون إلى «هَجَر» بالبحرين، فتقوم سوقهم بها في شهرربيع الآخر، ثم يرتحلون نحو «عمان» في أرض البحرين أيضا، فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى، ثم ينزلون سوق «المُشَقَّر»، وهو حصن بالبحرين، فتقوم سوقهم به أوّل يوم من جمادى الآخرة، ثم ينزلون سوق «صُحَار» فيقيمونها خمسة أيام لعشر يمضين من رجب الفرد، وتقوم سوقهم «بالشِّحْر»، وهو ساحل بني عُمَان وعَدن في النصف من شعبان، ثم يرتحلون فينزلون «عَدَن أبْيَنْ»، وهي جزيرة في اليمن أقام بها «أبْيَن» فنُسِبَت إليه، ثم تقوم سوقهم في «حضرموت» نصف ذي القعدة، ومنهم من يجوزها وينزل «صنعاء» فتقوم أسواقهم بها.

ولهم أسواق أخرى غير هذه: كـ «ذي المَجَاز» بناحية عرفة، وسوق «مِجَنَّة» وهي تقام قرب أيام موسم الحج، ويؤمّها كثيرمن قبائلهم، وسوق «حَبَاشة» كانت في ديار بارق نحو قَنَوْنا من مكة إلى جهة اليمن، ولم تكن من مواسم الحج، وإنما كانت تقام في شهر رجب؛ وأسواق كانت بين دُورهم ودُور العَجَم يلتقون فيها للتسوّق والبياعات، وهي التي كانت أوسع أبواب الدخيل والمُعَرَّب في هذه اللغة، وذكر منها الجاحظ في الحيوان سوق الأبُلَّة وسوق لقة (كذا)، وسوق الأنبار وسوق الحِيرَة»[1].

وقال عن سوق عكاظ:

«وفي هذه السوق كان يخطب الشاعر الفحل بقصيدته، والخطيب المِصْقَع بكلمته، كما فعل عمرو بن كلثوم بطويلته التي سُمِّيت بالمعلقة..... وكما خطب

(١) مصطفى صادق الرافعي، تأريخ آداب العرب ٧٧/١.

قُسُّ بن ساعدة الإيادي حكيم العرب خطبته المشهورة التي شهدها منه رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على جمل أورق. وفيها ضُرِبَتْ للنابغة الذبياني قُبّة من أَدَم ليتحاكم إليه الشعراء في أيّهم أشعر، وقد أنشده فيها الأعشى والخنساء وحَسَّان في قصة مشهورة».

ثانيًا: الأدَبُ في عُمَان

عمان بلد عربيّ، لغته فصيحة، ولهجته صحيحة، وأدَبه جَمٌّ، شارك بعدد كبير ومهمّ في خِدْمة اللغة العربية، واشتُهِرَ فيه أدباء وخطباء فصحاء، وشعراء نُبَغاء.

ومن شعرائهم قديماً:

ـ **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، واضع علْم العَروض[1].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفَرَاهِيدِيُّ.
قال عنه الشيخ الخصيبي في الشقائق:
والخليل ابن أحمد المنتمي للأزد في الشعر صاحبُ الخُبُرات.
وهو مبدي علمَ العَروض اختراعًا لم يكُ السبقُ فيه للغير يأتي
وقل: ممّن قال الشعر من أهل عمان في القرن الثاني من الهجرة الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، قيل: كان من أهل ودَام من الباطنة، وانتقل إلى البصرة».
كان مولده في العام المتمّ مائة من الهجرة (١٠٠هـ) في زمن الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز.
كان الخليل بن أحمد الفراهيدي رجلاً صالحًا عاقلاً، وقورًا كاملاً، مفرط الذكاء، وأكثر ما كان من صفاته بعد سيادته في العلم وانقطاعه له ما كان من زهده وورعه؛ إذ كان متقلّلاً من الدنيا جدًّا، متقشّفًا متعبدًا، صبورًا على خشونة العيش وضيقه، وكان يقول: «إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همّي».
وليس أدلّ على ذلك ممّا حكاه عنه تلميذه النضر بن شميل حيث قال: «أقام الخليل في خُصٍّ من أخصاص البصرة، لا يقدرُ على فَلْسَيْنِ، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال».
ومن حكايات زهده أنّ سليمان بن عليٍّ والي البصرة وجَّه إليه يلتمس منه الشخوص إليه وتأديب أولاده نظير راتب يُجرِيه عليه، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزًا يابسًا، وقال: =

= ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمان، فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول:

أبلغْ سليمان أنّي عنه في سعةٍ ... وفي غِنًى غير أنّي لست ذا مالِ
سخَّى بنفسيَ أنّي لا أرى أحدًا ... يموت هُزْلاً ولا يبقي على حالِ
والفقر في النفس لا في المال نعرفُه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المالِ
فالرزق عن قَدَرٍ لا العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه حُولُ محتال

فقطع عنه سليمان الراتب، فقال الخليل:

إن الذي شقَّ فمي ضامن ... للرزق حتى يتوفّاني
حرمتني خيرًا قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه، وأضعف راتبه، فقال الخليل:

وزَلّة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجّب جاءت من سليمانا
لا تعجبَنَّ لخيرٍ زلَّ عن يده ... فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

من أشياخه:

أيوب السختياني البصري، وقد فقه اللغة عليه، وعاصم الأحول بن النضر البصري، والعوام بن حوشب، وغالب بن خطّاف القطّان البصري، وكذلك أبو عمرو بن العلاء، وعثمان بن حاضر الأزدي، وغيرهم.

ومن أبرز تلاميذه:

(سيبويه) النحوي البصري حُجَّة العربية، وعبد الملك بن قُرَيب الأصمعي، وحمّاد بن يزيد، وأيّوب بن المتوكّل البصري القارئ، وبَدَل بن المحبَّر، وداود بن المحبّر، وعلي بن نصر الجهضمي الكبير، وعون بن عمارة، والمُؤَرِّج بن عمرو السدوسي، وموسى بن أيوب، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي الأعور، ووهب بن جرير بن حازم، ويزيد بن مرّة الذَّارع، والليث بن المظفّر.

له كتاب العين العربية: كتاب العين، فائت العين، العَروض، الشواهد، النقط والشكل وغيرها.

قال عنه سفيان بن عُيَيْنة: «من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ خُلِقَ من الذهب والمسك، فلينظر إلى الخليل بن أحمد».

ويُروى عن تلميذه النضر بن شميلٍ أنه قال: «كنا نُمَيِّل بين ابن عونٍ والخليل بن أحمد أيُّهما نقدِّم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيَّهما نقدِّم؟!» وكان يقول: «ما رأيت رجلاً أعلم بالسُّنَّة بعد ابن عونٍ من الخليل بن أحمد»، وكان يقول: «أُكِلَت الدنيا بأدَب الخليل وكُتُبِه وهو في خُصٍّ لا يُشْعَر به. وكان يحج سنةً، ويغزو سنةً، وكان من الزهَّاد المنقطعين إلى الله تعالى». =

ـ كعب بن معْدان الأشقري[١].

ـ أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي[٢].

= كان سبب وفاته ما روي أنه: أراد أن يُقرِّب نوعًا جديدًا من الحساب تمضي به الجارية إلى البائع فلا يمكنه ظلمها، فدخل المسجد وهو يُعمِل فكره في ذلك، ولكن أجله كان بالمرصاد، حيث صدمته سارية وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته. وقيل: بل كان يقطِّع بحرًا من العروض، وكان ذلك بالبصرة سنة سبعين ومائة من الهجرة (١٧٠هـ) على المشهور، ودُفِن بها.

الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان ٢٠/١.

الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤١/١٣، ٢٤٢. د. رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام ١١٩/٣. د. رحاب خضر عكاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ص١٨.

الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٣١/٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٥/٢.

ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٢٤٥/٢.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٢٦٣/٣.

ابن خلّكان: وفيَات الأعيان ٢٤٦/٢.

الصفدي: الوافي بالوفيَات ٢٤١/١٣.

(١) هو أبو مالك كعب بن معدان من بني أشقر، وهم بطن من دوس واسمه: سعد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران الأزدي. وكانت أمهم تسمى الشقيراء، من عبد القيس.

شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، كان رفيق المهلّب في جميع حروبه ومن أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة وفيه سطّر أروع القصائد، أوفده المهلّب بن أبي صفرة إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي، وأوفده الحجّاج إلى الخليفة عبد الملك بن مروان.

قال الفرزدق: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، وكعب بن معدان الأشقري، والأخطل.

وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يعجب بقوله في مدح المهلب ومن شعره:

شفيت صدوراً بالعراقين طالما تجاوب فيها النائحات الصوادح

مددت الندى والجود للناس كلّهم فهم شرعُ فيه صديق وكاشح

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي الدوسي المولود في عام (٢٢٣هـ/٨٣٧م والمتوفي في عام ٣٢١هـ/٩٣٣م).

هو عالِم باللغة وشاعر وأديب عربي ومن أعظم شعراء العرب.

كان يقال عنه: «ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء». =

= قال عنه الشيخ الخصيبي:

والخطيب الأريب نجل دريد ... من بني الأزد معدن الطائلات
وهو يُدعَى محمدا وأبوه ... الحسَنُ اجتاز أرفع الرُّتُبَات
قد كفى شهرة بما قد حواه ... من علوم جليلة وصفات
وهو المصقع البليغ تحلّى ... شعره بالمحاسن الرائعات
وبتلك المقصورة الفردة اعْجَبْ ... فهي لا شكّ أعجب المُبدَعَات

وقال عنه: «سكن في صحار من الباطنة، ويقال أيضا: سكن في دَمَا، التي كانت مأوى الأخيار والعلماء، وهي بلد السيب».

ولد في مدينة البصرة في سكة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومئتين للهجرة، وكان أبوه وجيهاً من وجهاء البصرة، وقرأ ابن دريد على علمائها وعلى عمّه «الحسين بن دريد»، وعند ظهور الزنج في البصرة انتقل مع عمه إلى عُمان وذلك في شهر شوال عام ٢٥٧هـ، وأقام فيها اثنتي عشرة عاماً، ثم رجع إلى البصرة وأقام فيها زمناً، ثم خرج إلى الأحواز بعد أن لبى طلب عبد الله بن محمد بن ميكال الذي ولاه الخليفة المقتدر أبو الفضل جعفر (خلافته من ٢٩٥هـ ـ ٣٢٠هـ) أعمال الأحواز، فلحق بهِ لتأديب أبنهِ أبي العباس إسماعيل وهناك قدّم لهُ كتابه العظيم جمهرة اللغة سنة ٢٩٧هـ، وتقلد ابن دريد آنذاك ديوان فارس، فكانت كتب فارس لا تصدر إلا عن رأيه، ولا ينفَّذُ أمرٌ إلا بعد توقيعه، وقد أقام هناك نحواً من ست سنوات، ودخل ابن دريد بغداد شيخاً سنة ٣٠٨هـ وأقام بها حتى وفاته سنة ٣٢١هـ.[مدح ابن دريد آل ميكال بقصيدته المشهورة المقصورة.

كان ابن دريد بارعاً في اللغة والأدب عالماً بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم، قام في ذلك مقام الخليل بن أحمد الفراهيدي. ونبغ في الشعر حتى قيل عنه: أعلم الشعراء وأشعر العلماء. وقد وضع أربعين مقامة كانت هي الأصل لفن المقامات.

أثنى كثير من العلماء على ابن دريد، قال الإمام نور الدين السالمي في تحفة الأعيان: «وهو الخطيب المذكور، والشاعر المشهور، والفصيح الذي تقف عند كلامه البلغاء، ويعجز عن آدابه الأدباء، ويستعير منه الفصحاء، ويستعين بكلامه الخطباء، وهو خطيب في شعره، ومصقع في خطبه، وقدوة في أدبه، وحكيم في نثره، ومجيد في شعره، لا زيادة عليه في فنون العلم والآدب».

وقال أبو الطيب اللغوي: ابن دريد انتهى إليه علم لغة البصريين وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علماً، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحدٍ ازدحامهما في صدر أبي بكر بن دريد. =

= لقد كان ابن دريد سخياً لا يمسك درهماً ولا يرد محتاجاً، عاد من الأحواز إلى البصرة ومنها إلى بغداد، عام ٣٠٨هـ، وأنزله علي بن محمد الجواري بجواره في محلة باب الطاق وأكرمه، وعرف الخليفة المقتدر العباسي فضله وعلمه، وأمر أن يجري عليه في كل شهر خمسون ديناراً، فأقام في بغداد إلى أن توفي.

وقد تخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب «الأغاني» وأبو الحسن المسعودي مؤلف «مروج الذهب» وأبو عبيد الله المرزباني مؤلف «معجم الشعراء» وأبو علي القالي مؤلف كتاب «الأمالي» والنهرواني مؤلف «الجليس الصالح»، وأخذ هو عن أبي حاتم السجستاني.

لقد وضع ابن دريد أكثر من خمسين كتاباً في اللغة والأدب ومنها: الأشربة.

الأمالي، الجمهرة في علم اللغة، السرج واللجام، كتاب الخيل الكبير، كتاب الخيل الصغير، كتاب السلاح، كتاب الأنواء، كتاب الملاحن،

توفى في بغداد ودفن في المقبرة العباسية المعروفة مقبرة الخيزران، ليلة السبت ٢٣ رجب سنة ٣٢١هـ/ ١٩ يوليو ٩٣٣م، وكان يومها مطر شديد ولم يخرج بجنازته إلا نفر قليل من محبيه وعارفي فضله، ودفن معه قبل ساعة من دفنه أبو هاشم الجبّائي شيخ المعتزلة.

الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان ٢٠/١.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد ج٢/ ص١٩٥.

تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيَّات دار المعرفة بيروت ـ لبنان ص٢٧٤ ـ ٢٧٥، ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج١٨ ص١٢٨.

أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ـ وليد الأعظمي ـ مكتبة الرقيم ـ بغداد ٢٠٠١م ـ الصفحات ٢٣، ٢٤، ٢٥.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي البغدادي ـ ٢٦١/٦.

البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ١٧٦/١١.

السيابي، سالم بن حمود، العنوان ٧٠.

مقدّمة كتاب السُّموط الذهبية للشيخ الفقيه موسى بن عيسى البكري السمائلي.

السيابي، أحمد بن سعود، مازن بن غضوبة ١٩.

د. خالد الغزي، الواقع التأريخي والحضاري لسلطنة عمان ص٣٦٦.

الجعفرية محلّة الشيخ المسؤول، ونغزا موضع معروف في سمائل، حتى قيل فيه.

ما بين نغزا ونغزا قلب المتيَّم يُغزَى

ـ وأبو العبّاس محمد بن يزيد الأسلمي الأزدي، المعروف بالمُبَرِّد[١].

(١) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبـرَّد.
جهبذ في علوم البلاغة والنحو والنقد.
قال عنه الشيح الخصيبي في الشقائق:

والمسمَّى محمد بن يزيد ... أسلميٌّ ومن كبار النُحاة
وهو مَن كان بالمُبَرِّد يدعى ... ذكْرُه شاع في جميع الجهات

وقال عنه: «كان مسكنه في مَقاعِس بين صَحَم والخابورة من خطّ الباطنة».
ولد بالبصرة نحو سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، وعاصر تسعة من الخلفاء العباسيّين.
لكن لا ندري المدة التي عاشها في عمان.
واسمه محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، وينتهي نسبه بـ»ثمالة»، وهو عوف بن أسلم من الأزد.
تلقى العلم في البصرة على عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو منهم: «أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي»، وكان فقيهًا عالمًا بالنحو واللغة، و«أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني» الذي وصفه «المبرد» بأنه كان أعلم الناس بالنحو بعد «سيبويه»، كما تردد على «الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر»، وسمع منه وروى عنه حتى عُد من شيوخه، وأخذ عن «أبي حاتم السجستاني»، وكان من كبار علماء عصره في اللغة والشعر والنحو، كما تلقى عن «التوزي» ـ أبو محمد عبد الله بن محمد ـ، وكان من أعلم الناس بالشعر.
وقد تلقى عنه عدد كبير من الأدباء والأعلام، منهم: «الزَّجَّاج» و«الصولي» و«نفطويه النحوي» و«أبو علي الطوماري» و«ابن السراج» و«الأخفش الأصغر» و«أبو على إسماعيل الصفار» و«أبو الطيب الوشاء» و«ابن المعتز العباسي» و«أبو الحسين بن الجزار» و«ابن درستويه» و«أبو جعفر النحاس».
وهم جميعًا من كبار علماء العربية وأعلامها المشهورين، وقد تركوا العديد من المؤلفات القيمة والتصانيف الشهيرة في مختلف العلوم والفنون.
وكان «الزَّجَّاج» أكثرهم التصاقًا به وأغزرهم رواية عنه؛ فهو أول تلميذ للمبرّد في «بغداد»، وقد ظل وفيًّا له طوال حياته.
بعد وفاة «المازني» صار المبرّد زعيم النحويين بلا منازع وإمام عصره في الأدب واللغة من بعد شيخه، فأقبل عليه الدارسون من كل حدب وصوب، وصار بيته كعبة لطلاب العلم ورواد المعرفة من كل مكان، ومنتدى للوجهاء والعظماء والأعيان.
واختصه كثير من سراة القوم وأعيانهم لتأديب أبنائهم؛ لما عُرف عنه من العلم والفضل والأدب، وما اشتهر به من المروءة والوفاء. =

قال الجاحظ: «لربّما من لا عِلْمَ له يقول: ومن أين لأهل عمان البيان؟ وهل يَعُدُّون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يَعُدُّون لأهل عمان»[١].

يقول شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله في مقدِّمته لكتاب شقائق النعمان للشيخ الفقيه الأديب محمد بن راشد الخصيبي: فإن الأدب في تأريخ الشعوب والأمم هو المِرْآةُ التي تعكس حياتَها السياسية والاجتماعية والثقافية، وهو الميزان الذي يقدِّر ثقلها، وقد انبرى الأدباء من أجل كلّ لغة راقية يفرغون مواهبهم في القالب الشعري، وكان للعرب في ذلك النصيب الأوفر، لما تمتاز به لغتهم من وَفْرة المواد، وكثرة الاشتقاق، وسلاسة التعبير، وجميل الأداء، ولما يتمتّعون به من حِسّ مُرهَف، وخيال واسع، وذوق سليم، ومن حيث أنّ عمانَ جزءٌ من جزيرة العرب، التي هي قاعدة العرب ومهد العربية، فقد أسهم أهلها إسهاما واسعًا في الحركة الأدبية الشعرية والنثرية، فكان منهم الشعراء النابغون، والخطباء المصاقع، والكاتبون البارعون» اهـ[٢].

= من مؤلفاته: كتاب الكامل في التاريخ، الفاضل، المقتَضَب، شرح لاميّة العرب، الاختيار، والاشتقاق، وغيرها.

وتوفي في [٢٨ من ذي الحجة ٢٨٦هـ ـ ٥ من يناير ٩٠٠م].

الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان ١٩/١.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ بيروت: [د.ت].

تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت: [د.ت].

الكامل في التاريخ: ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ـ دار صادر ـ بيروت ـ [١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م].

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت: [د.ت].

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط١، ٩٧/١.

(٢) الخصيبي، الشقائق، المقدّمة.

وقال في مقدّمته لديوان (فارس الضاد) لأمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي:

«إن الشعر خِزانة الأدب، ومعدن الحِكَم، وينبوع الفصاحة، وديوان العرب، ومضمارهم الذي تتبارى فيه مَلَكاتهم، ويتنافس فيه بلغاؤهم، ولم يخْلُ عصر من عصورهم من نبغاء فطاحل، تكشَّفتْ آدابهم عن سعَة مَداركهم، ورَقَّة شعورهم، وخَصْب خيالهم، قدَّموا للشاربين عُصارة أدَبهم في وِعاء القَريض.

وإذا كان الأدب المرآة التي تعكس مواهب صاحبه كما تعكس آلامَه وآماله، وهمومَه وهِمَمَه، فإنه الطبع يعكس بيئته، التي يتقلّب في أكنافها، إذ لا بدّ للأديب ـ لا سيَّما الشاعر ـ من التفاعل مع ظروف مجتمعه، وهموم قومه وقضايا أمّته، ولئن كان الأدباء أو قل الشعراء من هذا النوع أعلاما في كلّ مجتمع وأمّة، تفاخر بهم المجتمعات، وتباهي بهم الأمَم، فإنه يحقّ للمجتمع العماني الأصيل أن يرفع عقيرته مفاخرا بنوابغ شعرئه، ومَصاقع خطبائه، الذين لم يكَدْ يخلو منهم عصر من العصور، ولئن كان الفتى من يقول: ها أنا ذا، لا من يقول: كان أبي، فإنه يجدر بالمجتمع العماني المعاصر أن يباهي بأدبائه الأعلام، والذين يملأون ساحة الأدب، ويكسونها روعة وجمالا..... ١٣ رجب الأصمّ ١٤١٤هـ»[1] اهـ.

ما أروع هذا الوصف لشيخنا الخليلي حفظه الله للأدب، فهو وإن لم ينظم الشعر، لكنّه أديب كبير، ناقد للشعر، متذوّق له، يستشهد به في كتاباته المتنوّعة، ومحاضراته ودروسه، وهو الذي غضب ذات مرّة على طلّاب معهد القضاء الشرعي، حينما سمع أنّ بعضهم لا يحبّ الشعر، فهو يريد من طلّابه التمكّن من اللغة العربية بجميع علومها، ومنها الأدب، والشعر في مقدّمة علم الأدب.

(١) الخليلي، فارس الضاد، المقدّمة.

ويقول أمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي في مقدّمته لديوانه (فارس الضاد)، وهو يذكر الشعر ومكانته، والأدب ومنزلته، وهو الناظم الناثر، الأديب الكبير، الشاعر الأمير، قال:

«الحمد الله الذي جعل لغة الضاد فوق كلّ اللغات، وميّزها بفصاحتها وبلاغتها، وشرّفها بانتساب الرسول الأعظم محمد ﷺ إليها، وأنه درج وشبّ في أحضانها، وترعرع وبرع بين لابتيْها، وبنى منصّة الدين الحنيف على هامتها، فانقادت له جوامع الكلم، وخضعت له جلائل الحِكَم، فبسط بها ذراعيْه مهيمنة على البسيطة، وخدم الدين بها حتى وفّى الله حقّه، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة صلاة الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحابته والتابعين، أمّا بعد:

فإنّ الشعر ديوان العرب وناموسهم، ومحجّتهم البيضاء وقاموسهم، وحجتهم الباهرة، وآيتهم المشرقة، به تتبارى فحول رجالهم، وفيه تتسابق فرسان ميدانهم، وعلى ضوئه يعبِّر شاعرهم عمّا يكنّه، وعمّا يدور حوله وحول مجتمعه، في أسلوب رقيق وانسجام أخّاذ، وبلاغة قاهرة، وفصاحة نادرة، ذلك أنه يجمع بين البيان في حكمته، وبين السحر في أخْذته، ويأتي في تناسق الكلمات، وتناسب المعاني، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة**».

فناهيك به وهو يسحر القلوب، ويتحكّم في الألباب، ويروض الدنيا بخيله ورَجِله، حتى يذلّلها ويقودها إلى غايته، وقال ﷺ لحسّان بن ثابت ومن معه من الشعراء: «**إنّ لكلامكم في قلوب الأعداء أثرا أشدّ من وقْع النبال**».

وقال لحسّان بن ثابت: «**اللهمّ أيِّدْه بروح القُدُس**».

إنّ الأفكار لتتّسع رقعتها، وتثمر في سماء الشعر دوحتها، فتؤتي أكلها يانعة شهية إذا سُقِيتْ بغَرَب[1] البيان، ونفحتها نسائم الطبيعة بلطفها العليل، تحت ردائها البليل.

(١) الغَرَبُ: القَدَح.

إن الشعر للسان العربي صيقله[١] يصقله ويشحذه، حتى ليكاد يخطف زُبَر[٢] البرق متنزّلة في أقصى سرعتها، وأشدّ اندفاعتها، كما أنه للقلب الذكيّ مُنْصُلُه[٣] الذي يجرّده القضاء والقدر على الرقاب المارقة، وهو على زند مفتول، وقلب وثّاب بين أضلاع حُرٍّ كميّ لا تكذبه وثْبَتُه، ولا تنزلق به عثرته، ولا يخطئ مرماه.

إن الشعر لمدرسة للمبتدي، وجامعة للمنتهي، ودراسات عليا للمتفوّق، وغاية قصوى للطامح، وعليه تدور رَحَى لسان الضاد، فهو فلَكُها الدوّار، وقطبُها الذي عليه يحلّق الأديب إلى أقصى سماء الجاذبية، وبه يصل إلى غايته العلوية، وبه يقعد على منصّته السحرية.

وعلى وحيه يقف خطيبا على منبره، يأخذ بمجامع القلوب، ويهيمن على مدارك العقول البشرية.

إن الشعر لمركبة فارهة، يطير الخيال بين أجنحتها، وتفرّخ الحقيقة فوق عروشها، ويستدرُّ البيان دَرَّة ضرعها، وتنحسر الغايات دون بلوغها، وتتقاصر الأفهام عن دركها.

إن الشعر لهو الكفء الذي ترضاه الضاد لصيانتها، وتأنس إليه السليقة في تدافعها، وتهفو إليه الطبيعة في تناسقها، إنه لَلْمَنْهَلُ الخَصْب، والمورد العَذْب، الذي يأخذ اللبيب عن لُبّه، ويروض الفارس في بُعْده وقربه.

وقد كان رسول الله ﷺ يسمع الشعراء ويهشّ لهم، ويكافئهم على شعرهم، فانظر إلى كعب بن زهير، الذي أهدر عليه الصلاة والسلام دمَه، فلم يجد من يشفع له، فتلطّف حتى تمكّن من إلقاء قصيدته المشهورة والتي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبول

(١) صيقله: جلاؤه، الصيقل: الذي يجلو السيوف ويشحذها.
(٢) زُبَرُ البرق: القِطَعُ الضخمة منه.
(٣) المُنْصَل: السيف.

وذلك بحيث يسمعه الرسول ﷺ حتى قال فيها:

إنّ الرسـول لسـيف يستضاء به مهنّـد من سـيوف الله مسـلول

وقال فيها:

نُبِّئْـتُ أنّ رسـولَ الله أوعدنـي والعفـو عند رسـول الله مأمول

والرسول مصغ إليه حتى أكمل إنشاده ثم عفا عنه، وكساه بُرْدَتَه المشهورة.

وإلى قصّة النضر بن الحارث بن كلدة، الذي كان من طواغيت قريش، وكان شديد الإيذاء لرسول الله ﷺ ولصحبه، فأُسِرَ يوم بدر، فأمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فضرب عنقه، ثم وصلته أبيات كتبتها أخت النضر تقول فيها:

أمحمـد يـا خيـر ضِـنْءِ كريمـة في قومهـا والفحـل فحْـل معرقُ

مـا كان ضـرّك لـو مننـتَ وربّما مـنّ الفتـى وهوالمَغيـظ المحنـق

فقال عليه الصلاة والسلام: «**لووصلتني أبياتها قبل قتله ما قتلته**».

وإن هذا لأكبر دليل على احترام الشعر، وحسن التقدير له من رسول الثقلين، وإمام البلغاء وأفصح من نطق بالضاد.

وأمّا ما قاله عزّ من قائل في كتابه العزيز: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦].

فلعلها ليست من قبل الشعر وصناعته، بل ذلك يعود إلى الأغراض التي غلبت على طابع الشعر، واتصف بها الشـعراء، ذلك أنهم وُلِعوا بالتشبيب، وهو ذكر محاسـن النساء في أشـعارهم والتعريض بهنّ، واسـتمالة القلوب إليهنّ، وفي ذلك ما لا يخفى من التشهير والتشنيع، وهتك الأستار عن محارم الله، وأنهم وصفوا الخمر بأجمل صفاتها، وبالغوا في إطرائها والحضّ عليها، ورجعوا إلى المديح فوصفوا الرجل بما ليس فيه، وأضافوا إليه محاسن غيره،

كما أنهم وُلِعوا بالهجاء، فهَجَوْا الرجل والقبيلة بدون استحياء، ونسبوا إلى كرام الرجال أراذل الأعمال، وإن شئت أن ترى البرهان على ذلك فارجع إلى دواوينهم لترى بعينيْ رأسك، وانظر في سياق الآية فإنها لن تمسّ الشعر، ثم استثنى الله، ويا لَحُسْن ما استثنى، إذ قال جل وعلا: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أمّا ما قاله عزّ من قائل في نبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس: ٦٩]، فالذي يبدو أن الله تعالى هيّأ نبيه ورسوله الأعظم، وأعدّه للناموس الأكبر، ولما يستنزل عليه من لدن الله من الذكر الحكيم، الذي ما نبع البيان إلا منه، ولا تجلّت الحكمة إلا عنه، مع ما فيه من سياسة البشر أمرا ونهيًا، وحَلًّا وعقدا، وأحكاما وإحكاما، في تعاليم قيّمة، وآيات بيّنة.

وقال علماء التفسير: إن القرآن نزل نظما، فلَعَمْري إنه لنظم يكبر عن النظم، ونثر يهيمن على النثر والنظم، فهو في مستوى لا ينافسه فيه منافس، ولا يزاحمه مزاحم، بل ولا يتحدّاه إلا مكابر يخور دون غايته، ويندحر عنه قبل نهايته.

ولقد رصدته قريش محاولة أن تشوّه به، ففوجئوا بما أفحمهم وألجمهم بطينة الغرق التي ألجم بها فرعون، وتحدّاهم العزيز الحكيم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل سورة منه أو آية من آياته، وكانوا على قمّة الفصاحة والبلاغة، فعجزوا وما استطاعوا أن يقولوا شيئا، مع أنهم كانوا متلهّفين للنيْل منه، والجَدَل فيه ولكنّهم وجدوا ما: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصّلت: ٤٢].

أمّا ما قاله بعض العلماء وأحسبه الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

لوأمعنّا فيه النظـر لقلنا لعله من جانب ما قيـل: إن العلماء خلائف الأنبياء ووارثوهم، والأنبياء لا يقولون الشعر، لكن هذا عند أفراد من العلماء، ولعله لم يفسح لهم في الشعر، أو ليست لهم فيه هواية.

أمّا جلُّ العلمـاء فإنهم يقولون الشـعر ويتغنَّون به، وبعضهـم يجيده، وإن الشعراء أنفسَهم لتجد فيهم المجلّي، والمصلّي، والسُّكَّيْت[1].

إن الشـعر لموهبة من مواهب الله ﷻ، يتنزّل بها إلهامه، على من يشاء من عباده، وكأنّي بذلك نابع من قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

ولكن الشاعر قد يحسن الصناعة فينهدُّ متفوّقا، وتعلو درجته، ويقال عنه إنه مُفْلِق، وقد يسيء الصناعة فيدخل تحت قوله ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحـل: ٧٥]، أو يدخـل تحت لعنة الشـعراء، ورجال الأدب فيخرج من الحلبة إلى ما لا رجعة، ولسنا بحاجة إلى أن نقول كما قال المشـعوذون: إن الشعر إيحاء شـيطان، أعوذ بالله، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجـنّ: ٦]، فمَـن يا تُرى يلقيه فـي رُوع ذلك الشيطان، جلّ الله وتسامى وعزّ شأنه.

إن مواهب الله أكثر من أن تحصى، وأكبر مـن أن تحصر، ولا ولن تجد كنزًا موهوبا، ونعمة فائضة إلا من قبل الله، ألا ترى وأنت تقرأ عن شـاعريْن مفلقيْن، أو عن شعراء مجلّين فتقرأ ما يشدّك ويأخذ بمجامع قلبك، ولكنّك قلّما تجد تقاربا بين المسالك، ولا تناسـبا بين المآخذ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

(١) درجات السباق للخيل، المجلّي هو الأول، والمصلّي الثاني، والسكّيت آخرها.

وعلى من وُهِبَ موهبة أن يحمد الله على ما وَهَب، وأن يستزيده من فضله، وأن يأخذ بمِقْوَد موهبته سعيا إلى الله في مراضيه، واجتناب نواهيه، ولقد تزلّ القدم، لأنّ ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون، والله يغفر الزلل ويتجاوز عن الأخطاء.

وأمّا قولهم، إن الشعر أعذبه أكذبه، وأنّ فيه مبالغة تدخل في إطار الكذب، فهذا لا يمكن أن نحمله على الإطلاق، إذ أنّ المبالغة وردت في اللسان العربي، وأن الشعر من ثمرات اللسان العربي، فمن ذلك «لا أبًا له»، و«قطع الله عُنُقَه»، «ولَحاه الله» وما أرادوا أنه زنيم، ولا قطْعَ عنقِه، ولا لَحْوَه، ولكن ليكون الكلام أسوغ للسامع، فيكون أسرع لابتلاعه وهضمه.

ولقد قالها رسول الله ﷺ إذ رأى رجلا رَثَّ الهيئة، فقال: «أليس لهذا حلّة خير من هذه:؟، فقالوا: بلى وأوعزوا إلى الرجل فلبس حلّته الحسنة، وظهر بمظهر حسَن، فلمّا رآه الرسول ﷺ قال: «قطع الله عنقه، أليس هذا خير له»، فسمع الرجل فقال: في سبيل الله يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «في سبيل الله».

ومن ذلك أنّني كنت أصيب طعام العشاء مع عمّي الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رضي الله عنه وأرضاه، وهو مضرب المثل في الصدق والعلم والزهد والتحفّظ، ولكن لحداثة سنّي وفَرْط لطفه، قلت له: لو ابتعتم من لحم ذلك الثور الذي بيع منه اليوم وَزْنَ كذا بكذا من القيمة، فقال: لو أخذنا منه بقرشين لجاءنا ملء الدنيا، وهو يبتسم، والقرشان ريالان عمانيان، ومعلوم أنه ما أراد ملء الدنيا ولكنه أراد المبالغة في الكثرة.

ولقد بالغ العلماء في كلامهم، فمن ذلك ما قاله الإمام الشافعي:

علـيّ ثياب لـو يبـاع جميعُها بفَلْس لكان الفَلْـس منهنّ أكثرا
وفيهنّ نفْسٌ لو يُقـاس ببعضها نفوس الورى كانت أجلَّ وأكبرا

ويقول جدُّنا العلّامة الربّاني سعيد بن خلفان الخليلي، يذكر تغلّب الأعداء على أرض السرّ من عمان:

واستوطنوا منها البريمي معقلا تنحطُّ دون علوّه الأقمار

والمعقل لا يزيد في ارتفاعه عن بناء عادي، وما دمنا على أُفُق الأدب، وتحت سمائه المزدانة بالكواكب النيّرة، والأقمار الساطعة، فإنا نسوق إليك حديثا عن عبد الملك بن مروان الأموي، وهو أحد الأربعة الذين ما لحنوا في جِدّ ولا هـزْل، ذلك أنه بلغه عن عامله الحجاج بن يوسف أنه قطع الشعر والشعراء، فكتب إليه ما نصُّه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي وبعد: فقد بلغني عنك ما كذّب فراستي فيك، وأخلف ظنّي بك، من أنك لا تعرف الشعر والشعراء، ومواقع سهامهم، أما علمت يا أخا ثقيف، أن بقاء الشعر بقاء الذكر ونماء الفخر، وأن الشعر طراز الملك، وحلي الدولة، وعنوان النعم، وتمام المجد، ودلائل الكرم، وأنهم يحضّون على الأفعال الجميلة، وينهون عن الأخلاق الذميمة، وأنهم سنّوا سُبُل المكارم، وطلابها، ودلّوا العُفاة على أبوابها، وأنّ الإحسان إليهم كرم، والإعراض عنهم لُؤْم وندَم، فاستدركْ فرْطَ تفريطك، وامْحُ بصوابك وحي أغاليطك، والسلام».

وإنّ الملوك ليقولون الشعر، ويتغنّون به، وشعرهم غالبا يأتي في المقدّمة، ولقد قيل: إن كلام الملوك، ملوك الكلام، فمن ذلك قول الشاعر الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي:

وإنّي لمن قوم كرام أعزّة لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائف في الإسلام في الشرك قادة بهم وإليهم فخر كل مفاخر

ويقول عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الداخل (صقر قريش):

ألســنا بني مروان كيف تبدّلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا وُلِدَ المولود منّــا تهلّلت له الأرض واهتــزّت لديــه المنابر

لتكن يا أخي العربي علــى علم بأنّا ما أوردنا كلام الملــوك إلا دليلا على عظمة الشعر، أمّا نحن فنحلّق من أجوائنا، ونسرح في أفق خيالنا، وأنّ مواهب الله هو الذي يقسمها بين خلقه على حدّ هو يحدّه.

ومن هذا المنطلق، أجدني أحدو مطايا الشــعر، رغبة فيما عند الله، وتحدّث بنعمته، مســتلهما منه تعالى الصواب، وأن يأخذ بيدي إلى جادّة الطريق، وإلى الصراط الســويّ، راجيا أن أكون ممّن عناهم الله بقوله عــزّ من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ..... ﴾ [العنكبوت: ٦٩] اهـ.

لقد تنوّع النشــاط الأدبي في عمان، وجرى ســيله بغزارة، فكان ينهمر مع الشــعور والأحاســيس والوجدان، ويجري مع الأحداث والمناسبات عبر الأيام والساعات والأزمان.

نعم «النشــاط الأدبيّ العمانيّ يمتدّ عبر مســاحات زمانية ومكانية واسعة، وضمن مســتويات متعدّدة، ويظهر في أشــكال مختلفة، حاملا مهامّ ترفد الفكر والوجدان، وكان لهذا النشــاط أثر بارز منذ العصر الجاهلي، فظهر من المنطقة أسماء شعراء وخطباء يستقرّون حينا ويرتحلون حينا آخر»[(١)].

ذكر (جرجي زيدان) في كتابه العرب قبل الإســلام أنّ من أســواق العرب: سوق صحار، وسوق عمان، حيث كانت الوفود تأتي إلى هذه الأسواق من أماكن مختلفة في الجزيرة العربية وتنشد الأشعار، وتضرب القباب، وتلقي الخطب، وتوثّق الأحلاف.

(١) د. أحمد درويش، مدخل إلى دراســة الأدب في عمان، دار الأسرة للنشــر، دار المعارف مصر ١٩٩٢م ص ٧.

أمّا صُحار فقد اشـــتهرت منذ القِدَم، وهي منســـوبة إلى شاعرها صُحار بن العبّاس العبدي، يقول السيد هلال بن بدر البوسعيدي:

ألَسْنا قِراةُ الضيف في كلّ موطن ألَسْـــنا أُباةُ الضيْم يومَ طِعـــان؟
أليس صحارٌ يوم ذاك خطـــيبَنا ومَن كصحار والزعيم بصَوْحان؟

ثالثًا: المجالس الأدبية في سمائل

ســـمائل هي بلاد الأدب في عمان باعتراف الجميع، فقد اشتهر فيها الأدب واشتهرت به، فهو اسم ملازم لها ولصيق بها، ومنها طبقة علماء الشعراء وشعراء العلماء، كالعلّامة الكبير ابن النضر أحمد بن سليمان الناعبي، والمحقّق الشيخ العلّامة سعيد بن خلفان الخليلي، وشـــاعر العرب الشيخ العلّامة ناصر بن سالم البهلاني، أبي مسلم، والشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي، ومنها أمير البيان الشـــيخ عبد الله بن علي الخليلي، وفـــارس القصيدة العربية في عصره الشـــيخ الأديب هلال بن سالم السيابي وغيرهم.

قال الشيخ سالم بن حمود السيابي:

«ولا تزال بسمائل أدباء من أفصح العرب في كلّ جيل، وإليها يشار بالبَنان في ذلك، وحســـبُك بمثْل الإمام ابن النضر، أشـــعر العلماء، وأعلم الشعراء، والشيخ العلّامة الجليل، الخليلي النبيل، ســـعيد بن خلفان، وابنه الشيخ الرئيس عبد الله، وهذا اليوم حفيده الشيخ عبد الله بن علي، أشعر مَن بها، وقد جمع شعراءها كتابنا: زَهْرُ الخمائل في ذكر شعراء سمائل، وفيها من أهل الأدب آخرون»[1].

أقول: ليتنا وجدنا هذا الكتاب الذي يشـــير إليه الشيخ سالم، وهو كتاب زهـــر الخمائل، حيث صار مـــن ضمن كتبـــه المفقودة، والكتـــاب في غاية

(١) السيابي، سالم بن حمود، العنوان ٧٠.

الأهميّة، ويعدّ مرجعا في مضمونه، ولكن عوادي الزمن لا تبقي شيئا، والأمر لله من قبل ومن بعد.

ويقول الأديب حبراس مخاطبا أبا سرور:

هيّا نعودُ إلـــى الفيحاء في جَذَلٍ حُمَيْدُ والشوقُ للأحباب يحدونا
لله مجلِـسُ آدابٍ قـــد ازدهرتْ أيّامُنـــا فيـــه واخضلَّـــتْ قوافينا

فأجابه أبو سرور:

حِبْراسُ هيَّجتَ أشجانا على مُهَجي ما كنتُ أعْمَدُ في تَذكَارها حِينا
هيَّجتَ قيْسًا على ليلى فكيف تُرى عواقِـــبُ الذكريـــات للذكيّيْنـــا
قيسٌ متى ذُكِرَتْ ليلى بمجلسه هل بات إلا شَجِيَّ البَال محزونا

ويقول الشيخ المؤرّخ الأديب أحمد بن سعود السيابي: «إنه متى ذُكِر الأدب في عمان ارتبطت بذكره فيحاء سمائل، على أنه لم يكن هذا الإطلاق مجازفة أو ارتجالا، وإنما هو نابع من حقيقة استقراء للحركة الأدبية في عمان عبر مراحل تأريخها الأدبي»[(١)].

وقال في موضع آخر:

«وقد تغنّى الشـــعراء بجمالها (ســـمائل) الخلّاب، وطبيعتها الســـاحرة بما لا مزيد عليه»[(٢)].

وكذلك «هي مَبْعَث الشعر ووحيُه في عمان، لما تمتاز به من رياض زاهرة، وبساتين عامرة، ومياه عذبة جارية»[(٣)].

(١) مقدمة كتاب السموط الذهبية للشيخ الأديب موسى بن عيسى البكري.
(٢) السيابي، أحمد بن سعود، مازن بن غضوبة ١٩.
(٣) د. خالد الغزي، الواقع التأريخي والحضاري لسلطنة عمان ص٣٦٦.

نعم «سمائل موطن علم وحضارة ممتدّة، رفعت راية الثقافة والأدب في عمان، وغدت موئلا للشعراء والأدباء والكتّاب، وحملت لواء الشعر ومشت فيه بخُطًى ثابتة، فنبغ في هذه المدينة من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء على مدّ العصور، ما يشكّل علامة مضيئة في تأريخها.

وهي مدينة ذات حضارة عريقة، تركت بصَمَات واضحة في التأريخ العماني، منذ أن تسنّم مازن بن غضوبة شرف أوّل داخل في الإسلام، وإلى الآن ما زالت تطالعنا هذه المدينة بوفرة نتاجها وكثرة شعرائها الذين سلكوا طريقا أدبيّا وتأريخيّا وفقهيّا خاصا، ولكونها بيئة خصبة للشعر والشعراء فقد فُتِنوا بجمالها، وفتنتهم بطيب هوائها ونقاء جَوِّها، وسُمُوّ مكانتها، يقول في وصفها الشيخ عيسى بن ثاني البكري:

وإذا أُصِبْتَ من الزمان بنكبة فارحلْ إليها ينجل عنك الحَزَنْ[1]

وهكذا نجد الشعراء السمائليّين مُولَعين بحُبّ بلادهم، التي غَذَتهم بلِبانها، وظلّلتهم بظِلالها، واكتنفتهم بأحضانها، وسقتهم من نميرها الصافي العَذْب الزُّلال، فلا غَرْوَ إن سالت قرائحُهم معبِّرةً عن حبّهم العميق لها، وشدَتْ بلابلهم مغرِّدةً بفضلها.

يقول أحد أدبائها وهو يكتب عن أحد أدبائها المشهورين أبي سرور:

«لسمائل مسقط رأس الشاعر موقع أثير في قلبه، فهو حين يتذكّر ملاعِبَ الصِّبا ومجمع الصِّحاب وموئل الذكريات وشذا الأتراب، يأخذه حنين دائم إلى تلك الربوع وأيّامها الماضية، فيغنّي لها بصوت متهدِّج[2] أجملَ الأغنيات،

(١) د. محمود بن مبارك السليمي، شعر حميد بن عبد الله الجامعي، «أبو سرور»، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، أيار ١٩٩٥م نسخة مرقونة، ص٢١.

(٢) تَهَدَّجَ: (فِعْل). تهدَّجَ يتهدَّج، تهدُّجًا، فهو مُتهدِّج. تَهدَّجَ صَوْتُهُ: تَقَطَّعَ فِي ارْتِعَاشٍ، عَلاَ، هَبَطَ.

ولعلّها توَدُّ من شاعرنا أكثر من ذلك، لذا نراها تتجاوز حدودها الجغرافية لتغدو عمان برِمَّتها، عند ذلك تأخذ سمائل بُعْدًا خاصًّا، حين أصبحت تشكّل عند أبي سرور رمْزًا من رموز المحبّة لهذا الوطن، بحيث إذا ذكر الشاعر سمائل وتغنّى بجمالها وشخوصها وتراثها، وقلاعها وأبراجها، وقُراها وأعلامها، فإنه يصدر بالإضافة إلى حسّه الذوقيّ والفنّي عن عاطفة وطنية، جعلته ينظر إلى سمائل بكل ما فيها نظرة إعزاز وإكبار.

فسمائل جنّة الدنيا، وترياق الهوى، ومنبع الجُود، أسَرَتْه بحبّها، وهي أحلى بقاع الدنيا، يقول:

حُبّي سمائل دون شكٍّ أو مِرا ... هو آسِري وسواه ليس أرومُ
هيَ جنّة الدنيا وتَرْياقُ الهوى ... بَرِئَ السَّليمُ بها وهام سَليمُ

وقوله:

فهوى سمائل ما بَرِحتُ بحبّه ... ثَمِلًا وشاهدُ ما أقول نماقي

ويقول:

سمائل يا جنّة الكائنات ... على حُسْنها سَجَد العاشقونْ
وغنَّت بها شعراء الوجود ... ومَن في الوجود بها يُفْتَنُونْ

فهي فريدة الكون، ليس لها شبيه في تاريخها وجمالها، وفوق كل ذلك، فهي عين الدهر التي لا تنام، يقول:

فهل لنا كسمائيلَ الوفا أبَدًا ... في الكائنات مُحالٌ من نواحيها
رُوحُ المعالي وعينُ الدهر شاهدةٌ ... سمائلٌ والهدى من نبْع وادِيها

وكثرة تجوال الشاعر ورحلاته جعلته يدرك مواطن الجمال في بلده، ولذلك فإنّ وصفه لها كان صادرا عن معاناة وشوق، إذ شكّلت عنده النافذة التي يرى الشاعر من خلالها عمان، يقول:

ومَن يغتـربْ عـن داره لسمائـل فما بغريب فهي دار الوفا المُرسـي
فمن أيّ فجّ جئتَ تلقى بها العلـى وتلقى بها النعمـاء في مُجتلى الأنس
تغنّي لك الأطيارُ من فوق دَوْحهـا فتَسبيكَ سبْيَ العامريّة مـن قيـس

وحين ذهب الشـاعر مسترسلا في إضاءة بعض الجوانب الجماليـة فـي مدينتـة، فإنه أراد أن يبـرز لنا الجوانب المضيئة فيها، بما يتناسـب مع نسـق القصيدة والحالة الشعورية التـي كـان الشاعر يعيش أجواءها، وكأنـه قـد انتقى المواطـن الجميلة التي تفاعلت معها نفسُـه، فعاش في أجـواء ذكرياته فيها، ومثّلت الشخوصُ التاريخية أو الماضي بأحداثه وشواهده وأعلامه جانبـا مهمًّا في تشكيل البُعْد الجمالي لمدينته سـمائل، فيغوص الشاعر في أعماق التاريخ وذاكرة الزمن، ليبرز لنا أهمّ الشخصيات التاريخية والأدبية والعلمية التي أنجبتها سمائل، فهي مدينة وَلود قادرة على العطاء المستمرّ كقوله:

سـمائلٌ تنبتُ الأعلامَ ما برِحَتْ ميمونـةً تُنْجِبُ الأبنا مَيامينـا

وكذلك قوله:

فمن تكن دارُه الفيحـا ولم تَرَه قاد المحامدَ عارًا ينتمي فينـا[1]

«وهكذا شـهدت سـمائل حقبا تاريخية حافلة بالمتغيِّرات والعطاء الأدبي والدينـي، وأنجبت من الأدباء والشعراء والفقهاء رجالا كـان لـهـم شـأن فـي مجرى الحيـاة الأدبية والسياسية والتاريخيـة، بَدْءا بمـازن بـن غضوبـة، ومـرورا بالعلمـاء المجدِّدين كالإمام أحمد بن النظـر صاحب كتاب الدعـائم، والعلّامة المجدِّد سعيد بن خلفان الخليلي، الذي كان واسطة العِقْد في بَعْث نظام الإمامة في عمان في القرن الثالث عشر الهجري، وحفيدِه الإمام الرضيّ محمـد بـن عبد اللـه الخليلـي، من أئمّة القرن الرابع عشر للهجرة.

(١) المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤.

وفي الفترة الأخيرة من العصر الحديث ظهرت في سمائل كوكبة من الشعراء، كان لهم صدى في الأوساط الأدبية في عمان وخارجها، أذكر منهم على سبيل المثال: الشاعر الكبير والحماسي الشهير أبا مسلم ناصر بن سالم الرواحي، وأبا وسيم خميس بن سليم الأزكوي، وسالم بن حمود السيابي، ومحمد بن راشد الخصيبي، وعبد الله بن علي الخليلي وموسى بن عيسي البكري، والشعراء العلماء حمد بن عبيد السليمي، وخلفان بن جميّل السيابي، وأخيرا أبا سرور، ثم لفيف من الجيل اللاحق كهلال بن سالم السيابي، ومحمود الخصيبي، ومرشد الخصيبي، وهلال العامري، وغيرهم.

ويؤكد الشاعر أبو سرور أنّ سمائل كانت شبيهة بمدرسة أدبيّة، فهم يجلسون في بساتينهم وعلى ضفاف الوادي، يتذاكرون فنون العلم ويتهادون لطائف الأدب.

ويقول أحد الكتّاب: وقد ازدهر الأدب في سمائل ازدهارا رائعا في العصور المتأخرة، وعُمِرت مجالسها أيّما عمران، فقد كانت تلك المجالس أندية أدبية تنشد فيها الأشعار، وتتلى في رحابها القصص والآثار[1].

سأتحدّث عن المجالس الأدبية السمائلية بشيئ من التفصيل، حسبما يمُنُّ به الواهب الجليل، وذلك على النحو التالي:

المجلسان الفقهيّان الأدبيّان للعلّامتين السليمي والسيابي:

مجلس الشيخ العلّامة حمد بن عبيد السليمي بالجعفريّة من علاية سمائل، وهي موطن سُكناه، ومجلس الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي بمحلّته غِيلةِ الدَّكِّ من سفالة سمائل، حيث يفِدُ إليهما المتعلّمون والدارسون والسائلون

(١) د. محمود بن مبارك السليمي، شعر حميد بن عبد الله الجامعي، «أبو سرور»، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، أيار ١٩٩٥م نسخة مرقونة، ص٢٢.

المستفتون والزائرون من كلّ حَدَب وصَوْب، قال الشيخ الخصيبي في قصيدته السمائلية:

كم مجلسٍ بالعلم زانَ وبالهدى ... فيها ونادٍ بالندى مُزْدان
كم من جهابذة بها رسَخَتْ لهم ... في الحِلْم أقدامٌ على العِرفان
كأبي عُبَيْد ذي المَحامد والعُلى ... وفتى جميّل العليم الثاني
بحران في عِلْمٍ وإصليتان في ... حُكْمٍ وأمَّا في الدُّجى قَمَران

لا شكّ أنهما بدران مضيئان في علمهما وفضلهما ودورهما في الإصلاح والتنوير، وهما إصليتان في الأحكام، فقد وَلِيا القضاءَ في سمائل وغيرها، فحكما بالعدل، وقضيا بالحق، ولم تأخذهما في ذلك لومة لائم، أو عَتْب معاتب.

يقول الشيخ خالد بن مهنّا البطاشي في مقدّمة سؤاله للشيخ حمد بن عبيد:

هلُمَّ الى وادي سمائل إنه ... بنور بدور العلم زانت جوانبُهْ
هلُمَّ به نجلوا العقول فإنه ... مقام به تجلو العقولَ تجاربُه
هلُمّ لنستجلي البيان فإنه ... ترامت بزخَّار البحار غوارِبُهْ
رجالٌ به هُمْ أنْجُمُ الفضل والعُلى ... إذا أُفُقُ العِرفان غارت كواكبُهْ
هُمُ قد تولَّوْا نشرَه فأضاء من ... مَطالعهم دَسْتُ الهدى ومضارِبُه[1]

ويقول الشيخ الأديب سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي:

أَبرْقٌ من أعالي الرَّمْل لاحا ... يسوقُ سحابُه الماءَ القَراحا
يُغادي «الجعفريَّةَ» ثمَّ «نَغْزا» ... ويسري ليلُه يروي البِطاحا
يُفِيضُ الماءَ فوق الأرض صفْوًا ... خلالَ الصخر تحسَبُه صِفاحا

(١) السليمي، قلائد المرجان ٧٠.

فتضحكُ من سَماه الأرضُ ممّا تلاقيه من البِشْر ارتياحا
ويكسوها النباتُ ثيابَ خِزٍّ مُوشَّاةً كأنّ بها وِشاحا
وتحسبُ نهرها لمّا ترآى شعاعَ الشمس إذ يبدو صباحا
بها الأطيار تشدوا في رُباها بألسنةٍ ترتّلُها فِصاحا
وتجني عُشْبَ ساحتِها المطايا وتشربُ ماءَها عَذْبًا قَراحا
وتَسْري ليلها تبغي كريمًا جليلَ القدْر كي تلقى النجاحا
إلى علّامة العلماء سِيري لعلَّكِ تُدرِكين به الفلاحا[1]

ويقول الشيخ حمدان بن خميّس اليوسفي في مقدّمة سؤاله للشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي:

ألم تر فيحاها سمائل أشرقت ضياء وباهى حُسْنُها جنَّة الخُلدِ
فيا حادي الأظعان يمّم سمائلا تجد فضلها ينحو إلى كلِّ مُسْتَجِدِ
أترغبُ عنها في سواها وقد غدت بها علماء الدين تربو على العَدِّ
وعرِّجْ عليها يا مُريدُ الهدى ولُذْ ودعْ عنك ذكر البَان والعَلَم السَّعْد
فثَمَّ ترى بدر المعارف طالعًا به تنجلي الظلماءُ عن سُبُل الرُّشْد
هنالك بحر العلم ساغ شرابه لوُارَّدِه طوبى لمَن فاز بالوِرْد
أتترك بحرا يقذف الدُّرَّ فيضُه وبدرا ينير الكون في السهل والنجد
فهذا الفتى العلّامة ابنُ جميِّل تصدّى لإرشاد الذي جاء يستهدي
هو الفَطِن النحرير والعمدة الذي به نقتدي فيما نُسِرُّ وما نُبدي
هو المرشد السَّارين في غَسَق الدُّجى ليحظوا برضوان المهيمن في الخُلْد
فكم فاض للطلّاب من بحر علمه اللَّدُنِّي علْمٌ لَذَّ أحلى من الشَّهْد

(١) السليمي، قلائد المرجان ٩١.

وكـــم مـــن عويـــص حلَّه ومســـائل أزاح دُجـــى إشـــكالها بسَـــنى الجِدّ
وإنـــي لوقَّـــافٌ لـــدى بابـــه لكـــي أفوز بجَـــدِّ الجِدِّ والرشـــد والحمد
فيـــا شـــيخي المرضي ويـــا عمدتي ويا سعادة أستاذي أخا الفضل والمجد[1]

كوَّن هذان المجلسان ثروة أدبيّة وفقهية، وخرجت هذه الثروة مطبوعة بارزة للعِيان، فهناك قلائد المَرجان في أجوبة الشيخ حمد بن عبيد، حيث اشتمل على واحد وخمسين شخصا ســائلاً من فقيه أو أديب، وصَلَتْ أســئلتهم مائة وثلاثة وثلاثين سؤالا مقرونة بالجواب من الشيخ.

ظهرت في هذه الأسئلة والأجوبة سِماتٌ منها في الاستهلال، ومنها في ثنايا السؤال أو الجواب.

ومن هذه السِّمات:

١ ـ الإعراض عن الدنيا وتذكُّرالآخرة.

ومن ذلك قول السائل الشيخ ناصر بن سالم البوسعيدي:

مُحَـــالٌ أن تـــدومَ لنـــا الحيـــاةُ وخير النـــاس أهـــل الفضـــل ماتوا
وكـــم فـــوق الثَّرى مـــن بحْـــر علْم هـــمُ للخلـــق أقمـــارٌ هُـــداةُ
وكـــم فـــي الأرض جبَّـــارٌ عنيـــدٌ طوتْـــه الحادثـــات المُهلِـــكات[2]

وقول الشيخ عبد الله بن علي الخليلي في سؤاله:

هذي البســـيطة مـــات النـــاس كلُّهمُ من عهد آدمَ مـــن مُرْدٍ ومن شِـــيبِ
ماتوا ســـوى العلمـــاء العاملين فهم أهل الحيَاتيْن في رَحْبٍ وترحيب[3]

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢٣٠.
(٢) السليمي، قلائد المرجان ٧٣.
(٣) السليمي، قلائد المرجان ٣٦.

نعم الدنيا ليست دار قرار، وإنما هي دار امتحان واختبار، فلا يغترُّ بها العاقل، ولا يركن إليها إلا جاهل.

فكم خلَبَتْ بزهرتها أُناسًا ... وأنسَتْهم مفاتنُها المَصيرا
وظلّوا تائهين بها حَيارى ... إلى أن أُدخِلوا عنها القبورا

(البيتان لي).

٢ ـ مَدْحُ العلم وإظهار فضله

العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم أهل دعوة وتعليم وإصلاح، وبنور علمهم تضيئ الأرض، وإن ماتوا فهم أحياء بعلمهم الذي نشروه، وإصلاحهم الذي أثّروه.

يقول الشيخ حمد بن عبيد لأحد سائليه:

والعلم خير جليس للفتى أبدًا ... يأبى الدُّناة ويسمو منه صاحبُه
عليك بالعلم إنّ العلم نور هدى ... يهدي به الله عبدًا قد يراقبه
أنواره أشرقت في كلّ ناحية ... كأنها البدر لا نقْصٌ يصاحبه
بالعلم يرقى الفتى فوق السماء عُلاً ... والعلم أشرف شيءٍ عَزَّ جانبه[1]

وقال سائله الشيخ عبد الله بن علي الخليلي:

همُ الألى لم تزل فينا مآثرُهم ... كالغيث أردف شُؤْبوبا بشُؤْبوب
همُ الأولى دوّخوا الدنيا بهمّتهم ... وأمَّنوها بمسفوك ومصبوب
طوْرًا تراهم رهابينًا وآونةً ... أسودَ غابٍ على جُرْدٍ سلاهيب

(١) السليمي، قلائد المرجان ٦٦.

ومن جوابه له:

مَن يلزمِ العلم في الدنيا ينل شـرَفًا ... مـن ربّـه فـي حيَاتيْـه بتقريـب
أجَـلُّ شـيء مـن الدنيا وأحسـنُه ... ذكـراك لله لا حُسْـنُ ابـن يعقوب
ياناظـرًا لسـواه لايغـرُّكَ مـا ... تـراه مـن زهـرة فيهـا وتحبيـب
فالسُّمُّ في الدَّسْـم معجون بمطعمه ... والحُسْـن يقتل مَن يهـوى بتعذيب
والنحـل شَـهْدٌ ولكـن دونـه إبَرٌ ... جانيـه ما بيـن مطعـون ومضروب
دسـائس النفس في الدنيـا بلا عدد ... وكم بدت بيـن مأكول ومشـروب
لله دَرُّ رجـال للكمـال سـمَوْا ... برفـرف وبُـراقٍ خيـرِ مركـوب
لا يلحـق القـومَ إلا من لـه نُجُبٌ ... كالبـرق في سـيرها لكـن بترتيب
ودونـك القول فـي أحكام أسـئلة ... جاءت منقَّحَـةً في خيـر تهذيب[1]

ومن جواب الشيخ خلفان بن جميّل لليوسفي:

يا طالب العلم جُدَّ السـير في طلب ... فمطلـب العلـم قالوا للهـدى علَمُ
يـا طالـب العلـم لا تكسـل فآفتُه ... حقًّا هو الكسَـلُ المشـؤوم والسَّأَم
يا طالب العلم لا تخـرق وِعَاهُ فإن ... فعلـتَ يذهـب منـه حيـن ينخرم
وعـاؤه الـورَع الحاميكَ عن شُـبَهٍ ... وعـن حـرام ألا إنّ الحِمَـى الحُرَمُ
با طالـب العلـم إنّ الله عونك في ... مـا تبتغـي وعُـلاك الفـوز والنعم
بشـراك بشـراك أنّ الخيـر أجمعَه ... فـي العلـم والعلـمُ لا تبتـزُّه قِيَمُ
لازمْـه دَهـرَكَ واجعلـه دليلَك في ... مَهامِه الجهل مهمـا احلولك الظُّلَم[2]

(١) السليمي، قلائد المرجان ٤١.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٤٩.

ومن ذلك قول سؤال الشيخ حارب بن محمد بن محسن السيابي[١] في سؤاله للشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي:

إليك سؤالًا من جهول تعسَّفا ... مُضِلًّا بصحراء الجهالة أرْشَفا
ألا قاتَلَ الله الجهالة إنها ... لَشَرُّ رزايا المرء حالًا بها كفى
أتيتك يا خلفان أبغي هداية ... وعِلْمًا به أرجو بأن أتشرَّفا
فأنت لنا كنت الوسيلة للهدى ... وأنت شفاء الجهل إن داؤه خفى
أتيتك فارشدني إلى منهج التقى ... فديتك إني قد وقفت على شَفا
بمقياس علم ينجلي الشكُّ عنده ... ويُطْرَدُ داءُ الجهل أن يتطوَّفا
فما نعِمَتْ عين تقرُّ على العمى ... ولا طاب مسرور إذا دِينَه جَفا

ومن جوابه له:

فيا حارب يا ابن المكارم والعُلا ... عليك طلاب العلم إن كنت منصفا
يزيد شريفَ القوم مجدًا ورفعة ... وما مشرف إلا به قد تشرَّفا[٢]

(١) الشيخ حارب بن محمد بن محسن بن سعيد بن عبد الله بن سعيد السيابي، من أولاد محسن الذين لهم المشيخة في السيابيين، أمُّه شريفة بنت سيف بن محسن السيابية، وأمّ أمّه جوخة بنت سعود بن علي الجبرية، جعله الشيخ محسن بن زهران قاضيا في الجماعة يحكم ويحلّف اليمين ويعقد الزواج ويؤمّ الصلوات الخمس والعيدين، أقرّه الإمام الخليلي على عمله، وطلبه ليجعله قاضيا في جعلان فرفض، ثم عرض عليه أن يكون في نَخَل فأبى، وأبقاه شهرا معه بنزوى، فلمّا أيس منه رخَّصه، أصيب بالعمى آخر حياته، فكان يقاد إلى المسجد للصلوات، مرض قبل وفاته بالحمّى، فنقل إلى مستشفى سمائل، وبقي مقدار ثلاثة أيام، وفي يوم موته قرّب له أولاده إفطارا فرفضه وقال: ما يوم فطور، فغطّى وجهه بلحافه وسمعه أولاده يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم سكت وظنّوه نائما فكشفوا عنه لحافه ووجدوه فارق الحياة، وذلك يوم ٤ رجب ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧/٦/٢٠م.
المرجع: الشيخ سعيد بن ناصر بن سعيد السيابي.

(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٣٥.

وسأله مرّة أخرى، فكان ممّا قاله في مقدِّمة السؤال:

مقال تهاديه إليك القرائح ... ويبرزه وُدٌّ طوَتْه الجوانح
وتزجيه بالأسحار ريحُ مودَّةٍ ... وتشدو به في الدَّوْح وُرْقٌ صوادِحُ
سؤال به أبغي شفاء من العمى ... وسترا به في يوم تبدو الفضائح
إلى مَن مَلا الأسفار علِمًا وحكمة ... ومن هو للسرّ المطلَسَم شارح
ومن يكشف الأمر العويص إذا عنى ... ويوضح أمرا فيه تبدو المصالح
عنيت به خلفان مصباح عصرنا ... وليًّا به نور الزهادة لائح
فقام لتأليف العلوم وجمعها ... بصادق إخلاص فمسعاه رابح
إذا عميت منّا البصائر نهتدي ... به وبأهل العلم ترجى المصالح
أخلفان أنت اليوم عمدة ديننا ... وحجّتنا إن أرهقتنا الفوادح
وأنت الذي ترجى إذا الخطب أقبلت ... دواهيه واشتدّت علينا الجحاجح

فأجابه:

أبرق على جَنْح الغَمامة جانح ... أم البدر في ليل الجهالة لائح
أم الدرُّ منظوما تبدَّى سناؤه ... بلى ذاك دُرٌّ نظّمته القرائح
وخاض له بحر القريض مجرِّبٌ ... يرى أنه في أبحر الشعر سابح
همام تسمَّى حارِبًا نجل محسن ... نمَتْه سَراةٌ في الحروب جحاجح
فيا حاربٌ أحسنْ فقد فاز محسنٌ ... وصالحْ فإن الصلح فيه مَصالح
وسالمْ جميع الخلق تسلم من الأذى ... فقد ركب الأخطار في الدين قادح[1]

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

٣ ـ نُصْحُ المسؤول للسائل بمواصلة طلب العلم والجِدّ فيه.

ومن ذلك قول الشيخ حمد بن عبيد لسائله:

يـا علـيٌّ مَـن لازمَ العلـم يومًـا ... سـاد قـومًـا ونـال كـنـزًا وغُنْما
ويْـكَ إنّ الـجـهـولَ أحـقـرُ شيئ ... وأخـو العلم طـاوَلَ الـثُّـمَّ نجْما
فـتـزمَّـلْ بـثـوبـه وتـدثَّـرْ ... تَـكُ فـي رتـبـة أعـزَّ وأسـمـى[1]

وقال:

تـعـلَّـمْ وكـنْ حـافـظًـا واعـيًـا ... لـئـلّا تُـهـانَ مـعَ الامـتـحـانْ
وتبني علـى هَامِ نجْم السَّـما ... مَحَـلًّا مـن المجـد أعلى مـكانْ
تجـاوَزْ بعزمـك عـرشَ العُلـى ... تنلْ كـلَّ حـمْـدٍ بغير امـتـنـانْ[2]

وقال:

خـذْ جوابًـا يـا حمـودٌ نيّـرًا ... كاشـفا للجهـل بالحـق المبيـنْ
فاطلـب العلـم تعِـشْ حيًّـا ولا ... تبْـغِ كنـزًا عنـه مـن دُرٍّ ثميـنْ
يـرفـع الـعـبـدَ ويُـعـلـي ذكْـرَه ... فـي حياتيْه وفـي القبـر دَفيـنْ[3]

وقال أيضا:

مَن لازَمَ العلمَ والتقـوى فلا عَجَبٌ ... إذا رقى في سـماء المجـد بالهِمَم
تعلّـم العلـم واحقـر مـا بذلت له ... مـن عَسـجد ولُجين خالـصٍ فَخِم
والبس دروعًا مـن الصبر الجميل لدى ... جيش البلايا ولا تُحجِـم عن العُزُم
واخفضْ جناحكَ للأسـتاذ وارْعَ له ... حقًّا تنل منـه محْض الـوُدِّ والكرَم
فالعلـم يحيي نفوسًـا لا حيـاة بها ... كالغيث يحيي أروضًـا وهي كالرِّمَم[4]

(١) السليمي، قلائد المرجان، ٢٨٥.
(٢) السليمي، قلائد المرجان، ٣١٢.
(٣) السليمي، قلائد المرجان، ٣١٤.
(٤) السليمي، قلائد المرجان، ٢٨٣.

ومن ذلك سؤال الشيخ عبد الله بن سيف بن محمد الكندي للشيخ خلفان:

فتى جميِّل مَن يُعزى لمعضلة ... يشفي العُضال إذا ما مشكل لَزِبا
بحر المكارم صنديد الملاحم ... شدّاد العزائم أجلى الغمَّ والكَرَبا
الألمعيّ دليل الحائرين مجيب ... السائلين رقى الجوزاء والشُّهُبا
إني أتيتك أبغي كشف حائرة ... فاجْلُ الصَّدى وأزِحْ جهلي فقد لَزِبا

فأجابه:

يا طالب العلم أبشر بالسعادة ... والرضوان يوم يوفَّى الكلُّ ما طلبا
وأصْحبِ الطلبَ الاخلاصَ والورعَ ... الحامي فإنّهما يا نعْمَ ما صحبا
لكلّ شيء وعاءٌ والعلومُ أتى ... وعاؤُها الورعُ الحاوي لما اكتسبا
فالزمه تُهْدَ لفعل الصالحات به ... فمَن يَحُمْ لحِمى المحجور قد حُجِبا
العلم يطلب للأعمال صاحِ فمَن ... يعمل به يرَ ما مِن سرِّه احتجبا
وحامل العلم إن لم يعملنَّ به ... معذَّبٌ معَ مَن قد يعبُدُ الصُّلُبا
فنسأل الله توفيقا لنا ولكم ... معاشرَ الدين والإسلام أن يَهَبا[1]

ونصيحة الشيخ لأستاذه أو سائله لها في القلب مكانة، ما دامت خارجة من قلب مخلص، وأثرها يظهر إذا تلقّاها مخلصٌ أيضا، قال الشاعر الفيلسوف الكبير محمد إقبال:

«إنّ الكلمة لتخرج ميّتةً وتصل هامدةً مهما تكن طنّانة رنّانة، إذا هي لم تخرج من قلب مؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حتى يستحيل هو ترجمةً حيّةً لما يقول وتصويراً واقعا لما ينطق، حينئذ تخرج الكلمة كلّها دفعة حياة، لأنّها تستمدّ قوّتَها من واقعها لا من طنينها، وجمالَها من حقيقتها لا من بريقها، والله تعالى المستعان».

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

ذلك التأثير هو أعظم ما يحصل عليه المرء، لأنه عليه أن يطلب العلم خالصا لله، ليدرأ بعلمه هذا عنه الجهل، ويعبد الله على بصيرة، وليعلِّم الناس ما آتاه الله إيّاه من علم.

قال الحسن البصري: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يَلْبَث أن يُرى ذلك في بصره وتخشّعه ولسانه ويده وصلاته وزهده»[(١)].

وقال الإمام الشافعي: «ليس العلم ما حُفِظَ، العلم ما نَفَع»[(٢)].

٤ ـ الفرح بطلَّاب العلم وإقبالهم عليه.

العلماء يسـرُّهم أن يفيدوا الناس بعلمهم، وينشروه فيما بينهم، كما يُسَرُّون بالنُّجَباء من طلّابهم، وفي هذا السياق نتبيَّن ذلك من أجوبتهم النظميَّة:

فهذا جواب الشـيخ خلفان بن جميّل السيابي للشـيخ سعيد بن خلف الخروصي:

على الطائر الميمون والطالع اليُسْـرِ ... نزلـت محـلًّا دونه منـزل النَّسْـر
وحُيِّيـتَ بالترحيـب يا خيـر قادم ... على نُجُبِ التقريـب والعزّ والنصر
وبُوِّئْـتَ من أعلـى المجـرَّة منزلًا ... تخِـرُّ لمـرآه ذُرى الأنجـم الزُّهْـر
بدرت إلـى أعلى المعالـي وأفضل ... الأماني طلاب العلم بوركت من بدر
فيـا طالبـا للعلـم بوركـت طالبا ... وهُنِّيتَ بالمطلوب ذي الفخر والذخر
ملائكـة الرحمـن حفّـت بطالـب ... العلـوم له يدعـون بالفـوز والغفر
وطير الهـوى والوحش في البرّ كلّها ... له استغفرتْ والحُوتُ في ظُلَم البحر

(١) [سنن الدارمي ١١٨/١].
(٢) [حلية الأولياء ١٢٣/٩].

وقال:

إلهيَ غفرانًـا وعفوًا فثبِّـت القلوب ... علـى تقـواك فـي السـرّ والجهر
وأرشـد سـعيدًا للسـعادة واهـده ... ووفّقه للعلم الشـريف مـدى الدهر
سـعيد ببثّ البحث قـد جئت طالبًا ... جوابا له هاك الجواب علـى قَدْر[1]

وجوابه للشيخ الخصيبي:

شموسُ سـما أفْقِ الهداية أم شُهُبْ ... أم البدر إذ يبدو سَـناه من السُّحُبْ
أم اللؤلـؤ المكنون في صَدَف الهدى ... تجلّـى الدُّجـى لمّا تـلألأ والتهب
وأسـماط دُرٍّ نُظِّمَـت بفرائـد ... أم الـدرُّ منظوما بسِـلْك من الذهب
بلى لاح صبح الحـق من مطلع التقى ... فجلَّى دُجـى الجهل القبيح ولا عَجَب
بعِقْـد قريض صاغَـه نجلٌ راشـدٍ ... فأحكمَ تركيـبَ الوسـائط والحَبَبْ
ولا غرو من تلـك العصيَّة ذي العَصا ... وهل نُجَبـاء القوم إلا بنـو النُّجُب
أتى باحثا عن مشـكل الشرع يبتغي ... جوابـا وماعذر المسـول ولم يجب
ولا سـيَّما فـي سـائل كمحمـد ... يزاحم في ليـل المعـارف بالرُّكَبْ
فإنّـي أرى حقّـا علـيَّ جوابه ... ومالِيَ لا أقضي مـن الحق ما وجَبْ[2]

٥ ـ وصف رحلة السائل للمسؤول.

كقول الشيخ الأستاذ موسى بن عيسى البكري في سؤاله للشيخ حمد بن عبيد:

يا ناقُ جُـدِّي في مسـيرك وادلجي ... واطوي الفيافـي مَدْلَجًا فـي مَدْلَج
كيْ تَحْمَدي مَسْـراكِ والجَهْدَ الذي ... عانيتِـه صُبْحًـا بأوضـح منهـج[3]

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢٤٠.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٧٨.
(٣) السليمي، قلائد المرجان ٨٧.

ويقول أيضا له:

كـــم بـــلـــيـــل مـــدلـــهـــمٍّ سِـــرْتُ والـظـلـمـاءُ بُـــرْدي
وأنـــا أُزجـــي الـمـطـايـا بـــيـــن أريـــــاح ورعـــد
ودمـــــوعُ الـقَـطْـر تَـهـمـي ويـمـيـنُ الأرض تـنـدي[1]

وهنـا يصوّر رحلتـه تصويـرا خياليّا، لأنّ السـائل قريب المسـكن من المسؤول، هذا المَسيرُ فيه مشقّة من حيث ركوب الناقة، وحالة الجوّ الذي هو فيه من ريح ورعد وغيث، وهو يتحمَّل ذلك في سبيل طلب العلم والسير إلى شيخه المسؤول.

ويقول في موضع آخر:

جـئـتُ أطـــوي الـبِـيـدَ طَـيًّـا والـفـيـافـي والـهِـضـابـا
لـــلَّـــذي أبـــــدى لـنـا مـــن بحـره الطَّامـي عُجابا[2]

ويقول الأديب سعود بن سعيد القصَّابي السُّـعالي في رحلته للشيخ حمد، وهو يسوق يَعْمُلتَه (الناقة)، حيث يمتطيها في سيره، فيقطع بها المفاوز والقفار، ويطلع الوِهادَ وقُنَنَ الجبال، ويهوي تارة في الأودية والمنخفضات، وهو مُجِدٌّ في السير، يعاين البروق وهي تسطع بين السُّـحُب المُحَمَّل بالغيث، المنهمرة على الفيحاء بغزارة، فتصبح أرضها معشبة خضراء، من أثر ذلك الغيث، وهنا يمكن أن نقول إن ذلك منه تصوير حقيقي يصف فيه الطبيعة التي يمرّ عليه في سيره، ويصف حال سمائل وهي مشهورة بالمياه والنخيل والأشجار.

كما يمكـن أن يكون ذلك تشـبيها لحاله وهو متعطّـش للنَّهَل من نهْر العلم، فقَلَبُه كأرض ممحِلة لا نبات فيها، إذ صوَّحَ مـــن أثَـر الجَدْب، وهـو

(١) السليمي، قلائد المرجان ١١٨.
(٢) السليمي، قلائد المرجان، ٤٩.

عدم العلم، وعدم مَن يتعلَّم منه في بلاده، فسار هو لأرض خَصْبة يَعِلُّ ويَنهَلُ منها فقال:

بروقٌ سَنَتْ بالسَّاريات من السُّحْب تَسُحُّ على الفيحاء منهمِرَ السَّكْب
سَقَتْها فروَّتْها فأضحتْ رياضُها يضاحِكْنَ غِزْلان الفَلاة من الخَصْب
فسُقْتُ إليها اليعْمُلاتِ غداةَ إذْ تَصَوَّحَ مَرْعاهُنَّ من أثَر الجَدْب
لترعى بها المُلتَفَّ من عُشُباتِها من الضَّال والقَيصوم والسِّدْر والقَضْب
فيرجع ما قد فات من حُسْن حالها وَتقوى على الإدلاج في سبحْب

ويردُّ عليه المجيب:

أتيتَ سعودٌ فوق طير كأنّها رُخاءُ ابنِ داؤود النبيّ على السُّحْب
تظنُّ فِراخُ الفَتْخ أنّك زرتَها بأُمَّاتها في شامخ القِمَم الصُّلْب
تروم المعالي راقيًا دَرجاتِها وتقتحمُ الأهوال في موكب حربي
ولا زلتَ تأتينا بكلّ غريبة وتسقي رياضَ العلم مَدًّا بلا غَرْب[1]

ومن أسئلة الشيخ سالم بن حمود السيابي للشيخ خلفان التي يذكر فيها الأماكن والوِهاد، والمشي في الأودية والصُّمِّ الصِّلاد:

دَعْها تدكُّ الصخر عند مثارها وارخ الزمام لها بحال مغارها
إذ أنّني عوَّدتُها فتعوّدت زمنًا تواصل ليلها بنهارها
وإذا علوت سنامها لم أدر هل بالجوّ طارت أم مَشَتْ بمنارها
حَرْفٌ تثير البرق سرعة ومْضه في المهمه الدَّاجي على أقطارها
وتخوض بحر الليل غير مروعة كسفينة مخرت عُباب بحارها
أو أنها مزْنُ المصيف مسوقةً عصرا وقد فاقت على أعصارها

(١) السليمي، قلائد المرجان ٥٣ ـ ٥٥.

تنقــضُّ مثــلَ النجــم فــي جَرَيانها ... أو أنّهــا كالبــرق فــي تَسـيارها
كم قــد قطعت بهــا المفــاوز طالبًا ... حكم الهدى والرشــد مــن أحبارها
هــي عــادة والمــرء معتــاد فــلا ... إلا العُــلا ســعيًا علــى أكوارهــا
لا يرتضــي غرس السفاســف كامل ... كلّا ولا يهفـــو لـــدُرِّ بحارهـــا
والدهــر حُــرٌّ والحقيقــة سِــرُّه ... وكرامــه تجــري علــى مضمارهــا
دعنــي أميِّــزُ همّتــي مــن غيــره ... وأردُّ قيمتَهــا إلــى مقدارهــا
فقــد اعترفــت لــكلّ ذي حــقّ بما ... أيــدي الدُّنــا أولتــه مــن أثمارهــا
دعهــا فقــد أزمعتهــا من (بوشــرٍ) ... تطــوي بأنصبهــا رمــال جفارهــا
وقضت على (الشــبِّيّ) مع (مِسْفاته) ... بالبُعْــد حيــن دحَتْــه فــي مغوارها
وتســـنّمت (نجْدًا) لآل مســـيَّب ... كســـفينة المـــلّاح فـــي تيّارها
وتبجّســت أخفافهــا مــن (بُدبُــد) ... طيــب البــلاد ويــا لطيــب ديارها
وطوت مســيل (الملتقــى) منقضَّةً ... وتــدوس ســاخرة علــى أحجارها
فتخــال شــامخة الجبــال تجافلت ... عن صدرهــا إن لاح طلــع غبارها
حتــى اذا وقفت علــى الفيحا غدت ... طربًـــا تميـــل ليُمْنة ويَســـارها

وقال:

أوَ مــا تــرى العلّامــة الفهّامــة ... الحَبْرَ المجَلِّي السِّــرَّ من أســفارها
أعني ســليلَ جميِّــلِ العَلَــمِ الذي ... تُزجَى له الدَّهيا لكشــف ســتارها[1]

وسار على هذا المنوال الشيخ أحمد بن عبد الله الحارثي في سؤاله أيضا:

دعْهــا تجــوب فدافــدا وقفارهــا ... وتخطُّ فــي صُحُف الفَلا أســطارها
وتخــوض أوديــة الســراب وتــارة ... يرمــي أديــم الليــل لمْع شــرارها

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢٠٣.

ما تأتلي ذرْعًا لأجواز الفَلا ... حتى تواصل ليلها بنهارها
وتجوز بالأجواء عبر سبيلها ... فتغيب (بالجردا) ورا آثارها
تجري مخلِّفة على أعقابها ... ريح الجنوب كليلة أبصارها
حتى توافي (العُقّ) ناسفة به ... ربط الملاءة من نسيج غبارها
لا يثني عزمتها السُّرى وإذا جرى ... آلُ الضحى رفعت شراع غمارها
فاذا تبيَّنت القِباب الخُضْرُ ما ... بين الأكلّة أشرقت أنوارها
في ذلك الوادي الأنيق فِجاجُه ... ألقت به طوعًا عصا تسيارها
فهناك بغيتها ومنهل وِرْدها ... الصافي وغايتها لدى مضمارها
وادٍ كأنّ عليه من نسج الحَيا ... بُرْدًا تنمنمُه صبا أسحارها
وعلى ضفاف الجانبين خمائل ... قد باكَر الوسميُّ رَبْعَ ديارها
نسجت غلائلها النسيم فورَّدت ... وَجَناتها وافترَّ ثغر نوارها
ولحاظ نرجسها رمت بنصالها ... فاحمرّ ما بين الزهور بهارها
واخضرّ ما بين الرياض بساطها ... واصفرّ ما بين الرُّبى أزهارها
والتفّت الأغصان فوق سمائها ... مغنى البلابل في نشيد هزارها
وجداول الأنهار بين غياضها ... قد شبَّ مفرقها وشاب عذارها
فتفتّحت أزهارها وترنّمت ... أطيارها وتهدَّلت أثمارها
ما خانها وَفْرُ النعيم ولا اعتدى ... حرب الزمان على مِهاد قرارها
وشذى من الفيحاء هبَّ فشبَّ ما ... بين الجوانح من جوى تذكارها
فطفقتُ والذكرى نديم ساهر ... يروي المدامع من فيوض غزارها
وعهود صدق لم تزل قيد الحفاظ ... بمهجتي لوشطَّ عهدُ مزارها
أكرم بهاتيك المجامع جَنَّةٌ ... للناظرين وجُنَّةٌ لخيارها
يا منهل الوُرَّاد بل يا كعبة ... القُصَّاد يا خلفانُ شمسُ نهارها

يـا قـدوة الأخيـار بـل يـا صفوة ... الأبـرار عمدتهـم وبـدر سِـرارها
وافَتْـكَ من نسْـج القريـض غلائل ... قـد طُـرِّزتْ بمسـائل نختارهـا
فلأنت مـن رُدَّتْ إليه المشـكلات ... فحَلَّهـا وأبـان عـن أسـرارها
ولأنـت كشّـاف العويـص بحجّة ... أعيـا علـى البُلغـاء شَـتُّ غُبارهـا
علّامـة العصـر المحقِّـق مَـن به ... ثابـت إلـى أهـل النُّهـى أبصارها
وتهافتـت غُـرَرُ الفتـاوى نحـوه ... كالـدُّرِّ يغشـى اللـجّ بيـن بحارها
علْـم وحلْـم زانـه ورع التقـى ... ومكارم شـاعَت لـدى أمصارها[1]

ثم تغيّرت الراحلة عند الشيخ سالم من اليَعْمُلات المُـدْلجَات إلى المركبات المُـحْدَثات، التي تحرّكها النار، وتطير بها في المفاوز والقِفار، مخلّفة وراءها سحائب الغبار، وأخرى تحلِّق في السـماء، كأنها بساط سليمان تطير به الرياح، فركب السـيارة من صحار التي كان واليا وقاضيا بها فتـرة قصيرة، حينما ذهب واليها السيّد سلطان بن حمود البوسعيدي إلى مطرح لينوب عن الرصاصي والي مطرح، فقال:

حَوِّلْ عـن الوَجنـا وعـن أكوارها ... فالبِيـدُ يقطعهـا سُـرى سَـيَّارها
عجَبًـا بـه الأيـام جـاءت للورى ... حارت لـه العظمـاء فـي أفكارها
نـار ومـاء والهـواء وكلُّهـا ... هـذا لـذا ضِـدٌّ وأصـل قرارهـا
أضحى يطيـر بـه الحديـدُ محلّقًا ... بالجـوّ قـد أزرى علـى أطيارهـا
وكأنّهم وعلـى الكراسـي أصبحوا ... متقابليـن وتلـك فـي تَزْآرهـا
أجنـادُ سـيِّدنا سـليمان علـى ... متـن الرَّخا تهـوي لدى تَسـيارها
قد أحسـنوا صُنْعًا فطاروا في الهوى ... جِنًّـا تطـوِّح فـي فضـا أسـفارها

(١) السيابي، بهجة المجالس ٢١٠ ـ ٢١١.

وقال:

أوَمَا سمعت زئيره كالأُسْد في ... آجامها زأرت لحفظ جوارها
أو أنه كالبحر في طوفانه ... بتصادم الموجات من زخَّارها
ألوانه رعْدٌ بمتن غَمامة ... يهتزُّ مُتَّقِدُ التُّيوب[1] بنارها
وترى بصهوته الذين تسنَّموا ... منها الذُّرى لم يعبأوا بأُوارها
ينساب في البَيْدا كصاعقة مشَتْ ... لهلاك كافرة سعت لدمارها
ويمرّ بالغابات غير مفكِّر ... من شأنها في ليلها ونهارها

قمْ وجِّه السيّار معتمدا به الفيحاء مبتغيًا حظيرة دارها

حيث الهدى ضربت هناك قبابه ... والعلم حطَّ الرحل في مضمارها
سر من صحار محمَّلًا بألوكة ... فعساك تجتلينْ هدى أسرارها

إلى أن قال:

سِرْ مسرعًا تطوي البلاد ميمِّمًا ... دهماءها وانزل على أخيارها
بمقام شيخ العلم أنصح عالم ... في الله حتى صار من كُبَّارها
حَبر له التقوى شعار قد ضفى ... بالرشد والإيمان من غفّارها
زانت به الأيام عهدا فاهتدت ... بضياه حائرة لمهيع دارها
ترتاح منه النفس من وعثائها ... ويزيح ما لاقته من أكدارها
وعساك تعلم أنّ أهل العلم هم ... شرف البلاد تضيء من أنوارها
وهمُ مصابيح الدُّجى إن كنت مَن ... يدري الهدى اعتمدنْ هدى أسرارها
هم زينة الدنيا كمال حياتها ... هم رحمة المولى بإسم خيارها
خلفان شيخ العلم أنت إمامها ... كشّاف معضلها مقيل عثارها
مهدي الحيارى للمعارف مرشد ... المسترشدين إلى رفيع منارها[2]

(١) لعلَّه يقصد إطار السيارة.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ٢٢٩ ـ ٢٣١.

٦ ـ مَدْح المسؤول

هو لأجل إظهار مكانة العلم وفضله، والاعتراف بالشيخ المسؤول وما ألهمه الله ووفّقه لنيل العلم حتى صار مرجعا للناس، ومقصدا في حلّ مشكلاتهم، والإجابة على تساؤلاتهم، وإن كان العلماء لا يحبّون ذلك، ولكن هو من حقوقهم، وهو شعور يمتلك السائل لا يستطيع دفعه.

يقول الشيخ الأديب سليمان بن سعيد الكندي صاحب العامرات:

أيا ناقُ سيري وادلجي بالسباسب ... وجِدِّي لكي تحظيْ بنيْل المطالب
إلى حمد المحمود سِيري لعلَّه ... يريحك من دَلْج السُّرى بالغياهب
إلى ابن عُبَيْد مَن رقى ذِرْوة العُلى ... وفاق على أقرانه بالمناقب
إلى العَلَم النحرير والكرَم الذي ... إليه انتهى العافون من كلّ جانب[1]

ويقول الشيخ سالم بن حمود السيابي:

سليلَ عُبَيْد أنتَ أنت لمُشْكِلٍ ... وداجٍ حُسَامٌ فيصَلٌ وشِهابُ[2]

وقال:

إلى شيخنا الزاكي سليل الأطايب ... حليفِ التقى والجود ربِّ المواهب
سليلِ عبيدٍ منبعِ العلم والهدى ... وجرثومةِ الإرشاد سامي المَراتب
أتيتُكَ يا قُطْبَ المعارف سائلًا ... فجُدْ بجواب كاشفٍ للغياهب[3]

وقال:

عهدتُك سيّدي للرُّشْد قُطْبًا ... وللجهل العنيد حديدَ بَتْرِ
فكم لكَ من يدٍ بيضاءَ عندي ... إذا ذُكِرَتْ فذاكَ أتَمُّ ذِكْرِ[4]

(١) السليمي، قلائد المرجان ٥٧.
(٢) السليمي، قلائد المرجان ٦٠.
(٣) السليمي، قلائد المرجان ٦٣.
(٤) السليمي، قلائد المرجان ١٣٣.

ويقول الشيخ أبو سرور:

أمـا تـرى عمـدةَ الإسـلام قدوتَنا ... بحـرَ العلوم الـذي طمَّـت جوانبُهُ
أبا عبيـد وحيـدَ الدهر بـدرَ دُجى ... فـاق الـورى رُتَبًـا إذ عَـزَّ جانبُـه
بالعلـم سـاد وأوْلى النـاس قاطبة ... بأنعُـم منـه تُزجيهـا مواهبُـه[1]

ويقول الشيخ إبرهيم بن سيف الكندي:

أُهدي سـؤالي لمَن في عصره اشتهرا ... بالعلـم والحلم بحـرٌ بالهدى زخَرا
فتـى عُبَيْد لـه فـي العلم سـابقةٌ ... وبـدر تَمٍّ أضـاءَ الكونَ إذ سـفرا[2]

ويقول الشيخ الأديب محمد بن راشد الخصيبي في مقدِّمة سؤاله:

دعـاكَ فـلبِّـه داعـي الـفـلاح ... وقُـمْ واعْـصْ العَـذولَ وكلَّ لاحِ

إلى أن قال:

وبـاحِـثْ كـلَّ نِـحْـريـر عليم ... كمحمـود الخصال المُسـتماح
سـليلِ عُبيْـد السـامي مقامًـا ... ومُخـرِسِ ألسُـن البُلَغـا الفِصـاح
مُزيـلِ صـدا القلـوب وكلِّ رَانٍ ... ومَن أضحـى ظلامَ الجهـل ماحي
ومَـن مِـن عِلْمِـه أبَـدًا شـموسٌ ... تضيـئ علـى الفدافـد والبِطـاح
إليـه مُرْتَجَـاتُ الشـرع تُنْهَـى ... فـتـؤذِنُ عـنـده بـالانـفـتـاح
وكـم قـد أبـرز الخافـي وحـلَّ ... العويصَ وجـاء بالنُّكَـت المِلاح[3]

ويقول الأستاذ الكبير الشيخ النحويّ حمدان بن خميّس بن سالم اليوسفي:

فـهـذا سـلـيـلُ عُـبـيْـد تجلَّى ... له مـن سَـنا العلـم والديـن لَمْحُ
فـتًـى أسـهـرَ الـلـيـلَ فـي نيْله ... فـأقـلامُـه فـيـه بـالـعـلـم فُـصْـحُ

(١) السليمي، قلائد المرجان ٦٥.
(٢) السليمي، قلائد المرجان ١٢٢.
(٣) السليمي، قلائد المرجان ٨٨.

بـدا منـه للدهـر شـخصٌ كريـمٌ لمَن يطلـب العلـم بالعلم سَـمْح
يـكاد يشـابهه البحـر لـو كان عَـذْبًـا ولـكـنَّـمـا الـبـحـر مِـلْـحُ
فـأوغـلـتُ نـحـوَ حِـمـاه لكي بأنـواره آيـةَ الجهـلِ يمحـو[1]

وقال في سؤال آخر:

ودونك العالِـمُ النِّحريرُ مَـن كُتِبَتْ خصالُـه في جبيـن الدهر أسـطارا
بدرُ الهدى وارثُ المختـار عمدتُنا بحر العلـوم نقـيُّ الجَيْـب مِغوارا
أبـو عـبيـد ولـيُّ الله قـدوتُـنـا مـن صـار مجتهـدا للعلم سـبَّارا
ذاك ابـنُ بَجْدتها محرابُ سـجدتها ضرغـامُ نجدتهـا فـي الله كـرَّارا
إنسـانُ مقلتهـا قـوّام مِلَّتهـا لـقـمـان حـكـمـتـهـا لله صـبَّـارا
مصبـاح حضرتهـا مفتـاح نُصرتِها صَعَّـادُ منبرهـا بالعُـرْف أمَّـارا
لا زال يبـدي لمـن قد جاء يسـأله مـن فيضـه العلمَ أنـوارا وأسـرارا
لـذاك وجَّهـتُ وجهي نحـو كعبته وجُبْتُ في السـير غِيطانـا وأقطارا
يا مطلع الفضـل يا بدر اسـتقامتنا مَن مجدُه فاح فـي الكونين أعطارا[2]

أمّا الشـيخَ خلفان بن حميِّل السـيابي فسـائلوه عبَّروا عن مكانته العلميّة، وأشادوا بها وأظهروها، كما في قول اليوسفيّ:

يا طالبَ الرُّشْـد سِرْ فانزل بمسجد مَن بعلمـه يسـتنير الدهـر والأُمـم
حَبْرُ الورى معدِنُ العِرفان مَن سـعِدَتْ بـه البريّـة وانحلَّـتْ بـه الأَزَمُ
شـيخُ الحقيقة أسـتاذي ومعتمَدي خلفانُ مَن أشـرقت في قلبه الحِكَمُ
علّامـةُ العصر مفتي السـائلين فمَن يلُـذْ بـه لـم يفُتْـه العلـم والكرَم

(١) السليمي، قلائد المرجان ٩٥.
(٢) السليمي، قلائد المرجان ١٤٣.

لا زال يقــذف لــي من بحــره دُرَرًا مصونــةَ القَــدْر لا تبتزُّهــا قِيَــمُ
ومَــن يوفَّــقْ لإرشــاد العبــاد إلى سُــبْل الرشــاد نحَتْ عِرْفانَــه الأُمم
فتــى جميّــل يامصبــاح ملّتنــا ومــن به شــمْل أهــل العلــم يلتئم
أرشــدْ بعلمــك حيرانًا يــروم هدى ينجيه يوم جحيم الهــول تضطرم[1]

وقال الشيخ سالم بن حمود:

عُجْ بالمطايــا على الصهباء من نخَل واقصد محلَّ الهدى والعلم والعمل
أعني مقــام أبي يحيــى الكريم فتى جميّــل أحد الأعــلام خيــر ولي[2]

وقال الشيخ خالد بن هلال الرحبي:

كالعالم الحَبر خلفــان الذي غرقت منــه الأنـــام بــأنــعــام وأفــضــال
فتى جميّل نبراس السياسة نور الدين بــدر الــمــعــالــي كــنــزهــا الغالي
مســدَّد الرأي محمود الســجيّة بحر العلم سمُّ العِدى بحر الندى الحالي
مولاي جئتــك محتارا فخــذ بيدي لمنهج الرشــد إنّ الرشد أسمى لي[3]

وقال الشيخ عبد الله بن علي الخليلي:

فتــى جميّــل يــا خلفــان فــارس ميدان المعارف كشّــاف العويصات
إليك أخلصتُ قصــدي يا ابن بجدتها لمّــا تحيّرتُ فــي وَعْــر الجهالات
فاضرب بســوطك بحرا ليس يفلقه إلّا عصــاك بأســرار جليّــات
أصبحتَ في الله موســى في خلائقه وذا الهدى الخَضِرَ الصَّعْبَ الشكيمات
أُوتِيــتَ سُــؤلَكَ يــا موســى فــإن تُرِدِ الأخرى فأنــت حَرِيٌّ بالإجابات

(١) السيابي، بهجة المجالس ١٤٥.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٥٨.
(٣) السيابي، بهجة المجالس ١٥٩.

أنت الكليـم وأنـت الترجمان فقل ... لمّـا صعقـت وشـاهدت الخفيّات
فلـي بقصـدك غايـات أؤمِّلُهـا ... وأنـت مُبلِـغُ مثلـي خيـر غايات

فأجابه:

يـا أيّهـا البطـل المقـدام إنك قد ... نظمـت سِـلْكَ فريـدات وحيدات
لله دَرُّكَ إن الـدُّرَّ معدنُـه ... قعر البحـار العريضـات العميقات
فدَلَّنـا أن صـدرًا كان قاذفـه ... يربو علـى البحر أضعافـا وغايات
أهديـتَ غُـرَّ سـؤالات بديعـات ... نحـوي فهـاك جوابات السـؤالات
خذها وخذ بعِنـان الحق إن ظهرت ... أنـواره هاديـات مستنيرات[1]

وقال الشيخ محمد بن راشد الخصيبي للشيخ خلفان:

أمَـا رأيـت خِضَـمَّ العلـم مندفقًا ... للسـائلين ويهـدي الباحـث الدُّررا
العالـم العامل البـدر التمـام فتى ... جميّـل خير عـدل بالتقى اشْـتُهِرا
الباسـل الفيصـل البتّـار ملجؤنـا ... حامـي الحقيقة بحر بالنـدى زخرا
شـمس الهدايـة كشّـاف الغواية إن ... عَنَتْ وجالي العمـى والجهل إن عكرا[2]

وكما قلنا سابقا أنَّ العلماء العاملين الذين تعلّموا وعلَّموا لله، فإنهم لا يحبّون المدح، وقد ورد ذمّ المدح في السـنّة من مثل قولـه ﷺ: «**إذا رأيتم المدَّاحين فاحْثوا في وجوههم التراب**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

كما ورد المدح أيضا على لسـان النبي ﷺ، فعن عن أبي موسى الأشعري قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: «**أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل**» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ). (الإطراء): المبالغة في المدح.

(١) السيابي، بهجة المجالس ١٥٣ ـ ٢٥٧.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٩٤.

وفي الحديث الآخر أن رسولَ اللهِ ﷺ حينَ ذَكَرَ في الإزارِ ما ذُكِرَ، قال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ، إنّ إزاري يَسْقُطُ مِن أحدِ شِقَّيْه؟ قال: «**إنك لستَ منهم**» أي لست من الذين يسبلون أزرهم خيلاء (رواه البخاري).

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «**ما رآك الشيطان سالكاً فجًّا إلا سلك فجًّا غير فَجِّك**» (رواه البخاري ومسلم).

قال العلماء في الجمع بين الروايات: «وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمانٍ ويقينٍ ورياضةِ نفسٍ ومعرفةٍ تامة.. بحيث لا يُفتتن ولا يُغتَرّ بذلك، ولا تلعب به نفسه فليس بحرامٍ ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزَّلُ الأحاديث المختلفة في ذلك».

ونجد تواضع العلماء المسؤولين واضحًا في كلامهم، كما في قول الشيخ حمد بن عبيد لسائله الأديب سعود بن سعيد القصابي:

جوابًا ضاء في الآفاق بدْرا ... وعطَّرَ نشْرُه بَرًّا وبحرا
لقد أتعبتَ نفسَك ياسعودٌ ... بحيث قطعتَ أوديةً وقَفْرا
تحثُّ لنحونا تلك المطايا ... تجوبُ بها الفَلا وَعْرًا فَوَعْرا
سَرابًا شِمْتَ تحسَبُه مياهًا ... على خُفَّيْ حُنَيْنِ رجعتَ صِفْرا[1]

وقال مجيبا للشيخ رشيد بن راشد بن عزيّز الخصيبي:

دعني من المدح النفيس فإنه ... داء يعوق من المرام لضُرِّه
وعليك بالقول السويّ لأنه ... جاء الكتاب بفعله في أمره[2]

(١) قلائد المرجان ١٢٩.
(٢) السليمي، قلائد المرجان ١٥٥.

ويقول الشيخ خلفان بن جميِّل للشيخ علي بن جبر الجبري:

هــاك الجــواب بإيضــاح وتبيــان ... من عاجــز خامــل يُدْعَــى بخلفان
يا أيُّها المــادح المُطْري قطعتَ مَطا[١] ... أخيــك أقْصِــرْ فما أدراك ما شــاني
خلِّ المديح وسَــلْ إن شئتَ مقتصدا ... فــذاك أدنــى إلــى صِــدْق وإيمان
فالمــدح ذبــح أتانــا مســندا خبرا ... عن ســيّد الخلق من إنس ومن جان[٢]

وقال للجبريّ أيضا:

دع المــدح إني منك أعــرف بالذي ... به اتصفــتْ نفســي قبيحــا مذمَّما
فأســألك اللهــمَّ غفــران كلَّمــا ... عن الناس أضحى مــن عيوبي مُكَتَّما
أقــول فــإن حقًّا يكــون فخــذْه أو ... ســواه فــذرْه واقصد الحــق أينما[٣]

وجوابه للشيخ الخصيبي:

محمــد لا تمــدح إذا مــا ســألتني ... فلستُ لشــيء من مديحك بالأهل[٤]

وقال للشيخ خالد بن هلال الرحبي:

يــا خالدٌ يــا أخــا العلياء أنــت لها ... وإبــن بَجْدتهــا يــا خيــر مفضــال
وأنــت ســبّاقُها أحــرزت أسْــهُمَها ... ســهم المصلِّي المجلِّي بعده التالي
وغير بِــدْع وما فــي ذاك من عجَب ... ولا مبالغــة أو لســت بالغالــي
أنتــم أهلّــة همــدان ومعصمهــا ... عرنين أنــف ذُراها النائــف العالي
أنتــم قــوادم قحطــان وأطولهــا ... في المكرمات يــدًا من عصرها الخالي
يا خالــد ســلْ ولا تمــدح فإنّيَ لم ... أكــن لمــا قلتَــه قطْعًــا بفعّــال

(١) المَطا: الظَّهرُ.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ٣٠٠.
(٣) السيابي، بهجة المجالس ١٦٧.
(٤) السيابي، بهجة المجالس ٣١٥.

سألتَ والقلب مقهور ومقتسر ... لما أقاسيه من همٍّ وأشغال
هذي صروف الليالي جالدت جَلَدي ... وبلبلت حادثات الدهر بلبالي[1]
والله حسبي مُعيني ناصري أمَلي ... ولن تَخيبَ لدى مولاي آمالي[2]

وقال لسائله الشيخ سعيد بن ناصر السيفي:

وبعدُ فقد وافى سؤالُ سعيدنا ... فتى ناصر مَن قد رقى هامَة الهِمَمْ
أتى سائلا عن مشكلات عويصة ... من الشرع يبغي الكشْفَ عمّا قد انبهم
وما أنا ممّن يكشفنَّ لثامَها ... ولا بالذي يسمو سَماها ويستَنِمْ
ولا سيَّما هذا الإمام أمامَه ... وتُزْجَى إليه المعضَلات بها يُؤَمْ
لَعَمْرُكَ ما الداعي له لعُدوله ... إلى مَصَّة الأوشال واليَمُّ يلتطِمْ
وما هو بالغِرِّ الغَبيّ وإنّما هو ... الفَطِنُ الواعي لشاردة الحِكَمْ
أتسألني والقلب مشتغل بما ... أقاسيهِ من هَمٍّ ومن حادِثٍ مُلِمْ
ومع ذاك فالحُمَّى بجسميَ طنَّبتْ ... وألقت عَصاها واستقرّ بها القَدَمْ[3]

٧ ـ الاعتراف بالجهل والتواضع أمام الشيخ المسؤول

وهذا من أدب السؤال، حتى ولو كان السائل يعرف الجواب، وقد سأل ليستيقن من صحة معرفته له، فيظهر لأستاذه وشيخه كأنه جاهل بالجواب.

قال نور الدين السالمي رَحِمَهُ اللَّهُ في جوهره:

من أدَبِ السؤال للعفيف ... أن يسأل العالِمُ كالضعيف

(١) البَلْبَالُ، والبَلْبَالَةُ: شدة الهمّ والوسواس.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٩٠.
(٣) السيابي، بهجة المجالس ١٧٢.

وجاء في الأثر: أنّ الشيخ الوضّاح بن عُقْبة حفِظَ عن أبي عليّ موسى بن علي رحمهم الله تعالى أنه قال: «العالم يسأل مسألة الجاهل، ويحفظ حفظ العاقل»[١].

ويقول أبو عبد الله الشيخ محمد بن محبوب رحمه الله مبيّنًا مراحل العلم: «أوّل العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع نشره»[٢].

قال الشيخ عبد الله بن علي الخليلي لشيخه حمد بن عبيد:

إليكَ ترامى بي من الجهل بازِلٌ ... عُتُلٌّ إذا حاولتُ تَرويضَه نَكَلْ
يكِلّفُني خَبْطَ السُّرى بمسائل ... كأنَّ على أطرافها حُمَمُ الأَسَلْ
فرَوِّحْ رِحالي مِن على ظهره وخُذْ ... بأطراف ما قاسيتُ من خَطْبه الجَلَلْ[٣]

ويقول الشيخ سالم بن حمود السيابي في سؤاله للشيخ حمد أيضا:

لأنّ ظلامَ الجهل حَولِيَ عاكِرٌ ... وللعلم نور فوق نور الكواكب
ومثلك يا عالي الأرومة يُرتَجى ... لدفع مهمَّاتٍ وكشف نوائبِ[٤]

٨ ـ الدعاء للمسؤول

الدعاء من العبد لأخيه المسلم هو خير ما يقدّمه له، أو يكافؤه عليه، كيف وإن كان المدعوّ له شيخك في العلم، أو تلميذك، أو زميلك فيه.

قال النبي ﷺ: «**مَن صَنَعَ إِليكُم مَعرُوفًا فَكَافِئُوه، فَإِن لَم تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ**»[٥].

(١) الكندي: المصنف ج١ص٨٠.
(٢) الإيضاح في الأحكام ج١ ص١٢.
(٣) قلائد العقيان ٢٠٨.
(٤) قلائد المرجان ٦٣.
(٥) رواه أبو داؤد (١٦٧٢) وصحّحه الألباني.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»[١].

وجاء في مصنَّف ابن أبي شيبة: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه: جزاك الله خيرا، لأَكثَرَ منها بعضُكم لبعض)[٢].

يقول الشيخ اليوسفي:

حـبـاكَ الإلـهُ بـتـوفـيـقـه وبـانَ لمتجـر حُسْـنـاكَ رِبْـحُ

ويقول الشيخ الخصيبي:

فـبـورِكَ مـن عـالِـمٍ صـالـحٍ به يقتدي الناسُ فـي ذا المكانْ

وقال الشيخ أبو عبيد لسائله الشيخ البكريّ:

يـارعـاكَ الله ربّـي دائـمًـا فـي كـلّ قـصْـدِ[٣]

هذا ومن بديع السؤال والجواب التزام السائل والمجيب بالجِناس في كلّ الأبيات، فقد نظم الشيخ رشيد بن راشد الخصيبي هذا السؤال لشيخه العلّامة حمد بن عبيد، وردّ عليه شيخه ملتزما بما التزم به سائله، فكان السؤال والجواب بديعين في فنّهما، ولم أطّلع على مثلهما في فنِّ الأسئلة والأجوبة، وهذا يدلّ على التمكّن في اللغة العربية وعلومها:

سـؤالُ جهـولٍ خامـلٍ غيـرِ نَابِـهِ إلى مَن يـؤمُّ المـرْءُ في سَـيْر نابِه

ومَـن قـد يُرجِّيـه ليَجْبُـرَ مـا به يلـوذُ به من هَـوْل خَطْـب رمى به

هو ابـنُ عُبيْـدِ الطَّـوْدُ لُـذْ بجَنابه تجدْ روض علْـم فاز مَن قد جَنى به

(١) مصنَّف ابن أبي شيبة (٣٢٢/٥)

(٢) مصنَّف ابن أبي شيبة (٣٢٢/٥):

(٣) السليمي، ١١٩.

جليـلٌ تحلَّـى بالتُّقى واكتَسـى به ... وإنّ تقـى الإنسـان خيـرُ اكتِسـابه
أقـام علـى بَـذْل الندى وثـوى به ... صلاحًـا لديـن الله قصْـدَ ثوابـه
لـه منـزلٌ رَحْـبٌ وقـارعُ بابِـه ... كغائـص بحْـر رامَ دُرَّ عُبابـه
فهـل نيّـةٌ تُجـزي الفتـى لِمَتابـه ... وليـس مـع النيّـات لفظٌ أتـى به
وفي الحـجِّ إن باع امرؤٌ وشَـرى به ... فتًـى مـا يَشـا مـن أكْله وشَـرابه
وبالذكـر قـال الله في الحـجّ ما به ... جِـدالٌ فهـل إن جـادَلا أثِمَـا بـه
وتطليـقُ زوج الابـن يومًـا إذا به ... أبـوه أتـى قَصْـدًا لدفـع الأذى به
إذا خـاف من شَـيْنِ الفسـاد وعَابِه ... أيمضي بلا لفـظٍ من ابـنٍ وَعَى به
صـلاةٌ وتسـليمٌ على مَن سَـحا به ... رُكامُ العَمـى وانجاب غَيْمُ سَـحَابه
شـفيعِ الـورى والآلِ ثـمّ صِحابِه ... فهَدْيهـمُ الدّيـنُ القويـمُ صَحـا به

الجواب

إليـك جوابًـا يسـتنيرُ الحِجـا به ... كبـدرٍ جَـلاه النـورُ دون حِجابـه
أضـاء علـى الآفـاق نـورُ صوابه ... فلاحَت علـى دَرْب الفلاح الصُّوى به
رشـيدٌ أتـى فيمـا نـرى الاعتنا به ... وُجُوبًـا فما أسْـماهُ حيـن اعتنى به
فتى راشـدٍ بحـرِ النّدى خيـرِ نابِه ... فأكـرِمْ بـه مسـتخدِمًا سَـيْرَ نَابِـه
بُنيَّ اصطحِـبْ للعلم فضـلَ وِطابه ... تنَلْ في سـبيل الله حُسْـنَ الوِطا به
ودونـك علـم الشـرع لُـذْ بجَنابه ... فإنّ مـرامَ العلـم يحلـو الجَنى به
على التائب الإقلاعُ من سُـوء عَابِه ... بحُسْـن النَّوى واللفظُ فيما وَعَى به
وتُجزيـه نيّـاتٌ لـه فـي مَتابـه ... ولـو لم يكـن لفـظٌ هنـاك أتى به
وقد جاء نصُّ الذكر في الحَجّ ما به ... جِـدالٌ ومَهْمَـا جـادَلا أثِمَـا بـه
وتطليـقُ زيـدٍ زوجَ ابـنٍ متـى به ... أتـى فهـو لَغْـوٌ فَلْيبـؤْ بمَتابِـه

إذا لـــم يكـــن طفـــلًا وإلا فـــذا به يجوز طـــلاقٌ منه خـــوفَ الأذى به
وصلِّ على المختار مَن قد صَحا به هدى الله والآلِ الرِّضى مَعْ صِحابه[1]

وكذلك نجد هذه اللغة البيانيّة عند الشيخ خلفان بن جميّل، فقد أتاه سؤال نظميّ غير مســـتقيم، فنظم الســـؤال والجواب وحْدَه، وأبدع في مقدّمته، وصوّر السائل أنه امرأة، لأنها مسألة رضاع، وهو تصوير خياليّ، وقد ظهرت تلك المرأة في حُسْن منظرها، وجميل صورتها، فنصَحَها بالخوف من الله وبالاستتار، فردَّت عليه بأنها ما زاغت عن منهج الشريعة في مفروضها وسُنَنِها، وأنّها جاءت سائلة متفقِّهة فحَسْـــب، فأجابها الشيخ عن سؤالها، ثم ولَّـــت راجعةً من حيثُ أتت، فسأل عنها فإذا هي من شَـــمال عمان، مجاورة بني ياس، وهم أهل دُبَيّ، ولعلّ السائل حقيقة يسكن تلك الجهات.

فلنستمعْ إلى هذا الحوار البديع الشائق:

جواب لسائل لم يذكر اسمه:

قلْ للذي قرَّضَ الأشـــعار يســـألني مالي وللشـــعر دَعْني يا أخـــا المِنَن
ماكنت أبكـــي على رَسْـــم ولا طَلَلٍ ولا ربـــوعٍ عفَتْ من ســـالف الزمن
ولا شَـــجَاني غرابُ البَيْن إذ رحلوا ولا ولعتُ بذكر الشَّـــجْو والشَّـــجَن
ولا لهـــوتُ بغـــزلان أغازِلُهـــا ولا صبـــوْتُ لذات المنظر الحسَـــن
خُودٌ خَرودٌ إذا ما أســـفرت سجَدتْ شمسُ الضحى لمُحَيّاها على الذَّقَن
في عينهـــا حَوَرٌ فـــي لحظها فَـــتَرٌ فـــي وجههـــا قمَـــرٌ ورديّـــةُ الوِجَن
جاءت تجـــرُّ ذيول الخِـــزّ تخطُرُ في بُـــرْدِ الشـــباب على بُرْدٍ لها عَدَني
فقلت يا هنـــدُ خافي الله واســـتتري واخْفي محاسِـــنَكِ الحَسْنا عن الفِتَن

(١) السليمي، قلائد المرجان، ٦٨.

قالــت أمَا والذي ســوَّاك مــن عدَم ... مازِغْتُ عن منهج المفروض والسُّنَن
إنّي ســمعت إله العرش قال سَــلُوا ... عمّــا جهلتم أُهَيْــلَ الذكْــر والفِطَن
فجئــتُ ســائلةً عمّــا دهــى وعَنى ... فبيّنِ الحكمَ في الإرضــاع واللَّبَن[1]

ثم قال:

فودَّعــتْ ثــم ولّــتْ وهــي قائلــة ... حَسْبي هُدًى وسَــنًى يُغني عن الوَسَن
ســألتُ أيــن تولّت قيل قــد ركبت ... خليجَ فــارسَ في سَــبَّاحة السُّــفُن
تبغي شــمال عمــانٍ نحــو جيرتها ... ياسِ ابــنِ عامر أهلِ الخيــل والبُدُن
كانــت دُبَــيُّ بني يــاسٍ لهــا وطنًا ... ياحبّــذا ســكَنًا فــي ذلــك الوطن
لاذت بعصمة ذي المجد الرفيع أخي ... الندى طويلِ المدى ذي الفضل والمِنَن
حمودِنا ذي المعالــي والعُلا وأخي ... البأساء مَن قد زكى في السِّرِّ والعَلَن[2]

أمّا من حيث طريف السؤال، فإنّ أستاذنا موسى بن عيسى البكري نظم سؤالًا عن مُغَنِّم القهوة، لا يعدل في توزيعها، فيعطي الأكابر أكثر، وذلك أنَه يملأ لهــم الفنجان، ويعطي الآخريــن أقَلّ، فهل عليه إثم فــي تصرُّفه هذا، والقهوة ليست مِن عنده، وإنما هو يدير تغنيمَها وتوزيعَها فحَسْب، والمسألة من حيثُ طرافتُها وظرافتُها فلا شــكَّ فــي ذلك، وقَلَّ من يســأل مثْلَ هذا السؤال، ولكن من حيثُ ما يســمّى بأدب المجالس فهي غاية في الأهمّيّة، وأعني بالمجالــس مجالس القهوة، وهي الســبلة المعروفة عندنا في عمان، سواء كانت خاصّة أم عامّة، وكذلك أدَبُ المجالس الذي نحن في بابه الآن وطرْحِ مسائله.

(١) السيابي، بهجة المجالس، ١٦٢.
(٢) السيابي، بهجة المجالس ١٦٣.

وهذا السؤال والجواب:

باسم ربّي محرِّكِ الحَرَكاتِ ... خالقِ الخَلْق رافعِ الدَّرَجات
جئتُ أعلو الجبالَ شُمًّا فَشُمًّا ... والفيافي والبِيدَ والفَلَوَات
ما بقلبي جآذِرٌ أو ظِباءٌ ... تقنصُ الأُسْدَ أعْيُنًا فاتِنات
راميات بأسهمِ ريشِها الهُدْبِ ... تَشُقُّ القلوبَ بالَّلفَتَات
ما لهاروت أو لماروت سِحْرٌ ... بين خَدِّ الظِّبا وحَدِّ الظُّبَات
شيخَنا العالمَ الخِضَمَّ المُرجّى ... إن دجا الخَطْب أو رمى بشَتات
أنتَ مَن فاق بالمعارف قَدْرًا ... شائعَ الذكر في جميع الجهات
بحرُ علْم أو قُلْهُ غيثُ نوال ... منهلٌ طيِّب كمثل الفُرات
أنت أستاذنا سليل عبيْد ... موضِحُ المشكلات والمعضلات
ذا سؤال أتاك يبغى جوابا ... شافيًا في موزِّع القَهَوَات
يملأ الكأس للأكابر مَلْأً ... ويخصُّ الضعيف بالقَطَرات
هل ترى فعله يجوز لديكم ... بيِّنِ الحقَّ وافتح المُغْلَقات
وصلاةٌ معَ السلام جميعا ... لنبيِّ الهدى وخير الشُّراة
وكذا الآل والصحابة طُرًّا ... مَن همُ الرُّشْد في سبيل النجاة

الجواب:

خَلِّ عنّي موزِّعَ القَهَوَات ... خائنَ الفعْل راكبَ السيّئات
مَن غدا يقسم الأمانة ضِيزَى ... جائرَ القَصْد عن مَنارِ الهُداة
ضاق ذَرْعًا وساء فِعْلًا لهذا ... جار عند التوزيع للقَهَوَات
يملأ الكأس للأكابر حِينًا ... ويخصُّ الضعيف بالقَطَرات
أبدًا ما أرى لذاك جوازًا ... لأمين الشراب والثَّمَرات
لم يشاورْ رَبَّ الشراب بهذا ... فيُجيزَنَّ فِعْلَه كيف يأتي

إنَّ ربَّ الشراب أوْلى بهذا ... زاد عَمْرًا أو خالدًا إذ يواتي
فهو أولى بماله فافهم ... الحكم صريحًا رويتُه عن ثِقاة
تمَّ هذا الجواب عِقْدًا فريدًا ... مثْلَ بدرٍ أضاء في الظُّلَمات
وختام النظام خير صلاة ... وسلام لكاشف الكُرُبات
أحمد المصطفى شفيع البرايا ... عند يوم القيام والحَسَرات
وكذا الآل والصحابة مَن هم ... أظهروا الحقَّ في جميع الجهات[1]

مجلس الشيخ خلفان بن ناصر بن عبد الله السعدي الأدَبي

الشيخ خلفان هو خال الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وترجمته في قسم الأعلام، وهو من أعيان البلاد وأدبائها وكرمائها، يقول الشيخ أمير البيان في رثائه له:

أيُّها السعديُّ يا خلفانُ يا ... مُطْعِمَ الطير وزَادَ الراكب
ما فقدْنا فيك شخصًا واحدًا ... بل فقدنا جيلَ مَجْد واهب
ما رُزِئْنا بك لحْمًا ودَمًا ... بل رُزِئْنا بسليبٍ سالب

ويقول الشيخ الخصيبي فيه:

«وكان في أولاد سَعْد أديبٌ ظريفٌ جَواد، وهو الشيخ خلفان بن ناصر بن عبد الله.....، وكان يحبّ الأدب، ويهوى قراءة الشعر واستماعه، وكان مجلسه مأوى للأدباء والقرّاء ومنبعًا للسماحة».

ويقول الدكتور محمود بن مبارك السليمي:

هذا «وتمتاز مدينة سمائل بمجالسها الأدبيّة..... ولعلّ أشهرها مجلس الشيخ خلفان بن ناصر السعدي، الذي كان يجتمع لديه كبار أدباء سمائل وشعرائها، ففي مثل هذه المجالس التي عادة ما تكون وسْط بساتين النخيل وعلى مقربة من

(١) السليمي، قلائد المرجان ٧٦ ـ ٧٧.

جداول الأنهار (الأفلاج)، وتدار فيها فناجين القهوة ـ رمز الكرم في عمان ـ بعد أن يتناولوا حبّات من الرطب في وقت الصيف أو التمر في الشتاء فتقوم المساجلات الشعرية، وتطرح القصائد الجديدة، وتظهر المواهب الحديثة».

وقال عن أبي سرور:

«حيث بدأت بواكير شعره في هذه المجالس، لا سيَّما مجلس حاتم زمانه الشيخ خلفان بن ناصر السعدي»[1].

وهكذا نرى كرام الرجال وأعيانَهم، متّصفين بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، ومنها إكرامُ الضيف، وحُسْنُ الخُلُق، وتقريبُ أولي الفضل والأدب، فيجعلون من مجالسهم منتدى أدبيًّا، تُنْشَدُ فيه الأشعار، وتُروَى فيه القَصَصُ والآثار، فيتعلّم الناس منه الكثير من محامد الأخلاق وشِيَم الرجال، ويبقى أثر هذه المجالس طيِّبًا تتعطَّر به مجالس أخرى بعدَهم، فما أجملها من سيرة حسَنة، وما أبهاها من عادة مُستَحْسَنة.

مجلس أمير البيان الأدبيّ

الشيخ عبد الله بن علي الخليلي شاعر العَصْر والمِصْر في وقته، تقلّد إمارة البيان عن جدارة واقتدار، فهو كما يقول الشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي في مقدّمته لكتاب (وحي العبقرية) للشيخ الخليلي نفسه:

«فلم يزل بين عالم وأمير وإمام، وقد ارتسمت في وعيه صور الأدب، وعلق في ذهنه شعر العرب، فجاشت نفسه الواعية بما وقع في مخيّلتها العارمة، وطمى لُجُّ ذهْنه بأسمى ما يلِج في أذهان النبغاء وتخيّلاتهم، فكان في عهدنا هذا هو المقدّمَ على أقرانه».

(١) د. محمود بن مبارك السليمي، شعر حميد بن عبد الله الجامعي، «أبو سرور»، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، أيار ١٩٩٥م نسخة مرقونة، ص ٣٨.

هذا «وبعد مرحلة الدراسات التأسيسة على يد أعلام عصره انتقل الخليلي إلى مرحلة الاستفادة من أدب المجالس الذي كان شائعا في عصره.

كان أدب المجالس عُرْفًا شائعًا في التكوين الثقافي لذلك العصر، وكان يقوم على مزيج من الشعر وعلوم الدين، وكانت تتلخّص طريقة هذه المجالس في التباري في نظم الأسئلة والأجوبة، بحيث يبدأ الطالب الذكيُّ، بصياغة سؤال فقهي شعرا، ويقدّمه إلى أستاذ متمكّن، فيجيب الأستاذ بعد فترة على سؤال تلميذه على نفس الوزن والقافية، ويسجّل بقية الدارسين هذا الحوار، ويصبح جزءًا من مادّتهم الفقهيّة والأدبيّة معًا، وقد ينضج التلميذ بعد فترة، فيصبح مسئولاً سائلاً، وتُوَجَّه إليه المنظوماتُ الفقهية فيتولّى الردَّ عليها.....، وقد كان هذا شأن عبد الله الخليلي الذي مَرَّ بالمرحلتين المتعاقبتين، وترك على كلّ منهما بصَمَاته الشعرية، وخلّف من مؤلّفاته كتابا حول «الفقه والأدب».

ومن أشهر المجالس الأدبية التي شارك فيها عبد الله الخليلي مستمعًا أو محاوِرًا أو سائلاً أو مُجِيبًا، مجالس كانت تنعقد في سمائل، ومنها مجلس الشيخ محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي، العالم والمؤرِّخ للشعر المشهور، وصاحب كتاب «شقائق النعمان على سموط الجمان»، في أسماء شعراء عمان، ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزُّمُرُّد الفائق في الأدب الرائق» في أربعة أجزاء، ومخطوطة «اللؤلؤ والمَرجان في الحكمة والبيان»، ومخطوطة «البُلْبُل الصدَّاح والمَنْهل الطفَّاح في مختارات الأشعار المِلاح»، وتراثه المكتوب مطبوعا أو مخطوطا، بصرف النظر عن قابلية بعض جوانبه للمناقشة، هذا التراث يدلّ على أنّ مجلسَه الذي كان يرتاده الشيخ عبد الله الخليلي ـ في صِباه ـ كان مجلسًا زاخرا، بتاريخ ومختارات الشعر والشعراء، وخاصّة أهل عمان منهم»[1].

(١) د. أحمد درويش، عبد الله الخليلي، شيخ شعراء عمان ص ١٣.

نعم أقام الشيخ الخليلي مجلسَه الأدبيَّ في سمائل منذ سنين عديدة، فكان يختلف عليه الأدباء والشعراء والفضلاء، فيَسْمَعون ما يُلقَى إليهم، ويُسمِعون ما عندهم، فكان الأدَبُ رحِمًا موصولًا بينهم، كما يقول الشيخ عبد الله مناديًا بلبل سمائل الشيخ الأديب علي بن منصور الشامسي، ويدعوه إلى المشاركة في حَلْبة بيانيّة اشترك فيها أمير البيان والشيخان الأديبان أبو سرور والبكري قال:

وما لابن منصور عن السَّبْق مُحْجِمًا ... كأنّ العِنانَ منه موهونُ كاهِل
وقد كان للفُصحى شَباةَ[1] لسانها ... إذا كَلَّ بالفصحى لسانٌ لقائل
هلمَّ ابنَ منصور إلى الرَّحِم التي ... قطعتَ ففي الأرحام وصْلٌ لواصل
أواصِرُ حسَّان بها ورواحةٍ ... ومَن مثْلُ حسّانٍ لكلّ مطاوِل

«وكانت نشأة الشيخ عبد الله في مدينة «سمائل» التي يطلق عليها العمانيُّون لقَبَ «الفيحاء»، لتدفُّق مياهها وخصوبتها وشدّة اخضرارها، حيث عزَّزت هذه الطبيعة الجميلة شاعريّته وحرَّكت مكامنها، ومدينة «سمائل» معروفة في عمان بكثرة شعرائها المتعاقبين الأجيال متوالية، والشيخ عبد الله كما هو حال أغلب الشعراء يحبّ الأدب ويسعده مجالسة أهله والمشتغلين به، ولعلّ هذا هو الذي دفعه إلى إقامة مجلس خاص للأدب والشعر في بيته ينعقد كلّ أسبوع، يحضره الشعراء وهُوَاة الأدب من القائلين والسامعين، وكان لذلك المجلس إسهامه في إثراء الساحة الأدبية العمانية وتنشيطها، حيث كانت تلقى فيه القصائد ويتمّ نقْدها والتحاورحولها إضافة إلى الجوانب الأدبية الأخرى»[2].

(١) «شَباةُ كُلِّ شيءٍ: حدُّ طَرَفِهِ، وقيل حَدُّهُ.

(٢) الصقلاوي، د. سعيد، الشيخ عبد الله الخليلي كلاسيكية متجدِّدة، ط الكويت ٢٠١٥هـ / مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري البابطين، ص١٥٦.

يقول الدكتور الأديب محمود بن مبارك السليمي:

«بل كانوا يجتمعون ويتدارسون الأدب ويُنشِئون القصائد سباقًا فيما بينهم.

ومن طرائف الأمور ما يحدّث به الشاعر (أبو سرور) أنه كانت هناك محاكمات أدبيّة تُعْقَد أحيانا، ويتصدّر فيها الدعوى أطراف، ويحكم فيها قاضٍ أدبيٌّ، يحضرها كبار الشعراء والأدباء والمهتمّون بالأدب في جلسة خاصة تعقد لذلك، ومن أمثلة ذلك أنّ أحد أدباء سمائل ويدعى علي بن منصور الشامسي أصيب بالرَّمَد ولم يزره الشاعر أبو سرور، فبعث بأبيات إلى الشاعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي يشكو فيها الشاعر أبا سرور أنه لم يَعُدْه.

فأجاب على الدعوى وحكم الخليليّ، وكان ذلك في ندوة كبيرة أقيمت بالوادي بين السُّبْحِيّة ودَغَال من علاية سمائل، حضرها العلماء والفقهاء وروّاد الأدب، ثم دعاهم الخليليّ الى حَلْبة أخرى، شارك فيها بعد ذلك الخليلي وأبو سرور والأستاذ موسى بن عيسى البكري بقصائد جديدة»[1].

وألقى حينها الشيخ عبد الله الخليلي قصيدة بعنوان: **(حلبة الرشيد)**، نوردها كاملة للفائدة:

سفَرتْ فبُرْقُعُها الحَيا والدِّينُ ... ومن الكرائم سافِرٌ ومَصونُ
سفَرتْ فغشَّاها الجمال بزَهْوه ... ومن الجمال حقائقٌ وظنونُ
سفَرتْ فغازَلها الهوى فتورَّدَت ... ومن التفاعل خائن وأمين

(١) د. محمود بن مبارك السليمي، شعر حميد بن عبد الله الجامعي، «أبو سرور»، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، أيار ١٩٩٥م نسخة مرقونة، ص ٣٠، السليمي.....، مكانة سمائل الفكرية والأدبية، بحث مقدّم للندوة التي أقامها المنتدى الأدبي بعنوان: سمائل عبرالتأريخ، وذلك في الفترة من ١٠ ـ ١١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ١٢ ـ ١٣ ديسمبر ٢٠٠٥م، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ص ٥٨.

سـفَرتْ فما عَـرَفَ السـفورُ مقالَها فاحتـار وهـو بوَهْمـه مفتـون
سـفَرتْ فأبصرتِ الوجـود فخرَّ في أحضـانـها والـكـائـنـاتُ سكون
يتلـو سـطوراً فـي صحيفـة خَدِّها فيـرى الجلالـةَ فيه وهي شُـجون
هـذي الحقيقـةُ إن أردتَ حقيقـةً وعلـى المجـاز سـتارُه الموضون
يـا صاحبـيَّ إلـى الحقيقـة إنهـا شـرَفٌ بـه سِـرُّ النفـوس مَصون
مـا لـي أرى عيـن الوجـود كليلةً عمّـا يَحيـقُ بشـأنه ويَحيـنُ
أغَفـا يقينًـا أم تغافـى خِدْعـةً بـرِحَ الخفـا إنّ الخـداعَ طعيـن
ولقـد نظـرتُ إليـه نظـرةَ مُبْصِـر فرأيتُـه والحُسْـنُ فيـه خـؤون
ورأيـتـه والـكـارثـات صـوارم فـي سَـرْحه والكائنـات متـون
ورأيـتـه مـتـطـوِّراً متـقـلّـباً مـتـغـيِّـراً أصـبـاغُـه الـتـلـويـن
والليـل يزجـر بالظـلام كأنـه بـحـر يـزمـجـر تـارة ويـهـون
وتـرى النجـوم سـفين بَلُّـور بـه والـكـهـربـاء تـنـيـرهـا فتبين
والفجـر ينشـر للنهـار غِلالـة تكسـو الوجـود نضـارةً وتَزيـن
والشـمس ترسـل للفضـاء أشـعّة تغـذو القلـوب كأنهـا ياسـين
وكأنّمـا هـذي الطبيعـة طائـر لَـدِنُ الجَنـاح مبـارك ميمـون
والمـاء يكتـب للبسـيطة أسـطراً ينسـاب بيـن متونهـا التكويـن
وكأنمـا يبـدو علـى جنَباتهـا خُضْـر الغلائـل طرَّزتهـا العِيـن
مـا نمنمـت عبَثـاً ولا نَـمَّ الصَّبا بأريجهـا لكـن هنـاك شـؤون
يـا للبصائـر قبـل أن لا تبصـري إن الـنـهـايـة أزرق مـسـنـون
عِظَـةُ البصيـر لنفسـه مـن نفسـه والمـرءُ بالقـدَر المتـاح رهيـن
والعقـل أهدى للمـرام مـن القَطا حتـى يصـادف والقضـاء كميـن
يـا نجـل منصـور سـلاماً عاطراً كالـروض باكَـرَه السـحاب الجُون

يـا نجـل منصـور تحيّـة وامِـق ... فيهـا لحبّـك شـاهد مأمـون
تزجـي السـلام حمائمـاً ميمونـةً ... وقعـت عليـك شـعارها التأميـن
تدعـو حُمَيْـداً فـوق دَوْح بيانهـا ... وحُمَيْـدُ يشـدو والوجـود أنيـن
نادتـه فـي لحْـنٍ ألـذَّ مـن الهنا ... فأجـاب وهـو بمثلـه لَقَميـن
فتجاوَبـا فـي سَـجْعها وهديلُـه ... يشـدو لهـنّ وسَـجْعهنَّ حنيـن
يـا حلبـة مَـلأ السـرورُ فضاءَهـا ... وقـف الأميـن عليـكِ والمأمـون
فتزيّنـي وتبهرجـي وتمايلـي ... هـذا المجـلِّ فوقـه هـارون
والله مـا حُظيـت كمثلـك حلبـة ... إنّ الزمـان بمـن ذكـرت ضنيـن
لكن دعـوت فمـا أضيعـت دعوة ... رفـعـت عـقـيـرتـهـا لـهـا آمـيـن
فغنيـت بالفرسـان عـن كلّ الورى ... حـتـى كـأنّـك فـيـهـم قـارون
عَتْـبُ الإخاء علـى الإخـاء قَمين ... والعتـب للسـرّ الخفـيّ يُبيـن
لولا العتاب علـى الصفاء لجفّ من ... مـاء الأخـوّة بالجفـاء مَعيـن
لك يـا علـيٌّ ألـف حـقّ واجب ... وعلـى حميْـد مـا عليـه يكـون
فعلـى حميْـد أن يعـودك قبـل أن ... يدعـوه إخـوة يوسـف لـو دِينـوا
لكنّـه أبـدى ويـا حُسْـنَ الـذي ... أبـدى وعـذر الصادقيـن متيـن
ولعلـه راعـى فنـاءى قالبـا ... والقلـب عنـدك بالوفـاء مديـن
وأظـنّ ذاك ومـا إخـال لديكمـا ... إلا قـرائـح زانـهـا الـتـدويـن
فـتـجـارَيـا وتـبـارَيـا وتـسـاجَـلا ... مـا فيكمـا مـن أشـقر مغبـون
لله دَرُّكـمـا ومـا خَـلَّـدتـمـا ... مـن جوهـر لكنّـه المكنـون
قـلّـدتـمـاه لـلـمـعـالـي نـحْـرَهـا ... والكـون يشـهد والزمـان عيـون
يـا شـاعريَّ إلـى اللقـاء بحلبـة ... أخـرى بهـا للناظريـن فنـون
نسـعى إليهـا ناشـطين نَشـيدُنا ... سـفَرَتْ فبرقُعهـا الحَيـا والديـن

هذه هي منافع وفوائد المجالس الأدبية، فهذا المجلس انعقد للمحاكمة الأخويّة بين الأدباء، ومَدّ حبْل الوصل بينهم، وألقيتْ فيه قصائد المعاتبات، ثم جَرَّ ذلك المجلس إلى حَلْبة بيانيّة أخرى، سنذكر نتاجَها في محلّه إن شاء الله.

هذا ومن قُـرَّاء مجلس الخليلي الأدبيّ الشاعر والأديب حبراس بن شبيط، وهو ذو صوتٍ شَـجِيٍّ مُطْرِب، وقلّما يتخلّف عن حضور هـذا المجلس في سمائل أو في القُرْم من مسـقط إلّا لعذر، وهذا ما يشـحَذ القريحة، ويجعلها عامرة بالأدب، غزيرة في الإنتاج، قويّة فيما تنتجُه، فالمجالس الأدبيّة أو الفقهية لها تأثير على الحضور الذين هم مشـغوفون بها، حريصـون على حضورها، ملازمون حَلَقاتها.

تقول الكاتبة مُنى بنت حِبْراس السليمية عن والدها الأديب:

«وهو الشاعر الذي كان يحظى باستحسان الشاعر الشيخ عبد الله الخليلي و، كان ينيبه أن يقرأ شعره في المحافل الثقافية التي كان يدعى لها الشيخ، وتروي من العلاقة الإنسانية الخاصّة والحميميّة بين التلميذ وأستاذه في صور شتّى، من بينها الزيارات المتبادلة، وحرص التلميذ على حضور مجلس أسـتاذه الشـيخ الشاعر، وكذلك المطارحات والمساجلات والمراسلات الثقافية والشعرية التي كانت جارية بينهما.

وقالت: كان تأثير الشيخ عبد الله الخليلي في مسـيرة والدي الشعرية تأثيرا خاصّا، بل أحسـب أنه بلغ من العُمْق مبلغا كبيرا، تجاوز حدود العلاقة الشعرية إلى علاقة إنسـانية نبيلة، فقد كان مجلس الشـيخ الخليلي الأسـبوعي موعدا يحرص والدي على حضوره، ولا يكاد يتخلّف عنه إلا لسبب قاهر... وقد وثَّق والدي كثيرا ممّا كان يدور في مجلس الشيخ الخليلي في قصائد شعرية، تكشف كثيرا ممّا كان يدور في مجلسـه العامر بالرُّوّاد والمريدين... وممّا أذكره كذلك مرور الشيخ الخليلي على والدي بسيارته...

وكان الشيخ يومَها مشغول البال بقصيدة تُلحُّ على قريحته، فخرجا في السيارة... يجوبان أنحاء سمائل، يملي الشيخ قصيدته على والدي ما طال بهما الوقت، ولم تَعُدْ السيارة بهما إلا والقصيدة قد اكتملت»[1].

هذا ولمّا انتقل الشيخ عبد الله بن علي الخليلي إلى مسقط، وسكن فيها عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م جعل مجلسه الأدبي والشعريّ متواصلًا، ولكن بعد سنتين تقريبا من انتقاله كما قال لي ابنه الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي، أي في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وبقي مستمرًّا حتى قبيْل وفاته بسنة ونصف، لأنه دخل في غيبوبة في هذه الفترة، وتوفّي في ٢٨ ربيع الثاني ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠/٣٠م.

فكان يحضر مجلسه العلماء والأدباء من عمان وغيرها، وقد حضرتُه من بداية عام ١٤١١هـ/١٩٩٠م تقريبا، لمّا نُقِلتُ للعمل بمحكمة مسقط الشرعية، واستقرّ بنا المقام بالعاصمة، ورأيت ممّن يحضر هذا المجلس ولكن بشكل غير مستمرّ شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي.

ويحضره شيخنا العلَّامة سعيد بن خلف الخروصي، وشيخنا سعيد بن حمد الحارثي، والشيح الدكتور إبراهيم بن أحمد الكندي، وشيخنا وأستاذنا موسى بن عيسى البكري، والشيخ حميد بن عبد الله أبو سرور، والأديب حبراس، قارئ المجلس وعندليبُه المُغَرِّد، وكان يحضره أيضا شاعر عراقي اسمه: صباح، وأظنّه طبيبًا، وغيرهم من الأدباء.

وقد سمعت ذات مرّة في شريط تسجيل جلسة تصحيحية وتنقيحية لقصيدة للأديب أحمد بن موسى بن عيسى البكري عن بلده سمائل، ويقرأها حبراس بحضور شيخ المجلس، وأب الشاعر، والدكتور إبراهيم الكندي،

(١) الصقلاوي، د. سعيد، الشيخ عبد الله الخليلي كلاسيكية متجدِّدة، ط الكويت ٢٠١٥هـ / مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري البابطين، ص ٢٥.

وبدأ النقاش والتهذيب للقصيدة، ولكن قال أحدهم: إن الرجل غير حاضر، وهو صاحب القصيدة، فقال الآخر: إن والده موجود، وهو نائب عنه، فاستمَرُّوا في تنقيحها.

وممّن يحضر المجلس أخونا وصديقنا الشيخ القاضي الأديب صالح بن علي الحميدي، وكان من قرّاء المجلس أيضا، وله شهادة في المجلس وشيخ المجلس، قال فيها:

«أوّلُ ما عرفت الشيخ عبد الله بن علي الخليلي

صالح بن علي بن سالم الحميدي

جمادى الأولى ١٤٣٦هـ

٢٢ فبراير ٢٠١٥م

أوّلُ ما عَرَفْتُ الشيخَ عبد الله بن علي الخليلي في منتصف الثمانينيّات من القرن الماضي، عندما كنتُ طالبا في معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، أخذني أحد الزملاء إلى منزل الشيخ في منطقة القُرْم في مسقط،

إذ أنّ له حاجة مع الشيخ، تتعلّق بموضوع في وزارة العدل ـ هذا أوّل لقاء مع هذا الشيخ الكريم، وقد سألني عن اسمي ومن أيّ ولاية فأخبرته؛ فإذا هو يعرف أبي عندما كان طالب علْم في مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وسألني عن أبي وعن الشيخ العلّامة عبد الله بن سالم اللِّزامي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، وعندما فرغ الزميل من عرض الذي جاء من أجله، ذهب الشيخ إلى داخل منزله وأحضر مجموعة من الكتب والدواوين، وارتجل بيتين حفظتهما بعد أن ردّدتهما في نفسي، وهما:

يا صالح ابن علي هاكها كما ترى

خذ لأبيك نصفَها وللزامي الآخِرَ

بعد هذه الزيارة القصيرة لم أملك لنفسي أمرا إلا التردّد على الشيخ، فآتي من رُوي إلى القرم، في ذلك العهد؛ فإنّ الشيخ بمثابة الأب الروحيّ الذي يربّي النفوس، كلُّه مدرسة، كلامه وجلوسه وطريقة تعامله مع جلسائه، وتمّ إنشاء الصالون الأدبي في كلّ أسبوع يوم الثلاثاء، يحضر هذا المجلس العلماء، والقضاة والأدباء، والشعراء، كما يغشى مائدته الأغنياء والفقراء، يصدق عليه قول حسّان بن ثابت:

الخالطون فقيرَهم بغنيّهم والمنعِمون على الفقير المُرْمِل
بِيضُ الوجوه كريمة أحسابُهم شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوّل

ولا أنسى؛ فإنني كنت أحد المشجّعين للأدباء والشعراء في ذلك الوقت بالحضور لهذه الحضرة المباركة، التي يجلّلها حضور الشيخ بالبهاء والكمال؛ فمَن جلس بقربه تعلّم منه من غير تعليم.

لقد نلت شرف القراءة بين يدي الشيخ، وهو يقول اعطوا صالح يقرأ، وقد كنت في وقت سابق سمعت قراءة الشيخ من ديوانه في شريط مسجّل لعدّة قصائد منها (بين القبر والمنبر)، (وإلى الله في أسمائه)، (المصلّى) من ديوانه وحي العبقرية، فلمّا مَثُلْتُ بين يدي الشيخ أخذت في تقليد تلك القراءة التي كنت شَغوفا بها، وهي القراءة العمانية السمائليّة، ولم انقطع طيلة تلك السنوات عن هذا المجلس الأدبي الرائع منقطع النظير.

كما إنّني أذكر للشيخ بعض الذكريات فهي حاضرة في النفس، فهو يجلس على كرسيّ معهود في ذلك المجلس، وأمامه طاولة صغيرة يضع فوقها الأقلام بعدّة ألوان، ويتفحّص قصائده، ويتعهّدها بيتا بيتا، مثل الذي يتعهّد الشجرة المثمرة؛ فإن رأى كلمة أو بيتا لا يروق له، امتدّت يده إلى المزيل الأبيض وأخذ يباشر ذلك بنفسه.

مع ظرفه الصحيّ الذي يسيطر على جوارحه بالاهتزاز، ويجتهد في الإزالة وفي الاستبدال، فلذلك نجد أنّ خطّه في الكتاب يختلف عن كتاب الكاتب للقصيدة.

واذكر بأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أحيانا يكون عندنا في مجلس الشعر تشتدّ عليه وطأة المرض، فيستأذن جلساءه في الإنصراف، وكان بإمكانه أن يريح بدنه؛ بل والأغرب من هذا عندما يمتلي مجلسه بالحاضرين، ويأتي أحد أبنائه بالاعتذار عن حضور الشيخ للأمسية، ويبدأ الشعراء بتلاوة قصائدهم، يأتي الشيخ يتهادى بين شخصين من أبنائه البرَرَة، ويقف ويلقي السلام على من حضر، ويقول: «سامحوني»، ويعود أدراجَه إلى فراشه.

هذه والله هي التربية، وهذه هي المدرسة، وهذا هو التعليم.

وسمعته لعدة مرات في جلسات متفرّقة بأنّه يعجبه صوت المؤذّن عبد الله بن حميد المعمري، الذي يرفع الأذان عن طريق الإذاعة العمانية، بأنه جهوريّ الصوت، وأنه «صهصلق»(١) أورد هذا اللفظ، وأنا شخصيّا أعرف الوالد الشيخ عبد الله بن حميد المعمري، رجل مسنّ، يعمل كاتبا في المحكمة الشرعية بمسقط، وهو من بلدة الفَلَج العالي بالرستاق، وعندما مرض الشيخ الخليلي رَحِمَهُ اللَّهُ تمّ ترقيده في المستشفى السلطاني، تردَّدت كثيرا عليه، وهو فاقد لما يدور حوله، في غيبوبة طويلة، فعندما آتي إليه كنت شديد الحزن عليه، وأضع فمي على أذنه وأقول له: أنا ولدك صالح بن علي الحميدي، فيأخذ في التحرّك كأنّه يرحّب بي، ثم تذكّرت بأنه يعجبه أذان الوالد عبد الله بن حميد المعمري، فأخذت شريطا فيه أذان الوالد عبد الله مع آلة تسجيل وأسمعه إيّاه، فيتفاعل مع الأذان بالتحرّك في الفراش، كأنّه يتلذّذ بالسماع.

(١) أي شديد.

ومن تربيته في أحد الأيام عندما كنت جالسا بجانبه، إذ جاء أحد أولاده ومعه ولده الصغير ـ حفيد الشيخ ـ وأخذ الصغير يعبث ببعض موجودات المجلس؛ فناداه أبوه قائلا: تعال يا أبوي، إجلس، فقال الشيخ عبد الله: لا تقل له يا أبوي بحضرتي؛ فهذا درس يلقى على كلّ مَن يستفيد.

هذا ما منَّ به الرحمن، وما رسخ في الذاكرة في هذه العُجالة، اسأل الله ﷻ لشيخنا المربّي الرحمة الواسعة إنه سميع مجيب»[1].

مجلس الخليلي للشعر

بعد أن توفّي أمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي في ٢٨ ربيع الثاني ١٤٢١هـ ـ ٣٠/٢٠٠٠م، قام نجله الشيخ الأديب محمد بمواصلة المسيرة الأدبيّة، وظهر شعره للناس بعد أن كان مَخفيًّا أو مختفيًا، وقد ظهر بقوّة بيانيّة وعَلَنيّة، فكان لا بدَّ له وهو وريث أمير البيان، وشاعر شعراء عمان، أن يتحمّل هذا الشأن وأن يقوم به، وهو الجدير بالقيام، وله من المؤهِّلات الاجتماعية والأدبيّة ما تجعله في الأمام، فأطلق على مجلسه الشعريّ اسم: (مجلس الخليلي للشعر)، فينعقد المجلس أغلب أوقاته في بوشر، حيث يقيم رئيس المجلس، لكل شهر جلسة واحدة، يحضره لفيف من الأدباء والشعراء، فيلقون ما عندهم من شعر، وقد يعقِّب البعض بملاحظات حول القصيدة التي ألقيت، وهذا بدوره يشكّل معرفة متداولة، ويكسب الجلسة الشعرية فوائد جمَّة للجميع، وكان الشيخ محمد في بداية أيام المجلس يكتب محضرا يدوِّن فيه أسماء الشعراء الحاضرين ومطلع قصائدهم التي ألقيت، ثم بعد فترة يسلّم المحضر لأعضاء المجلس حتى يحضر بعد ذلك المشاركون قصائدهم لحفظها والإفادة منها في المستقبل، فربما يأتي

(١) انظر: د. الصقلاوي، سعيد، الشيخ عبد الله بن علي الخليلي ـ كلاسيكية متجدّدة، أورد مقالة بعنوان: أول ما عرفت الشيخ عبد الله بن علي الخليلي بقلم: الشيخ القاضي الأديب صالح بن علي الحميدي ص ١٨٣ ـ ١٨٦.

يوم فتطبع وتنشر، ثم تطوّر الحال إلى تسجيل هذه الجلسات بالصوت والصورة، وتنشر على موقع المجلس الإلكتروني، الذي أُعدَّ لهذا الغرض، فصارت المسألة أسهل وأضبط وأجمع.

وينعقد المجلس بعض الأحيان في بيت السُّبحيّة بسمائل، وكذلك تُوَثَّق جلساته وأشعاره، وفيها دُشِّنَتْ موسوعة أمير البيان الشعرية.

كما عُقِدَ المجلسُ من خلال زيارات لبعض الولايات أو المناطق، بدعوة من بعض أعضائه، أو أدباء تلك المنطقة، فقد عُقِدَ في مَحْرَم بولاية سمائل، وفي ولاية الحَمْراء، وفي العِلْيا بوادي عِنْدام من نيابة سَمَد الشأن بولاية المضيبي، وفي وادي السَّحْتَن بولاية الرستاق وغيرها.

زيارة أدباء وشعراء المجلس لسمائل

هذا وبمناسبة زيارة مجموعة من الأدباء والشعراء لسمائل في يوم السبت ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/٢/٢٧م بدعوة من رئيس المجلس، وعَقْدِهم جلسة شعرية، قلتُ هذه الأبيات مرحِّبًا بهم:

دَعِ الشعر في وادي سمائل يصدَحُ ... فعَرْفُ اللِّقا بالوصل والطِّيب ينفَحُ
فذي دارُه تزهو به وتُديرُه ... كؤوسًا ومنه الأرض تُسْقَى وتُنْضَحُ
إذا قيل أين الشعرُ قالت سمائلٌ: ... رفعتُ له الأعلامَ وهي تلوِّحُ
تدفَّق ينبوعُ المعارف زاهرًا ... به ولسانُ الحال أضحى يصرِّح
فكم في رُبى الوادي مَقامٌ وجَلْسةٌ ... به ملتقى الآداب يمسي ويصبح
وكم برياض بين أغصان دَوْحها ... أنيسٌ يجلّي بالبديع ويُفْصِح
سلامٌ على تلك الليالي وحُسْنها ... وصفْوِ لقاها فهي للصدر تشرح
سلامٌ عليها وهي تبدو جميلةً ... أليس لها عَوْدٌ به الدهر يَسْنَح
نعَمْ بلقاكم رادَةَ الشعر بهجةٌ ... تجلّت بهذا اليوم والكلّ يمرح

أثرتــم من الأحشــاء ذكــرى عزيزةً ... لها من أريج المِسْــك نفْــحٌ مُرَوَّح
تجمَّعتــمُ مــن كلِّ صــوب وجئتمُ ... إلينــا فلُقياكــم بــه البِشْــرُ يطفــح
فأهلا بكــم ضَيْفًــا بوادي ســمائل ... وطابــت لكم فيــه ريــاضٌ وأبْطُح
وشــائجُ من أنســاب شِــعْر وحكْمة ... رعيتم فحبْــلُ الــوُدِّ بالوصْل ينجح
ســقتكم من الوادي الخصيب تحيّةٌ ... تَفيــضُ بهــا يُمْنًــا غَمائمُ دُلَّــحُ[1]
ويختــم جمْعَ الخير نشْــرُ نسـيمها ... بأزكــى عبــارات المَــودّة ينفَــحُ

وبهذه المناسبة نظم مجموعة من المشاركين قصيدة مشتركة وهي:

(سمائـل الفيحــاء)

مواكبُ الشــعر بالقرطــاس والقلَم ... تُعلي لــواء السَّــنا فــي ذِرْوة العَلَم
ترنــو إلــى بلــد، النَّجْــمُ يعرفــه ... لغير نيْــل فخــار المجد؛ لــم تقم
يكفــي القريــض فخــارا أنّ منزلَه ... ســمائلٌ، منبــع الأمجاد والشَّــمَم
ســمائلٌ عُــرْوة التاريــخ كان لها... ... ما زال (ما كان) مشــهودا على القِمَم
إلــى القيامــة يبقــى أصْــل معدنها ... تِبْرا كمــا كان تِبْر الأصــل من قِدَم

عبد الله بن سعيد الذهلي

* * *

حُلقــومُ مجْــدٍ لــه الآثار شــاهِدةٌ ... بــكل شِــبْر لســان مفصــح بفَــم
لهــا مــع الشــعر ميعــاد تجــدِّده ... فــي كل قَــرْن فلــم تهرَم ولــم تنَم
عيونهــا وقُراهــا والجبــال لهــا ... يهفــو الفؤاد كمــا يهفو لذي سَــلَم
مَــرَّ الجمــال بواديهــا، وقــال هنا ... رِيُّ الــذي لشــراب الملهمَين ظمي

أحمد بن هلال العبري ـ الحمراء

(١) دَلَحَ: مشَى بِحَمْلِه مُنْقَبِضَ الخَطْوِ لِثِقَلِهِ.
ـ سَحابةٌ دَلوحٌ: كثيرَةُ الماءِ، الجمع: دُلُحٌ، وسَحابٌ دالِحٌ، الجمع: دُلَّحٌ، ودوالِحُ.

سَمائِلٌ وشُموخُ النَّخْلِ يُبدعُها ... مواسِماً للجمالِ الخِصْبِ للشَّمَمِ
للعاشقين هَواها وهي واحِدةٌ ... بلا شَريكٍ يوفِّي سِحْرَها بِدَمي
عَشقتُها فَلَجاً نَخْلاً وساقِيةً ... شِعْراً وبَوْحاً تخطَّى رَوْعةَ الكَلِمِ
لا تعجبوا أُختُها في المَجْدِ فاتِنتي ... صُحارُنا كسَماءِ اللهِ في العِظَمِ

عقيل بن درويش اللواتي ـ صحار

* * *

قد حازت السَّبْقَ إسلامًا بمازنها ... وذاك مضمارُها كالنُّور في العلَم
في كل شِبر ترى ذكْرًا لمفخرة ... قد سُطِّرتْ بمداد النُّبْل والقلم
لله درُّكِ من دار مكانتها ... تزداد نورا كضوْء البدر في العَتَم
لولا الشريفين والأقصى لكان لها ... من بعد نزوى بقلبي منتهى العِظَم

علي بن هلال العبري ـ الحمراء

* * *

لله ضحكتها في كلّ سابغة ... لله غضْبتها في كلّ محتدِم
فيها أساطين من علْم ومعرفة ... هم ذِروة المجد والأخلاق والحِكَم
هم سادة القوم في عِزّ وفي شمَم ... هم سادة القوم في جُود وفي كرَم
لمّا تزل في الدُّنا تُروَى فضائلهم ... أبنا سمائل حازوا الفضْل من قِدَم
عذْرًا فليس يفي حقًّا لهم كَلِمٌ ... أطرقتُ عَجْزًا ويحني هامَه قلمي

داؤد بن سليمان الكيومي ـ صحار

* * *

تبقى سمائل بالإسلام سابقةً ... وعَهْدُها سابق بالسيف والقلم
تستقبل الضيف بالأحضان تأخذه ... هي الأمومة يجري حُبُّها بدمي

أتــى لمازنهــا صــوت الهدايــة قُمْ ... واقصدْ إلــى المصطفى بالعَزْم والهِمَم
فراح يرجو لقــاء المصطفى شَــغَفًا ... فحَلَّ فــي يثرب كــيْ يــرقَ بالأُمَم
فعاد مــع (صالح) والقلــب ممتلئ ... نــور الهداية يجلــو حالــك الظلم

موسى بن قسور العامري ـ سمائل

* * *

مــرّ الحيــاء بواديهــا فأخصبَــه ... واهتزّت الأرض من قــاع إلى الأُكُم
فاعشوشــبتْ وارتوت دَوْحاتُها وزهَتْ ... وأثمــرت نخلهــا من أطيــب النّعم
من أصفر نضِــرٍ مثل (الخلاص) تجد ... وأحمــرٍ كـ(الخنيــزي) طعْمُــه بفَم

راشد بن حمد الحسيني ـ لزغ / سمائل

* * *

هنــا البســاتين بالأزهــار مبهجــة ... للنفس، والطيرُ يشــدو أجمْلَ النَّغَم
والضوء ينساب من بين الغصون لنا ... يلقي الدنانير في الأثــواب من كرَم
والغِيْلُ[1] يَســري بواديهــا يصاحبه ... صوت رخيم كَهَمْس العاشــق الكَتِم

صالح بن أحمد البوسعيدي ـ الشريعة / ولاية المضيبي

* * *

ســمائلٌ فــي ذُرى العلياء شــامخة ... كأنها الكوكــب الدُّريّ في القَسَــم
فانظــر اليها تــرى ما ليس يشــبهه ... في الكون من موطن يســمو على القِيَم
حازت مفاخر أهــل الأرض أجمعَها ... فــلا تُضاهــى بســيف لا ولا قلــم

يحيى بن حمود الحسيني ـ العليا / وادي عندام

* * *

(١) المياه تجري منسابة في الوادي.

سـمائلٌ سـكنت في قلب سـاكنها ... ومَـن أقـام بهـا تسـري دَمًـا بدَم
وقـد أقمـتُ بهـا خمْسًـا متمَّمـةً ... قطفت فيها زهـور العلْـم والحكِم
فقبـر (مـازن) يحكي نـور طلعتها ... وسَـبْقُها في اقتفاء الهـدي من قِدَم
إذ يمّم الوجه شـطْرَ المصطفى وغدا ... من صحبـه الغُـرّ والداعيـن للقِيَم
فـأيُّ فخـرٍ يـوازي فخـرَ مازنهـا ... الطائيّ من آل سَـعْد يا بني حكَم؟!

محمد بن علي الشعيلي ـ المعمور، ولاية بُهلاء

❊ ❊ ❊

عَـزْفٌ بريشـة فنّـانٍ، يضمّخُهـا ... حُسْـنٌ من الجنة العليـا، على قِمَم
أهدت لنـا زهـرة الإسـلام صافيةً ... بمازن السَّـعْد، ظلّ الخيـر من قِدَم
بهـا تفاصيل عِشْـق الماء فـاحَ هنا ... حتى يرى الشـمس وَلهانًا على أُدُم
ومال فيهـا نخيل الفـرْض منهمكًا ... في نحت أجمل أشـكال من الكرَم
هنـا سـمائلُ، والإخبـات يبعثنـا ... نحـو الملائـك عَـلَّ الله بالنعـم

عثمان بن راشد العَميري ـ الخابورة

❊ ❊ ❊

يا قِبلة الشـعر قـد جـاءت مواكبُه ... تعـدو إليـكِ علـى وثّابـة الهِمَم
طوبى سـمائل يا رمـزًا ويـا علَمًا ... في سـيرها تهتدي الركبـان بالعلَم
وادي سـمائل يـا روضًا يفـوح بها ... زكـى العبير بشـعر صـادق الكَلِم
لم تـألُ دهـرك أمجـادا ولا عُزُمًا ... ولا فخـارا رقـى في شـامخ القِمَم
ما رمـت أذكر أو أعنيـك في صفة ... إلا ويسـبقني فـي سَـبْكها قلمـي

هلال بن سعيد العامري ـ سمائل

❊ ❊ ❊

يا ليت حظِّي من الفيحاء نسْمتُها ... تَشفي العليل بما يلقاه من ألَم
معاقل العلم زانت في مرابعها ... والكلُّ يعرفها نار على عَلَم
قد خرّجت لعلوم الشرْع مفخرة ... من التآليف ضاءت من سَنا الكَلِم
وللقصيد بها أرباب ناصية ... قد شذّبوا الشِّعْر من غَثٍّ ومن وَرَم
بشرى سمائل أنت اليوم جوهرة ... بين الحواضر والشُّطآن والقِمَم

أحمد بن عبد الله الكندي، أبو المؤثر ـ نزوى

❊ ❊ ❊

سمت سمائل فوق الفرقدين عُلا ... وانحطّ عنها دُنُوًّا عاليَ الأُطُم
كم عالم وأديب في حواضرها ... وكم سَريٍّ سما بالسيف والقلم
ومصقع تخطب الفصحا بلاغته ... وكم كريم يسحّ الجود كالدِّيَم

ناصر بن منصور بن ناصر الفارسي ـ فنجا

❊ ❊ ❊

سمائلَ الخير والأشعارُ قافلةٌ ... جاءتْ اليكِ فهل نُوْفِيكِ بالكَلِمِ
مهْما كتبناكِ أشعارًا فأنتِ مُنىً ... لكلِّ مَنْ نَشَدوا العلياءَ من قِدَم
ماذا سأذكر من مجْدٍ ومن عِظَمٍ ... فكلُّ اسمِكِ هاماتٌ على قِممِ
فيحاءُ يكفيكِ للإسلام مفخرةً ... أنْ كُنتِ نورا، فأعلى سورةَ القلَمِ

سليمان بن علي بن سالم العبري ـ الحمراء

❊ ❊ ❊

يا سابِكَ العِقْد بالألفاظ تمحضُها ... ذوق الجمال وذوْق النصّ بالكَلِم
انزل فديتك للفيحاء منتحيًا ... صوْب (القُرَيْن) و(للحَبّاس) في القِمَم

مخاطبـا ربـوة القنديـل مـن أُكُم ... يسـري بك النور في لوح من الظُلَم
والهج بـ(مَـحْرَم) (سَيْح) العزّ قبلتها ... وفـي (العُيَيْنة) ثـارَ النقْع بالسَّـلَم

ناصر بن سعيد الرواحي ـ وادي محرم / سمائل

❊ ❊ ❊

جئنا مغانيكِ يـا روح البيان ضُحى ... نستلهم المجد في الأشـعار بالأُكُم
نسـرّح الطرْف فـي واديكِ ينشـره ... نبْضًا من الحُبّ منسـابا مـعَ النَّغَم
عشْق الجمال وسـحْر الحرف مجتمع ... وإمْـرة الشـعر فـي سُـبحيّة الهِمَم
جئنـا نبايـع ما لـم نحـظ صحبتَه ... عبـد الإلـه أميـر السِّـحْر بالكَلِم

عبد الله بن مبارك العبري ـ الحمراء

❊ ❊ ❊

يا حـاديَ الغَيْم في سُـبحيّة الكَرم ... أمطرْ علينـا بأذكى السِّـحْر والكَلِم
هنـا لحيـث تحـجّ الـروح لاهثة ... ويسـجد الضوء للفيحاء وهو ضمي
وبيـن وقْـع القوافي تسـتظلّ يديْ ... أميرنـا لبيـان الشـعر والحِكَـم
يـكاد يأخذني شـوقي إليـه مدى ... حتى أُؤدّي صلاة الشـعر في الحَرَم

خليل بن خلفان بن عديم الجابري ـ سمائل

❊ ❊ ❊

سـمائلٌ عانـقَ الإطـراءُ سُـمْعتَها ... وكـم تزيّت بثـوب الفخـر والقِيَم
سـما المحقّـق درّاكًا لمقصدهـا ... وحَـلَّ فيها كنـور الشـمس للقِمَم
ورايـة المجد تجـري فـي منابرها ... محمـد ساسَـها بالفكـر والحِكَـم
إبـن الخليلي صبيح الوجـه ملهمنا ... تعاهد المسْـك في القيعـان والأُكُم
سـمائل بحر جـود السـالكين لها ... عبـر الزمـان ميازيـب مـن النِّعَم

خلفان بن نصير الرواحي، أبو هزّاع ـ وادي محرم

كلٌّ سيحسدُ خَطْوي لو رأى شَغَفي كأنّ غيرَيَ لم يعشَقْ ولم يَهِمِ
أسيرُ مُدَّرِعًا حُبّي وبُوصَلتي قلبي يُشير إلى الفيحاءِ وهْوَ ظَمِي
هُنا سَتفتحُ روحُ الشِّعرِ أجْنحةً تَرِفُّ كي توقظَ الإحساسَ بالكَرَمِ

محمد بن سيف العبري ـ وادي السحتن، ولاية الرستاق

* * *

هنا الأئمّة والأنوار رأدَ ضحى تناسلوا كابرا عن كابر علَم
تسنّمُوا صهوة الأمجاد وامتشقوا عزومَهم فأضاءوا هامة القِمَم
سمائل والرُّؤى تنثال أدعية قدسيّة كانثيال الفيْض في الحَرَم
جئنا إليها وحادي اليُمْن يسبقُنا هذا (الخليليّ) صِنْو الفضل والشِّيَم
نسْل الأئمّة أنوار الهدى بزغت أنوارهم في ضمير الكون والأُمَم

حمود بن علي العيسري ـ ولاية القابل

* * *

يا جنة الروح يا فردوس فرحتها يا نفحة الحبّ منثالا من النَّسَم
سمائل المجد يا فيحاء عزّتنا يا سندس العلم يا إستبرق القِيَم
بين الجبال سماوات مؤنْسَنَة حضنتُها فهَمَتْ بالعزّ والعِظَم
وقلب مازن خفّاقا بأدعية بين النخيل كوَادٍ سلسل عَرِم
يسقي الحياة بآمين النبيّ إلى سَمْع السماء لنحيا نحن في نِعَم

هلال بن سيف الشيادي ـ صحَم

* * *

هذي (القُرَيْن) و(سحراء) الجمال وذي (سرور) عِلْمٍ سمَتْ بالفكر والقلم
وتلك (مَدْرةُ) و(الشَّهباء) تحرسُها وغيرها انتظمت في سِلْك منتظم

سـمائل وجمـال الاسـم تنطقـه حرفـا بحـرف كشـلّال مـن النَّغَم
مـن ذا يجاريك في عزّ وفي شـمَم وأنـت منبع هـذا العـزّ والشَّـمَم

أدهم بن هلال الأغبري ـ سيما / ولاية إزكي

❊ ❊ ❊

سـمائلٌ لـكِ حـقٌّ لا يقابلـه إلا الوفـا فلْتعيشـي عالـيَ القِمَـم
أضـأتِ أرضَ عمـان فـي حوالكه وكنتِ رائـدةً فـي المجـد والقِيَم
مجالـس العلـم تزهو فـي مواكبها أنوارهـا بـدَّدَتْ محلولـك الظُّلَم
ورَادَةُ الشـعر فـي أحضـان مربعها صاغوا القريضَ فبـزُّوا مجْمَع الأُمَم
أهلاً وسـهلاً بمَن قد حلّ سـاحتَها مـن زائـر قـادم بالفضل والشِّـيَم
شـرّفتَ دوْحتنـا أبهجـتَ أنفسَـنا فالبِشْـر قد عمّ كلَّ السـهل والأُكُم

عبد الله بن راشد السيابي ـ سمائل

❊ ❊ ❊

يا حادي الركْب شـنّفْ سمْعَ موكبنا إمّـا تلـوتَ نشـيدًا فائـق النَّغَـم
واخضـعْ وقبِّـلْ ترابًا أصـل طينته أكابـر العلـم والأشـعار مـن قِدَم
وخُصّ بالـوُدّ مَـن قد قـام يرفدنا ألـقِ الزمام لـربّ السـيف والقلم
محمـد نجل عبـد الله فيـض ندى شـؤبوبه الشـعر والإكرام منه هَمِي
واقـرأ إذا ما نزلـتَ اليومَ سـاحتَها منّـا السـلام زكيًّـا خيـر مختَتَـم

سعيد بن سالم النعماني ـ السويق

❊ ❊ ❊

وقد كتب الأستاذ الأديب أحمد بن سالم الفلاحي عن هذه الزيارة ما يلي:

يوم في «سمائل» لا يُنْسَى

أحمد الفلاحي

❊ ❊ ❊

«نَفَـرٌ من عُشَّاق الشعر ومن السالكين دروبَ النظم قاموا بزيارة شيّقة لمدينة الشعر «سـمائل»، تلبية لدعوة كريمة من الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي وكانت زيارة فيها الوفاء للشعر وأهله.

على السعد من عليا «سمائل» فاصْطَبِحْ
صَبوحَك واهْنأْ بالغَبوق المُسَلْسَلِ

هكذا قال شيخنا عبد الله الخليلي شاعرنا الأكبر.

وقد اصطبح الزائـرون بجمال «علاية» «سـمائل» وانتعشـت أرواحهم في «السـفالة» منها، وخفقت قلوبهم في ثراها الممتدّ من أقصاهـا لأقصاها ابتداء بـ«سرور» وانتهاء بـ«وادي مَحْرَم»، قُرى امتدت مشـاهدها بكلّ جميل ونبيل، كان فيها الدهشة والاسـتمتاع من أوّل قرية فيها وحتى آخر قرية، منتشين بكل ما تمثّله «سـمائل» من مَعانٍ فاقت الحصر والعَدّ، في إنسانها النابت من أرضها أوّلا، وفي مظاهر طبيعتها ثانيا، يتعطَّر زائرها بفَوْح عبيرها الفتّان، المنبعث من قلوب أهلها الطيّبين، ومن أفياء حدائقها الغنّاء المخضرّة المزهرة.

ولا أدري ماذا يمكن لواحد مثلي أن يقول عن زيارة هذه النخبة المتميّزة من محبّي الشـــعر ومنشـــديه، المغترفين من فيوضـــه، فمَلَكة القـــول عندي ضئيلة متواضعة، إن لم تكن معدومة من الأساس.

إنّ ما أمتلكه من بضاعة هي فقط الهيَمَان في أودية الشـــعر، ولا من بضاعة أخرى لديّ ســـواها، تتقاذفني الدروب لتقود خُطايَ من رياض ذاك الوادي إلى جنّات أخيه، أستنشق روائح الزَّهْر، وألتذّ بطيّبات الثمَر، ولا طاقة لي بغير ذلك، ودوْمًا أمام نهور الشـــعر ومصابيحـــه النيّرة تنتابني الحَيْرة فـــي التعبير، ويضيق أمامي سبيل الخطاب، وأجد لساني ينحسر عن الإتيان بما يرقى لمستوى جلال مشهد الشعر البديع المبهج.

فالشـــعر المطيَّبُ بعبَق القرون والعصور من منابعه وجذوره الأولى ورحابه الفسيحة الواســـعة، تمتدّ أغصانه وفروعه في مدينة «سمائل» الخَصْبة، التي منها تدفّقت مياه الشعر غزيرة صافية عَذْبة المذاق على مرّ الأجيال، منذ انبلاج فجر الشعر عند العرب، في أزمنته البعيدة المنطوية في ظلمات الدهور، إلى أن رأى الناس مازن بن غضوبة الســـمائلي يستهلّ بالشـــعر تحيّته للرسول الكريم ﷺ، مرورا بعالم الشعراء وشاعر العلماء صاحب القول البليغ ـ ابن النضر ـ، وشعراء وقته ومن سبقه ومن جاء بعده.

حقبة بعد أخرى وصولا إلى إمام فقهاء عصره الشـــيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وقد عرفه أغلب الناس فقيها ومفتيـــا وزعيما، ولم يقفوا كثيرا مع قُدْراته الشعرية الرفيعة العالية، وكذلك نجله الشيخ عبد الله بن سعيد، الذي له في الشعر آيات بيّنات مشرقة بالأنوار، وبعد ذلك مباشرة سطع نجم أبي مسلم شاعر سمائل المبدع بل شاعر عمان كلِّها، وهو الشاعر الضخم الأعلى شاعريّة والأقوى بيانا، وقد هزّت أشـــعاره عمان من شتّى جوانبها في زمانه وحتى يومنا هذا، ثم أســـفرت أضواء الشـــعر الســـمائلية عن أعلام كبار من

أبرزهم العلّامة الشيخ خلفان بن جميّل السيابي، والعلّامة الشيخ سالم بن حمود السيابي، وعشرات من تلامذتهم وبني جيلهم ممّن ارتفع صرْح الشعر على أيديهم ومعهم، ويليهم في الزمن شاعر عصرنا الأكبر أمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي، وهو من تَسَيَّدَ زعامة الشعر في عمان بعد أبي مسلم، إضافة إلى أسماء سمائلية كثيرة، نبغت في كنَف هؤلاء الأعلام ونمَت تحت رعايتهم وترعرعت في مجالسهم، أحبّت الشعر وأضافت إليه ونهضت برسالته.

ولعلَ من أبرزهم في يومنا شاعرنا الكبير المتميِّز الشيخ هلال بن سالم السيابي، مبدع اللغة الرصينة والقصائد الجزلة، وكذلك مَضيفنا صاحب الفضل في هذا الملتقى الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي، الذي انكشفت موهبته القويّة بعد رحيل والده العزيز، مظهرة الروائعَ والبدائعَ التي ما برِحَ عشّاق الشعر ينتظرونها دواوين مطبوعة في أيديهم، ولعلّ صَمْته من قبل كان إجلالا لمقام أبيه العالي.

وفي «سمائل» اليوم أجيال من أهل الشعر من الكُهول ومن الشبّان الصغار وإخوتهم الأكبر منهم عُمُرا، ينهضون بومضة الشعر السمائلية، اقتفاء لسبيل الماضين من سابقيهم الميامين ضِمْنَ مسيرة الشعر العماني المتدفّقة الفيَّاضة بلا انقطاع.

سلسلة ابتدأت من أوّل ظهور الشعر، واتّصل مسارها وامتدادها حتى لحظتنا هذه، تنهمر بتياراته لتخترق به حُجُبَ الأزمنة، وتوالي دورانها يحمله الجيل اللّاحق من الجيل السابق له دون توقّف.

هنا نحن في «سمائل» الجميلة العريقة، وقد ابتهجت بنا وأسعدتنا بما كشفته لنا من عظيم كنوزها وتليد ذخائرها وجديد معالمها.

وكانت بداية برنامجنا المُعَدّ بإتقان القهوة الترحيبية في «السَّبْلة» العامّة، حيث جرى الاستقبال الرائع كما هي عادة التجمعات السكانية في عمان، ومنها مباشرة الذهاب إلى منزل الدكتور الشيخ القاضي عبد الله بن راشد السيابي، أحد أعلام سمائل البارزين لنيل ضيافته السَّخيَّة، ومن دار الشيخ عبد الله انطلق البرنامج في سيارات الباص العديدة المريحة المتَّسعة، ومعها الدليل المتمكّن الحاذق الشارح لخلفيات المكان، وما فيه شرح العارف الخبير لنقف في ضريح برَكَة «سمائل» وبركة عمان كلِّها الصحابي الجليل «مازن بن غضوبة»، أوّل عماني تشرّف بمصافحة يد النبي محمد ﷺ شخصيّا، وقد سَعِدنا بالصلاة في مسجده المنير مسجد «المضمار»، أقدمِ مسجد عرفته عمان على الإطلاق عند بزوغ الدعوة الإسلامية، ومن هناك مضى موكب البرنامج إلى مسجد العَلَم الكبير ذائع الصيت من له المقام الأرفع في ضمائر كلّ العمانيين الإمام الجليل محمد بن عبد الله الخليلي المجاور لمنزله الشريف في منطقة «سَحْرا» التي قيل فيها:

قَلْبُ المتيَّم يُغْزى ما بين «سَحْرا» و«نَغْزى»[1]

و«نَغْزى» هو اسم إحدى مزارع ذلك الإمام الماجد الكريم، وبعد ذلك كان الانتقال إلى حصن «سمائل» الشامخ العتيد، ومنه التوجّه نحو بيت «الباروني» أحد معالم «سمائل» البارزة، وقد تفضّل مالكه الشيخ المبجّل سعود بن علي عميد الأسرة الخليلية فأَذِنَ بفتح أبوابه لنا، ومنّا له عظيم الامتنان وجزيل الشكر لذلك،

(١) البيت للشاعر أبي وَسيم وهو:

ما بين نَغزى ونَغزى قلبُ المُتَيَّم يُغْزَى

أمّا سَحرا فيقول فيها الشيخ الخصيبي:

وإذا ذكرتُ مآثرًا ومعاهِدًا بربوع سَحْرا ذُبْتُ من وجداني
فهناك أنوار الإمامة أشرقت عن خالص الإيمان والإيقان
بدر هناك بدا فتمّ كماله بحْرٌ طَما بالعلم والعرفان

وهذا المنزل باعه ورثة الشيخ «الباروني» غَداة رحيلهم من عمان لأحد أعيان مدينة «سمائل»، واشتراه منه الشيخ سعود فيما بعد، وقام بإعادة بنائه وتوسعته، وفي هذا المنزل افتُتِحَتْ أوّل مدرسة نظامية مع أوائل العهد الجديد مطلع السبعينات من القرن العشرين، إلى أن انشأت الحكومة مدرسة «سمائل»، ليعود المنزل سكنا شخصيّا لصاحبه كما كان من قبل، وكان من ضِمْن نقاط برنامجنا التجوال بين حارات «سمائل» ومبانيها الأثرية، ومنشئاتها العصرية الحكومية والأهليّة، وبساتينها الممتلئة بالنخيل والأشجار اليانعة الرائقة، وأفلاجها المتدفّقة بالمياه الجارية المنسابة، ومن ثَـمّ كان المسير نحو مكتبة العلّامة الشيخ أبي عُبَيْد حمد بن عبيد السليمي، إحدى المعالم المشرقة اليوم في سمائل، وقد استقبلنا هناك نجله الشيخ سلام وحفيده الشيخ عامر بن سعيد السليمي، اللذان قدّما الضيافة المعتبرة بعد إتمام الجولة في المكتبة والتعرّف على محتوياتها وعلى المدرسة التابعة لها.

ومن هناك انطلقت سيارات موكبنا لزيارة مصنع تمور سمائل، ومرّ خطّ سيرنا قبل وصول المصنع أمام مزرعتيْ العالميْن الكبيريْن الشيخ خلفان بن جميّل السيابي، والشيخ سالم بن حمود السيابي المحتويتين على ضريحيْهما الكريمين المتجاورين كتجاورهما زمن الحياة، ومصنع تمور سمائل[1] يُعَدُّ اليوم من مفاخر عمان بآلاته الحديثة وتجهيزاته الدقيقة ومنتجاته المتنوّعة العالية الجودة، الذاهبة باسم عمان لشتّى دول العالم شرقه وغربه.

وكان خاتمة البرنامج بيت «السُّبْحيَّة» العريق، الذي أسّسه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وتعاقب عليه أبناؤه وأحفاده، وفي هذا المنزل العامر بعد وليمة الغداء الكبرى والضيافة الواسعة من قبل مضيفنا السَّخيّ الشيخ الجليل وإخوته وأبنائه وأفراد أسرته الكريمة، بدأ تدفّق المنظومات يتوالى طوال فترة العصر وبعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء، ولم يتّسع الزمن للإحاطة بكل ما أُعِدَّ

(١) هذا المصنع لأخينا وابن عمّنا الرجل المحسن يعقوب بن ناصر بن سلُّوم السيابي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لهذه المناسبة، وأصابت الحَيْرة الشابّ القدير البليغ مقدِّم الحفل في كيفية إيجاد مساحة تفي باستيعاب الجميع، واختصر البعض ما لديهم مكتفين بما تخيّروه مراعاة لضيق الوقت، ومنهم من غادر قبل وصول أدوارهم بسبب ظروفهم الخاصة التي حتّمت عليهم الذهاب.

وكان يوما بهيًّا رائعًا من أيام عمان، احتضنته «سمائل»، وفتحت له عواليها ومنخفضاتها وسائر آفاقها، فاض فيه النظم ليغطّيَ السهول والجبال، ويعمَّ مختلف الجوانب والجهات حتى أوشكت رحاب «سمائل» وسماواتها أن تَغَصَّ بتدفُّقاته وانفلاتاته.

إنها لا شك فرصة جميلة من فرص الدهر أتيحت للقول أن يبرز ويتألّق، وللقائلين أن يحلّقوا ويصدحوا بجديدهم في هذا اليوم المشرق، الذي ملأ الجميع بالفرحة والسرور.

وهذا اللقاء الجميل سُنَّة حميدة بدأت بسَنّها مدينة «الحمراء» من قبل، كان المضيف فيها والداعي لها الشيخ غصن بن هلال العبري وابن عمّه الشيخ سالم بن محمد العبري وإخوتهما، وكان يوم «الحمراء» أيضا كيوم «سمائل» من الأيام البهيجة التي لا تنسى، من حيث الجَمْعُ الكثيف الطيّب الراقي، وبرنامج الزيارات الممتع لمآثر «الحمراء» ومعالمها، ومن حيث القول الجميل المنحدر من بواطن الوجدانات وأعماق المشاعر.

يوم «سمائل» هذا يجدِّد يوم «الحمراء» ذاك، فهما يومان من أيام الأدب العَطِرة الجليّة ومن أيام الكرم الغزير الباهر.

وفي الختام هذا ما تيسّر لي قوله في هذا المشهد البَهيّ وحفله الملتمع المتألّق.

وأقدِّم قبل الختام كلمة تحيّة تقدير وشكر للجنة المشرفة والمنظّمة التي تعبت وسهرت لكي يأتي اللقاء بهذه الروعة والسلاسة.

ثم في النهاية نتقدّم بوافر الشكر وصادق العرفان لمضيفنا الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي، شاعرنا المبرّز حامل راية الشعر من أسلافه العظام، على هذا اللقاء الطيّب الذي أتاحه لنا، وعلى ما غَمَرنا به من كرم ضيافته وحُسْن رعايته، والشكر كذلك نتوجّه به إلى إخوته الأماجد الشيخ عبد الملك بن عبد الله، والشيخ أحمد بن عبد الله، والشيخ خالد بن عبد الله، وجميع إخوتهم وأبنائهم وأفراد أسرتهم الكريمة.

ونكرّر ونعيد ما سبق لنا قوله أنّ هذا اليوم السمائليّ لهو من الأيام العمانية التي ستبقى ثابتة ثاوية في أعماق النفوس، لا يمكن نسيانها مهما تقلّبت أيام الزمن ومضت مسيرتها» اهـ.

إنها كلمة رائعة من أديب كبير، وهي تأريخية توثيقية، وثّقت لحدَث مهمّ في مسيرة سمائل، حيث احتضنت كوكبة من الأدباء وثُلَّة راقية من الشعراء، الذين لهم صوت أدبيّ كبير في «مجلس الخليلي للشعر»، الذي ينعقد شهريّا في بوشر، وله مواسم في سمائل، مرّة أو مرّتين في السَّنة الواحدة، وصاحبُه ومُتَسَنِّمُ ذِرْوَتَه هو الشيخ الأديب محمد بن عبد الله الخليلي، الذي برز شعره بعد أبيه أمير البيان بروزًا قويًّا لافتًا، والأستاذ الفلاحي صاحب الكلمة هو أديب بارز في عمان، ويعرفه الكثير من أدباء العرب، وقضى سنوات في القاهرة في الملحقية الثقافية هناك، ولا شكّ أنه سامَر الأدباء هناك، وعاش معهم ليالي أدبية، وقضى ساعات شاعرية، في بلد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي ومحمود غنيم وغيرهم من عباقرة الأدب وروّاد الشعر والعربية.

هذا وقد كنت أتلقّى كغيري الدعوة الشهرية لانعقاد جلسات هذا المجلس، وأحرص على الحضور، ولكن قد أكون مسافرا أو عندي عذر آخر لعدم الحضور، فأردُّ الدعوة بالتحيّة الشعرية بعض الأحيان، وممّا قلته في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيّة إلى الشـيخ محمد بن عبـد الله الخليلي بمناسـبة دعوته لي لحضور مجلس الشـعر الذي يعقده اليوم الثلثاء ١٧ شـوال ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/٩/٤م وعدم تمكُّني لتلبية الدعوة لوجودي في «جمهورية بيلاروسيا».

مِنْ «مِنِسْـكٍ»[١] تحيتي مِثْلُ مِسْكِ ... أبعثَنْـها إليـكمُ دون سِـلْكِ
هـيَ عَبْـرَ الأثيـر تجتاز جَـوًّا ... في ثَوانٍ تسيـر مـن غيـر فُـلْكِ
من «بلاروسـيا» وقلـبي ينـاغي ... مجلـس الشـعر للمشاعـر يُذكِي
غيـرَ أنّـي ولـو بقيـتُ بعيدًا ... فلسـاني في الحال بالوصل يحكي
يـا خليلـيُّ هـاك عـذري فخذه ... يتجلَّـى مُـدَوَّناً مثْـلَ صَـكِّ
واقـرا عنّـي السَّـلام قومًـا كرامًا ... ما ارتـضَـوْا دعـوة الكريم لتَـرْك
قد صبحتُ الوزيـرَ مَنْ زان سَـمْتاً ... ورقى العـدل مـاجداً دون شَـكِّ
صِنْوُكـم وهـو للـمعالي خَدِينٌ ... فَطِـنٌ نـابِهٌ مُـدْرِكٌ أيَّ دَرْك
وهـو يُهـديكمُ السـلامَ جَميعـاً ... يا رفـاقَ الخليـل أهـلَ التـزكّي
جَـمَعَ الله شـملَكـم فأنيـروا ... روضـة الشعـر مـن قَـوافٍ وسَبْـكِ
وارفعـوا للفصيـح شـأناً ومَجْداً ... ولـواءً فقـد غـدا في المِحَكِّ
قـد غـزاه الدَّخيـلُ وَزْناً وبحْراً ... وتَنـادى عليـه قـومٌ بِفَـرْك[٢]
مـا دَرَوْا أنَّ للفصيـح قَنـاةً ... لـم تلـنْ كَـيْ يُـنالَ مَـنها بـدَكِّ
وختامـاً أمُـدُّ وَصْـلَ التَّحايـا ... مـن «بِـلاروسيا» كنفْحة مِسْـك

(١) عاصمة جمهورية بيلاروسيا.
(٢) البُغض.

وبعثت لـه هذه الأبيـات أطالبه أن يكـون للفيحاء نصيبٌ مـن انعقاد المجلس فيها:

سـلامٌ عليكم يا رفـاقَ الوفا يبدو ... بَهِيًّـا لـه مـن كـلّ قافيـة نَدُّ
تجلّى بكم في ساحة الشعـر مجلسٌ ... وحلَّـقَ للعليـاء يـملـؤه الجِـدُّ
تعطَّرَ منـه الأُفْـقُ شـرقًا ومغربًا ... ونـال مقام الحمـد إذ نهْجُـه حَمْدُ
لُيَـيْلاتُه تـزهو ببـوشرَ دائمـا ... فهـلَّا إلى الفيحـاء يـومًا له وِرْدُ
تغنَّتْ بهـا الألحانُ قِدْمـاً فأطربت ... لسـامعها لَمّا بـدَتْ نحوَه تشـدو
خليليُّ يا شيـخَ المـروءة والندى ... ومن سَـمَقَتْ فيه الحَصافةُ والرُّشْدُ
إليـكَ تـحيَّاتي يتـوّجُها الوفـا ... وللمجلس الميمـون كان لها قَصْدُ

سمائل: ٧ جمادى الأخرى ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤/٣/٨م

ولمّا بعث لي دعوة عبر الهاتف لحضور المجلس الشعري، الذي سيعقد يوم الخميس ١٧ شوال ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/١١/٩م أجبته:

دونَـكَ عُـذْري أيُّهـا الخليلـي ... وللقَبـول امنحْـه يـا خليلـي
لـي موعـد جـرى بـلا تعديـل ... لا أسـتطيع فيـه للتبديـل
دمـتَ بـخيـر فـي حِمـا الجليل ... واسلـمْ وعِشْ في المجد والتبجيل

ثم إن انعقاد المجلـس تأخّر بعض الوقت فبعثت له هـذه الأبيات في يوم الأربعاء ٤ محرم ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١١/١١/٣٠م.

أبِأَلمانيـا مَقـامُ الخليلـي ... أم عمـانٍ تُـرى بـلادِ الخليـل
بلبـلُ الشـعر فـوق غُصْـن ينادي ... مجلسًـا فيـه مـن هُـواة الفَعيل
وفَـعُـولٍ وأبْـحُـرٍ وافـراتٍ ... ومَديـدٍ وكـلِّ بحْـرٍ أصيـل
دُمْ أخـا الفضـل حيث كنـتَ بعزٍّ ... وحيـاة قـد تُـوِّجَتْ بالجميـل

فأجاب:

أنا فـي بـوشر الهَنـا يـا خليلي ... يـا أخـا الفقـه والمقـام الجليل
أرقـبُ الوَعْدَ مثْـلَ صَبٍّ شَـجِيّ ... ساهِـمَ البـال للقـاء الجميـل
مـجلسٌ يـجمع البـدور ويـزهو ... بترانيمـه بليـل طويـل

واستمرّ المجلس حتى جاءت جائحة وباء كورونا، فأوقفت جميع الأنشطة في شهر مارس ٢٠٢٠م، وأغلقت المساجد عن الجمعة والجماعة، وعُطِّلت الدروس والمحاضرات، ولله الأمر من قبل ومن بعد، نسأل كشف البلاء ورفع الوباء.

وممّا يتميّز به المجلس من الأعمال المشتركة، والتي كان يقوم بها بين الحين والآخر نَظْمُه لقصائد مشتركة، فقد نظم قصيدة وطنيّة في عمان وفضلها ومكانتها.

قصيدتا المجلس المشتركتان في سماحة شيخنا الخليلي حفظه الله

الأولى:

نظم المجلس قصيدة مشتركة تأييدًا ونُصْرةً وإظهارا لفضل ومكانة شيخِنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة حفظه الله ورعاه، وهذه هي:

إذا تبسّمَ فالأكوانُ مشرقةٌ ... والنورُ مؤتلِقٌ يجلو دَياجِيها
فالله قد يصطفي مِن خَلْقه بشَرًا ... يزيدُه ما يشا قَدْراً وتنويها

محمد بن عبد الله الخليلي

* * *

بدرٌ تلألأ منه النورُ فارتسمتْ ... معالم الحق تَجلي ظلمةً فيها
تيهي عمان بنورٍ منه مؤتلِقٍ ... ويستديمُ مدى الأزمان يَسنيها

عبد الله بن هلال الإسماعيلي

إذا تكلَّمتَ فالآذانُ صاغيةٌ تَصُبُّ فيها فنونَ العلم زاكيها
وإن رميتَ برأي كنت فيْصَلَها إذا العقولُ تعامَتْ عن مَراميها

صالح بن أحمد البوسعيدي

❊ ❊ ❊

تفرَّدتْ منكَ يا بدرَ الدُّجى سِمَةٌ عزّت لها بين باقي الخَلْق تشبيها
ونورُ وجهكَ نورٌ ما له شَبَهٌ فالشمسُ ليس لها نِدٌّ يضاهيها

محمود بن عبد الله العبري

❊ ❊ ❊

يسمو بأوجاعه من أجْل أمَّته لعلّه وعسى من ذاك يَبْريها
كحالة الأنبيا في بثِّ دعوتهم يلقى الخليليُّ تسفيهًا وتَشويها
فلا يَرُدُّ عليهم كيفما فعلوا فنفسُه من مَعين الله يَسقيها

غصن بن هلال العبري

❊ ❊ ❊

نذرتَ نفسَك في مرضاة خالِقنا تحمي العقيدة لمّا نام حاميها
رسمتَ صورة أسلاف لنا سلَفوا ما غرَّهم زخرفُ الدنيا وفانِيها

سعيد بن حمدان الصوافي

❊ ❊ ❊

تفترُّ عن بسْمة كالصبْح مشرقةٍ تعطي الوجود جمالًا من مَغانيها
وفي حناياك للإسلام منزلةٌ شيَّدتها وكتابُ الله حاميها

أحمد بن محمد الوائلي

❊ ❊ ❊

آيُ الحــروف أراهــا تســتطيعُ بأنْ تعطــي الحقيقة في شــعري معانيها
يا بسْــمةٌ مــن وليّ الله كــم صنعَتْ في نفــس مُبغِضهــا أو مَــن يواليها
فهــذه وجدَتْ فيهــا هُــدًى ورِضًى وتلك في غَيْــرة من صِــدْق مُلقيها

علي بن هلال العبري

* * *

فليهنــأ الكونُ يا نــورَ الدُّجــى هِبَةً قــد ســاقها الله فــي سَــعْد نلاقيها
ظفرتَ بالحبّ من أهل العُلا شــرفًا عمــانُ نــورُ جــلالٍ مَــن يضاهيها

خليفة بن سعيد البوسعيدي

* * *

نــورُ ابتســامة بــدر الديــن يبعثُنا فبَسْــمةُ الشــيخ فجرٌ حيــن يُبديها
كأنّــه البــدر أو كالشــمس نرقُبُــه علــى المــدارج مِــن تقــواه يقريها
يا عالمَ العصر جَدِّدْ للــورى حِكَمًا عمانُ حِصْــنٌ حَصينٌ أنــتَ مفتيها

موسى بن قسور العامري

* * *

نســجتَ من لُمَــع القرآن أشــرِعةً تجري وصِدْقُكمُ المشــهودُ يُرســيها
وكان مركبُــك المعــروفُ ذا ســعَة بيــن المراكــب تنويهًــا وتنزيهــا

ناصربن سعيد الرواحي

* * *

ما إن ذُكِرْتَ على الأســماع مغتبطاً تهــدي التهانــي لقاصيهــا ودانيها
حتى انبرى كلُّ من في قلبه شــغَفٌ بموْكِــبِ الشِّــعر يُهديكــم قوافيها

أبو نبراس يونس بن جمعة البوصافي

* * *

برهـــانُ حـــقٍّ، وحـــقٌّ دامـــغٌ ونِـــدا ... ءُ الحـــقِ أنتَ علـــى الدنيـــا تناديها
عصـــرتَ عُمْرَكَ فـــي أوجـــاعِ أمّتنا ... أجريتَـــــه بلْسَـــــمًا فيهـــــا تداويها

هلال بن سيف الشيادي

* * *

فأنـــت نبـــراس خيـــر، نـــورُ أمّتنـــا ... جـــزاك ربّي مـــن الخيـــرات وافيها
تقفو هدى المصطفى والصَّحْبِ أجمَعِهم ... تشـــدو بفضلك في شـــتّى صياصيها

صالح بن خلفان البراشدي

* * *

آياتُ ربّي التي في الصدر قد رسَختْ ... منهـــا المباني ولـــم تعـــزبْ معانيها
ما زلت تشـــرحُها للنـــاس تُظهِرُ ما ... قـــد كان جَهلُهُـــمُ بالأمـــس يُخفيها
فبحـــرُ علمِـــك لا شـــطآنَ تعرفُـــه ... وريـــحُ فهمك لـــم تـــدركْ نواحيها

عبد الحليم بن عبد الله البدّاعي

* * *

لن تســـتطيع لُغاتُ الأرض أجمَعُها ... شـــعرًا ونثـــرًا وإن زانـــت معانيهـــا
بـــأن توفّيـــك حقًّـــا أنـــت صاحِبُـــه ... يا مَـــن بِحَرْفِكَ قد ضـــاءت مغانيها

يحيى بن حمود الحسيني

* * *

ســـيفٌ من الحق فـــي ميـــدان أمّتنا ... يجلجـــل الباطلَ المدحـــوضَ دانيها
يطبِّـــب النفسَ مـــن أوجـــاع حَيْرتها ... فـــتهـــتدي حيـــنَـــها لله بـــاريـــها
مـــذ أنْ عرفنـــاك قرآنًا يـــدبُّ على ... هـــذي البســـيطة ترقى فـــي مراقيها

نصر بن عبد الله الشامسي

* * *

يا سـيّدي أنتَ للعليا ابْـنُ بَجْدِتِها وأنـتَ للقـوس رامِيهـا وباريهـا
فيـكَ القِيـادةُ للإسـلام مؤذِنـةٌ بالعلـم والحلم والإصلاح تُرسِـيها
جـدَّدتَ للديـن بنيانًـا قواعِـدُه كادت تَهـاوَى وأنتَ اليـومَ حاميها
مُسَـدَّدَ القـول إمّـا رُمْتَ تُرسِـلُه مـن حِكْمـة تتجلّـى فـي معانيها
أو فـي نصائـحَ أو أحكامِ شِـرْعتِنا وزادكَ الله توفيقًـا وتنزيهـا
سِـرْ في طريق العُـلا والله يحفظُكم للديـنِ والمِلّـة السَّـمْحاءِ تُؤْويهـا

عبد الله بن راشد السيابي

❊ ❊ ❊

الثانية:

نُظِمَتْ في حُبِّ سـماحة شـيخنا بـدر الديـن الخليلي حفظـه الله بدأها سليمان بن سامي الحسني فقال:

دخلـتُ لسـجنِ حُبّـكَ باختياري ولـمْ أحفـظْ إلـى الإفْـلَاتِ دَرْبا

سليمان بن سامي الحسني

❊ ❊ ❊

وقيَّدنـي هـواكَ فعشـتُ دهـري أرى فيـك الهـدى نهْجًـا وقُربـى
وكم لـك مـن مواقفَ فـي حياتي بلغـتُ بهـا العُلى وحمـدتُ عُقبى

عبد الله بن راشد السيابي

❊ ❊ ❊

وكان الحكـم منّـي فهـو أقـوى فهـل أقـوى عليـه هـوىً وحُبّـا

محمد بن عبد الله الخليلي

❊ ❊ ❊

وحبُّـك سـيِّدي دَيْـنٌ وقُـرْبٌ بـه نجتـاز نحـو الخُلْـدِ شُـهْبا
لأحمـد هـذهِ الأشـعارُ تُهـدى فيـا سَـعْدَ الـذي بالشـعرِ لبّـى

سليمان بن علي العبريّ

❊ ❊ ❊

ولمـا ضـاقَ رَحْـبُ الأرضِ عنّي وجـدتُ هـواكَ يـا مـولايَ رَحْبا

زاهر بن سعيد السابقي

❊ ❊ ❊

ومِـن فَـرْط الصبابة صرتُ سـهلًا وجئتك طـائعًـا سِـلْـمًـا وحَـرْبـا

سعيد بن حمدان الصوافي

❊ ❊ ❊

فيـا طوبـى لأهـل الأرض أنتـم أنرتـم بالتقـى سَـهْلًا وصَعْبـا

صالح بن خلفان البراشدي

❊ ❊ ❊

ملأتـم هـذه الأرجـاء عِلْمًـا فـأورقَ نبتكم شـرقًـا وغـربَـا

أدهم بن هلال الأغبري

❊ ❊ ❊

منـاقـبـكـم أضـاءت كـلَّ فـجّ وأمطرتـم علـى الآفـاق سُـحْبا

صالح بن أحمد البوسعيدي

❊ ❊ ❊

فسـالت فـي بطـاح الأرض حتّى ارتـوى مَـن كان ضمآنـاً وعَبّـا

محمد الشعيلي

❊ ❊ ❊

تطايـرت القلـوب إليـك شـوقا وعبَّـت مـن هـداك الصفـو عَبَّـا

يحيى بن حمود الحسيني

❊ ❊ ❊

أديـن إلـى الرحيـم بفضل شـيخ خـلـيـلـيّ غـدا لـلـعـلـم قطبا

موسى بن قسور العامري

❊ ❊ ❊

إمامـي.. قدوتـي.. ترياق روحي لقـد ضاقت أراضـي الـرُّوح جَدْبا
فجُـدْ لي مـن فيوضك سـيّدي ما يـروّيـنـي.. دُعـاءً مستَطَبَّا

محمود العبري

❊ ❊ ❊

إمـام المشـرقين هـدى وتقـوى ونـهـرا يـمـلأ الألـبـاب خَصْبا
وبـدرا ساطعـا فـي كـلّ حين نـديـن بـحـبّـه لله قـربـى

سعيد بن علي اليعربي

❊ ❊ ❊

يَراعـي عاجـزٌ عـن وصـفِ بدرٍ أَنَـارَ القُطْـرَ شَـابَ بِـهِ وشَـبَّا
وإنَّ العَجـزَ عـن وصـفٍ لِبَحـرٍ مُحِيـطٍ صـارَ مُعتَمَـداً وقُطبَـا
هـو الوَصـفُ السَـنِيُّ بغيـر مَـدٍّ ولـو أضحـى لسـان الضـاد رَحْبا

أبو عليّ محمد بن علي الشعيلي

❊ ❊ ❊

أسـطّـر فـيـك أبـيـاتـا عجافا لـعـلّـي أن أنـال بـهـنّ قُـرْبـا
وأرسـل نـحـوكـم أطـيـار قلب رأت فـي علمكـم نـورا وقربـى
فـأنـت الـنـهـر فـيّـاضـا نميرا ونحـن مـن الـزلال نريـد شـربا

أبو الليث أحمد بن محمد الوائلي

تأوبَّنـــي بحبِّـــكَ فَـــرْطُ وَجْـــدٍ بـــإيـــمـــان صـــفـــا لله حُـــبَّـــا
أريـــد بـــه وفـــاء عهـــود ربّـــي أواليكـــم ومحـــض هـــدى وقربـــى
أبـــدر الديـــن يـــا فـــردا تعلّـــى تضـــيء الخافقيـــن خُطـــى ودَرْبـــا

ناصر بن منصور الفارسي

* * *

مجلس الشيخ الأديب هلال بن سالم السيابي الأدبيّ:

الشيخ هلال بن سالم السيابي شـــاعر كبير ارتقى منصة الشعر وإمارته بعد أمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي.

والذي قال عنه: «وأمّا في المعاصرين فيعجبني شعر سالم بن علي الكلباني، وشعر هلال بن سالم السيابي».

وقال ســـماحة شـــيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي في رســـالة وجّهها بمناسبة إهداء شيخنا لمجموعة من كتبه للشيخ هلال:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شاعر عمان المُفْلِقِ[1] وأديبِها الكبير الشيخ الجليل الأخ العزيز:

هلال بن سالم السيابي ـ حفظكم الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فلا زلت أتابع ما تتفجَّرُ به قريحتكم المِعطاء من الأدب الراقي والشـــعر الجَزْل، الذي سخَّرتموه لمناصرة قضايا الأمَّة الإسلامية، ودعوتها إلى الرقيِّ في معارج الفضل والفضيلة، وهذا إنَّما هو من نعمة شكر الله، فالبيان من أجَلِّ

(١) المُبدِع الجَيِّد.

النِّعَم، ولذلك قَرَن الله تعالى الامتنان به بامتنانه على الإنسان بخلقه، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]، وبشرف البيان بوَّأَ الله سبحانه الإنسان منصبَ الخلافة في الأرض، وفضَّله على كثير مِمَّن خلق تفضيلا، وفرض على المَلأ الأعلى السجود له، اعترافا بنجاحه في الاختبار، وتفوُّقه في الأهليّة لما أراده الله تعالى له، فهنيئًا لكم هذا الفضل العظيم من الله، وهنيئًا لكم التوفيق لما تقومون به من الخير، وما تعنون به من جهاد.....».

٢٩ ذي الحجة ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١/٨/٨م

وقال عنه الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في شقائق النعمان:

وهلالُ بنُ سالمِ بنِ حُمُودٍ مُنتمَاهُ إلى المُسَيَّب يأتي
في قريض الأشعار أطْوَلُ باعًا سِيَّما في النسيب إن قيل هاتِ

ويقول الأديب الأستاذ أحمد بن عبد الله الفلاحي:

«ولعلّ من أبرزهم في يومنا شاعرنا الكبير المتميِّز الشيخ هلال بن سالم السيابي، مُبْدِع اللغة الرَّصينة والقصائد الجَزْلة».

نعم الشيخ هلال بن سالم السيابي شاعر القصيدة العربيّة بلا مُنازِع، له القيادة الشعريّة بعد وفاة أمير البيان، فشعرُه من الطِّراز الأوّل، ألفاظٌ مُنتَقاة، وإبداعٌ في السَّبْك، وتصويرٌ رائع، والشعر ينحو نحوَه كلّما استدعاه، فهو غزير الإنتاج، ينظم القصيدة الطويلة في الجلسة الواحدة.

ولمّا رجع من عمله كسفير لبلاده، خاطبته بالأبيات التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيَّة طيّبة منّي للأخ الأديب الشـيخ هلال بن سالم بن حمود السيابي، بمناسبة عودته إلى البلاد بعد قضاء سنوات عِدَّة كسفير للسلطنة، وآخرها في بلاد الشام «دمشق»، والتي مكث فيها ما يقرب من إحدى عشرة سنة، يتغنَّى عندليبُ شـعْره بين «بَرَدَى» و«غَوْطة دمشـق» و«المصائف»، وقد زرته هناك أكثر من مرّة، فيحقُّ لفيحاء عُمان «سـمائل» ووديها الخَصيب أن تعود إليها عنادِلُ الشعر المهاجرة، فتُشْـجي عشَّـاقَ الأدب بأرقّ فنونه، وتملأُ ساحاتِه بإخراج مكنونه.

رأيتُ ديوانكَ عدَّة مرَّات وأنت تحتضنُه أو تتأبَّطُه، لكنَّكَ تضِنُّ به من أن يزور المطبعة لينطلق إلى المكتبة، فيقف شـامخاً بين أترابه دواوينِ الشعر وباقات الأدب.

قرأتُ عن مشـاركاتكَ في النـدوات الأدبيَّـة عبر ما نشـرته الصحُف في مساحاتها الثقافية، وهو شيء جيِّد في مضمونه ومحتواه، فهلَّا من صالون أدبيّ ترعاه بشـكل دَوْريّ، يحضرُه الأدباءُ، ويتغنَّى في أروقته الشعراء، كصالون أمير البيان، ومن بعده شِبْلُه فصيح اللّسان.

«تحية وإخاء»

فَيْحـا عُمانَ اسـتقبلي الغِـرّيـدا ... واكْسـيهِ مـن حُلَل الهَنـاء بُرودا
فلقـد أتـى بالبِشْـر وهـو مُودَّع ... فَيْحـا دمشـقَ وغُصْنَهـا الأُملـودا
ولقـد أتـاكِ ولَحْنُـه قيثـارةٌ ... يُمْلـي عليكِ من السُّـرور نشـيدا
فيْحا عُمـانَ هـي الأَحَقُّ بشَـدْوه ... وضِفـافُهـا أوْلـى بـه تَغْـريدا
فيْحـا عُمَانَ سـمائلٌ كَـمْ أنجبَتْ ... عَلَمًـا لفَـنّ الشّعْـر كانَ مُجيـدا

فلهـــا الرِّيـــادةُ والســـيادةُ مطلقـــاً ... فمجـــادِلٌ فـــي ذا أراهُ بَـعيـــدا
وَاديـــكِ يـــا فيْحـــا عُمَـــانَ مياهُـــهُ ... أدَبٌ تصـــبُّ علـــى عُمَـــان سُـــعُودا
واديـــكِ يـــا فيْحـــا عُمَـــانَ تَليـــدُه ... رَفَـــعَ العُـــلا والمَكرُمـــاتِ بُنـــودا
مَـــنْ ذَا يَعُـــدُّ مناقبًـــا ومَحَامـــدًا ... لا يستطيـــعُ لحصْرهـــا تَعْديـــدا
تيهـــي ســـمائـــلُ عِـــزَّةً ومكانـــةً ... إذْ حُـــزْتِ مِنْ بَيْن المَلا تـــمجيـــدا
إنْ كانَ قَـــدْ غـــاب الأميـــرُ مودِّعاً ... نـــادي البيان وسُـوحَـــه المشـــهودا
منْ بعْدِ أَنْ صَدَحَتْ بلابلُ دَوْحـــه ... والشِّعْـــرُ أعطـــاهُ القِيـــادَ مَجيـــدا
ولـــهُ ســـمائلُ بـــل عُمَانُ جميعُهـــا ... شـــهدتْ بذلـــك واطَّبْتْـــهُ عَميـــدا
فاليـــومَ يـــرقى فـــارسٌ ولـــواؤُه ... في الشِّعْر يـخفـــق رِفْعةً وصمـــودا
ويجولُ فـــي الميدان وهـــو مُحَلِّقٌ ... نشـــوانَ قـــد بَـــزَّ الكُمـــاةَ الصِّيـــدا
أهِلالُ قُـــمْ تلْـــكَ المَنَصَّـــة فَارْقَها ... وانشِـــدْ بها سِحْـــرَ البيـــان قَصيدا
وأدِرْ لنـــا كأسَ البديـــع بصفـــوه ... ومـــنَ المعاني قـلائـــدًا وعقـــودا
ولْتهْنَكَ الســـاحاتُ بـــين قِبابهـــا ... وخيامهـــا تَشْـــجي اللِّـــوى وزَرودا
تلْـــك القِـــلادةُ صُغْتَهـــا في دِقَّـــة ... وغَـــدَتْ تُحلّي فـــي الزَّمَـــان الجِيدا
قد طُفْتَ في شـــرق البلاد وغرْبهـــا ... ونحـــوتَ تبغـــي تهائمًـــا ونُجُـــودا
كُبْرى القبائل والأماكن قد حَـــوَتْ ... ومآثـــرًا لهمـــا ســـمَتْ تـــمجيـــدا
وقصائـــداً أخـــرى نشـــرتَ كِنانـــةً ... فيهـــا بـــأرض الشَّـــام كُنْـــتَ مُجيدا
قُمْ وانشـــر الدِّيـــوان يصْدَحُ طيـــرُه ... أدَبًـــا ويُبْهِـــجُ ســـامِعيه نَشـــيدا
لا تحبـــسِ الغِرِّيـــدَ عـــن أفيـــائه ... واجْعَلْـــه يَمْـــرَحُ بَيْنَ تلْكَ سَـــعيدا
وإليـــكَ يـــا نجـــلَ الكـــرام تحيَّـــة ... أضحى الصَّفـــاءُ بخَتْمهَا مَعْقُـــودا

٢٠ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ـ ١٩ إبريل ٢٠٠٦م

وهذه أبيات بعثتها إليه على أبيات منه لي على الوزن والقافية:

يا فارسَ السَّبْق والميدانُ منطلِقُ ... أنتَ المُجلّي فأنىَّ لي بمَن سبقوا
وكيف بالظالع المكسور مرتبة ... من الضليع فإنّ الأمر مفترق
أسرجتمُ الخيل في وقت النداء فطارت ... تسبق الريحَ إذْ يزهو بها الأُفُق
وأبحُرُ الشعر ذلَّلتم مراكبَها ... فخُضْتمُ لُجَّةً ما راعَها الغَرَقُ
سِيروا على بركات الله تنفحُكم ... لطائفُ منه والحُسْنى بها عَبَقُ
فالشعر إن حَمَل المعنى الذي شَرُفت ... به اللسان فمنه الخيرُ ينبثق
وازدان عِقْد نظام منه مؤتَلِقٌ ... وإن يكن غيرَ ذا فالإثم ملتصِقُ

مجلسه الشعريّ انعقد بعد عودته ثلاث مرّات فيما أذكر:

في النادي الدبلوماسي ومرّتين في منزله بالسيب.

الأخيرة كانت ليلة السبت ١٧ ربيع الثاني ١٤٤١هـ الموافق ٢٠١٩/١٢/١٣، بحضور مجموعة من الأعيان والأدباء، وعلى رأسهم شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي، ومن بين الحاضرين أيضا الشيخ سعود بن علي الخليلي.

ألقيتْ في هذه المجالس القصائد الشعرية، وكانت ليالي عامرة بالأدب ورجاله.

من ضمن الشعراء الذين ألقوا قصائد في هذا المجلس هو الشيخ الأديب محمد بن عبد الله الخليلي، وقصيدته بعنوان:

البُرْدة الشعرية

كنتُ قد أعددت هذه القصيدة لألقيها في الحفل الذي دعا اليه الشيخ الشاعر هلال بن سالم السيابي في النادي الدبلوماسي في حيّ السفارات بمسقط تحت رعاية معالي المستشار عبد العزيز الروّاس، وذلك أواخر شهر مارس ٢٠١٨م، إلا

أنني استشرت أحد العارفين بالشعر، فلم يستحسنها فتركتها ولم أكملها، وكتبت عنها قصيدة (قدسيّة الحرف) خلال يوم أو يومين فقرأتها في الحفل، مع أنّني لم أكن راضياً عنها، أو أنّها لم تلبِّ طموحي، ثم بعد فترة عدت الى هذه القصيدة فأكملتها وراجعتها حتى رضيتُ عنها.

لبِسَ الشعرُ بُرْدَه السُندُسيَّا ... فتجلَّى به مَليكًا عَليّا
وانتضى سيفَه فأفزعَ مَن في ... حَوْمةِ الضادِ داعياً أو دَعِيَّا
وارتقى مُهْرَهُ على الصَرْفِ والنحـ ... ـوِ ارْتقاءً لعرشِهِ أبجديّا
مستعيراً عصَا الكليمِ فأبدى ... آيَ إعجازِهِ فكان عَصِيّا
واستباحَ الطوفانَ سِحْرَ بيانٍ ... أغرقَ الكونَ لَحْنُهُ نُوحِيَّا
آنَ للشعرِ أن يكونَ رسولاً ... يزرعُ الحُبَّ في القلوبِ نَدِيّا
ويَبُثُّ السلامَ بحْرَ صَفاءٍ ... ووِدادٍ بين الأنامِ نقيّا
إنما الشعرُ نغْمةٌ يَتغنّى ... بتَواقيعِها الزمانُ مَليّا
فترى الناسَ يُوفِضونَ إليهِ ... كلُّهمْ يدَّعيهِ خِلّاً صَفيّا
كلُّهمْ يبتغي التَقرُّبَ منهُ ... وهو يَنأى عنهمُ فيَبقى أبيّا
قَلَّ مَن فازَ مِن رُؤاهُ بنَجوى ... تصطفيهِ ما لم يَكُنْهُ وليَّا
جوهرُ الشعرِ نورُ وحيٍ تَجلّى ... فتسامى برُوحهِ عُلْويّا
طافَ بالعَالَمِ اللَّدُنيِّ طيْفًا ... فاستقى من شرابهِ بابِليّا
وتجلّى بالعَرْشِ والفَرْشِ حتى ... لامَسَ النورَ مُشرِقًا سامريّا
ومضى يرسلُ الإشاراتِ تَتْرى ... مُعجزاتٍ على القوافي نبيّا
واصطفى المُصطفَيْن قلبًا وروحًا ... في هواهُ بحُبّهِ جوهريّا
ثمّ صلّى بهم خشوعًا مَجازًا ... ثم ناداهمُ نداءً خفيّا
فأجابوه أو أجاب فهامُوا ... فانتَشى وانتشَوْا وحَيَّوْا فحَيّا

هكـذا الشـعرُ آسِـرًا وأسـيرًا بيـن عُشّـاقهِ هـوىً سـرمديّا
لـم يـزل يرفـعُ الصـلاةَ دُعاءً وسـلامًا الـى النبـيّ عَليّـا
وعلـى آلـهِ ومـن صَحِبـوهُ عَـدَّ قَطْرِ السـحابِ سَـحَّ نديّا

محمد الخليلي

٦ ذو القعدة ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨/٧/١٩م

* * *

قدسيّة الحرف

ألقيت هذه القصيدة في النادي الدبلوماسي بحيّ السفارات بمسقط:

راعـيَ الحفـل، أيُّها الشـعراءُ سـيِّد الشـعر، أيُّهـا الأدبـاءُ
بـارك الله حفلَكـم ورعاكـم واحتفـت أرضُه بكم والسـماء
أقرِئوا الضاد والحروف سـلاماً وبـيـانـاً فـإنّـكـم سـفـراء
أقرئوهـا ولا تقولـوا ذُهِلْنـا أو تقولـوا أزرى بنـا الرُّقبـاء
خاب مَن خاف مِن رقيبٍ فأحنى هامةَ الحرف والحروفُ سـماء
أيقظوا الأحرف التي في سُـباتٍ ولـبـاسٍ يـلـفُّـهـا الإعـيـاء
عسـعس الليـل فوقَهـا فوَقاها أن تـرى النـور قائـلاً إعشـاء
هكـذا لبَّـسَ المعانـي عليهـا فادلهمَّـت أمَامَهـا الأشـياء
رُبّ حـرفٍ أحيـا وآخـر أفنى أيّ حرفٍ تُـرى يَرى الشـعراء
علَّمونـا أنَّ الـكلام حـروف فاعلموا الأحرف التي تُسْـتَضاء
توِّجوهـا بسـاميات المعانـي يَعْلُ منهـا بنوركـم لأْلاء
ألبِسـوها مـن النصائـح ثوبـاً فلقـد فـاز بالعُـلا النصحـاء
وامـلأوا جيبَها النقـيَّ صلاحاً ليـس يرضى فسـادَها الصلحاء

لا تخونــوا ولا تكونــوا يمينــاً لخَــؤونٍ، وأنتــمُ الكرمــاء
حَــقُّ أوطاننــا علينــا كبيــر وعلينــا لهــا الوفــا والفــداء
وعلينــا لله أن ننصــر الديــن احتســاباً وكلُّنــا شــركاء
ولســلطاننا الــذي نصَــرَ اللهَ انتصــارٌ وطاعــةٌ ووَلاء
فابذلوا النفــس والنفيس ليَحيا كلُّ حــرفٍ حُــرّاً كما قد يشــاء
واتّقــوا الله واذكــروه فعُقبــاه مــن الله فوزكــم والجــزاء
وختامــاً علــى النبــيّ صــلاةٌ وســلامٌ تشــدو بهــا الآنــاء
وعلــى آلــه الكــرام وصحبٍ مــا توالــى الإصباح والإمســاء

محمد بن عبد الله الخليلي

٥ رجب ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨/٣/٢٣م

* * *

العقدُ الماسي في النادي الدبلوماسي

اللقاء الشعري الذي أقامه سعادة الشــيخ هلال بن سالم بن حمود السيابي الذي كانت مراسمُه في النادي الدبلوماسي...

يا مجلسَ الشــعرِ في عليــاكَ أبتهلُ روحي فِــداكَ بكَ الغايــاتُ والأمَلُ
بُشــرى أتى عندليبُ الشــعرِ يعزِفُهُ لحْنًا شَــجيًّا بــهِ الإســعادُ والجَذَلُ
تاجُ المعالــي (هلالٌ) مَــنْ بِدوحتِهِ كلُّ الجماهيــرِ مِــنْ أورادِهِ نَهَلــوا
نَسْــمُو بِكمْ وليــوثُ الشــعرِ ماثِلةٌ لدعــوةٍ مِنــكَ فــي أترابِهــا مَثَــلُ
وقــد ترنّــمَ رُوّادُ القريــضِ بــهِ جَمْــعُ الأحبةِّ فــي واديهِ قــد نزلوا
وعانقــوا ذَروةَ الأمجــادِ في شــمَمٍ بنــو المُسَــيَّبِ لا تخبو لهمْ شُــعَلُ
(هلالُ) مَن جمَــعَ الأحبابَ يُكرمُهمْ بجلســةِ الشــعرِ طوبى ذلــكَ النُزُلُ

أسُوقُ غَيْمَ المُـــنى والبِشْرُ يَدفعُني ... على البســيطِ لمَنْ بالشعرِ قد صُقِلوا
ســلامُ ربّي عليكــمْ كالصَّبــا عَطِرًا ... كم طابَ مَجلِسُــنا وازدانتِ السُّــبُلُ
قصائــدُ الشــعرِ كالرايــاتِ ناشــرةٌ ... سحائبَ المِسْكِ حَيّتْ كلَّ مَنْ وصلوا
بَحرُ القريضِ ببابِ الشــيخِ مزدَحِمٌ ... وفــي شــواطِئِهِ ما خــابَ لــي أمَلُ
والقلــبُ يَنفَحُنــا بَرْدَ الشَّــذى طَرَباً ... يُصافــحُ البِشْــرَ والعينــانُ تَبتَهــلُ
والحُسْــنُ يلبــسُ ألوانــاً منمَّقــةً ... همْسُ الجمالِ على التيجــانِ يَنفَتِلُ
بَــوْحُ المســاءِ تغاريــدٌ مُرجِّعــةٌ ... بأعــذبِ الشَّــجْوِ بالألحــانِ تتَّصلُ
روائــحُ العُودِ فــي الأعمــاقِ عابقةٌ ... يَشُــدُّنا رِيحُهــا بالنشــر نكتحــلُ
والشــعرُ فيكــمْ أفانيــنٌ مكمَّمــةٌ ... ولحْــنُ طيــرٍ جميــلٍ جــاءَ يَحتفلُ
والحــبُّ قيثــارةُ الأجفــانِ تعزِفُــهُ ... بلابــلُ السَّــعْدِ فــي الآذانِ يَنهطِلُ
والبحــرُ ينضــحُ والأمــواجُ راقصةٌ ... ورْدُ الخمائــلِ في الباقــاتِ يُحتملُ
كأنّمــا النــورُ فــي حُسْــنٍ يُداعبُها ... مفتونُ أكمامِهــا في الغُصْــنِ يَبتهِلُ
أمشــي إلــى ثُلَّــةٍ مخصوصــةٍ وأنا ... كأنّنــي بيــن روضِ الحقــلِ أنتقِلُ
وجئت من ســاحةِ (الفيحاء) ملتمِسًا ... أنوارَكــمْ وحــروفُ الشــعرِ تُرتَجَلُ
جمــالُ ليلَتِنــا مــن نفْــحِ دعوتِكم ... (عمانُ) مــن إثْمَدِ الأشــعارِ تَكتَحِلُ
أمــدُّ نحو السَّــما أمجــادَ عاصمتي ... يا مســقطَ الحُبِّ قد شادتْ بكِ الدُّوَلُ
فــي كلِ زاويــةٍ يَبــدو السُّــرورُ لنا ... فيــهِ محيَّاكــمُ قــد راقَــهُ الغَــزَلُ

موسى بن قسور العامري... سمائل
٩ رجب ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨/٣/٢٧م

القسم السابع

القصائد السمائلية



لقد تغنّى أدباء سمائل ببلادهم، وحُقَّ لهم ذلك، وفاءً لها، وعرفانًا بفضلها، وإشادةً بمقامها، وإظهارًا لمكانتها، وتعلُّقًا بحبّها، فما أظهروه من شعور في قالَب شعريّ أو نظميّ إنما هو نابع من القلب، وتلك الكلمة الصادقة، التي تخرج من قلب صادق، وشعور وامِق.

وممّا عثرنا عليه من القصائد السمائلية ما نورده في هذا الكتاب السمائليّ:

القصيدة الأولى

للشيخ الأديب الكاتب عيسى بن ثاني بن خلفان البكري:

(الفيحاء)

قد شاقَني ذكْرُ المعاهد والدِّمَنْ ... وغدا يحرّكُ من فؤادي ما سَكَنْ

دِمَنٌ زهَتْ حُمِي الذِّمارُ بها وقد ... عَزَّ الجِوارُ فنعْم ذيّاك الوطن

وطَنٌ هو الفيحاء مسقطُ رأسِنا ... وضياءُ بهجتنا ومَربَعُنا الحَسَن

شهِدَتْ بحُسْن جمالها كلُّ القُرى ... فغدَتْ تتيه نَضارةً بين الدِّمَن

فإذا رُمِيتَ من الزمان بنكبة ... فارحلْ إليها كيْ يباعدَك الحَزَن

وانزل بأُولاها (المزارعَ) أرضُها ... كسمائها والطير يشدو في الغُصُن

واعمد إلى (خوبار وائلَ) كم لهم ... من وقعة كُتِبتْ على صُحُف الزّمَن

كم بدَّدوا كم شرَّدوا كم أوردوا ... أعداءَهم حوضَ الحُتوف على الذِّقَن

وامرزْ (بخوبار المجالبة) الأُولى ... شادُوا المعاليَ واقتَفَوْا خيرَ السُّنَن

وعُجِ المَطيّ إلى اليسار مسلِّمًا ... لذوي المكارم والمفاخر والفِطَن

مَن شيّدوا للمجد بيتًا شامخًا ... وعلَوْا على هام العُلا حتى استكَنْ

أعني الجُبورَ بهم زهَتْ (فَاروتُهم) ... وسمائلٌ قد أشرقت بهمُ إذَنْ

وارحلْ إلى (دَنِّ) النباهنةِ الأُولى شربوا سُلافَ فَخارهم من خير دَنْ
واذا وصلت إلى (غُوَيْز المُرِّ) قفْ وتلقَّ (غُبرةَ والغَصيبةَ) في قَرَنْ
آلُ الصباح بها رجالُ مُسَيَّبٍ وبنو دُغَيْشٍ هم مكاشيفُ الإحَن
واذا بلغتَ هناك يمِّمْ (حَاجِرًا) تجدِ المزاريعَ الجَحاجِحةَ الهُتُن
هَدَّابُ دَفَّاعٌ وعُصْبةُ جاسِرٍ نورُ الزهادة في سعيدِهِمُ كَمُنْ
وانقلْ ركابَك قاصدًا بيت العُلى (حِصْنَ ابنَ همّاسٍ) على أعلى القُنَن
هو مركزٌ لبني خروص كم لهم من سُؤْددٍ لا يرتقيه مَن ومَن
واحططْ رحالَك (بالمصاعِد والصَّفا) تجدِ الصَّفاء مع الجَدا مِن غير مَنْ
فهُنالِكم من آل يَشْجُبَ فتيةٌ غُرٌّ وآلُ الحضرميِّ أولو المِنَن
واذا بدا (المِضمارُ) فاقصد (غِيلة الدَّكِّ) التي شَرُفتْ على كلِّ الدِّمَن
حُفّت بآل مُسَيَّبٍ وبعُصبةٍ مِن حِمْيَرٍ مَن هم غطارفةُ اليَمَن
فيها سلالةُ سالم سيفُ الذي لا زال يمطر من سماه خير مَنْ
وبها الفتى خلفان نجلُ جميِّلٍ هو بحر علم يقذف الدُّرَّ الحَسَن
واقصد إلى (مَهبوبَ) ذَبيانٍ تجدْ نارَ القِرى بفِنائهم لا تُطْفَأن
وهمُ مساعيرُ الوغى سُمُّ العِدى ليسوا ذوي جَزَع إذا ما الخطب عَنْ
واعمد إلى (مَنقَلْ عَسِينَ) (ورَقْبةٍ) واشمِمْ نفائح (فِتْنةٍ) لا كالفِتَن
واقطع (حُوَيْسِدةً) ويمِّمْ سُوحَها تجدِ القصورَ الشامخاتِ على فَنَن
يا حبّذا أرض (الجُبيْليِّات) من أرض سمَت فخْرًا على كلّ الدِّمَن
فيها رجال الأَزد آلُ خروص مَن ورثوا العُلا والمجدُ فيهم قد كَمُن
ثم انتقل وانزل (بعَشّاريّةٍ) لا ترتضي ضَيْمًا وعَزَّ بها الوطن
وعُجِ الركائبَ بعدها (لِخُرَيْبةٍ) وانزل فِناء فتى مسلَّم الفَطِن

أعنـي سـعيدًا ذا المـروءة والندى ... الماجـدَ النَّـدْبَ النقيَّ مـن الدَّرَن
وتَطيـب نفْسًـا إن نزلـتَ (بِكَفْرة) ... فهناك سـيفُ وغًى وغيـثٌ إن هَتَن
وتَقَـرُّ (بالبسـتان) عَيْنًـا حينمـا ... تُلقي العصا فـي روضها الزاكي الأغَنّ
فـإذا قضيـتَ بهـا مناسـك زائـر ... فاذهب إلى (الخَـلُّوت) مُذهِبةِ الحزَن
فيهـا سـلالة ناصـر بـن محمـد ... بيـتٌ ترفَّـع بالمـكارم واقتـرن
واقـدم إلـى (مُـرِّيَّـةٍ) عـربيَّـةٍ ... سـطعت على الدنيا بجوهرها الحَسَن
من بعدهم يمّمْ (لِسِـيب الظَّفْر) كم ... قد طار صِيتًـا فضلُ مَـن فيها قطَن
آلُ الخَصِيـبِ بهـا وعَيْنُ سـوادها ... عَلَمُ المـكارم راشـدٌ بحْـرُ المِنَن
ومتى تجـاوز (دابّةً والحِجْلَ) سِـرْ ... للحصن واقض تحيّـة تُكْفَ المِحَن
فهنـاك عبـد الله نجـلُ محمـد ... قاضي الإمـام محمّـدٍ نـورِ الزمن
وإذا قضيـتَ مـن (السَّـفالة) مأرِبًا ... فـأْتِ (العِلايـةَ) إنها خيـر الدِّمَن
حـازت خصال الحمد طُـرًّا والعُلا ... والمجدُ والشـرفُ الرفيـعُ بها كَمُن
وامـرر (بجامِعِها) المنيـرِ وعُجْ به ... وارتـعْ بروضتـه لتقتفـيَ السُّـنَن
(والعُجْـمُ) أفصحتِ المقـالَ بأنها ... سُـوقٌ تباع بهـا القلوبُ بـلا ثمَن
(والحارثيّـة) فهـي أبهـجُ منـزل ... و(قُرَيْـنُ وازعَ) فالجلال بها احتضن
وإذا (العَواقـي) قابلتْـكَ فلـذ بها ... وإلى (الحَلال) ادلجْ سُـحَيْرا تظفرن
ولدى (الصَّبَارة) قف وبُثَّ بسُوحها ... طيـبَ السـلام تحيّةً تجلـو الحزَن
(والمنقَـلُ) الغـرّاء لُـذ بحمائهـا ... فهمُ الأولى بحِماهـمُ القلبُ اطمأن
وعُـجِ المطـيّ إلى يمينـك قاصدا ... رَبْعًا هو (السُّـبحيَّةُ) العالـي القُنَن
فهنـاك للرائـي تلـوح سـواطعٌ ... قـد أشـرقت بضيائهـا كلُّ المُـدُن
أرسـى دعائمَهـا المنيفـةَ شـيخُنا ... علَمُ الهدى لدُجـى الجهالة حين جَنّ

ذاك ابــنُ خلفــانَ الخليلــيُّ الــذي ... في العلم أضحى ســابقًا في كلّ فنْ
ثم اتصــل (بمحلّــة السُّــوق) التي ... شــرف الزمان بها وطاب بها الوطن
فهنــاك غطريــفُ البســالة ســالمٌ ... تُتلَى صحائــفُ جوده طــول الزمن
وانــزل (بشَــرجة آلِ إبراهيــمَ) مَن ... لهمُ الســوابقُ في العُلــى لا تقترن
هــي بهجــة للناظريــن ونزهــة ... للحاضريــن وروضــة بيــن الدِّمَن
وتــرى بأعلــى ثغرها القصــرَ الذي ... فوق الســماك رقى محــلًّا دون أَنْ
قد شــادَه ليثُ الوغى أسَــدُ الشَّرى ... ذاك البَرُونــي ذو السياســة والفِطَن
وأقصــد ريــاض (الدَّقْدَقَيْــنِ) فإنّها ... حُفَّت بأبهــج رونق الزَّهْرِ الحسَــن
وعن (المَضارب) لا تَمِلْ فهناك مِن ... أبنــاء عامِــرَ الغطارفــةِ الهُتُــنْ
واعمد إلى (اسْــحاريَّةٍ) فالفضلُ في ... أكنافهــا وجميــع مَــن فيهــا أمِــنْ
وعليــك (بالتوفيــق) فالتوفيــقُ في ... ســاحاتها مــن آل عبس أهــل مَنْ
وبهــا اســتنار هلالُهــا ابــنُ محمّد ... شــهْمٌ أبــيٌّ لوذعــيٌّ مؤتَمَــن
وإلــى (دَغــالٍ) زُمَّ رحْلَــكَ تبتهجْ ... بضيــاء طلعتهــا ولُــذْ فيهــا تُعَــن
وخلالهــا (طَسِّــينُ) شَــقَّت رحْبَها ... وصفا (بصافيةِ) الزمــانُ من المحن
طابــت بــآل ربيعــة (جَمَّارُهــم) ... وبآل عبــس والفــروعُ ومــن قطَن
وإلــى (محلّة بكــر وائــل) فانتقل ... فلَكــم لهم مــن غــارة أبدًا تُشَــن
ولكــم لهم مــن وقعــة مشــهورة ... ســلّوا بها البِيضِ الصــوارمَ واللدن
وانــزل (حِمــى أولاد سَــعْدٍ) إنهم ... أُسْــدٌ جحاجحــةٌ غطارفــة اليمَــن
وزعيمُهــم حقًّــا ســلالة ناصــر ... خلفان طــوْد المجــد نحَّــار البُدُن
وادلجْ بها سَــحَرًا إلى (سَحْراءَ) كي ... تحظى بأنــوار الهدى طــول الزمن
أكرم بــه من معهــد شــرُفت به الآ ... فــاقُ والأمصــار بــل كلُّ المُــدُن

هو معدن العلم الشـريف ومركز ال ... عـدل المنيـف وملجـأ للممتهـن
فيـه الخليلـيّ الإمـام محمـد ... غوث الورى سـامي الذرى محيي السُّنَن
بحر طمـى علمـا وعـدلا فاقتفى ... في الرشْـد بالعُمَريْن واضحة السَّنَن
لـم تثنـه فـي الله لومـة لائـم ... أبـدًا وجُـودُ يديْـه يُـزري بالمُزُن
لا زال منصـورا علـى أعدائـه ... ومسـدَّدًا بـل مطفئًـا نـارَ الفِتَـن
واقصد إلى (العُرقوب معْ نَغْزا) وقفْ ... واقرا السـلام على الذي بهما سكَنْ
فهمـا لَعَمْـرُكَ مَربعـان تسـابقا ... في حَلْبـة المجد الأثيـل على قرَن
(والجعفريّـةُ) قف علـى عرَصاتها ... وانزل برَحْب فتى عُبَيْـد ذي الفِطَن
بـدرُ الدجـى نـورُ الهداية سـاطعٌ ... بفنائـه متبلِّـجٌ يجلـو الدَّجَـن
قـد أشـرقت آياتـه وتهلّلـت ... بركاتـه كالغيـث لمّـا أن هَتَـن
علّامـة العلمـاء قطـب زماننـا ... بحـر تدفّـق جوهـرا غالـي الثمن
وامـرر (بقرواشـيّة) الكرمـاء مَن ... حازوا العلا وبنَوْا على الجوزا سـكن
وإذا وصلـت هنـاك يمّم (جَمَّـةً) ... و(الشَّـرجتين) مع (السّياب) ولا تهن
واقصد إلـى نحو (القَديمة) شـاربا ... من حوضها الصافـي لينتعش البدَن
وارحل إلى (سَـكْنيَّة) (الحَبَّاسِ) كي ... تجد الكرامة ثَـمّ والخُلُقَ الحَسَـن
فيها الشـوامسُ معْ بني رَمَضَان مَعْ ... هشّـامِ عَبْـسٍ فضلُهـم أبـدًا رهن
فهنالـك الزعمـاء سـيف ذو العُلا ... والشـهم منصـور بن ناصـر الفَطِنْ
و(العَضْـدةُ) العليـاء يمّـمْ وانتقل ... (لِخُدَيْـرَة) يـا حبّـذا تلـك الدِّمَن
وإذا بلغـت هنـاك يمّـمْ مسـرعًا ... (للشَّـاقِّ) ثمّ احْمَدْ إلهَك واشـكُرَنْ
وبهـا فتـى حمـدٍ سـعيدٌ إنـه ... ليـثٌ وغيـثٌ لا يُضـام لـه وطَن
وترفعـنَّ إلـى (الرُّفَيْعـة) إنهـا ... أرضٌ لعامرَ ذي البسـالة والمِـنَن
و(الجوهريّـةُ) قارَنَتْهـا (رَفْعَـةٌ) ... فكأنّهـا صنعـاءُ فـي أرض اليَمَن

وإلى ذُرا (الصَّلتيَّة) الخضراءِ سِرْ ... تجد الحماية للنزيل ومن قطَن
بهما عليٌّ ذو العلاء وسالم ... بدران ضاءت من سَنائهما المُدُن
لله كم لبني هَناءة من يدٍ ... بيضاءَ تمطر جوهرا حسَنًا بَسَن
وكأنّ ليثًا فاغِرًا عن نابِه ... في البأس (فاغِرةٌ) إذا ما الخصم عَنْ
أوَ مَا ترى (الشَّهباء) ترسل نحوَها ... شُهُبًا تحرِّقُ كلَّ باغٍ ذي إحَن
كالكوكب الدريّ ضاء سناؤها ... بين الكواكب فانجلت منه الدُّجن
تلكم جهات سمائل شرفت بها ... كلّ الجهات فما الشآمُ وما اليَمَن
علت العلاية بالمكارم مثل ما ... علت السفالة بالفخار على الدِّمَن
وكفى بها شرفا كما قد شقّها ... وادٍ تدفّق بالمياه مدى الزمن
وتفجّرت أنهارها من يمِّه ... فكأنه نهْرُ الفُرات بها استكن
هي روضة الدنيا وجنّة مأرب ... وسماء علْم بدرها لن يأفلن
عنها فحدّث ليس من حرج بما ... ترويه عنها فالمديح بها قَمِن
شهدت لها أعداؤها والفضل ما ... شهدت به الأعداء قال أولو الفِطَن
ولقد دعانا للقريض محرِّكٌ ... من يَحْمَدٍ فأطال نظمًا في الوطن
قد قرّض الأشعار في (نَخَلٍ) وقد ... وفّى المديح وكان مِصْقَعَها اللَّسِن
والحبُّ للأوطان يا هذا من الإ ... يمان قال المصطفى لا تعدِلن
نعم البلاد بلادكم نَخَلٌ لها ... ولأهلها حُسْنُ الثناء مدى الزمن
ولقد سمت فوق الثريّا منصبا ... وحوت مفاخر جمّة لا تُمْتَهَنْ
وإليكمُ تُهدي السلام سمائلٌ ... وتحيّةً بعبير مِسْك تَنْفَحَن
وصلاة ربي والسلام لأحمد ... خيرِ الخلائق كلّها ما الرعد حَنَّ
والآلِ والأصحاب ما قارٍ تلا ... قد شاقني ذكر المعاهد والدِّمَنْ

* * *

القصيدة الثانية

لابنه أستاذنا الشيخ الفقيه الأديب موسى بن عيسى البكري
في سمائل ومحلّاتها وبعض أعيانها:

(المعاهد الحبيبة)

إن رمتَ وصْفَ بلادنا الفيحاءِ ... فخذ الحقيقة فيه باستقصاءِ
وعلى الخبير سقطت قول مصاحب ... صحِبَ المشفّع رائد الإسراء
(فيحا سمائل) في المفاخر مالها ... بلد تنازعها صدى الإطراء
بلَدٌ سمَت بمكارم وتميّزت ... بمناقب وتقدّست بثناء
وادٍ بها لا تنضبنّ مياهُه ... يحكي فُرات البَصرة الغَرّاء
منه تفجَّر ستّةٌ مع عشْرة ... نهْراً لسقي رياضها الغنّاء
وثلاثَ مَايةَ مسجدًا عُدّت مسا ... جدُها وستيناً لدى الإحصاء
والنخلُ باسقةٌ نضيدٌ طلْعُها ... والأرضُ قد غُصّت بنبْع الماء
وعلى ضفاف الجانبين حدائقٌ ... خُضْرٌ تَقَرُّ بها عيون الرَّائي
وترى القصور الشامخات خلالها ... فاقت بناءً فوق كلّ بناء
صِينت بأطواد عَوالٍ شُمَّخٍ ... حِفْظاً لها من سطوة الأعداء
إن جئتَها يوما فقف (بمزارع) ... منها فتلكم نزهة النظراء

وانزل (بخوبار ابن وائل) ثم (بالأخرى) مقام القادة النجباء

أعني المجالبة الأولى شادوا بها ... حِصْناً منيعًا شامخ الأرجاء
واقصد (لِفاروة) الجُبورِ ذوي العلا ... المرتقين لهامة الجوزاء

و(الدَنَّ) يمّم ثم قف (بغُوَيْز مُرٍّ) وانتقل للغبرة الخضراء

وإلى الغَصيبة) سِرْ ومُرَّ (بلُعبة) حتى تشاهد موضع (البطحاء)
(والحاجر) المعمور عرّجْ نحوها تسْعَدْ بخير سماحة وسخاء
لبني خروص قصْرُ (جَنّوريّة) بالحاجر المشهور للقدماء
واصْعَدْ إلى (حِصْن ابن همّاس) الذي قد طار صيتُ ملوكه العظماء
ولتسترحْ بنسائم (المهبوب) مع (مَنْقَل عَسِين) (ورَقْبةٍ حسْناء)
واشْممْ نفائح (فِتْنة) واصْعَد (جُبَيليّات) آل خروصها الفضلاء

فهناك عبد الله نجل محمّد من سَلّ للأحكام سيف قضاء
وامرر (بعَشّارية) متنوِّرًا (لِخُرَيْبة) تظفرْ بكل رجاء
واقدم (لِسِيب الظّفْر) تظفر بالجَدا والرشْد من أربابها الصلحاء
أربابها آل الخصيبيّ الأولى قد شاع صيتُهمُ على الغبراء
وجُبِ (المصاعد) (والصّفا) وانقل إلى (المضمار) رَحْلك تلقَ خير ولاء
ولمسجد المضمار شأنٌ إذ بُني في عهد طه فهو خير بناء
لله مازن مَن بنى صَرْح العلى لرُقِيّنا السّامي لكل سماء
وامرح (بغِيل الدّك) واستوف الوفاءَ (بكَفْرة) غوثِ الطريدِ النائي
وبغِيلة الدَّكِ الفتى ابنُ جميّل بحر المعارف مرشد الجهلاء
وفتى حمودٍ سالمٌ حَبْرُ الورى بدْرُ الدياجي خِيرةُ النبلاء
ولمحلّة (البستان) عرّج ثم (للخلُّوت) ذاتِ العزّة الشمّاء

وعُجِ المطيّ إلى (سِتالَ) فإنها عين البلاد وفرحة للرائي
وتحَلَّ بالأخلاق من (مُرَيّة) متجمِّلاً بحُلِيِّها الوَضّاء
من بعد حِجْرة (دابّة) و(الحِجْل) لُذْ (بالحصن) ملتجئًا من البأساء
فهنالك الأحكام سَلَّت صارم الإنصاف ما بين الورى بسَواء

وإلى العِلاية سِرْ مُجِدًّا بعد أن ... جزتَ السَّفالة مخلصاً بوفاء
واصْعد (بجامعها) المجاور روضة ... (للعُجْم) تنهل شربة من ماء
وبها فتى خلَفٍ سعيدٌ مَن له ... شأن علا يسمو على الجوزاء
(وقُرَيْن وازِعَ) لا تجاوزْه وطف ... (بالحارثيّة) منزلِ الفضلاء
وأرِحْ مَطيَّك (بالحلال) هُنَيْئَةً ... تبلغْ بها الغاياتِ في الإقصاء
وإذا (العَواقي) شِمْتَ سرّحْ نظرة ... نحو (الصَّبارة) تُكْفَ كلَّ بلاء
و(المنْقَل) الغرّاء إن وافيته ... وافيت ما تهواه من سرّاء
وإذا بدت (سُبحيّةٌ) فاقدم إلى ... شيخ البيان وسيّد الأمراء
عبدِ الآله فتى عليّ مَن قفا ... آثار آباء له عظماء
وتصدرنّ (محلّة السوق) التي ... حُمِدت سوابقُها لدى الكرماء
واحطط رحالك حول قصر شادَه ... ليث الجِلاد وصفوة العقلاء
أعني سليمان البرونيّ الذي ... قد كان سيف الملّة السمحاء
وأذكر معاهد آل بَكْر من همُ ... سادوا المَلا ببطولة وإباء
وانزل بمركز (آل سَعْدٍ) إنهم ... أولادُ مازنَ ذي العَلاء الطائي
حازوا السماحة كابراً عن كابر ... إرثاً من الأجداد والآباء
وتقدّمنَّ لساحة الفضلاء ... (سَحْرا) مقرّ العلم والإفتاء
بيت الإمامة والندى والعدل وال ... إنصاف والإرشاد والنَّعماء
فيه الإمام أبو خليل المرتضى ... قطب الديانة كعبة العلماء
وخذ الطريق لمَرْبع (الشَّاقِّ) التي ... قد زان جانبَها خِضَمُّ الماء
وذُرى (الرُّفَيْعة) كن بها متربِّعاً ... (كالجوهريّة) درّة الأرجاء
ثم انتقل منها إلى (صَلْتيّة) ... و(قُرَيْنها) الرَّاقي سَما العلياء

وإذا (بفاغـرة) نزلـت حُظِيـتَ بال إكـرام مـن أربابهـا الكرمـاء
وأمامهـا (الشـهباء) أشـرق نورها بـدراً يجلّـي حِنْـدِسَ الظلمـاء
وعُجِ المطيّ إلى رياض (الدَّقدقيْن) إلى (مضارِب) كُمَّلٍ شرفاء
واقـدم إلـى (اسْـحاريّة) متأمّـلاً مـن أهلهـا أهـل اليـد البيضـاء
وارحـل بتوفيق إلـى (التوفيق) في كلّ الأمـور تفـز بخيـر رجـاء
واذهـب (لأدْغـال) السَّـراة ملبّيـاً رَبّ القوافـي مخـرس البلغـاء
وامرر (بطسّين) وصافية معَ (الجَمَّار) ذات الصولة الشمّاء
واعطف إلـى (العُرْقوب) مع (نَغْزا) وقف متـغـنّـيـا بـريـاضـهـا الـغـنّـاء
(والجعفريّـة) قـف بهـا متذكّـراً زمَنًـا مضـى لخلاصـة العلمـاء
حمـد سـليل عُبيْد مصبـاح الهدى يهـدي الأنـام بنـوره الوضّـاء
وانـزل (بـقَـرواشـيّـة) متحفّظاً حـقّ الإخـاء لأهلهـا الفضـلاء
وإذا وصلـت (الشَّـرجتين) مبكّـراً فاصعـد لنحـو (الجَمَّـة) الزهـراء
وعـن (القَديمـة) لا تجـاوز إنهـا هـي معهـد النبـلاء والصلحـاء
كأبـي سـرور مـع رجـال كُمَّـل بـذلـوا نـفـوسـهـم لـذي الآلاء
(والحوضَ) لا تنساه مع (سَكْنيّة) (الحَبّاس) ثم (العَضْدة) العلياء
واكـرع حياض (خُدَيْـرة) فهي التي أنهـت لذكـر مرابـع الفيحـاء
هـذي سـمائل والجـلال يحوطها مـن كلّ ناحيـة مـن الأنحـاء
لم تُلْـفِ من بلـد يماثـل وصْفَها أبَـدًا ولـو بالغـتَ في اسـتقصاء
فافضض ختام المسـك بين رياضها عَـبِـقًـا يـعـطّـرُ سـائـر الأرجـاء

* * *

القصائد الثالثة والرابعة والخامسة

وهذه ثلاث قصائد قيلت في شكل مطارحات، وهي غاية في الحُسْن والروعة، كما أنها تحرّك السوق الأدبيّة، وتنفح المجالس بطيوبها الشعريّة، وسُمِّيَتْ ب (**المسرحيّات الوصفية**)، وقُدِّمتْ بنفائس من دُرَر الكلمات النثريّة، فدونَكها أيها القارئ الكريم، في حُلَّة قشيبة، وغلالة رطيبة:

«لا يزال الهيام برياض الفيحاء الغنّاء يوحي لقرائح الشعراء السمائليين ضروبا من الشعر الفيّاض، الذي تجيش به خواطرهم الدفّاقة في حبّ سمائل مسقطِ رأسهم، التي ألهمتهم الجمال ورقّة المشاعر والأحاسيس ورهافة الحسّ والذوق الفنّي، ممّا حدا بهم لأن يسطّروا بُنَيّات أفكارهم، وخلاصةَ عبقريّاتهم، وصميم مواهبهم، أشبه شيء بالمعلّقات، فجادت قرائحهم بأبدع القصائد وأجمل الفرائد، ويتجلّى ذلك في تلك (المسرحيَّات الوصفية) التي تألّق فيها عدد من أدباء وشعراء سمائل.

على أنّ الإتيان بها في هذا الصدد أمْر يقتضيه المقام، وسعيا لبلوغ الهدف المرام، ليتسنّى تقديمها على مائدة شعرية شاعرية شهيّة متكاملة.

وقد قام بالتقديم لها أمير البيان وشاعر عمان المشار إليه بالبَنان الشيخ الجليل عبد الله بن علي الخليلي، حيث قال:

الحمد لله حمدًا لا ينحصر إلا في ضِمْن إرادته، وأصلّي على نبيّه محمّد صلاة تتجلّى في حقيقته الرائعة، وأجلو عرائس البيان في مسرحيّات الخيال، وأسرّح طرْفي في مناظر حُسْنها البديع، وكم تُراني أقتطف فغَوَات السرور وأنا أخطر في روض (مسرحيّة الجِدّ)، ويبهجني ما أتنسَّمُه من اللطْف من فجوَات (مسرحيّة الوصف)، وكم لي وأنا أكرع من حياض الخيال المترَعة على (مسرحيّة الروعة)، أجدُني وأنا أنشدها كأنّي أجُرُّ ذيْلَ الإعجاب بين الخيال واليقين، أو

بين الحقيقة والمجاز، ولله في سرّ الخليقة ما لو تَصَوّرَه الدهر لما دارت صروفُه، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وإليك أيها القارىء الكريم هذه المسرحيّات الوصفيّة على التوالي:

(مسرحية الجِدّ)

لأبي سرور الشيخ الفقيه الأديب حميد بن عبد الله الجامعي:

نسيمَ الصَّبا هُبّي بعَرْف سمائل ... وحيّيّ العُلا في وَعْرها والخمائل
ولا تُحْجِمي فالمجدُ والجِدُّ والوفا ... بتربتها البيضاء منذ الأوائل
هي الرُّوح للعليا هي الوعي للمَلا ... هي الرأس إن شبّت سعير الجحافل
ويفترّ عن ثغر الأمانيِّ ضاحكًا ... كتالٍ من الأحباب آيَ الرسائل
وتبتهج الأكوان والأرض والسَّما ... وتلبس أثواب الهنا والفضائل
وتشرق إشراقًا جَليًّا فيهتدي ... إليها الورى من كلّ ليث وعاهل
ومَن يَدْعُ للعَليا تُجِبْه سَراتُها ... ودون العُلا زُرْقُ القَنا والقنابل
ودون العُلا كأس المنايا يسيغه ... كريم المساعي تحت ظلّ القَساطل
سَراةَ العُلا هذي العُلا في سجونها ... تناديكمُ في قيْدها والسلاسل
بني المجد هل يرضى أخو المجد والعُلا ... دنيًّا وإنّ الدُّونَ شأنُ الأراذل
بني المجد هل يرضى النعيمَ غُشَمْشَمٌ ... على أنْفه للذُلِّ وطأةُ خامِل
أَحُرُّ فتى لا ينتضي العَزْم والظُّبا ... لعزّته إن قيل هل من منازل
أحُرٌّ فتًى لا يشرب الموت سلسلًا ... ولا يسقي دهر السوء مُرَّ النوازل
ومَن ذا الذي يرضى الحياة وحوله ... كريمته بين الأذى والرذائل
كريمة نعمان الغساسنة الأولى ... همُ للعُلا أكرم بهمْ من عباهل
حُظيتِ المُنى لمّا احتمَيْتِ بأمَّة ... طِوالَ المواضي مالهم من مُطَاوِل

كذلـك فلْيَحْـمِ الكرائـمَ فـارسٌ ومَن في الـورى عِزًّا كشـيبان وائل
هلُـمّ إلـى الميـدان موسـى فإنّنا لنفخـر أن ترقـى ظهـورَ الصواهل
هَلُـمّ وهـذي العاديـات ضوابـحٌ تشـقُّ بنا الميـدان بيـن الجحافل
ولله شـمسُ الخزرج الغُـرِّ كم لهم على صفحـة الأكـوان تاريخ عامل
إذا الدهر أرخى كلـكلَ البغي والأذى تجلّى له من شمسـهم ضوءُ باسـل
كمثل ابنِ منصـورِ الكميِّ فتى الوغى بـه تنجلـي الجُلَّى لـدى كلِّ هائل
بِـدارًا إلى اللقيـا بِدارًا إلـى العُلا عليٌّ وموسـى نجلُ بكـرِ ابنِ وائل
إلـى الحَلْبة الأخـرى هَلُـمّ هُدِيتُما نلبّي نِـدا قُطْـبِ البيـان الحُلاحِل
أبـي الفضل عبـد الله عمـدة أمرنا ومفزعنا فـي الكارثـات المعاضل
مُشيدِ الهدى سـاقي العِدا علقمَ الردى بعيـدِ المـدى فـي قولـه والفعائل
ومصقعِنـا فـي ذروة أدبيّـة بيانيّـة تُـزري بنفثـة بابـل
فتى سادة لا زال كالشـمس هدْيُهم وهم في لَظى الهيجاء أصدقُ صائل
كذا فلْيَسُـدْ مَـن شـاءَ أوْ لا فعَجْزُه هو العُـذْرُ ولْيلثَمْ خـدورَ الحلائل
أيـا نافخًـا روح العروبـة والوفـا ويـا قائمًـا فيهـا بِبِيـض ونائـل
أتينـاكَ سـمْعًا طائعيـن وعزمُنـا يُذيـبُ الرَّواسـي لا يَليـنُ لباطـل
فجالِدْ إلـى بَرْكَ الغِمـاد وخُضْ بنا بحور الوغى وانهـضْ على كلّ طائل
تجدْنـا وعـونُ الله نامـوس أمرنـا أمامَـك كالأنصـار فـوق الصواهل

* * *

(مسرحية الوصف)

للشيخ الأديب الفقيه موسى بن عيسى بن ثاني البكري:

خليليَّ عُوجا بي لفيحا سمائل ... مَقَرِّ النّدى والاهتدا والفضائل
خليليَّ عُوجا بي عليها فإنها ... هي الوطنُ المحروسُ منذ الأوائل
بلادٌ حوَتْ كلَّ المحاسن والعُلا ... ففاخِرْ بها الأقطار طُرًّا وطاول
حوت كلَّ مفضالٍ لبيبٍ غُضنفرٍ ... كريمِ المساعي لوذعيٍّ حُلاحِل
وناهيك بالبحر الخضمِّ إمامِنا ... المفدّى مُعِزِّ الدين ليثِ الجحافل
محمّدً السَّامي ذرى المجد رفعةً ... فأكرِمْ به من ناشر العدل فاصل
أبان الهدى فاخضرَّ للدين رَبْعُه ... وأعلا ذُرى السَّمْحا بأسمرَ عاسل
فحدِّثْ وحرِّرْ عنه واملأْ صحائفًا ... فلست بمستقصٍ له من فضائل
تغمَّده الباري بواسع رحمة ... وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
وآباؤه الشمُّ الغطارفة الأولى ... همُ وطَّدوا الدنيا بعلم ونائل
وأحفادُهم صِيدٌ كرام عباهل ... قد اتّصفوا بالعزّ بين القبائل
ذووا سطوة في النائبات ونجدة ... وعزم وإقدام غداةَ التنازل

ومن بينهم بدرُ الكمال مسدَّدُ المقال مجلّي معضِلات المشاكل

أبو الفضل عبدُ الله لا زال قائمًا ... لنصرة دين الله رغْمَ النوازل
رئيسُ بني عبْسٍ ومَن لي بمثله ... إذا ما دَجَت بالناس أدهى الغوائل
أقام شعار الدين منتدبًا له ... فأرْبِحْ به من خير فعْل لآجل
وكم لبني الفيحاء من عالم له ... جلالة قَدْر في الورى وشمائل
كنجل عُبيْد قطب أهل زمانه ... ونبراسه الهادي لخير الدلائل
وخلفان زخّار العلوم وكعبة الفهوم ... وَحيدٌ ما له من مماثل

وســالم المعروف بالعلــم والحِجا ... ســليل حمــود مــن سَــراة أكامل
وعبــد الإلــه الشــهم نجــل محمد ... الخروصيّ بحر العلــم زَيْنُ الأماثل
وفي الناس لا تنسَ الرشــيدَ وصِنْوَه ... محمــد عيْــن الأكرميــن الأفاضل
همــا اتّصفا بالعلــم والحلم والندى ... وأخــلاق معــروف وحُسْــن فعائل
ومتّصــف بالفضــل والأدب الــذي ... بــه قد رقــى أهلــوه أعــلا المنازل
ســلالة منصور علــيُّ الذي رســى ... بــحَبّاسه يعنــو لــه كلُّ ســائل
ومَــن كحُميْــدٍ شــاعر القُطْــر إنه ... مُجيــدُ القوافــي ما له مــن مطاول
تصــرّف فيها حيــن ألقــت زمامَها ... إليــه فأضحى مِثْــلَ ســحبان وائل
وكــم حاملــي فقــه بهــا وديانــة ... وآيــات توحيــد وحــلّ مســائل
رأيــت الهدى بيــن الربّوع وليسَــه ... كأمثالــه فــي رَبعْهــا والخمائــل
فســرّحْ بهــا طَرْفًا تنل حُسْــنَ منظر ... بهــيٍّ أنيــقٍ بيــن خُضْــر الغلائــل
تجد باســقات النخل أدلت قطوفها ... لمقتطــف مــن يانعــات المــآكل
مناهلُهــا مــن يَــمّ نهــر تفجّــرت ... ينابيعهــا أعظــم بهــا مــن مناهل
كأنّ الفــراتَ فــي بديــع جمالــه ... ببصرتــه الغنّــاء وادي ســمائل
إلــى العلــم هُبُّــوا يــا بَنيهــا فإنه ... لَروحُ المعالي والقُــوى في النوازل
ويا شــاعريْ مِصْري أجبــت لدعوة ... بدت منكما والجَرْيُ عند التســاجُل
فذي لهجتــي أبرزتها في ســموطها ... مطارحــةً إخــوان صِــدْقٍ عباهــل
ودمتــم وعيــنُ الله ترعاكــمُ علــى ... دوام المــدى مــا جاد مُــزْنٌ بهاطل

❊ ❊ ❊

(مسرحة الرَّوْعة)

لأمير البيان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي:

خليلـيّ من أحيـاء بكر ابـن وائل ... قِفا بي على (الحَـبَّاس)وِقْفةَ باسِل
ولا تَقِفـا حـول (القَديمـة) إنهـا ... مخبّـأةٌ تحـت القَنـا والقنابـل
بقلب العِـدا إن كان للقـول صارم ... فيـا داعيًـا لله قـف غيـر خامـل
لقد صُمَّت الأسـماع عـن كلّ قائل ... وأُعْمَيـت الأبصـار عـن كلّ صائل
ومـا انفكّت الدنيا ومَـن في أديمها ... على الخَسْـف مطواةً عمامـة دائل

* * *

ركبـتُ عِنـانَ الحـقّ حتـى ألِفْتُه ... فمَـن للسـاني أن يَفُـوهَ بباطـل
وعاهدتُّـه لا أسـتبدُّ بميْـزةٍ ... عليه فمَـن لـي أن تُعينَ وَسـائلي
وأوقفـتُ همّـي فيه حتى لـو انَّني ... أردتُ سِـواه ناقضتنـي عواملـي
سـلامٌ على الفيحـاء فـي عبقريّها ... طويلِ الخُطـا بين الظُّبـا والذوابل
سـلامٌ على الفيحـاء والدهر جامد ... ومَن لي فـي العليا كفيحا سـمائل
كأنّ تـرابَ العـزّ فـوق سـمائل ... متـونُ الجيـاد تحـت كلّ مقاتـل
كأنّ نبـاتَ المجـد فـوق أديمهـا ... ثغورُ الأماني أو نواصـي الصواهل
كأنّ لِداتِ النخل في حُسْـن نظْمِها ... صفـوفُ رجـال الله عنـد التنـازُل
كأنّ خريـرَ المـاء بيـن رياضهـا ... صريـرُ اليـراع أو صليـلُ القواصل
كأنّ الصَّبـا فيهـا إذا مـا تنفّسـت ... شـفاءُ النُّهـى أو بِغْيـةُ المتفائـل
كأنّ أريـجَ الزَّهْر من فـوق دوْحها ... أريجُ المُـنى جاءت بنصـر وطائل
كأنّ الشـعابَ المسـبكّرات فوقَهـا ... صفائـحُ تِبْـر أو صحائـفُ نائـل
كأنّ قميـص الضفّتيـن زبرجـد ... وبالشِّعْب من عيْن السَّما خير سائل

كأنّ ظُباها في الخمائل رتَّعًا سهامُ القضا لكن على المتطاول
كأنّ لواءَ الحمد فوق عروشها حُسامُ أبي السِّبطيْن بين الجحافل
كأنّ نوادي العلم بين ربوعها بدورٌ تجلّت في سماء الخمائل
كأنّ ينابيعَ المكارم والندى بها أعينُ التسنيم ثُجَّتْ بوابل
كأنّ رجالَ العلم في نَدَواتها شموسٌ أضاءت في صدور المحافل
كأنّ رجالَ المجد من طيب أرضها لذاك ترى فيهم كريمَ الشمائل
كأنّ الجبالَ الشُّمَّ وهي تحوطها من الله سُورٌ للعُلا والفضائل
وقفتُ عليها أمتري الفكر ضرْعَه فدَرَّ وللفيحاء فضلُ المخائل
وقمت بها استمرىء الماءَ والكَلا وليس الكَلا والماءُ غيرَ الطوائل
فسرّحتُ طرْفي في رُباها فلم أجد عليها سوى حُرِّ غزيرِ المناهل
وإخوانِ صدْقٍ لو وَقَيْتُ نفوسَهم بنفسي لما وفَّيتُ حقَّ الكوامل
همُ القوم لا يستمريء الذُّلُّ أرضَهم ولا يمتري أخلافَها بالأنامل

* * *

بني وطني حقًّا عليّ إخاؤكم إذا ما المنايا أمعنت في البواسل
بني وطني حقًّا عليَّ وِلاؤكم وللسيف في الأحشاء لذّةُ آكِل
فما المرْء إلا عزْمُه ومَضاؤُه وحُسْنُ الوفا منه لحافٍ وناعل
سلامٌ على موسى بن عيسى إذا انجلى بمتن المجلِّي من نعامة وائل
سلامٌ عليه في المكارم والندى وطعن الكُلى في الموقف المتبادَل
ومن كحُمَيْدٍ وهو في عاتق العُلا على طيّيء سيفُ القضاء لخاتل
ومن كَحُمَيْدٍ في حديد لسانه وعَضْب مَضاه في دخان النوازل
ليهْنَكُما الميدانُ من ألف غَلْوة بداحس والغبراء بين الصواهل

فإن كنتما من يعرف السبق في الوغى ... فما هي إلا نخوة من عباهل
وإن كنتما من يخسيء الطرف شوطه ... فذلكما شوط الكميّ المساجِل
وما لابن منصور عن السبق محجِمًا ... كأنّ العِنانَ منه موهون كاهل
وقد كان للفصحى شَباتُ لسانها ... إذا كَلَّ بالفصحى لسانٌ لقائل
هلمَّ ابنَ منصور إلى الرَّحِمِ التي ... قطعت ففي الأرحام وصْلٌ لواصل
أواصِرُ حسّانٍ بها ورواحةٍ ... ومَن مِثْلُ حسّان لكلّ مطاوِل
خليليّ ما هذي الأعنّة سُبَّقًا ... بكل كميٍّ عبقريّ حُلاحِل
إذا مزَعَتْ في الدَّوِّ خِلْتَ خواطفا ... من الشُّهْب تقفو إثْر كلّ مخاتل
خذا بعِناني دونها إنه إذا ... جرى بي طغى في جَرْيه غيرَ ناكِل
أُلاطفُه حتى إذا ما علوتُه ... حديدا لا يهون لكاسل
إذا زجر الفرسانُ حولي جيادَهم ... تلافيتُ منه صَهْوةً دون كاحِل
على قصَبات السَّبْق منّي تحيّة ... تردّدُها ريحُ الصَّبا في الخمائل
ويشدو على قُضبانها الوُرْقُ ساجِعًا ... بألحانه في أخضر من غلائل
يفضُّ ختامَ المسْكِ فيها وينثني ... يعاقر من يهوى بخمرة بابل

ما أروعَ هذه المساجلات الشعرية، وما أبلغها في سياقها البلاغي المُحْكَم، في زمن كانت الحركة الأدبيّة في سمائل في أزهر عهودها، وأجمل عصورها، تجمع أدباءَها مجالسُ راقية، تُنشَد فيها الأشعار، بأرَقّ الألحان وأعْذب الأصوات، لا سيّما والأديب علي بن منصور الشامسي هو بلبلها الغِرّيد، وأنيس مجالسها بأعذب وأحلى الأناشيد.

* * *

القصيدة السادسة

للشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي قالها أيام شبابه:

«وادي سمائل»:

حيّ وادي سمايلٍ خيرَ وادي حُبُّه لم يزل حليفَ فؤادي
حيّ فيه المياه تجري كمِثْل الخُلْد تحت القصور بين النوادي
حيّ فيه المرابعَ الخُضْرَ ذاتَ النخلِ في كلّها جمالُ البلاد
حيّ تلك الربوعَ والأهلَ والأوطان فيه تحيّةَ الأمجاد
حيّ فيه الكرامَ من كلّ شَهْمٍ عبْقريٍّ على ظهور الجِياد
حيّ فيه مكارم العُرْب مَن عا شوا على ضِفّتيْه مِن عَهْد عاد
حيّ فيه رجال عِلْمٍ وحِلْمٍ بهمُ قد تَزين فيه النوادي
حيّ فيه ليوث غابٍ سَراةً سادةً تشمئزُّ منها الأعادي
حيّ فيه معالم الجُود واذكرْ سلَفًا قد مضَوْا دُعاةَ الرشاد
حيّ فيه ربوع فضْل وسَلْها عن رجال معروفة بالجِلاد
حيث فيحا سمائلٍ قد تعالت في سماء الجلال أعلى بلاد
حيث دهماؤها تلوح على الأفْق رياضًا تفوق جنّة عاد
إن تلك الرياض تحكي جِنانًا قد تدانى قطوفُها للأيادي
ثم سِرْ آخِذًا على الشرق منها بين تلك الغياض سَرِّ فؤادي
سِرْ رُوَيْدًا ترَ السرور تجلّى في (سُرور) به عُلاها ينادي
إنها ندوة العباهل قِدْمًا قلبُ وادي سمائلٍ خيرِ وادِ

وعلى الشرق والشمال قليلا ... سِرْ رويْدًا وللمكارم نادِ
وإذا (بُدْبُدٌ) بدَت لك تهتزُّ ... جمالًا على وَطِيئ المِهاد
حيّ (نَفْعَا) وأهلَها من صميم ... القلب طبْعًا تحيّةً عن وِداد
فهمُ القوم إن دهتك الليالي ... بهمُ يلتجي رهيبُ الطِّراد
تلف قوما أعزّةً لا تبالي ... رائحًا حُمَّ وقْعُه أو بغادي
حيِّ جهْرًا ربوعَ (فَنْجا) وسَلْها ... عن رجال تعيش غَرْبَ (السَّعادي)
إنها والحِمى منيعٌ لديْها ... أُسُدٌ في الوَغا طوالُ الصِّعاد
وإلى (الخُوض) خُضْ فيوضَ الأماني ... تتجلَّى عليك ذاتُ العماد
من هَناة أكارم قد تربَّوْا ... بين سُمْر القَنا وبَسْط الأيادي
هاكَ وادي سمائل من مُحِبٍّ ... إذ يحيّيكَ من صميم الفؤاد

ذكر شيخنا العلّامة سالم بن حمود هنا وادي سمائل كلّه من أوّله إلى الخوض، مرورا بسُرور، ثم بُدْبُد، ونَفعا، وفنجا إلى الخوض، وليتَه أكمل قصيدته بِمَصَبِّ الوادي في السيب، وهي قصيدة رائعة في مبناها ومعناها، تتغنّى بالمعاهد والآثار، وتشيد بالمعالم والديار، وتهتف بالفضل والجود وكريم الأخبار.

وللشيخ قصيدة رائعة أيضا قالها في السيب، وذكر أوديتها ورياضها الغنّاء، وأنها مصطاف العاصمة، تخيّرها ذوو السيادة والغِنى، فكانت مربعَهم الأنيق، ومصطافَهم الجميل، ومَخْرَفَهم الزَّاهي.

* * *

القصيدة السابعة

وله هذه القصيدة بعنوان:

(الثناء الطائل للبلد سمائل):

أهاجَكَ برقٌ لاح أعلى سمائل ... فبتَّ له في لوعة وبلابل
أم الوُرْقُ إذ غنَّى على الأيْك صادِحًا ... أم الماءُ إذ يجري بتلك الجداول
أم الروض والأشجار باسِمةٌ به ... أم الدار أمْ مِن حسنها المتكامل
ألا إنها دار يعزّ فراقُها ... على النفس إلا في طِلاب الفضائل
لقد سلفت فيها ليالٍ كريمةٌ ... بها فُتَحَتْ خوبارُ حَرّاصِ وائل
مساعيرها الأبطال مفتاح بابها ... أواخرهم موصولة بأوائل
وهل آلُ فضل[1] فاض فيها فخارُهم ... وطار لهم صِيتٌ سرى في القبائل
وهل للجبور الأكرمين مناصِبٌ ... بها قد أحيطت بالقنا والصواهل
إذا لُذْتَ بالجبريّ لُذْتَ بسيِّدٍ ... يحدّثك التاريخ عنه بهائل
وهل نصبت نبهان طيّ (بِدَنّها) ... مراتب حمْد أكرمت كلّ نازل
وهل (غُبرةٌ) يوما أجابت منادِيًا ... لعزم فحازت من كريم الفضائل
همُ القوم إن عُدُّوا حواشي عَشيرة ... فأهْلاً بقوم من رجال مقاول
وهل للمزاريع الليوث تقدَّمت ... مآثر عِزٍّ شادَها سعْيُ فاضل
هو (الحاجر) المعمور قِدْمًا ولم يزل ... وقد ولّت الأيام فاسْعَدْ بكامل
وكم للعُبوديّين في دوحة (الصَّفا) ... ولليَشْجُبِيّينَ الكرامِ العباهل
وهل هبّ (بالمهبوب) ذَبيانُ للعُلا ... ولله من قوم سَراة فطاحل

(١) هم المجالبة، والواحد مجلبي، وكانوا أهل صيت وغِنى في الخوبار.

وهل (غِيلة الدَّكِّ) استطالت لمفخر ... فأضحى لها شأن بذا غير زائل
مسيَّبُها المعروف فيها وحَسْبُها ... عُلاً لم يزل يمتدّ من عهد وائل
وهل لخروص من فخار فإنهم ... همُ القوم كانوا عُدّةً للنوازل
بهم يهتدي الحيران إن ضلّ أو دجى ... به الليل في قفر من الأرض قاحل
وهل للحضرميّين شأن (بكَفْرة) ... همُ القوم من عبس رواة المناصل
وهل نال (سِيبُ الظَّفْر) شأنا ومفخرا ... بمَن حلّ فيه من كريم وفاضل
وهل مربع (البستان) قد نال بهجة ... كما كان من دَفَّاعه بالجمائل
وهل في مركز (الخلُّوت) مرّت بعصره ... (كمُرّيِّة) أيامُ صدْقٍ لقائل
هل (الدابَّةُ) الدَّهْيا وحسبي فإنها ... خلَتْ من أهاليها صدور المحافل
كأنّ (سِتالًا) والجلالُ يحفُّه ... بقدموس مجد مركز بسمائل
يشاكِهُ أبراج (الخوابير) في العلى ... ويفصح عن جبريَّه بفعائل
ولله صِيتٌ للعِلاية في الورى ... بمجد الخليليّ الإمام الحلاحل
وقد فاقت (التوفيق) فيما تجدّدت ... به من بني عبس سَراة الكوامل
وكم لك من (سُبحيّة) الجدّ مركز ... يشار إليه في العُلى بالأنامل
وهل لك من قصر البرونيِّ منظرٌ ... يحدّث عن بانيه ليث الجحافل
وهل لك من بكر فللّه دَرُّهم ... إذا انتسبوا من عِيص بكر بن وائل
وقد دلّت الآثار عنهم بأنعُمٍ ... ليوث إذا قامت قناة المطاول
وهل نصبت أولاد سَعْد منابراً ... تُجاري الثريّا في العلى بالفضائل
لهم شرف من مازن متسلسِل ... إلى اليوم جارٍ في عروق عباهل
وهل حلّ (بالجَمَّار) كلُّ سميدَع ... همام تحاماه أسود الغياطل
والله (قرواشيّة) عربيّة ... تَهادى إليها نازل بعد راحل
وكم لك من فخر بنته شوامس ... كرام تراهم حجّة المتطاول

وكم لهَناة (بالقُرَيْن) وصنوِه ... معاليَ قد شِيدت على زجّ ذابل
إذا استصرخوا للمجد والنفع طائر ... ترامَوْا بعَزْمات دَهَتْ كلَّ عامل
وحدّث عن الشهبا بمجد وسؤدد ... وعزّ رفيع من تراث المقاول
ولا غرو إن كان الخليليُّ ربَّها ... وعبهلَها السَّامي وبدْرَ الأفاضل
وكيف وبين العين والأنف مركز ... يطلّ على أنجادها والسواحل
بهيج إذا هاجت وَغًى في ربوعه ... أو اتّقدت نيرانها بالقنابل
حظوظ أحاطت آلَ عبس ببحرها ... فمن نازل يوماً عليه وراحل
ومن قام فيها بين صرح ومنبر ... ومن وازع للوافدين وحامل
سمائل فاقت غيرها بفضائل ... موزّعة ما بين عالٍ وسافل
أحيطت بسور من جبال منيعة ... وشُقَّت بنهر ما له رسْمُ ساحل
وحلّ محلّ القلب للعدل حصنُها ... فكان لها بالرغم خيرَ المعاقل
لقد عاد للحصن الرفيع عمادُه ... علاه فأضحى ملجأ للأرامل
ترامى بها عَبس وذَبيان في الوغى ... فكانت بها صَفَّيْن عند التناضل
عليها إمام المسلمين محمد ... يحرّم مغزاها بأكرم عادل
أديم وعون الله لا زال ناصرا ... إمامته العظمى ردى كلّ جاهل
وصلّى إلهي ثم سلّم دائما ... على المصطفى ما انهلّ تَسْكابُ وابل
وعمّ جميع الصحب ما قال قائل ... أهاجك برق لاح أعلى سمائل[1]

* * *

(١) الخصيبي، الشقائق ٩١/٣.
الخصيبي، البلبل الصدّاح ١٤٣.

القصيدة الثامنة

للشيخ الفقيه الأديب محمد بن راشد الخصيبي قصيدة في سمائل سمّاها:

التذكار الوطني

بَـــرْقٌ ســـرى متـــألّـقًـا فشَجاني ... إذ لاح لـــي بمعاهـــد الأوطـــان
فـانـهـلّ عـــارضُـــه مُـلِـثًّـا هـاطـلًا ... وانهـــلّ عـــارضُ دمعـــيَ الهتّـــان
فلئن ســـقى تلك المعاهـــدَ والرُّبى ... فلقـــد ســـقى دمعـــي فَضـــا أعطاني
وإذا بـــدا لـــمَـــعَـــانُـــه مـــتـــوقِّـــدًا ... فـــي ناظـــريَّ توقّـــدت أشـــجاني
يا بـــرْق قـــد حرّكـــت منّي ســـاكنا ... حتـــى بـــدا مـــا كان فـــي الكتمان
ذكّرتنـــي يـــا بـــرْقُ رَبْعًـــا قـــد نأت ... بهـــمُ الدّيـــارُ وعهْـــدَ أُنْـــسٍ هانـــي
كنـــت الضنينَ بما بقلبـــي من جوى ... حتـــى لمعـــتَ فمـــا ملكـــتُ عِناني
كنت الشـــحيحَ بدمع عيني أن يُرى ... فجـــرى علـــى الخدّيْن أحمـــرَ قاني
يا بـــرقُ حـــيَّ بـــكلّ منهـــلّ الحَيا ... وادي ســـمائل فهـــو عيـــنُ عمـــان
واسْـــقِ الرُّبوع بمـــاء مُزْنـــك ممْطِرًا ... تلـــك المنـــازل واسْـــقِ كلَّ مـــكان
وأفِـــضْ عليها مـــن شـــآبيب الندى ... حتـــى تســـيلَ مســـايلُ الغُـــدران
وتفيـــض بالمـــاء النميـــر جـــداول ... تجـــري خـــلال حدائـــق وجِنـــان
فكأنهـــا بـــرَدَى يعانـــق روضَـــه ... أو نِيـــل مصـــرَ يثُـــجُّ فـــي الغيطان
وكأنّمـــا تلـــك الريـــاضُ زَبرْجَـــدٌ ... قـــد نمنمتـــه شـــقائق النعمـــان
وكأنّ هينمـــــةَ النســـــيم خلالها ... وَتَـــــرٌ يرقّـــــق نغْمَـــــةَ الألحان
لله مـــن إخـــوان صِـــدْق كُمَّـــلٍ ... فارقتُهـــم مـــن تلكـــمُ الأوطـــان
وأفاضـــل نُجُـــب وأشـــياخ أولـــي ... أدَب وأعـــــوان ومـــــن أعيـــــان
بســـمائل الفيحـــاء قـــد فارقتهـــم ... والقلـــب فـــي هـــمّ وفـــي أحـــزان
هي منيتـــي أبـــدًا ومســـرح فكرتي ... هـــي بهجتـــي هـــي روح إطمئناني

هـي مربع الأنـس الجميـل ومنبع ... الفضـل الجزيـل وسـلوة الأحزان
كـم مجلـس بالعلـم زان وبالهدى ... فيهـا ونـادٍ بالنـدى مـزدان
كـم من جهابـذة بها رسـخت لهم ... فـي الحِلْـم أقـدام علـى العرفان
كأبـي عُبيْـد ذي المحامـد والعلى ... وفتـى جميّـل العليـم الثانـي
بحـران فـي علْـم وإصليتـان في ... حكْـم وأمّـا فـي الدُّجـى قمَران
طـاب المقـام لنـا بنَغْـزا يـا لها ... مـن روضـة أُنُـفٍ ومـن بسـتان
زهـرت زمانـا بالمعـارف والهدى ... ومحاسـن الأخـلاق والأديـان
ولكـم لنـا بالجعفريّـة جلسـة ... قـد أبهجـت بالعلـم كلّ جَنـان
درْسًـا وبحثًـا تـارة وقراءة ... وكتابـة حِينًـا مـن الأحيان
يلقـي الـدروس أبـو عُبيْـد بيننا ... بوجيـز ألفـاظ وحُسْـن معانـي
مـن علـم نحـو أو أصـول ديانة ... وأصـول فقْـه بـل وعلْـم بيـان
وإذا أتتـه مسـائل منظومـة ... أملـى جوابـا مثـل عِقْـد جُمـان
وتراه فـي كشْـف النـوازل فيصلا ... يحتـزّ معظمَهـا بـدون توانـي
واليوسـفيُّ فلسـت أنسـى ذكـره ... فـي النحو أضحـى سـيبويه الثاني
قـد لازم التدريـس فيـه جاهـدًا ... ولـه عـلا صيـت بـكل مـكان
غذّى الشـباب مـن العلـوم مَبَاديا ... نحْـوا وتوحيـدا وعلْـم لسـان
وجلا قوافي الشـعر تبهـر ذا النُّهى ... تُـزري بسِـمْط الـدُّرّ والمَرجـان
وإذا ذكـرتُ مآثـرًا ومعاهـدا ... بربـوع سَـحْرا ذبت مـن وجداني
فهنـاك أنـوار الإمامـة أشـرقت ... عـن خالـص الإيمـان والإيقـان
بـدر هنـاك بـدا فتـمّ كمالـه ... بحـرٌ طَمـا بالعلـم والعرفـان
سـلطان عـدل بالسـويّة حاكـم ... وإمـام حـقّ سـاطع البرهان
ذاك الإمـام أبـو خليـل نجْـل ... عبـد الله ذو الإفضـال والإحسـان
زهـرت بـه الأيـام واتّضحـت به ... سُـبُل السـلام ونـار قُطْـرُ عمـان

أهٍ مضى لسبيله وكأنّه حيٌّ يذكّرنا عظيمَ الشان
وكأنّه يرثي المواقف بعده ويعضّ من أسَفٍ لكل بَنان
ومجالسٌ شرقيّ سَحْرا شُيِّدت لَجَدِيرةٌ بالذكر والتبيان
قد زانها بجماله وكماله من سَعْد طيّ ذو ندى هتّان
تُتلَى بها الأسفار من أدَب ومن شعْر تكاد تغَصّ بالأعيان
فهو الأديب هو الظريف تضلّعت أخلاقه بمحاسن العرفان
لله دَرُّكَ يا سلالةَ ناصرٍ خلفان ذا المعروف والإحسان
ويطيب ذكْرُ دَغالَ مَعْ سُبْحيّة لمسامعي ويلذُّ في أذهاني
فهناك مفضال أديب كامل ورئيس قوم بل رئيس بيان
أعني سليل عليٍّ المقدام عبد الله أكرمْ بالعَليِّ الشان
نجل الأئمّة مِن خليل مَن غدا تكبو له الشعراء في الميدان
أبدى لنا سِرَّ البلاغة مُعلِنًا سِحْر البيان بشعره الرنّان
وأشعّ أنوارَ السلوك بنظمْه لله من وحي له نوراني
كم ضمَّنا للأنس مجلس قصره فاهتزَّ من طرَب كغُصْن البان
وأفاح طِيبَ الاجتماع وشنَّفَ الأسماع من نَغَمٍ ومن ألحان
وبذكْر ذاك المعهد الأسنى من المحشورة الغنّا يطيب بياني
فلقد عهدنا خيرَ شأنٍ للهدى بربوعها أعظم به من شان
وخلائقًا تُهدي الخلائق هَدْيَها ونصائحًا تَرمي لكل أمان
مَن مثْل نبهان ابن سيف في الورى خلَفًا لنا آهٍ على نبهان
لكنّ موسى سلوة وبقيّة في ذا المكان ويا لطيب مكان
ولكم لنا جَلَسات عِلْم أشرقت بمقام شيخ العلم والعرفان
أعني به خلفان نجل جميّل ذاك الرضيّ أخا العلا والشان
أكرم بذيّاك المقام تزاهرت فيه العلوم وأينعت للجاني

أحيا الليالي في اقتناء العلم عن ... جِدّ وكَدّ فانثني متفاني
قد قلّد الآثار لمّا أن رقى ... للاجتهاد قلائد العِقْيان
يا غِيلةَ الدَّكّ افخري وتقدّمي ... شرَفا بهذا العالم الربّاني
وكذا الخميريّاتُ بالتدريس قد ... زهرت زمانا فاق كلَّ زمان
أحيا بمسجدها رسوم النحو عن ... همم سمَت عيسى سلالةُ ثاني
هو قارئ هو مقرىء هو كاتب ... هو شاعر هو ما له من ثان
وإذا ثنى عَزْمَ امريء خَطْبٌ دها ... أمضى العزوم ومالَه من ثان
وتذكُّري في (عين ناقِدَ) مجلسًا ... من ضفّة الوادي على البستان
يذكي بقلبي حسْرةً وتلهُّفًا ... ممّا عهدت به من الأعيان
عكفتْ من الآداب فيه محاسن ... وأغدودقت فيه يد الإحسان
كرُمَتْ به شِيَمٌ لابن مسلّم ... أعني سعيدا واسع الميدان
نفحت به روح البيان فمذ نشا ... نفحت بأطيب لهجة ولسان
ومآثر الآباء من مُزِّيّة ... أو سِيبِ ظِفْرٍ ليس في النسيان
كم طارحتني الأنْسُ في ترعَاتها ... من فتية بيضِ الوجوه حِسان
ولكم تنازعنا كئوس البِشْر عن ... أدَب وحُسْن شمائل وبيان
تيهي سمائل وافخري فلأنتِ في ... عزّ وفي شرَف بكلّ زمان
تيهي سمائل وأمْرحي طرَبًا بما ... أوتيتِ من فضل ومن رجحان
يا نازحا عنها يحنّ تشوّقًا ... وهو الخبير بما لها من شان
رتّلْ على سمْعي سطور عهودها ... لحياتها في سالف الأزمان
واسجعْ بأسماء الرُّبوع ونادِها ... بصفاتها فلقد صَغَتْ آذاني
أوَ ما هيَ الوطن العزيز وحُبُّه ... حقٌّ عليَّ يُعَدُّ من إيماني
منّي التحيّةُ والسَّلامُ عليه ما ... بَرْقُ سرى متألِّقًا فشجاني[1]

(١) الخصيبي، الشقائق ٨٥/٣.

القصيدة التاسعة

للشيخ أبي سرور قصيدة جميلة يحنّ فيها إلى بلده سمائل، قالها وهو في دمشق، في ١٣٨٣هـ/١٩٦٠م

(روضة الألباب)

هل في دمشق وهل لي في مَغانِيها ... أنشودَةً كُنتُ أخفيها فأبديها
هل في بلابل أغصان بغُنّتها ... يميس مُطْرِبُها طَوْعاً وقاسيها
أم فيكَ يا برَدَى أنشودتي وجدت ... وَالْمَاء يَبْعَث للضمآن ترَفيها
أم في رياض رَبَت هلهلتَ عسجدها ... زبَرْجَدًا وَفُنُوناً لَست أحصيها
أَمَا لِمُشكلَتي حَلٌّ أفوز به ... كيف القضايا إذا ما عَزّ قاضيها
وَالْحُرّ إنْ نَزحَت عَنه مطالِبُه ... يستعذب المُرَّ صبراً أو يُوافيها
لو جُدتّ لي بيَدَيْها وهي لي عَرَض ... قدّمت نفسي قُرَباناً لأيديها
إن الزمان أبى لو طال طائله ... بأن يَدُومَ على حال يُحلّيها
فإن عدمنا من الأيام نُصْرَتَها ... غدًا سينصرُني يا دهر باريها
فَما بَقي ليَ إلا أَنْ أَعودَ إلى ... قواعدي لو تَجَرّعتُ الأسى فيها
ولا جناح إذا لبّيتَ لي ولهاً ... إلى سمائل لم يَبرح يُناجيها
ياطيفُ حيّ من الفيحا أعاليها ... حيّ الرياض وَحَيِّ لِي فَواغيها
حيِّ المساجد حيِّ القائمين بها ... رهبان ليل أسوداً في دواهيها
الرافعين بنود المجد عالية ... والخافضين من الأعدا أعاليها
والحاكمينَ بما جاء الكتاب به ... وسنّة وبإجماع يُوَالِيها
وَالْفَاتحين نوادي الجُودِ مُكرمة ... لا يَبخلون بما أُوتُوا لعافيها
هذي سمائل والآثار شاهدة ... والحال أصدق من حِبٍّ يُفدّيها
تاهت عمان بها فخْراً ولا عجب ... فإنّها القطب وَالباقي دراريها
أكرم برائدها السَّعْديّ مازنها ... زاكي الأرومة من أعلى يَمَانِيها

أوْدى بهَـام دُقَيْـنٍ من علـى جبَل ... قضى على شِـرْك قاصيهـا ودانيها
مُضى مُشـيحاً على حَرْف تجوب به ... شتّى الفدافد لا يخشـى ضواريها
تُخلّـف الرّيحَ حَسْـرى أن تُلاحقَها ... وتسـبق البرق فـي أدنـى مجاريها
حتى أتى حضـرة المختـار قال له ... اللهُ رَبّـي وحسـبي أنـت هاديهـا
آمنـتُ بـالله ربًّـا والهـدى أَبَـدًا ... دِينًـا وَأَنْـت نَبـيٌّ مصطفـى فيها
بدَت علـى وجه خير الخلـق غايَتُه ... مـن السـرور وقـد أثنـى لطائيها
وَقَـد ألثّـت عَلَـى الْفَيحـاء غاديةٌ ... من فيض دعوة خير الخلق تَسـقيها
فعـمّ كلَّ عمـان مُـزْنُ مازنهـا ... بدعـوة المصطفـى غَيْثـاً يُروّيهـا
روحُ المعالـي وعين الدهر شـاهدة ... سـمائلٌ وَالهدى مـن نَبْـع واديها
تدفَّـق العلـم عـن أبنـاء بَجْدتها ... تدَفُّـقَ الجـود بحْـراً مـن أياديها
حصْن الهدى وعرين الأسـد إن زأرت ... ماخاف مَـن لاذ يَوْمَاً نَحـوَ واديها
كَمْ حَارَب الدهر أقيـالاً وقد لجأوا ... إلـى حِماهـا فَعـزّوا في كراسـيها
عنايـة اللهِ لَـمْ تَبْـرَحْ تُحافظهـا ... وهـدْي طـه مـن البـاري يُرَوّيها
سـمائلٌ هـي جنّـات وليـس بها ... عيْبٌ سـوى كـرَمِ المولـى يُنَمِّيها
يُضاحِـكُ الأنـسُ فيهـا كلّ فاغية ... تُوحي إلى الـروح ألطافاً فَتَسـبيها
والطيرُ تَشـدُو على أغصانها سحَراً ... تُمِيس بالكون نشـوى مـن أغانيها
لـم ينزحنْ عَـن رُباها نـازح فيرى ... عنهـا بَديـلاً تُلبّيـه أمانيهـا
فيـا أَزاهيـرُ بالبسـتان ناعسـة ... منـكِ الأمانـي لأحبـاب أناجيهـا
إنّـي أوجّـه طيْفاً مـن هـوايَ لها ... يـدري لُبانـات أشـواقي ليوحيها
ياطيفُ لطْفاً على اسـم الله سِرْ سحَراً ... لِنحـو طيبـة واسـتأذن فواغيهـا
وأْتِ التي مَلَكت قَلبـي وَمَا تَرَكَت ... مني بحكـم الرّضى لِلغيْـر توجيها
صـادت فؤاديَ أشـراك الغـرام لها ... فمـا لقلبـي هـوى إلا مراضيهـا
والله مـا كُنـت أدري أنّ مجمعَنـا ... تقضـي عليـه بتفريـق عواديهـا
خالـت تآلفَنا فَاسـتنكفَت حَسَـداً ... وَأَيْقَنَـت لَـمْ تَنَـل مِنّـا أمانيهـا

ويْـلٌ لهـا لـو يُنائـي بَيْنَنـا زمَن ... فـإن أرواحنـا والله تعصيهـا
أتحسـبونيَ أنّـي مـا بكيـت دَمَاً ... سَـلوا العَقيـقَ كفى بالعـدل تنزيها
ليـس العقيقُ وقـد سـالت أباطِحُه ... إلا جفـونَ مَشـوقٍ سـال قانيهـا
نحـن الذين تساقَـيْنا الغـرامَ على ... وادي الهدايـة ياطوبـى لواديهـا
وقـد غرسـنا عَلَيْـه كُلَّ زاكيـة ... فأثْمَرَتَنـا بفضـل الله زاكيهـا
وطفلـة برخيـم الصـوت تُطربنـا ... فُكاهـةً برقيـق الشـعر يَشـجيها
وَتَسـتميل فـؤادي وهـي فـي وَلَه ... إلـى ريـاض عُلُـوم فـاز راويهـا
تأتـي الربيـع أحاديثـا يُقدّمهـا ... لنـا الرّبيـعُ بإسـناد لهاديهـا
ريـاض علْـم رسـولُ الله صاحبُـه ... والله حارسُـها وَالوَحْـي سـاقيها
يا أسـرة العلـم والعليا إلـى مَ أنا ... علـى دمشـق نَـزوحٌ فـي روابيها
مفـرِّق بين جسـمي والهـوى زمن ... رَفّـاع خفْـض وَخفّـاض لعالِيهـا
جسـمي بروض عفيـف دُونَ عافية ... والـروح عندكـم ثكلـى أداجيهـا
فليبلنـا الدَّهـرُ يُبصِرْنـا غطارفـة ... تقضي علـى رَغْمه عَـدْلاً قواضيها
وليعلـم العُسْـر لَـمْ تُفلـح كتائبُه ... أمـام يُسْـرَيْن قـال الله باريهـا
وإننـا سـندير الأنْـس فـي جذَل ... بـإذن رَبّيَ فـي روض الصفـا فيها
غداً يُشـيدُ عُروش العلـم في وطن ... لله قـد بـاعَ فَانِيهـا بباقيهـا
بَنِـي سـمائل أهـل العلـم حبُّكمُ ... مازلت فيـه وربّ العرش مَشـدُوها
مـن كان في العلم ذا حـبّ وذا وَلَه ... فهو السـعيدُ قضـى أو نـال ترفِيها
وَالله يَرْحَـمُ كُلّاً فـي محبّتهـا ... صبّـاً وَيَجمَعُنـا فـي رَيـف واديها
نُديـرُ فـي ظلّـه أكوابَنـا نهَـلًا ... عِلْمـاً وأُنْسـاً وآدابـاً وتوجيهـا
يفوح من فَمنا أثنَا الشـراب شَـذَى ... مِسْـك الختام صلاة المصطفى فيها
والآل والصحـب ماغنَّـت مُطوّقـة ... في نخْل طيبَـةَ تسـتوحي أمانيها[1]

(١) ديوان أبي سرور ٣٠٣/١ ـ ٣٠٩.

القصيدة العاشرة

وله القصيدة الطويلة المشهورة في سمائل وأعلامها بعنوان:

(هذه هي سمائل):

ويظهر أنها كانت جوابا للأديب حبراس بن شبيط الشَّعْمَلي، على قصيدة له وجّهها لأبي سرور، حينما كان قاضيا بإبْراء، وكان الجواب ملحمة تأريخية، انطلق منها الشاعر إلى ذِكْر جمْع كبير من أعلام سمائل، وخلّدت تأريخَهم في هذه السطور الأدبية السمائلية، ولا يمكن لكتابنا هذا أن يغفل هذه الملحمة الفريدة، فيتزيّن بها حِلْيةً مُرَصَّعةً، تُشرِق منها لئآلئُ الأعلام، وتلمع منها بوارق الأمكنة، مخلِّدةً مَجْدَ الليالي والأيام، وأبو سرور شاعر كبير، كثير الإنتاج الشعري، عُرِفَ عنه ناظمًا في سيارته ونخلته، وكاتبا في كفّه وساعده، لا ينتظر حضور الأوراق، وإنّما يتدفّق كتَدَفُّق وادي سمائل، المعروف بالخَصْب وغزارة المياه، والحمد لله.

باقٍ على الوُدِّ يا حِبْراسُ باقينا ... فابْعث بشوْقك تستهوِ المشوقينا

باقٍ على الودِّ ما غنّت مُطوَّقة ... تشدو الوفاء على أيْك الوفيّينا

يا شاكيَ الشوق والأشواقُ مؤلِمةٌ ... إن تشْكُ شوقاً شكونا نحن سبعينا

شوقا تَحَمّلت لا يستطيع يحمله ... رِضْوى وَلا خلْتُ سَيْنَا أو فلسطينا

لكنّما الصبرُ درْعٌ كُنتُ حاملَها ... وَلَمْ أَزل حاملاً دِرْعَ المُوَفّينا

غنّت عَلى أَيْك إبرا منك صادحة ... فَأَرسلَت شجْوها بَيْنَ الشجيّينا

وَخَلّفَتْنا وإبرا[1] وَالعُلا معَنا ... أسْرى يَدَيْها لَهَا انقادت قوافينا

يا حاديَ المجد والتاريخ من بَلَد ... إليه تَنْتَسِبُ العلياء تدوينا

هيّجتَ قيْسًا على ليلى فكيف ترى ... عواقب الذكريات للذكيّينا

(١) إحدى ولايات المنطقة الشرقية، وهي حاضرة من حواضرها.

قيس أنا ذاك لَيْلاهُ ومُغْرَمُه ... سمائل هل تُراني ثَمّ مغبونا
لله من بَلَد سادت عمانَ بما ... أتى به مازِنٌ من دين هادينا
لله مازن لولا أنت ماعَرَفتْ ... عمانُ عَن رَبّها دنيا ولا دِينا
قصدتَ أحمَدَ مُختار الإله ضُحى ... وَلَمْ تخف مِن بَنِي الدنيا فراعينا
هذي سمائل بالأمجاد زاهية ... كالشمس رَادَ الضحى تلكُمْ مَعالينا
ما ذي القِلاعُ التّي قامت دعائمُها ... على السِّماكيْن إلا فخرُ ماضينا
أضحت على الدهر تاريخاً نقدِّسُه ... مجْداً على الحق نرويه وَيَرْوينا
شِدْنا قلاعَكِ لا من عَزْم واهية ... لكن بَنيْنا على هامات عاصينا
فهل تفاخرُنا مِصرٌ إذا ذُكِرتْ ... أهرامُها وَذَكَرنا بُرْجَ طَسِّينا[1]
قلاعنا بُنِيَتْ للمجد عاليةً ... للدين ناصرة للهِّ تَحدُونا
دِينتْ مفاخر أجيال سمَت وَعَلَت ... لكنّ فَخْرَكِ عَنْ عَلْياهُ مادِينا
تلك المساجد بالفيحاء مدرسة ... للحرب قاعدة مَأوَى المُصلّينا
قوم همُ عَرفوا المولى وشِرْعتَه ... مازايلوا النِّحْلةَ السَّمْحا مَيامِينا
تراهمُ يذرفون الدمع إن سجدوا ... فيها وَإن بَرَزوا يُلْفَوْا سلاطينا
وإن تُسائلْ صروف الدهر إن رَكِبُوا ... لم تُلْفِ إلّا مَطاعِيمًا مَطاعينا
كأنّ عزريل في أيدي سيوفهمُ ... سيوفُنا هي عزريل العَصِيِّينا
لو حاول الدهر يدنو من كرامتهم ... لاندكّ من أصلِهِ وانخرَّ موهونا
سمائل تُنبت الأعلام ما برحت ... مَيْمُونَةً تُنجِب الأبْنا مَيامينا
حبراسُ لو نذكُرُ الماضي وَأُمَّتَه ... شِدْنا على هامة الجوزا أساطينا
مَن لِي بمِثل الأُلى فازُوا بما عَمِلُوا ... ساروا على ملّةِ الرّحمن داعِينا
فَهُمْ لَنا قادة أعلام كلِّ عُلا ... نبني وما برِحوا للمجد موحينا
ذكراهمُ بَيْنَنا فَخرٌ وَمَحمَدةٌ ... وشكرُ بِرّ وَتاريخٌ يُنمِّينا

(١) مدخل من مداخل سمائل.

(أولاد سَعْد)

فأيــن أولادُ سَــعْدٍ فــي ســمائلِهم ... أولاد مازنِهــا كانُــوا ســلاطينا
أرســى لَهُمْ مازنٌ في المجد طوْد عُلاً ... مــازال يشــمَخ بالعليــاء مَيْمُونــا
محمــد[١] إبن ســيف ذا زعيــمُ إبا ... زعيـــم جـــود وآداب تُحَيّينـــا
وكان نابغــة فــي الشــعر طــال ثنا ... إن شئت جيشــا وإن شئت الرياحينا
باهــت ســمائل فيــه كلّ مفخــرة ... وَبوشــر[٢] حيّــتِ الجوزا بــه حِينا
خالُ الإمــام الخلِيليّ الرّضــى عَلَمٌ ... ذا حاتِــمُ العصر مــن ذا بَعْــدُ يَأتينا
هــذا أبــو الأدبــا فــي كُلّ ماجدة ... خلفــان[٣] خلّفتَ تاريــخ العلى فينا
لوسَعْدُ ما أنجبوا أُسْــداً وَبَحرَ نَدى ... إلّاك قلنــا كفــى هــذا لِمَاضينــا
كُنَّــا لَدَيْــهِ وَإخوانًــا مــن الأدبــا ... والشــعرُ فينــا يُغنّينــا أمانينــا
والجــوّ ينســاب منــه بَيْنَنــا كرَمًا ... وقولــه عنــد هــذا شــادَ تَلحِينــا
لو صالِحاً كان لحْمــي ما بخلتُ به ... ولــو بــه جُــدْتُ لَــمْ أَدْنُ المُوفِّينا
ســليلَ مازنِنا الســعديّ مــا نطقت ... لُسْــنٌ عليــك بتقصيــر يُؤاذينــا
أنــت الكريم وكلُّ النــاس تعرف ذا ... مازلت فينــا وإن أصبحــت مَدفونا
محمــد[٤] يــا بنــي خلفــان كُلُّكمُ ... أولاد سَــعْدٍ بــذي العليــاء حَيُّونــا
لَمْ يَكْبُ فــرْعٌ له أصل عَلا وسَــما ... وَأَنْتُــمُ بالعُلــى مِــن ذا جَديرونــا

❊ ❊ ❊

(١) الشيخ الأديب الكريم محمد بن سيف بن سليمان السعدي.
(٢) إحدى ولايات العاصمة، ولكن المقصود بها قرية بوشر.
(٣) الشيخ الكريم حاتم زمانه خلفان بن ناصر بن عبد الله السعدي.
(٤) الشيخ محمد بن خلفان بن ناصر السعدي.

(البَكريّون علماء وأدباء)

وَأيــن وائــل فــي بَكْــر ونجدتــه ... ســل عنه كســرى مَتى ما رامَ يُؤذينا
عبد الإله[١] فَتَى ســيف فلا خجِلت ... بَكْريّــة فَهــوَ بَــدْر يَأنــف الهُونــا
تلفــي بــه الجــود والآداب وارفــة ... وصولــة العــزّ إن تَبْــغ العزيزينــا
وَأَيــن نَبَهــانُ[٢] بَكــر عالــمٌ ورعٌ ... قاضٍ يُريــك الهدى حُكْمــاً براهينا
إذا بَكتُــه الســما والأرض ذاك لــه ... فضــلاً مِــنَ الله يُوليــه التقيّينــا
وَأَيْن عيســى[٣] ابن ثاني لا غُبارَ له ... في الفقــه والأدب الســامي عناوينا
تقلّــد الفضــل والتقــوى له شــرَفاً ... ســمير إبــن عُبَيْــد ناصَــرَ الدِّينــا
مضى قتيلاً حوى المودي به ســقَراً ... ونال عيســى الرّضى والخلْد والعِينا
فَقاتِــلٌ مؤمنــاً قــال الإلــه لنــا ... كقاتل النــاس جمْعًــا تَــبَّ مؤذينا
ما مِتَّ عيسى وَمُوســى[٤] بَيْنَنا عَلَمٌ ... بالنَّحو روَّى مــن الفُصحى صوادينا
وأنهــلَ النــاسَ من فقــه ومن أدب ... ريــاض أشــعاره تُــؤوي الملاييــنا
بقيــتَ أســتاذنا موســى تُنِيــرُ لِمَن ... رَامُــوا الســويَّ ســبيلاً أَوْ يوافونــا
وهَــنِّ أحمــدَ[٥] أنّ الشــعر جاء له ... مُلَبّيــا عاشــقا بَيْــنَ الْمُلَبّينا
وَأيَــن خلفــان[٦] ســلطانٍ أُرُومَتُــه ... تُناطــح الغَفْــر مــن بَكْــرِ الأبيّينا
أبــدى التألّق فــي شِــعْر وفي أدب ... فجَــدَّ وُفِّقــتَ ســبّاقا تُحَيّينا
أين الشوامس أهل البــأس إن زأَرَت ... أسْــدُ الحــروب ونادتنــا مواضينــا
فاندبْ على الشامســيّ الدهرَ فَهُوَ قَضى ... وَخَلّــف الــكُلَّ بالأحــزان مَقرونــا

(١) الأديب عبد الله بن سيف البكري.
(٢) الشيخ الفقيه نبهان بن سيف البكري.
(٣) الشيخ الفقيه الأديب الكاتب عيسى بن ثاني بن خلفان البكري.
(٤) الأستاذ الفقيه الأديب الشيخ موسى بن عيسى بن ثاني البكري.
(٥) الأديب أحمد بن موسى بن عيسى البكري.
(٦) الأديب خلفان بن سلطان بن سيف بن سليمان بن زاهر البكري.

قضى عَلِـيٌّ[١] وَلَـمْ يَتْرك لنـا وَلَدًا ... إلا الرّثـاء عَلَيـه لَـمْ يَـزل فينـا
فالشـعرُ يَبكيـك إنشـاءً تُؤلّفـه ... ومنشـداً تسـتبي ألبـاب قاسـينا
قد كان إذ تنشـد الأشـعار في غزَل ... نُلْـفِ الطيـورَ تُغنّـي مـن تَغانينا
وإن قـرأت حماسًـا قُـدْتَ معركةً ... لَن يَنقصنْها سـوى صـاروخ أيدينا
وإن أتيـت التآخـي فـي عواطفـه ... لَمْ تُلـف خصميْن إلا فـي تراضينا
هذي المجالـس بالفيحاء ما برحت ... مآتِمـاً فيـك نبكيهـا وتبكينـا
وإن قـرأت كتـاب الله كاد بـأن ... تُـذَوِّب الصخـرَ أَو نُلفيـه جيحونا
وإن جلسـت لدى الفيحا وقادتها ... فأنـت قائـد أَبطـال كميِّينا
مـاذا أقول ولَو لَـمْ أَمسِـكَنْ قلمي ... لَعَزَّنـي هاهنـا القرطـاس تدوينـا
والصبر من شِـيَمي في النّائبات بذا ... عُرِفْـتُ بين المَـلا وَالْـكُلُّ يَدرُونا
سـقى الإلـه ضريحاً ضمّـه برضى ... فَضْـلاً وَعَانـق بَعْـدُ الخُـرّدَ العِينا
وَيَـا بَنِي رمَضانَ الفضـلُ ما برحَتْ ... فيكُـمْ شـمائلُه تبـدو رياحينـا
هـذا سـلام[٢] بعلْـم الفقه مُشـرقةٌ ... شموسُـه وَحَبيـب للأديبينـا
مَن جالس ابـن عُبيْد لَمْ ينـل أَبَداً ... إلا التُقـى وَالْوَفـا بالعلـم مقرونا
وهو الطبيـب إذا قوم شـكَوْا مَرَضاً ... كَمْ نَـال منه يَـدَ السَّـرَّا مُعَاقونا[٣]
من جاء مجلسَـه ما نـال أيَّ جوى ... وعـاد بالعلـم والإينـاس يَروينـا
يـا صاحبـا لأبـي لله عُمْرُكُمـا ... بالعلـم والبـرّ والتقـوى يُحيّينـا
عسـى الإله بـأن يـأوي بنـا كَرَماً ... جِنانـه يـا إلـه العـرش آمِينـا
ذنوبنا لـو تعالـت كالجبـال لدى ... حِلْـمٍ لديـك فشـيءٌ ليـس يُؤذينا
بنـي هِنـاءةَ هـل أبصـرتَ مثلَهمُ ... أبنـاء مالـك الأزديّ سـامينا

(١) الشيخ الأديب الكاتب علي بن منصور بن ناصر الشامسي.
(٢) الشيخ الفقيه سلام بن حمد بن علي الرمضاني.
(٣) الصحيح: مَعوقونا، لأنها من عاق يعوق.

لو لـم يلـد مالِـكٌ إلا هـمُ لَكَفى ... بأسًـا وَمجـداً وَآدابـا عَلَـت فينا
من لي كإبن خُصَيْـف جمعة[١] جمَعَت ... يـداه تـاجَ المعالـي فـي تجلّينـا
قـاضٍ به العـدل قد طالـت منابره ... أمِثْلُـه قيـل قـاض فـي ليالينـا
قد كادَ يَكفي وَلَوْ تَحتَ اللّحُود غدا ... حتى إلى الحشـر أن يُلفَى بقاضينا
قاضي الإمام فتى قيس وهل وَلَدَت ... أنثـى كعـزّان مـن صِيد سـعيدينا
جزاهمـا الله عَنّـا جِيـرةً سَـعِدَتْ ... بالمصطفـى تلـك فـردوس النّبيّينا
وذا هـو الأدبُ المَحبُوب يُسـعدكُم ... علـى خمائلِـهِ يَسـبي العَفيفينـا
هذا سليمانُ[٢] سيفٍ سـيفُ عاطفَة ... وسـيف مَعركـة تدعـو الكميّينـا
أشـعارُه تُجتنـى من نرجـس ثمِلٍ ... ومن جفـون عيون الـوَرْد يَسـقينا
وانظرَ مَجالِس من صلتِيّة[٣] سعدت ... بالعلـم والعُلمـا بَيْـن الأديبينـا
يا سـالمُ[٤] يا ابنَ عبد الله أين مضت ... تلـك المجالـس مـا بَيـنَ التّقيّينا
قد زرتُ مَسـجدَكم يوما فخِلْتُ به ... سـماءه بالثَّـرا يشـكُو المُصلّينـا
يا إبن مسـعودِنا[٥] لو خِلتَ حَيَّكَ قد ... أثـرتَ قبـرك عِـشْ فيـه تنادينـا
تلـك الرجـال وأعـلام وأنديـة ... مـن البيـان بنَـتْ فينـا ميامينـا
وأيـن مجتمـع الأعـلام والعُلمـا ... على السِّـياب وأسْـدٌ ترفض الدُّونا
محمـد[٦] وسـليمان[٧] أبـوه وذا ... عبـد الإلـه ومَن لـي بعدهـم فينا
هـم البـدور ولـم تأفل ولـو أفلوا ... تحت اللحـود فهـم أحيـا يحيُّونا

(١) الشيخ الفقيه القاضي جمعة بن خصيف الهنائي.
(٢) الشيخ الأديب سليمان بن سيف الهنائي.
(٣) الصلتيّة: محلّة بفلج المحيدث من علاية سمائل.
(٤) هو الفاضل الورع سالم بن عبد الله الهنائي.
(٥) هو الشيخ الورع عبد الله بن مسعود الهنائي.
(٦) هو الشيخ محمد بن سليمان بن حمد الهنائي.
(٧) هو الشيخ الشجاع الأديب سـليمان بن حمد الهنائي مات شـهيدا عند الشيخ صالح بن علي الحارثي بالجيلة.

(أولاد الخليلي)

وانظـر لأعـلام أولاد الخليـل فهم ... مَنْ بَيَّضـوا صفحات الدهـر تدوينا
ما سـجّل الدهرُ عَنْهُمْ غَيْـرَ مَحْمَدة ... قـوم غـدا بهـمُ فـي شـرعنا دينا
لَمْ تُشـكُ مِنْهُمْ حُـدُودُ الله من خَوَر ... سـاروا على الشـرع ما دَانوا قوانينا
قانُونُهـم ذلِـك القُـرآنُ يَصحَبُـه ... هـدْيُ الرسـول وإجمـاعُ التقيّينـا
زعيـمَ دولـة عـزّان وقائدهـا ... سـليل خلفان[1] قدتَ الْعـزّ وَالدّينا
نلتَ الشـهادة وَالْمَيْمُـون إبْنُكَ مَعْ ... عَـزّانَ وَالصالـح المُعْلـي مَعالينـا
رضـوان رَبِّـيَ لَـمْ تبـرَح مخائله ... تَسـقي سـعيداً وَأَصحابـاً وَفيّينـا
وَأَيـن إبنُك[2] ذاك الشـهم خيرُ فَتى ... علّامـة فـاق أعلامًـا مُوفّينـا
لـو لـم تلـد غيـرَه أزديّـةٌ بطَـلاً ... ما كان قحطـانُ بَيْنَ النَّـاس مَغبُونا
علْـمٌ وبـأسٌ وتقوى عندهـا عمل ... أمْـر وَنهْـي فَـذا شـأن المجلّينـا
وانظر إلى نحو عبـد اللهِ[3] تُلفِ به ... شـهامة وبَيَانـاً لَـمْ يُقـل دِينـا
قـد كان نابغـة فـي عصـرهِ فطِنًا ... طالـعْ لأشـعاره تلـفِ البراهينـا
أين الإمام الـذي ما أنجبت بشَـراً ... من بعـده بِنْتُ حَـوّا فـي الوفيّينا
محمد[4] لَـمْ يَكُـن مِن بَعـدهِ أبَداً ... مُحَمّـدٌ غيْـرَ ألفـاظ لِحاكينـا
قـد كان آل خليـل أمّـةً وَسـطاً ... هـم قمّة النّـاس مَرَضيّـون رَاضونا
أولئـك القومُ لا يشـقى الزمان بهم ... إذا اسْـتُقُوا العلم والهيجاء يُسْـقُونا
محـارم اللهِ مـا نِيلـتْ ولا انتُهكَتْ ... في عصرهم بل أذاقُـوا الظالِمَ الهُونا

(١) هو الشيخ العلّامة المحقّق سعيد بن خلفان الخليلي، مات في السجن شهيدا هو وابنه محمد.
(٢) هو الشيخ العلّامة أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي.
(٣) هو الشيخ الأديب الأمير عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي.
(٤) هو الإمام العادل الرضيّ محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي رَحِمَهُ اللهُ.

ولا استَخَفّت بشرع الله فاسقةٌ ... إن خالف الشرع خِبٌّ بات مدفونا
بَنَوْا ممالِكَهُمْ بالعَدلِ وَاتّزنوا ... وقد مضَوْا قادةً للهِّ شارينا
فَما ذَكَرَتُ خرُوصاً في أَئمّتها ... إلا وَبَرّزتُ دُرًّا كَانَ مَكْنونا
كَأَنَّمَا الدهرُ في علْم وفي عمل ... بنوخرُوص وحاز الآخر الدُّونا
لله من سيرة يشفى الزمان بها ... تُتْلَى كَمَا يَشتَفي المرضى بِياسِينا
حيُّوا أَمِيرَ بيان العصر شبْلَهُمُ ... عبدَ الإله[1] لقد شاد الدَّواوينا
لم تشْكُ أقلامُه التقصيرَ منه ولا ... قرطاسه بات يشكُو هَجْرَهُ فينا
لا يستريح إذا لَمْ يَكتبنَّ له ... بَيْتا من الشعر أو يقرا المخازينا
أمراضُه لَمْ تَزل تُرْجوه رَاحتَها ... أجاب راحَتيَ الأشعارُ تُشجينا
عافى الإله أميرَ الضاد مُسْعِدَه ... لكلّ ماجدة قولاً وَتَدوينا
وَلَتَبْق ندوة أشعار له شُهِرتْ ... مبروكةً كلَّ أسبوع تُحَيّينا
وَأَيْنَ كَوكَبُك الدريُّ شَعَّ لَه ... بالأمس شعر فهل لازال شادينا
عشتَ المبارك للعليا محمَّدَنا[2] ... وإخوة لَكَ وُفِّقتُمْ مَيامِينا
أَتَحَسبُونا نسينا من سعودكُمُ[3] ... سعودَنا لا فَهذا لا يُدانينا
لكن أردنا به مِسْكَ الختام هنا ... لحَلْبة منكُمُ شعريّةٍ فينا
أكرم بهِ يا أبا شارٍ أمَا لَكَ لا ... تُزجي بيانَك أشعاراً تنمّينا
بالأمس كُنّا لدى سامي نتوّجُه ... تخميسَنا هامَ شعر عنده زِينا
فواصِلِ السبقَ في السبّاق تُلْفَ هنا ... أنت المُجلّي سعيداً في المُوَفّينا

❊ ❊ ❊

(١) هو الشيخ أمير البيان عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي.
(٢) هو الشيخ الأديب محمد بن عبد الله بن علي الخليلي.
(٣) هو الشيخ الأديب سعود بن علي الخليلي.

(أعلام تتألّق)

وَمَن لنا كإمام الضاد من رجل ... أَبُو وسيم[١] به العليا تهنّينا

قد كان أورَعَ مَن جادَ الزمان به ... وَأَشجعَ النّاس لا يخشى الفراعينا

وكان في الرأي قيس الرّأي إن دهمت ... دهياء معضِلَةٌ تُعيي الذكّيّينا

لشعره تسجد الأشعارُ قائلة ... الحقُّ يعرفه الْقَوْمُ المُجَلّونا

بحْرَ البيان سعود[٢] الماجدين إذا ... نادى جبور العُلى يَوما مُنادونا

إن تأفل الشمس لَمْ تَأفَل شموسُهمُ ... فانظر لِتأريخهم تُلف البراهينا

هذا عليُّ بن جبْر[٣] لن يُوَرّثنا ... إلا البيان وفِقْهاً نال تدوينا

جزى المهيمن من بَرَّ الهدى برضى ... من يتّق الله يُلْفِ الخلْدَ والعِينا

وحيّ بدْرًا[٤] تجده في سمائله ... وفي سما أدب بدْرَ المضيئينا

بوركت ترقى إلى العلياء ذروتكم ... مؤيّدا بتقى الآداب ميمونا

وأين يَشْجُبَ لم يشجب له كرم ... أحفاد قحطان قوم تأنف الدُّونا

إن تسأل المجد والآداب فهي بهم ... وإن تشا الحرب تبصرْهم كميّينا

❊ ❊ ❊

(١) هو الشيخ الفصيح الأديب خميس بن سليّم المنذري، أبو وسيم.

(٢) الشيخ الأديب سعود بن علي بن جبر الجبري.

(٣) الشيخ الأديب علي بن جبر بن سعود الجبري.

(٤) الشيخ الكاتب بدر بن هلال بن سعود الجبري.

(آلُ الخَصَيب)

وأين بحرُ الندى والعلم راشـدُها[١] قـد كان داهيـةَ الدّنيـا بِوادِينا
وإن تشـا أدبـاً تنظـر خمائلـه غـنّـاء وارفـة فيـه تُـحَـيّـيـنـا
أبقـى لنـا كوكبَيْـن بَعـدَهُ شـرفًا ما مـات من خلّـف الأبنـا ميامينا
رشيد[٢] قد نِلت رشْداً في ضيا أدب وعلـم فقـه وَأَخـلاق الوَفيّينـا
فَمَجلـس ابـن عُبَيد كان مدرسـة ومجلـس الشـيخ خلفـان التّقيّينا
وكـم مسـاجد بالفيحاء كُنـت بها تَبكـي عَلَيْـكَ وَلَـمْ تَبـرح تُعَزّينا
وقد أبت تشـتكي الأقلام منك جفا أمّـا السـريرُ فَيَشـكوهُ وَيَشـكُونا
عسـى المهيمن أن يُولِيـك بَعدَ غد قصـراً مـن الخلْـد ذي آلاء بارينا
محمـد[٣] نِعْمَ ذاك الشـهمْ تُلفي به نحـوا وفقهـا وَبُسـتانَ الأديبينـا
تلـك الشـقائق مازالـت شـقائقُنا تُزجـي لنـا مـن أياديهـا أفانينـا
تركـتَ للدهـر عِلْمـاً لا نفـادَ له وذاكـراً حَسَـن الإمـلا يُنمّينـا
يا شـيخ كيف جوابي حينَ تَسألني عَنـك المَحامِـدُ إن وَافَـت تُحيّينا
أخشـى عَلَيْها إذا ما قيـل مات بأن تذوب وادي دِما لا خِلْت سـيحونا
وَرّثتَ مُرشِـدَك[٤] الميمونَ تاج وفا والعلم والشـعرَ مَحمُـوداً ومَيْمُونا
حاشـا عليه بـأن ألفيـهِ بَعْـدَ أبي بدْر يُـرى غيـرَ بَـدْر فـي الوَفِيّينا
وَأَيْـن عَنّـا أَبُـو هانـي[٥] أَنَتْرُكُـه تأبـى سـمائل إلا أن يُـرى فينـا

(١) الشيخ العالم الأديب راشد بن عزيّز بن بخيت الخصيبي.
(٢) الشيخ الفقيه الأديب رشيد بن راشد الخصيبي.
(٣) الشيخ القاضي والأستاذ الأديب محمد بن راشد الخصيبي.
(٤) الشيخ الأديب مرشد بن محمد بن راشد الخصيبي.
(٥) الأستاذ الأديب محمود بن محمد الخصيبي.

وادٍ من الشعر لَمْ تبْرَحْ جداوله ... تجري مَخائلها لَمْ تعرف الذُّونا
نادِ المزاريع لا تنسى سلِيلَهُمُ ... غسّان[1] إن تسألوا الْغُرّ الْكمِيّينا
عِشْنا معًا في رياض العلم تجمعُنا ... سمائل بَيْنَ أقطاب مجلّينا
فَلا شكَتْ أَبَداً مِنَّا جوامِعُها ... إلا مدارسة التعليم تَشفينا
ولا احتَضنّا نَواديها بمهزلة ... إلا بفقه وآداب تُنمّينا
كُنّا شقيقيْن في حُبٍّ لفاطرنا ... كلٌّ يُفدّي أخاه في تآخينا
حتى حُظِينا بفضل الله تاجَ قضا ... بالشرْع نَحكم إن لِلْفَصل جاؤونا
حتى قضيتَ أخي غسّان ثارَ بِنا ... فيك العزاء وَلَمْ يبرح تباكينا
فكيف ننساك يوما من مجالسنا ... وَأَنْت في القلب لَمْ تَبْرَح تُناجينا
جُزِيتَ خيراً لِعَدل قد قضيتَ به ... جنّات عدْن أُعِدَّت للوَفيّينا
عسى المهيمن فيها أن يُجمّعنا ... ربي لك الحمد لا خيّبت راجينا
تلك المجالِبة الأبطال ما جلَبُوا ... إلا الثنا ما ثناهم عَنه عادُونا
إن شئتهُمْ لِلْوَغى ألفَيْتَ نَجدَتَهُم ... وإن تَشا أدَباً تُلف المجلّينا
أولاد مسعودنا مازال كوكبُكُم ... على سماء التُقى خلفان[2] مَيْمُونا
تعلّق الفضلَ والتدريسَ مهْنَتَه ... تبرّعاً منه يَرْجُو أَجْرَهُ العِينا
كانت تُجمِّعُنا طفليْن مدرسةٌ ... أبُوهُ قام بها يَرْعَاهُ بَارينا
فَما فَقَدْنا التآخي بَيْنَنا أَبَداً ... حَتّى إلى اليوم أشياخا وفيّينا

(١) الشيخ القاضي الأديب القارئ غسان ين سليمان بن سعود المزروعي.

(٢) لم يرد تعليق في الديوان عن الشخص المقصود، وفيما يظهر حسبما فهمه الأديب المهندس محمود بن حميد الجامعي قائلا: أتوقّع يقصد المعلِّم خلفان بن صالح بن خلفان المسعودي اهـ.
وتوقُّعُه في محلِّه، فالرجل مدرّس للقرآن الكريم، وهو من أهل الفضل.

ولَـمْ نـزَلْ نَتَحـلّاهُ لَنـا شـرَفاً ... حَتَّـى نفـارق ذي الدُنيـا مَيامينـا
وأيـن نَبهـان[١] طـيّ فـي محامده ... وسـيف إبن حمـود[٢] فـي التقيّينا
وَأَيْنَ إبْـن حُمَيْـد[٣] مِن مُسَـيَّبهم ... كتّـاب عَـدْل وأَقمـار الأديبينـا
جزاهـم الله مَرْضـاةً تَعانِقُهُـمْ ... يَـوْمَ الجـزاء بجنّـات الرّضيّينـا
أَيْـنَ الْقَضـاة بَنـو طـيّ إذا ذُكِرُوا ... بالجعفريّـة أشـياخا يمانينـا
والشيخ هاشم[٤] كم من عِلْمه هُشِمَتْ ... أنـوفُ جهـل وأقصاهـا تَنائينـا
شيخ الأصول وذا شـيخ القضاة وذا ... شـيخ البيـان وآداب تُنَمّينـا
وَحَيّ لي القاضي عبد الله[٥] من شُـهِرَتْ ... عَـدلاً شـهامَتُهُ عَلّامَـة فينا
تَعَلَّمتْ منه أُسْـدُ الغاب إن غضبت ... زئيرَهـا وَتَعالَـت فـي الكميّينـا
نعم الخروصيّ لَم يحجم به شـرف ... عـن كلّ ماجـدة فاتـت عزيزينـا
إن المعالـي هـل تُلفَـى متيَّمَـةً ... إلا بـآل خـروص فـي الموَفِّينـا
واحَـرَّ قلبـاه لا تهـدا مُطوَّقتـي ... إلا شَـجاها إمـامٌ كَانَ مَيمُونـا
فَأَيْـنَ جـذّاع[٦] جَمَّـار إمـام هدى ... بحر الفرائض ضاهى النهرَ سَـيْحونا
لله درّكُـمُ يـا نُعْـبُ مـن شـرف ... بـذا الإمـام وكَـمْ فَـذّ لَكُـم فينا
والمـرء علـم وآداب وثـوب تقى ... يـا حبّـذا حامـلٌ هـذي العناوينا
محمـد[٧] حامـل عِلْمـاً وَأَلويـةً ... مـن السـرور بـآداب تُحَيّينـا

(١) الشيخ الكاتب نبهان بن سالم النبهاني.
(٢) الشيخ الكاتب سيف بن حمود النبهاني.
(٣) الشيخ الكاتب محمد بن حميد السيابي.
(٤) الشيخ الفقيه القاضي هاشم بن عيسى بن صالح الطائي، هو وأبوه وإخوته فقهاء وأدباء.
(٥) الشيخ القاضي الفقيه عبد الله بن محمد بن علي الخروصي.
(٦) الشيخ الفرضي علي بن محمد الناعبي الملقّب بالجَذّاع، يسكن محلّة الجَمَّار من علاية سمائل.
(٧) الشيخ الفقيه محمد بن زائدة الناعبي.

وافـاك يحي[١] ليحيـا خالِـداً عَلَماً ... بالعلـم أحيـا لنـا قومـاً أبيّينـا
وُرِّثتَ مِـن نُعْبِكَ الأقمـار كُلَّ عُلاً ... نعْـم السـليل فـلا سُـلَّتْ معالِينا
أبـو محمّدنـا[٢] أهـلًا بـه شـرفاً ... بالعلـم ما قيل عـن علياه قـد دِينا
نِعَـمَ الرّجال قضَـوْا لكـنّ ذكرهمُ ... يُحييهـمُ كلَّ يـوم فـي الرّضيينـا
لله دَرُّك يـا ابـن النّضر[٣] مِـنْ عَلَم ... خلّفـت للمجـد تاريخـاً بـه زِينا
قد كنتَ أشـعرَ أهـل العلـم قاطبةً ... وَأَعلَـمَ الشـعرا فُقْـتَ التّقيينـا
هذا الدعائمُ سِـفْرٌ بل شموس هدى ... وآيـة تمـلأ الدّنيـا بَراهينا
لله دَرُّك مـا سـلَّمت خردلـة ... مـن مَهْـر كاعبة حسـناءَ خمسـينا
شَـلَّت يَـدٌ للـرَّدى ألقتْـكَ مُكْتَتَفاً ... سِـيقت إلى النّـار ما بين الشـقيّينا
لو كان مثلَك يـا ابن النضر من عملوا ... مـا رَدّ وَالله أمْـرَ الشـرع طاغونـا
قدّمـتَ نفسَـك للخمسـين أضحية ... لله ترجـو بـذا فـي الجنّـة العِينـا
آواكَ ربُّـك بالفـردوس تَرتَـعُ في ... رياضهـا خيـرَ جـار للنبيّيّنـا
يـا بيت علم بـه الأعلام قـد نبغوا ... شـموس دُنْيَا وَأخرى لَـمْ تَزل فينا
هذا التقـيّ النقـيّ المُرتَقـي قِمَمًا ... من دُونهَـا النَّجْمُ إن جـاء المُجَلُّونا
هذا هو الشـيخ أسـتاذي ومفخرتي ... هـذا علـيٌّ[٤] عَـلا بَيْـنَ الْعَلِيّيّنـا
آواكَ ربُّـك مـن آلائـه نِعمًـا ... جـارَ النّبيّ علـى الفـردوس آمينا
هَـنّ السَّـحَاريّة الغنّـاء هَـنّ لنـا ... سـمائلاً بسـعيد[٥] الناعبيّيّنـا

(١) الشيخ الفقيه يحي بن عبد الله بن إبراهيم الناعبي.
(٢) الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الناعبي.
(٣) الشيخ العلّامة أحمد بن النضر الناعبي.
(٤) الشيخ الفقيه الورع علي بن حمد بن ناصر الناعبي، يسكن القرواسية.
(٥) الورع الفاضل سعيد بن محمد الناعبي يسكن السحاريّة.

تنـــاول الفضـــلَ والتقوى لـــه حُلَلاً ... فعـــاش فيها ســـعيداً لايَـــرَى الدُّونا
أبشـــرْ ســـعيدٌ فَتَقـــوى الله تُدخِلُنـــا ... برحمـــــة منـــــه جنّـــــات الموفّينا
وَأَيـــن ســـلطان[١] طـــيّ فـــاق مرتبة ... شيخ الشيوخ ســـما شـــأناً وما شِينا
بـــه تفاخـــر بطَّـــاش وحُـــقّ لهـــا ... أن تكســـبَ الفخرَ بَيـــن الأريحيّينا
سُـــقِيتَ من كوثر الهادي غـــداً نهَلاً ... وَصافَحَتـــكَ يَـــدُ الحَـــوْراء مَيْمُونـــا
وَأَيْـــن أســـرة غَيْـــلان وهاشـــمها[٢] ... هُـــمُ الْبـــدُورُ إذا مـــا حـــارَ داجونا
هشمت هاشـــمُ أَنْف الجهل تَبَّ يَداً ... ما اســـطاع من بعد ذا يَدنـــو بوادينا
وَأينَ مُوسى[٣] الفتى القرنيّ من شهدت ... له الفحـــول بعلـــم الفرْض يشـــفينا
إليـــهِ تُزجـــى عويصـــات مُمَنَّعَـــة ... قد التـــوى سَـــرْدُها مَع غَيـــره حِينا
علّامـــة فيـــه لا يقـــرا كمـــا قـــرَأوا ... كلّا ولا عـــرف الأقـــلام تدوينـــا
موسى ابن ســـالمنا خيراً جُزيتَ بذا ... أدخلت فـــي جنة الرضـــوان ميمونا
أين الجواســـر نادوا لي ســـعيدَكُمُ[٤] ... مَن حـــاز من زهْده الســـامي موازينا
ما زال يأوي إليه النـــور كلّ ضحى ... فـــي قبـــرِهِ ذي كرامـــاتُ الرضيّيّنـــا
وَأَيْنَ غطريف[٥] في جُود وفي شمَم ... أكرم بـــه بطـــلاً لا يرْتَضـــي الدُّونا
مأوى العُفات ســـخيّ النّفس ما وُصِدَتْ ... أبوابُـــه عَـــنْ يَتامـــى أَوْ مَســـاكينا
حفّاظـــة الشـــعر والآداب مع سِـــيَرٍ ... يَســـبي القلـــوب إذا صلَّـــى لبارينا
ليـــث إذا زأَرَت يومـــاً شـــكيمته ... لـــم يَثنـــه أبَـــداً جيـــشُ الكميّيّنـــا

(١) الشيخ العلّامة القاضي سلطان بن محمد بن صلت البطاشي.
(٢) الشيخ العلّامة هاشم بن غيلان السيجاني.
(٣) الشيخ الفرضي موسى بن سالم القرنيّ، يسكن سَحْرا.
(٤) الشيخ الزاهد سعيد بن صالح بن سعيد الجاسري من الحاجر.
(٥) الشيخ الكريم سالم بن سعيد بن محمد الغطريفي.

ستون شخصاً جنود هدَّ شوكتَهم ... من النصارى بمتن البحر مَيْمُونا
يا شَغْبة[١] النّيل من أسيوطنا افتخري ... بذا العمانيّ غِطريفاً عَلا فينا
وأخبري اليمَن الميمون إن فَخروا ... فَأَهلُه بَيْنَكُمْ أُسْدٌ كمِيّونا
وَمَن يَكُن جدُّه الغطريفَ في نسَب ... لَمْ يَخفَض الرأس لَوَ جَدَّ الْمُعَادُونا
وَأَين عبس أحيّيها بشاعرها[٢] ... بل شاعر العُرْب بَزّ الكون تدوينا
تلك البوارق يا عبسيّ كافية ... لو لَمْ تَقُل غيرَها للهِّ تَحدُونا
سرَتْ سميري إلى شوقي فَأَكْبَرها ... وخال أشعاره الغَرّا هنا دُونا
ما دان شوقي ولا دانت قصائده ... لكن أبى غيرَ قول الحق يأتينا
وإن تسل عَنْهُ نَحوَ الفِقه تُلْف به ... بَحراً تَدفّق لاجَزْر لَه فينا
نثارُ جوهره المنظوم جوهرُه ... قد جاء مُعجزةً في الفقه يُثرينا
هذا أَبُومسلم يا أمّتي بَرزت ... آياتُهُ تُدهش الدنيا براهينا
جُزِيتَ يا ناصرَ الإسلام بَعْدَ غد ... رضى الإله لتأوي في الرّضيّينا
من ذا يُفَاخرُ عَبْساً في مكانته ... عزَّ المفاخرُ يا عبْسَ الكميّينا
وَأَين إبن عمير سالِمٌ[٣] عَلَماً ... بدراً تألّق ما بين التقيّينا
إن أنشد الشعرَ خرّت كل سامعة ... مأسورَةً لِغنَاهُ حينَ يشدونا
كأنّ داؤد أولاهُ مَزامره ... يا شيخُ رفْقاً بألباب اللّبيبينا
لو يَسمَعُ الصخرُ إذ تتلو الكتاب لنا ... لسال في الأرض سَيْحونًا وجَيْحونا
جزاك رَبُّك عَن خير سعيت به ... رضوانه وأتاكَ الخُرَّدَ العِينا
يا أيُّها العلَم القاضي قضيتَ ولَم ... تقض سوى العدل والتقوى تُحَيّينا

(١) قرية في أسيوط من صعيد مصر، يسكن فيها الغطاريف.
(٢) الشيخ العلّامة الأديب ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني.
(٣) الشيخ الفقيه القاضي سالم بن عمير البهلاني الرواحي.

إن القضاء لصعْب لَمْ يَنَل أبَداً ... عِنان مَرضاتِه إلا الوفيّونا
فَكُنت فيه من الأعلام دون مِرا ... جُزيتَ مِنْ رَبّنا الفردوس آمينا
هذا حفيدك أضحى قاضيا ورعا ... محمد[١] حُمِدَتْ فيه ليالينا
أبقاه مولاه للإسلام مدرسة ... موجّهاً عَلَماً قَدْ آزرَ الدّينا
وسالم بن سليمان[٢] أيجهلُه ... إلا غبيٌّ رَعَى الباري التقيّينا
ذا الشاعر اليوم من عبْس فَحَيّ لنا ... أبا سليمان هذا ناصر[٣] فينا
أوتيت يا شيخ من سِحْر البيان على ... فُصحاكَ ألوية تَسبي المُجلّينا
هذا هو الذخْرُ لَمْ تنْفَد خزائنه ... إن قيل قد نَفَدت دنيا الغنِيّينا
وَمَن كمُوسى[٤] إذا وافت قصائده ... أإبْنَ زيْدُوْنَ وافانا يُحيّينا
ما بالغريب إذا أصبحت شاعرَنا ... ورثت أعلامَ آداب تقيّينا
كأنّ عبْساً تُنادينا تقول لنا ... لَوْ لَمْ تَكُن غيرَكُمْ قَدْ كَانَ يَكفينا
أعلام عَبْسٍ بقيتُم قمّةً وعُلًا ... من دونها هامة الجوزا تهنّينا
وكم لعبْس من الأعلام قد ذُكِروا ... لا تُجهل الشمس إن وافت تُحَيّينا
وكَمْ لِذَبْيان إن دارت معاركنا ... أبطال حرْب وكَمْ زانوا العناوينا
تِلكُمْ بلاديَ لا يلفى النظير لها ... من امتطى لِمُحَال بَات مَوهونا
أقمارُها في زمان مِلْؤها عُلَما ... ثلاثة مالَهُمْ مِنْ رَابع فينا
همُ البُرُومي[٥] مَعَ جدّي[٦] وناصرُنا[٧] ... همُ همُ القومُ سادات الميامينا

(١) الشيخ الفقيه محمد بن سيف بن سليمان بن عمير الرواحي.
(٢) الشيخ الفقيه الأديب سالم بن سليمان بن سالم بن عديّم البهلاني.
(٣) الشيخ الأديب ناصر بن سالم بن سليمان بن عمير الرواحي.
(٤) الشيخ الأديب موسى بن سالم بن سليمان بن عمير الرواحي.
(٥) الشيخ التقي أحمد بن راشد البرومي.
(٦) الشيخ التقي حميد بن سرور الجامعي، جدّ القاضي أبي سرور.
(٧) الشيخ ناصر بن سالم الخيّالي، هؤلاء الثلاثة لقّبهم الإمام الخليلي رَحِمَهُ اللهُ بأقمار سمائل.

رأوا منازلهم في الخُلْد شامخةً ... قبل الممات بها قد صافَحُوا العِينا
فأين وارثهم من بعد مَوتِهم ... هل تُورث الشمس قالوا لا مُجيبينا
عسى غداً يَتَجلّى من سمائهمُ ... نجْم يُذكّرُنا في الفَضل ماضينا
ماتُوا وما برحوا أحيا بنورهمُ ... من ألسن الناس ما زالوا يُحيّونا
جدّي فقيه وذو تَقوى وذو فَلَك ... وعِلْم سِرٍّ يُمشّي الصخرَ ما دِينا
سلْ يا أخيّ عَن الإبريق كيف مشى ... لحَيث ما دُفِنَ المسروق يهدينا
مضوْا شُراةً إلى إزكي مُبَايَعَةً ... إمامة الحق والإنصاف يَبغونا
إمامةٌ قد تجلَّى في قيادتها ... سليل راشد ليث اليَحْمَديّينا
ساروا بلا رابع إلا محبّتهم ... تلك الإمامة لا دنيا الغبيّينا
لَمْ يَرَهبُوا في رضى المولى فراعنة ... مَنْ يَعشقِ الحقّ لَمْ يَخش الفراعينا
وصاحَبُوه إلى الفَيحا وَما برِحوا ... حتى مضى وهو راض عَنْهُمُ فينا
يطالبون بذا الفردوس ليس سوى ... ونُصرة الحق من حقّ الوفيّينا
أبي أبا يُوسف خلّفتني أَبَداً ... أبكي عليك رَعى المولى مُرَبّينا
قُبِضتَ عَنّيَ في سنٍّ قصيرِ مَدى ... فعِشْتُ بَيْنَ يَتامى الحَيّ مسكينا
وَرّثتني وأَبُوك الفضل خيرَ ثَنا ... ما إن يُباعُ كَما بِعْتَ البساتينا
لو نلتُ من طيبك الفيّاح عَرْفَ شَذى ... ما عشتُ بعدك بَيْنَ النَّاس مَغبُونا
قد مِتَّ تحفظ سِفْراً لا يناظره ... سِفْر هو الجوهرُ المَشهورُ يَشفينا
أنت الفقيه بلا شكّ ولا جدَل ... وَعَالمُ وَرع بَين التقيّينا
أَنْتَ الْغَشَمْشَمُ قَد أولاك ذا لَقَباً ... أبو عُبيْد فيا فَخرَ المُجدّينا
في سنّ سبع لدى عشرينَ قد أَخذت ... بك المَنايا إلى فردوس بارينا
عسى أراك وَأَجدادي غداً فرِحاً ... في روض جنّاتِنا نتْلُو تهانينا
يا يوسف يا أخي قد جئت لي سنَداً ... في السِّلْم والحرب إن هاج المُعادونا

وَنَجتَنِي من يدَيْ آبائنا الْعُلَما ... عِلْماً وتقوى وآداباً تُغذّينا
لكن حظَّك لم يخضع لذا أبداً ... مُعَرّجاً بك للفردوس ميمونا
قد مِتَّ طفلاً فلا إثم ولا قلم ... يجري عليك سوى مَرْضاةِ مُنشينا
يا لَيْتَنِي مِتُّ ذَاك الْيَوْمَ مُنصرفاً ... ولَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ هل ليت تَشفينا
وَلَيتني عشت في غار على جبل ... لم أدْنُ لي أبداً دُنيا تُؤاذينا
لكن عسى الله أن يكسو مَخافَتَنا ... أَمْناً وَيُسكنَنا دَارَ النّبيّينا
أولاءِ أباؤُنا أولادُ فَانْتَظمُوا ... في نهْجهم نِلتُمُ الْعَلَيَاء وَالدِّينا
وَأَيْنَ مَنْ أَطعَمَتُهُ الحُورُ فَاكهة ... من جنّة الخلد في محرابه حِينا
وَوَاعدَتْه مساء اليوم في جَذَل ... ضيافةً عندها بَيْنَ النّبيّينا
ذا أَزهد الناس ذا الفرعيّ من شهدت ... له سمائلُ بدْراً في التقيّينا
هذا سعود[1] وهل تُلفي مُناظِرَهُ ... عَزّ المُناظرُ لَو جئنا مُوَفّينا
بماء مالٍ لحيلينا سُقي نَخَلٌ ... من ماله وَأَتَى البيدَارُ مَفتُونا
يُزجي الهناء لهذا الشيخ في جَذَل ... إذِ الهنا بعزاء الشيخ يأتينا
آوى بغَلّته الحيلي تخلّصه ... حتى تكرَّبَ منه قمّة فينا
لكن أبى الزهد إلا أن يملّكه ... أصلاً لذا الفلَج المشهور مضمُونا
هذا هو الزهْد إن شئتُمْ خمائله ... نلت الهنا منه لو خلنا تَدَانِينا
هَنٍّ الفروع بذا في كل ثانية ... وَبَلّغ العلم والتقوى تهانينا
متى تُزَفّ لَنا بُشرى بأن ولدت ... فرعيّة مثله لاخاب داعينا
إن الرجا من إله العرش يجعلنا ... أن نبعد اليأس أَنْ يَدْنُو أَمَانينا
ماذا أقول وهل يحلو الوقوف هنا ... لابل أرى الشوط لَمْ يَبْرَح يُنادينا

(١) الشيخ الزاهد سعود بن عمير الفرعي.

فاين عنّا أَبُو الصوفيِّ[١] إن طلَعَت ... مَهـا البيـان وَنَادَتْنا مَواضينا
وَأَيْـنَ شـاعرُ حـرّاص وَفَارسُـها ... فتـى سـليمان[٢] إن وافـى بنادينا
أيـن الـذي أطـرب الدنيـا بنغمته ... وَخَلّـف الدهـر أحزانـاً تُعَزّينـا
أسـتاذنا اليوسـفيّ الفذّ من شهدت ... لـه سـمائل بالتقـوى يُحيّينـا
حمدان[٣] حمدان في فقه وفي أدب ... زانـاه فضـلاً بـذا فـاق التقيّينـا
أكرم بـه سـيبويه العصر قـال بذا ... لـه الإمـام الخليلـيّ الرّضـى فينا
مـا زرتُ طـه وآلاً سـادةً شُـرَفَا ... إلا البَقِيـعُ بـه تهمـي مئاقينـا
بالأمـس أودعتُـه فيهـا أمانتَهـا ... مـا بيـن آل وَأَصحـاب رضيّينـا
عسـى غداً رَحمـة البـاري تُجمّعُنا ... فـي جنـة الخلْـد تولينـا أمانينـا
لاخاب من يسـأل الرحمـن مَرْحَمَة ... لا رَبّ إلّاهُ نَـدعوا فَهـوَ بَارينـا
وَأَيـن إبـن عُبَيْـد[٤] في شـهامته ... وعلمـه وسِـماتٍ تَأنَـف الدُّوَنـا
كم من أديب وكـم قاض تخرّج من ... مسـاجد ابن عُبَيْـد ذي العُـلا فينا
كفـى سَـلِيمَةَ لَو مـا أنجبـوا أبداً ... سـواه شَـهْمًا حَمَى العَليَاء وَالدِّينا
أنزلتـه القبـرَ لَيتي كُنـت عنه فِدى ... وذي سـمائل تَفـدي رُوحَـه فينـا
يـارب آوِ به الفـردوس فـي جَذَل ... وآوِ بـي عِنْـدَهُ فُوهُـوا بآمِينـا
يا شـيخُ خلّفت شِـبْلاً بُوركت يَدُه ... لم ينـس سـيرتك الشَّـمَّا عناوينا
قَـدْ كَان قائدَك الميمون حيث تشـا ... تمشي مشـى بك مَسـرُوراً وَمَيْمُونا

(١) أبو الصوفي الشاعر الأديب سعيد بن مسلّم المجيزّي.
(٢) الأديب سعيد بن سليمان الحراصي.
(٣) الشـيخ الزاهد والعالم النحوي حمدان بن خميّس اليوسـفي، توفي بالمدينة المنوّرة، ودفنّاه بالبقيع رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت بجنبه وهو في سـياق الموت، فتبسّـم ضاحكا، وبها تـمّ عمره، فتعطّر المكان بروائح عطره، بشارة من الله وكرامة: «ولا يظلم ربك أحدا».
(٤) الشيخ العلّامة حمد بن عبيد بن مسلّم بن خلفان السليمي.

سلام[١] أستاذ علْم فاضل ورع ... سليل إبن عبيد المُرْتَضى دينا
ذكرى بقيت لنا لَمْ ننس صاحبَها ... سلامُ فَاسْلمْ سعيداً تُحيي ماضينا
إبنا سعيد بن سيف[٢] إنّ جدَّكُمُ ... شمس العلوم فَكُونُوا بَدْرَها فينا
فعانقُوا الجِدّ تدنو من ضياه هدى ... بالجدّ ميراث أهل العلم يَأتِينا
منصور ابن عُبَيْد[٣] كَانَ ذا وَرَع ... وإبن سِينا لتعبير الرؤى فينا
وكان فينا طبيباً ماهراً حَذِقاً ... دَرّاكَة ولبيبَ الألمعيّينا
لله نِعْم ابنه عبد الإله[٤] أخي ... ما زَالَ مَنصورنا الثاني يُحيّينا
بقيت يا شيخ منصوراً لكلّ شفا ... وحيّ منصورنا جنّات بارينا
هذا أبو السّلْك[٥] قطب من أئمّتنا ... حيّاه مولاه بالفردوس آمينا
قد عشت يا شيخ فينا أمّة وسطاً ... بالعلم والفضل والتقوى تُنَمّينا
لو قيل مَا وَلَدَت من تَغْلِبٍ أبداً ... أُنْثى كمثْلك ماكنّا مُغالِينا
لله من مسجد قد كان يجمعنا ... ما بين جَنبيْه أستاذاً يُرَبّينا
تلف الوقارَ به مَع هيبة العُلما ... كما تخال السَّخا فيه عناوينا
لو طالب الموت عَنْهُ غيْرَهُ بَدَلاً ... لخلتَ كلَّ الورى بالنفس يَفدونا
بأيِّ شيء أجازي منك خيرَ رضى ... أوَلَيْتَنِيه وكلُّ الناس يدرونا
سألت رَبّيَ لا أنساك في عُمُري ... من الدعاء إذا صلّيتُ آمينا

(١) الشيخ الأستاذ سلام بن حمد بن عبيد السليمي.
(٢) ابنا سعيد بن سيف بن حمد بن عبيد السليمي (لعلّه يقصد الأستاذ عامر وأخاه عبد الله، فهما فاضلان صالحان).
(٣) الشيخ منصور بن عبيد بن مسلّم السليمي أخ الشيخ حمد بن عبيد، كان رجلا لبيبا طبيبا معبّرا للرؤى.
(٤) الشيخ عبد الله بن منصور بن عبيد السليمي وقد أصبح طبيبا كأبيه.
(٥) الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي رَحِمَهُ اللهُ.

أبا هــلال[١] بقيت الدهــرَ في جذَل ... خليفـــة الْعُلَمَـــا بالبـــرّ تُحيينا
أَتَيْـــت بالفقـــه والآداب ألوية ... تقــود فيهــا قلــوب الأريحيّينــا
إنّ الحيــاة علــوم عند ثــوب تُقى ... وُفِّقــتَ أنْ تَرتَقي الرّضــوان ميمونا
هذا هــلال[٢] وكلُّ الناس شــاخصة ... أبصارهــا لهــلال السَّــعْد يَأتِينــا
أتــى هــلال بأمجــاد مجــدّدة ... مــن المعالــي هــلالاً فــي مَعالِينا
وَرَثت مجــداً وآدابــاً وَشِــدْتَ لها ... عَرْشــاً على هامــة الجــوزاء مادِينا
صبّحتَ فيك المعالي والوفا شِــيَماً ... مــا نالهــا أبــداً خَــدْشٌ يُؤاذينــا
عشــتَ العزيــز هماماً لا يُصافحُه ... إلا الســرور ســعيداً فــي ليالينــا
أنــت الســفيرُ فَــلا فَاتتــك ماجدة ... إلا أتيــت بهــا فخــراً تُحَيّينــا
والشــعرُ أخبرنــا أصبحــت نابغــة ... فيــه فهــاك بــذا تُزجــي تهانينــا
فَــدُمْ خلِيلــي وإن نــاءى بنــا زمَنٌ ... فَأَنْت فــي القَلْب لَمْ تبــرح تُناجينا
يا راشــدَ بن عزيــز[٣] صاحباً لأبي ... صاحبتُ فيك الوَفا وَالْفَضلَ وَالدّينا
كــم مرّة نحــو بيــت الله كُنــتَ لنا ... إمامَنــــا مرشِــــداً لله تهدينــــا
وكَــمْ لِطيْبــة أَزْجَيْنــا عَزائمَنــا ... زوّار طــــهَ رســــول الله هادينــــا
وكــم ســعيْنا لآل ســادة شــرفاً ... وخير صحــب له قد ناصــرُوا الدّينا
جزاهــــمُ الله عــــن طــــه وملّته ... جنّــات عَــدْن يُحيّــون النّبيّيّنــا
تقبّــــل الله منــــا كُلّ ذا فلــــه ... حمْــد وفضْــل عَلَيْنــا لَمْ يَــزل فينا
جُزِيــتَ يا ابــن عزيز عن مناســكنا ... رضوانــه وأتــاك الخلْــد والعِينــا
وذا ســلِيلُك عبد الله[٤] متَّشِح بالفقه ... والــخُــلُــق الــعــالــي يُــحــيّــيــنــا

(١) الشيخ العلّامة سالم بن حمود السيابي.
(٢) الشيخ الأديب البارع هلال بن سالم بن حمود السيابي، سفير عمان في دمشق هذه الأيام.
(٣) هو الرجل الفاضل التقيّ راشد بن عزيز بن سالم السيابي.
(٤) هو الشيخ الفقيه الأديب عبد الله بن راشد بن عزيز السيابي.

حتى غـدا بالقضا العالـي عَلا قدَرًا ... يَشـفي التظلُّمَ في الأحـكام مأمونا
حُيِّيتَ رَاشـدُ بالفـردوس في جذَل ... وَبورك النسْـلُ يُحيي الفَضلَ مَيْمُونا
محمـد ابـن عزيـز[١] نلـت مَرَتبة ... بموتِـهِ العـزّ قـد وافـى يُعزّينـا
تنـاول الفقـه صِرْفًـا مـن منابعـه ... أبـي عُبَيْـد وَمَـن يَنهلـه مـا دِينا
كـذا الإمـام الخلِيلي الرضـيّ أضا ... ضيـاء فقـه لـه يحمـي التقيّينـا
تتـوّج الفقـه والآداب مجتهـداً ... مسـلَّماً مـن وَبَـا الدنيا ومـا دِينا
كان الزميـل لِبَـدْري والـدي طلَباً ... للعلـم بـدران مـازالا بـذا فينـا
تعَلّقـت جنّـة الفـردوس روحهما ... شـوقاً لهـا فَأجابـا فـي الرّضيّينا
أين الخميسـيُّ[٢] في أشعار روضته ... فِقْهـاً وفـي أدَب بَـزَّ المجيدينـا
كـم مـن فرائـد أَنْحاهـا مُكَرَّمـةً ... نحـو المُحَقِّـق كيْ يُحظـى براهينا
حيُّـوا لنـا قاضيـاً وَاللهُ يَرْحَمُـه ... فتـى سـعيد وهـذا إبنُـه فينـا
هذا سـعِيدٌ[٣] تَجلّى في القضاء وَلَمْ ... يبـرح بقاض حُظِـي التوفيـق آمينا
ونال في الشـعر حظّـاً مثْـل وَالِده ... غـذّى المحبّيـن بالأشـعار ميمونا
يا سيف إبن سـعيد فيك قَد سعدت ... تلـك الليالـي بفقـه فيك قـد زِينا
وقـد غرسـت بسـاتين البيـان لنا ... تُلفـي بهـا الأُدَبـا تجنـي أفانينـا
أتاكُـمُ قاضيـاً عَبـد الإلـه[٤] فتى ... محمـد ماجـداً لا يختفـي فينـا
وُفِّقـتَ برًّا علـى الأحـكام متَّجهاً ... لِلهِ مَـن يَتّجـه لله مـا شِـينا

(١) هو الشيخ الفقيه الفاضل محمد بن عزيز بن سالم السيابي.
(٢) ورد في حاشية الديوان أنه الشيخ الفقيه القاضي سليمان بن سعيد السيابي، ولكن الصحيح أنّ الخميسي الذي يسائل الشيخ المحقّق الخليلي هو الشيخ حمد بن محمد الخميسي من الباطنة، وقد ترجم له الباحث فهد بن علي السعدي في موسوعته عن السويق والمصنعة.
(٣) الشيخ القاضي سعيد بن سليمان بن سعيد السيابي.
(٤) هو الشيخ الفقيه القاضي عبد الله بن محمد بن سالم السيابي.

أتاكُـمُ الشـعْرُ بالعَليا عَلـى حَمَد[١] فتـى ثُنَيّـان رفْقـاً بالأديبينا
إن البيـان إذا شِـيدت منابـرُه سـبى القلُـوب وَأَولانـا أمانينـا
وَأَيْن شـيخي أبو خلفان[٢] مَن شهدت بفَضلِـهِ النَّاس يَسـمو بالتقـى دينا
أسـتاذ نحْـو حَوَيْنـا منه أوسـمة لـم تَشْـرِها بعيـون النفـط أيدينا
عِشْ يا سـعيدُ أبـاً للنحو مُتَّشـحًا ثـوب المسـرّات نهديـه تهانينـا
وكيـف أنسـاك عبـد الله[٣] خيرَ أخ مديـر جامعنـا الْمَيْمُـون مَيمُونـا
وجِّـهْ تلاميـذك الأبطـال متّجهًـا يـأوي إلينـا بأمجـاد الأبيّينا
قيـادة العلـم والتقـوى بغيـر مِرا خيـرُ القيـادات أكـرمْ بالموفّينـا
وجئتنـا هاشـميّ المجـد مجتهدًا بقاضيين سـعدتَ النسْـل ما شِـينا
محمد[٤] حُمِدت في الحكم سـيرته من شـاء عَدلًا حوى التوفيق مَضمُونا
عليُّ[٥] أنـت قصدت الفقـه قاضيَنا تقـوى الإلـه بهـا ترقـى مراقينـا
يا محسن[٦] ابن سـعود كُنت مُحْسِنَنا فَضْـلًا وَتَقـوى وآدَابًـا عَلَـت فينا
إن المجالـس مَـا زَالَـت بموتكمُ مآتمـاً تنـدب الأخـلاق تُبكينـا
تخميسـكُمْ شعر سـامي لا يزال بنا يُجري الدُمـوعَ عَقيقاً بـات يكوينا
يا راشـد[٧] ابن سـعيد ما تركت لنا شـيئاً مـن الزهـد نأويـه وَيَأوينـا

(١) الأستاذ الأديب حمد بن ثنيان بن سعيد السيابي.
(٢) الشيخ الفاضل الفقيه النحوي سـعيد بن سالم بن سـعيد الداؤودي توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شهر ربيع الأول ١٤١٧هـ.
(٣) الشيخ الأستاذ عبد الله بن سالم بن سلمان الهاشمي.
(٤) ابنه القاضي محمد بن عبد الله بن سالم الهاشمي.
(٥) ابنه القاضي علي بن عبد الله بن سالم الهاشمي.
(٦) الأديب الكاتب محسن بن سعود بن العبد العامري يسكن الصبارة.
(٧) الفاضل التقي راشد بن سعيد العامري يسكن السحارية.

أبنـاء صعصعـة لا مـات بينكـمُ فضـل وَتَقـوى فَحَيُّونـا ميامِينـا
هذا هلالُكمُ[١] المشـهور في النُّجَبا هـلال أدابِنـا قـوْلاً وَتَدوينـا
سَـلْ ذلـك المنتـدى عَنْـهُ وَأُبْرَتَنا سَـلْ عنه مصر وسَـلْ عنه الملايينا
هذا ابـن حمَّادِنـا[٢] ذا العامريّ لنا أسـتاذ بِـرٍّ فَأنجِبْنـا الميامينـا
ذا الازكويّ سـعيد[٣] فهـو مِن زُمَلا علْـمٍ وبِـرٍّ ولا خِلْنـاه مَفتُونـا
تَـرَى التّواضـع فيـه حِلْيـةً عُرِفَت مـن نالها نـال فـي العليـا مَيادينا
ويا أبـا حَمد خلفـان[٤] فُقْـتَ بما بـه تَحَلّيْـتَ مـن تقـوى تُحَيّيْنـا
حصدت علْمًا وآدابًا بها بَرَزَت خرائد الشعر كم هامت تُغنّينا
وافى ابـنُ حمّادِنا أسـتاذُنا حَمَدٌ[٥] حُمِـدتَ في منهـج التعليـم تبيينا
نبهـان[٦] إبـن سـعيد نبَّهـوا قلَمي إن قيـل يَنْسـاهُ لا يَنسـى الوفيّينـا
وَأَيْـنَ تُبَّعُنـا وافـى بسـالمه[٧] عِلْمـاً تحلّـى وأخلاقـاً بهـا زِينـا
حفيـد شـامس الأزديّ ليـس بنـا إلا الثنـاء عَلَيـه قـد يُحيّينا
محمود[٨] قدّمت بِرّاً فـي اقْتنا أدَب وَنَيْـل فقـه فبلغّـت اللّبيبينا
وَرَمـت ترقى ذُرا الأعـلام في هِمَم حتى (تَمَجَرَسْتَ)[٩] بالآداب تدوينا

(١) الأديب هلال بن محمد بن هلال العامري.
(٢) الأستاذ سعيد بن حمَّاد العامري.
(٣) الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سالم الأزكوي.
(٤) الأستاذ الفاضل خلفان بن حمد بن سليمان الرواحي.
(٥) الأستاذ حمد بن حماد العامري.
(٦) الأستاذ نبهان بن سعيد بن نبهان العامري.
(٧) الأستاذ سالم بن محمد بن شامس النبهاني.
(٨) الأستاذ الجليل الأديب الكاتب محمود بن مبارك السليمي وقد حصل على شهادة الماجستير في ديواني هذا.
(٩) أي أخذت درجة الماجستير.

من وحي شعريَ قد وافى تألّقها ... جُزِيتَ خيراً على عَليا مَعالينا

يا يوسف[١] العلم والتقوى زميل أبي ... بَدْرَين كانا بآفاق الفقيهينا

قد عشت عُمْراً تُنيرُ النَّاس مرشدهم ... وقاضياً كُنت في الأحكام مَيْمُونا

أحلّك الله في جنّاتِهِ كَرَماً ... على قصور الهنا جار النّبيّينا

هذا سليلك يحيي[٢] سلّ خنجره ... في نحْر جهل طغى فاندكّ موهونا

ففقّه الناس في علم وفي أدب ... خيراً جزاك عن الإخلاص بارينا

وجاء أحمد[٣] يُكسى الحَمْدَ في جذَل ... عن برّه العلم هذا من تهانينا

محمد[٤] ليس يُنسى في محامده ... والعلم أفضل محمود يُحيّينا

سعيد بن عليّ[٥] بالعلوم لنا ... فخر يُخلّدَهُ فينا التقيّونا

عَلِيّ[٦] غطريفنا بالعلم ذُروتنا ... تعلو السِّمَاكَيْن تأبى أن تُرى دُونا

بَلّغ رسالة علم أهلَها طلبًا ... مرضاة ربّكَ تُجْمَعْ بالرّضيّينا

وجمعة[٧] بن سعيد شِدْ به شرَفاً ... في برّه العلمَ تَعَلِيمُ المُجدّينا

فجِّرْ جيوش علوم في ضراوتها ... تُمَزّق الجهل من أحياء وادينا

هذا حفيد غُنَيٍّ[٨] كيف نجهله ... لا يُجْهَلُ العلم إن وافى يُحيّينا

لقد تحلّى بأخلاق لها حُمِدوا ... بالعلم جَنِّدْ له أُسْداً ميامينا

---

(١) الشيخ القاضي الفقيه يوسف بن سعيد بن حميد الرواحي.

(٢) الأستاذ يحيى بن يوسف بن سعيد الرواحي.

(٣) الأستاذ أحمد بن يوسف بن سعيد الرواحي.

(٤) الأستاذ محمد بن يوسف بن سعيد الرواحي.

(٥) الأستاذ سعيد بن علي بن تعيب الجامعي.

(٦) الأستاذ علي بن محمد بن جمعة الغطريفي.

(٧) الأستاذ جمعة بن سعيد الغطريفي.

(٨) الأستاذ عيسى بن ثاني بن غُنَيْ.

وافتك عَبْسٌ على الجوزاء فاخرة ... بمُرشِدٍ يُرشِدُ القوم النبيلينا
جُزِيتَ خيراً فتبليغ العلوم إلى ... طلّابها هوَفرْض لَمْ يَزل فينا
فخيرُكُمْ مَن حوى علْماً وَعَلّمه ... قال النبيّ فلا ضاعت أمانينا
وافاك للعلم والآداب معتنِقاً ... غتّامُها ذا سليمان الوفيّينا
هذا الحسينيُّ لا تُنسى محاسِنُه ... فقْهاً وباللغة الفصحى يُغذّينا
بنو رواحة واديهم يُنادينا ... من قمّة المجد والعلياء مَيْمُونا
يُزجي لنا منه أعلاماً كَواكبُهم ... تُزري بشمس الضحى إن خلتَهم فينا
هَذا حَفِيد ثُنَيّان[1] يزين به ... حفْظ الكتاب كتاب الله بارينا
وجدَّ للفقه حتّى توّجوه به ... وقد تُوفّيَ من أعلام وادينا
ذا سيف[2] نبهان هل سيف يناظره ... ما كلُّ حامل حدٍّ باتَ يَشفينا
كتاب رَبّي يُنادي أين حافظُه ... سيف تُوُفّيَ مَحمودَ المَيامِينا
والفقه يبكيه في أسفاره ألَماً ... من حبّه فيه لَمْ يَبرَح يُعَزّينا
وانظر إلى روضة التاريخ ذاوية ... بموتِهِ تَتشاكى في نواحينا
وافاك حِمْيَرُ[3] لا تبغوا به بَدَلًا ... كَأَنَّه حِمْير لا يَرْتَضي الدُّونا
في صدره حفظ القرآن مُرتَدياً ... فقهاً وفي الطبّ أستاذ يُلبينا
هذا الهميميّ عيسى[4] طُلْ به شرفًا ... نعْمَ التقيّ إذا شئت التقيّينا

(١) الشيخ محمد بن أحمد بن ثنيان بن مسلم بن ناصر بن صالح الراشدي.
(٢) الشيخ سيف بن نبهان بن سليمان بن ناصر الابراهيمي ولد في الجناة من وادي بني رواحة توفي في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري.
(٣) الشيخ حمير بن مرهون بن عمبر بن سرحان بن محمد الهميمي ولد في الجناة أيضا وتوفي سنة ٨٧ أو ١٣٨٨هـ.
(٤) الشيخ الفقيه القاضي عيسى بن حمود بن علي بن سلوم الهميمي ولد بالجناة من وادي بني رواحة.

سـقَتْه نـزْوى علـوم الشـرع مُتْقَنَةً ... فَنالهـا سلسـبيلاً بَزَّ سَـيْحونا
نـال القضاء ببـرّ العدل مـا كُبِحَتْ ... جيـادهُ فَقَضـى فـي النّـاس مادِينا
يـا أسـرة العلـم إن حَيّاكُـمُ قلمي ... في ذي الفريـدة لا قصْـد الثنا فينا
ذكـري لآلاء رَبّـي فيكُـمُ شـرَفاً ... حمْـد وشـكْر لَـهُ يَرْعـى أيادينـا
قـد مَـنّ رَبّـي بـأولاد علـيَّ هُمُ ... كواكب فـي سـما الآداب سـامِينا
قـد أصبَحُوا شُـعَرا فينا علـى فَنَنٍ ... أضحَـوْا وَما بَرِحَـوا فينـا المُجَلّينا
هذا الخطيب أبـو يحيـى[١] فرائده ... تَسـبي الْقُلُـوب إذا غنّـى الذكيّينا
عسـى غداً تُبصرُ الأَيّامَ قد سـعدت ... بنشـر ديوانـه فخْـراً يُحيّينا
ربّـاهُ رَحمَتُـكَ العُظمـى تُشـجّعُنا ... نرجـو رضـاك لَـهُ فارحمْـه آمينا
وانظرُ لِمَحمُودنا[٢] في الشـعر نابغة ... وإن شـدا قد سـبَى الألباب تلحينا
وإن تشـا سـيبويه النحـو تلف به ... وَإن تَشـا خزَنـات الأرْض يُؤتينـا
عبـد الحميـد[٣] أراه فـي فرائـده ... محـاولاً أن نـرى الجـوزا بأيدينا
وُفِّقـت يا ولـدي تبني العُلا شـرَفاً ... مخلِّـداً أدَبـاً ولتنصـر الدينـا
لاخاب مـن ورِث الآبـا وَمَجدَهمُ ... أنـت الجدير بـأن نلفيـك ميمونا
ولسـت أخجل من ذكر النّسـاء هنا ... لقـد تحلّـت بـآداب الوفـا فينـا
أقلامُهـنّ إذا نـام الشـباب أبـت ... أن ترتضـي النوم أو دُشّـا[٤] يؤاذينا
ولا حداهـا لنحـو السـينماء هوى ... ولا المراقـص أو خمـر العَصِيّينـا
تنقّبـت بعفـاف زانـه أدب ... وتـارة لكتـاب الله تحدونـا

(١) أحمد بن حميد بن عبد الله الجامعي توفي في ١٩٩٢/١٢/٦م.
(٢) محمود بن حميد بن عبد الله الجامعي.
(٣) عبد الحميد بن حميد بن عبد الله الجامعي.
(٤) جهاز استقبال قنوات التلفاز.

وإن تشا الشعر وافتنا خمائله ... من كل فنّ نرى منه أمانينا
هل يخجل البدر أن تُلفى كواكبُه ... من حوله حِلَقًا شمّا عناوينا
كم خلّد الأدَبُ السامي مكرَّمةً ... فخرا لنا لم تَشِن يوما معالينا
وكم فتاة بعلم الفقه ترشدنا ... لو تسأل الحق أبصرت البراهينا
فهاكها تتجلّى بين إخوتها ... توحي البيان ولا تخشى الشياطينا
فتلك عائشة[1] عِشْنا بها سُعَدا ... ديوانها للمَلا أضحى بساتينا
قد كاد لو تسمع الخنسا تقول لنا ... ليتي بعائشَ قوم جامعيّينا
وإن تشا النحو خُذْه من خمائلها ... تلفي تأنُّقَه للمستفيدينا
أسماء[2] في الشعر أسمى ما يطالبه ... أهل البيان منارات المجيدينا
فكم تحلّت به الأعلام في صُحُفٍ ... فأسْعَدُ الناس إتقانا يلبّينا
وذي بثيْنة[3] من آل الرسول لها ... خُئولة تتحلّى الفضل لا الدُّونا
جميلة الشعر لا يُعزَى جميل لها ... جميلُها أدَب بالشعر يَشجينا
وافتك مَيْمُونَة[4] ميمونةً أَدَباً ... مَيمُونَةً خُلُقاً مَيمُونَةً دِينا
جاءتك بالأدَب الميمون ناثرة ... جواهراً تتجلّى للأديبينا
بوركْتُمُ أيُها الأولاد طُلْتُ بكم ... تاجَ الفخار فحيُّوها تهانينا
وكيف أنسى سروراً[5] هل ترى بشَراً ... ينسى السّرُورَ أَبى هذا الوَفيّونا
هل تاج فخري بذي العَصما يُبَاعدُه ... فخر الشهامة والآداب تدوينا
لكنّما كان تأخيري عشقت به ... مسْكَ الختام بعليا من معالينا

(١) عائشة بنت حميد بن عبد الله الجامعي.
(٢) أسماء بنت حميد بن عبد الله الجامعية.
(٣) بثينة بنت حميد بن عبد الله الجامعية.
(٤) ميمونة بنت حميد بن عبد الله الجامعية.
(٥) سرور بلد من بلدان ولاية سمائل.

ذا خالِـدُ بن هــلال[١] هــل يُطاوله ... هــامُ الســماكين قلنــا لا مُحقّينــا
فقْــهٌ وشــعرٌ وَآدابٌ وَلَيْــثُ وَغًــى ... جُــودٌ سَــخاءٌ بتقــوى الله قــد زِينا
لو لمْ تلد غيــرَه همــدانُ من رجل ... كفى فخــاراً لهــا قد عَــزَّ مــا دِينا
أيــن الحســينيُّ عبــد الله[٢] ذو وَرَع ... شــهْم فَقيــه كريم قــد أبــى الدُّونا
طالــت حياتــك عبــدَالله فــي نِعَم ... فأَنْهــلِ العلــم مَــن للرُّشْــد يأتُونا
أتــاك راشــد[٣] مِن لِــزْغ لنــا عَلَماً ... فقْهــاً حَــوى عنــد آداب تُحَيّيْنــا
هــذا الحســينيّ لا تَبغــوا بــه بَدَلاً ... إن شــئتمُوا النُّجَبَــا بَيْــنَ الْمُجَلّينا
إن البــلاد رجــال لا دُمَــى صُــوَر ... في كلِّ ما اســتُنجِدوا يُلْفَــوْا مَيامينا
حِبراسُ[٤] حِبراسُ هل حسبي أقول هنا ... أم أُرسِــلُ الشــوطَ مصحوباً تَناجِينا
أين الكــرام وأربــاب النّضال ومن ... يُخشــى ويُرجى وَمَن في الله ما دِينا
أيــن الذين إذا مــا أُغضِبُــوا غَضِبُوا ... ودَمَّــرُوا مَــن بَغــى ظلمًــا يُعادينا
أَيْــنَ الأئمّــة والأعــلامُ والعُلَمــا ... أمَــا لهــم وارث يومًــا يُلَبّينــا
فَمَــن يَكُــن داره الفيحــا ولَــمْ تَرَهُ ... قــاد المحامــدَ عــارٌ يَنتمــي فينــا
تِلْكــمْ ســمائل لا رَوْضٌ ولا نَهَــرٌ ... ولا جبـــال ولا وادٍ يُرَوّينـــا
هذي المَحامِدُ لَــمْ تُوَرث كما ورثوا ... نخْـــلاً وَتِينـــاً وَرُمّانـــاً وَزيتونا
من شــاء إرْث الألى يفعل كما فَعَلُوا ... بالعلــم والســيف ميــراث الكمِيّينا
أمَّــا الــذي ورِثَ النَّخْــوات من أبِه ... فَحَسْــبُهُ حَسْــرَةً تُلفيــه مَحزونــا
لــوكان زهْدُ أبــي يــا غِــرُّ يَنْفَعُني ... أمــامَ رَبّــي لمــا خِلْنــا مُصلّينــا

(١) الشيخ الفقيه القاضي الأديب خالد بن هلال بن سالم الرحبي.
(٢) الشيخ الفقيه الأديب عبد الله بن أحمد بن حمود الحسيني.
(٣) الدكتور الأديب راشد بن حمد بن هاشل الحسيني.
(٤) الأستاذ الأديب حبراس بن شبيط بن لافي الشعملي.

كم من فتى في بحور الفسْق منغمس ... أبـــاؤه قـــادة الـقـــوم التقيّينا
فضـــل الجـــدود لنـــا نُـــور وتاركه ... قد بات فـــي خِزْيه والعـــار موهونا
حبراسُ حرَّكت أشجاناً على مُهَجي ... ما كُنت أعمَـــدُ في تحريكهـــا حِينا
فهاكهـــا مثـــل مـــا أبصرت بـــارزة ... عصا ابـــن عمران لا تُبقـــي الفراعينا
إن أمّتِ السِّحْرَ تلقفْ كلَّ ما صنعوا ... لَمْ يُفلح الســـاحرُ المَذمُـــومُ إن جئنا
فاخِرْ بهـــا إن تشـــا يومًا وهَـــنِّ بها ... وَمَـــن يَشـــا الأنْـــس ألفاها بســـاتِينا
وَجُـــرَّ بُـــرْدَ الهنا فـــي كُلّ وارفـــة ... منهـــا نُدامـــاك أحبـــاب وَفِيُّونـــا
أَبُو ســـرور وموســـى مـــع خليلهما ... ذاك الخليلـــيُّ مَن لا يَقـــرَبُ الهُونا
مـــا زال فينـــا إمـــامَ الضـــاد مرتديًا ... عِلْمـــاً وَمجْـــداً وَآدابـــاً تُنَمّينـــا
مَـــن لامَ حِبراسَ إن هاجـــت بلابلُه ... شـــوقاً إلينـــا وَغنّـــى فـــي روابينـــا
وعـــاش حِبراسُ مع أصحابـــه جَذِلاً ... يقضـــي لَيَالِيـــه أُنْســـاً مَـــعْ لَيَالِينـــا
ولْيصْـــدح الكلُّ مســـروراً بعاشـــقه ... وَخَيـــرُ مَعشـــوقة مرضـــاةُ بارينـــا
جـــلَّ الإلـــه وصلّـــى كُلَّمـــا طلعت ... شـــمسُ النَّهارِ عَلَـــى الْمُختَار هادينا
والآل والصحـــب ما غنّـــت مُطوَّقة ... بالدَّقدَقَيْـــن وَحُـــبُّ الله يحدونـــا[1]

تمت وهي ٤٧١ بيتا.

تمّت هذه القصيدة الطويلة الحاملة أعلامًا ومعالم، تظهر فيها شـــخصيّة أبي ســـرور، من حبّ للعلم وأهله، وثناء للفضل وحِزْبه، واعتراف لأشياخه وإخوانه بمقامهم الرفيع، ومكانتهم العالية عنده، فله الجزاء الأوفى عند ربه إن شاء الله، يوم يَجزي عبـــاده الصالحين في يوم يقول لهم: «يا عبـــادِ لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون».

(١) ديوان أبي سرور ٣١٩/١ ـ ٣٨٥.

يقول الدكتور محمود السليمي:

«وقصائدُه الوطنية لا سيَّما قصيدته الطويلة (عمان الماضي) تدلُّ على جهد ومقدرة في الغوص في أعماق التاريخ واستلهام العبر منه، وإن تشعّبت موضوعات هذه القصيدة، فأخذت القارىء عبر زمان طويل ممتدّ لقرون عدّة، منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وعبْر مكان يصل إلى تخوم أفريقيا، حيث الإمبراطورية العمانية، رغبة منه في الوصول إلى وجدان الأمة، فيتوسّل إلى ذلك بتوظيف مقوّمات تراثها، لما يشكّله من تأثير في نفوسهم، لارتباط هذا التراث بما فيه من قِيَم روحيّة وفكريّة، وبما يحمله من إيحاءات يلقي بها في وجدان السامع والقارىء حين يستدعي التراث ببعده الحضاري، من خلال نماذج تراثية يلجأ اليها الشاعر، فيعبّر من خلالها مستخدما شخصيات هذا التراث وأحداثه، وإن جاءت في أسلوب تقليدي، في حنين واضح إلى تلك العصور ومعطياتها»[1].

❊ ❊ ❊

(١) د. محمود بن مبارك السليمي، شعر حميد بن عبد الله الجامعي، «أبو سرور»، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، أيار ١٩٩٥م نسخة مرقونة، ص ٩٤.

القصيدة الحادية عشرة

لشيخنا العلّامة سعيد بن خلف الخروصي، حيث شارك السمائليّين في الإشادة ببلادهم والتغنّي بها، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ كان قاضيا بها سنوات طويلة، بلغت ستَّ عشرة سنة، واختارها عن كثير من بلدان عمان، حينما عُرِض عليه تولّي القضاء، فلا غَرْوَ أن تسيل قريحته وأن يرفع عقيرته بذكر سمائل، والإشادة بها أعلامًا ومعالِم، فقال:

(هذه سمائل)

يا سائلا عن دارنا الغنّاءِ ... عيْنِ القُرى سمائلَ الفيحاءِ
خذْ وصْفَها في دُرّة عصماء ... أبرزتُها نَصْبًا لعين الرائي
واضحةً تَسبي النُّهى بالسِّحْر
منطقة مِن أحسن المناطق ... ليس لها في فضلها من لاحق
حيث لها أكبر مجد سابق ... وكم لها في الخير من وثائق
من عهد مازنٍ لهذا العصر
حلّت محلّ القلب في عمان ... ومالَها في حُسْنها من ثاني
فهي أخي أعجوبةُ الزمان ... وغيرُها من سائر البلدان
كواكبٌ وهالةٌ للبدر
فالطُّول فرسخان بالأميال ... ستّةُ أميال بلا جدال
من أسفل الدار إلى العَوالي ... وأنهّا لمضرب الأمثال
عن وصْف كُلِّ الحُسْن كَلَّ حَصْرى
شُقَّتْ بوادٍ هو فيها النيل ... وماؤه العَذْب فسلسبيل
يُشفَى به من دائه العليل ... أنهارُها جداول تسيل
من ضفّتيْه فهما كمِصْر

تطـــول ذا الـــواديَ حَرّتـــانِ سُـــوران للفيحـــاء مانِعـــانِ
مـــا التقتـــا لرفعهـــا يَـــدانِ بل أتقـــن الصُّنْـــعَ الحكيـــمُ الباني
سـبحان مَـن أتقـن كلَّ أمْـر
جميعُهـا قـد عُمِـرتْ فـلا تـرى مـا بيـن جنّتيـن مـا لـم يُعمَـرا
والنخـل فيهـا غالبـا قـد سُـطِّرا أوّلُ كـلِّ عـاضـد تـصـدَّرا
قائـدُ جيـش حبشـيّ مُجْـري
جِـنـانـهـا حـدائـق مُـصـانـهْ كأنهـا فـي صَـدَف مَرْجَانـه
أو أنهـا الأبلـق فـي الصِّيانـةْ عِـزًّا وفـي الحُسْـن فمـا فَرْغانةْ[1]
تُشـبهها فـي خَصْبهـا والزَّهْـر
كـم فـي البسـاتين من الأشـجار مـن كلِّ جنـس دانـيَ الأثمـار
وكـم بهـا مـن عاطـر الأزهـار تـنـوّعـت كـأنـهـا الـــدَّراري
في وسْـط هاتيك الريـاضِ الخُضْر
يـقـطـنـهـا قـبـائـل كِـبـارُ مـن خُلَّـص العُـرْب لهـم فخـار
عنـد اللّقـا إن حَمِـيَ الذِّمـار مـا فيهـمُ مَـن تَقْحَـم الأبصـار
بل هم أسـود الغِيـل يـوم الذُّعْر
يـرأس أعلاهـا بنـو الخليـل أهـلُ العلـى بالفعـل لا بالقيـل
كـلُّ فتـى منـهـم أخـو إكليل ونـاصـرٌ لـديـنـه الـجـلـيـل
محـلُّ كلِّ منهـمُ بالصـدر

(١) فَرغانة من مُدُن أوزبكستان الإسلامية.
تقع إلى الشرق من أوزبكستان قريبة من جمهورية طاجكستان.
قيل عن سبب تسميتها إن أنُوشـروان بناها، ونقل إليها من كلّ أهل بيت واحد، وسمّاها أزهر خانة «أي تعني من كلّ بيت» ثم قيل لها فَرغانة.
تطلق عليها لؤلؤة آسيا الوسطى لخصوبة أراضيها والطبيعة الخلّابة.

واسِطةُ العِقْد الإمامُ الأوحدُ علّامة القُطْر الرَّضي محمّدُ
إنسانُ عين القُطْر ليس يوجد له شبيها في المعالي أحد
سما بمجده سماءَ الغَفْرِ[1]
وابنُ أخيه الجهبذ الأمير عبد الإله البارع الشهير
ليس له في مصره نظير وشعره الفَذُّ فما جرير
والبُحتريُّ دونه في الشعر
ويرأس السُّفلى قبيلتان كلتاهما في المجد ذاتُ شان
أولاهما من تَغْلِب العَدناني وتنتمي الأخرى إلى ذَبيان
أهلِ المواضي والعوالي السُّمْر
والحِصْنُ بين القريتين ارتفعا محلّقا يبغي المحلّ الأرفعا
كأنه في دَسته تربَّعا مَلْكٌ على غِمدانَ ضَمَّ تُبَّعا
يحمي الحِمى في نهيه والأمر
ومن ذوي الإحسان فيها خَلَفُ أولو علوم جمَعوا وصَنَّفوا
فُزْنا بهم فلم يفتنا السَّلَفُ قد نصحوا أمَّتهم وألَّفوا
بين الورى فهم ربيع الدهر
فتى جُمَيِّلٍ بغِيل الدَّكِّ في علْمه سليلَ زيد يحكي
قد أوضح الحقَّ كتابُ السِّلْك لحَبرنا وكم له من سِلْك
جواهرُ الألفاظ لا كالدُّرِّ

(١) أوّلُ النجوم اليمانية وثالث الوَسْم، وسادس منازل الخريف، وطالعُه في الحادي عشر من نوفمبر، ومدّته ثلاثة عشر يوما، وهو ثلاثة كواكب خفيّة بين السِّمَاك الأعزل وبين زباني العقرب، على نحو من خلقة العَوَّاء.

خيـر مجالـس الهـدى مجالسُـهْ فـاز بـه كلُّ امـرىء يجالسُـه
تورثـــه كنـــزَ الغِنى نفائسُـــه ليس لـه فـي القُطْـر مَن ينافسُـه
عِلْمًـا وزُهْـدا فهـو غـوث القَطْر

وابـنُ عُـبيْـد شيخُنا الـوحيـدُ عـلّامـة فـي مـصْـره فـريـد
جـلـيـسـه بـفـقـهـه سـعـيـد ووَعْـظـه ورأيـه سـديـد
أكـرم بـه مـن أريحـيّ حَبـر

أبـقـاهـمـا الـرحـمـن نـاشِـريْـن عـلْـمَـهـمـا ولابِـسـيْ بُـرْدَيْـن
مـن صـحّـة وفـاعـلـيْ خـيْـريـن دِيـنًـا ودُنـيـا جـامـعـيْ أمـريْـن
مصلحـةَ الدنيـا وعقبـى البِـرّ

وبـعـد ذكـر الـفـضـل والـعـمـارةْ بـقـي لـنـا أن نـذكـر الـتـجـارةْ
فـهـي بـهـا مـظـهـرة الـبـشـارة فـي أوجـه التَّجْـر عليهـم شـارة
مـن نجْحهـا مشـرقة بالبِشْـر

وهـذه الـدار بـهـا أسـواقُ ثـلاثـة وخـيـرهـا يـسـاق
لأهـلـهـا فـلْـيُـشْـكَـرِ الـخـلّاقُ سـبـحـانـه لـتـكـثـرَ الأرزاق
ويجـزل الأجـرَ مليـكُ الأمْـر

وخـتْـمُ هـذا الـنـظـم بـالـصلاة عـلـى نـبـيّـنـا الـحـبـيـب الآتـي
بـالـفـرْض مـن صـوم ومـن صلاة والآل والصحْـب أولـي الثبـات
مَـن أخلصوا فـي سـرّهم والجهر

❊ ❊ ❊

القصيدة الثانية عشرة

ومن القصائد السمائلية أيضا هذه القصيدة للشيخ الأديب فارس القصيدة العربية هلال بن سالم بن حمود السيابي:

(في ذكرى أشياخي وأترابي في سمائل)

أعيدوا إليّ العهْدَ لو بَعُدَ العهدُ ... وعَصْراً به قد كان يأتلِقُ السَّعْد

زمانًا تعلَّمتُ الهوى في ظِلاله ... فما ضلّ بي رأيٌ ولا خانني رُشْدُ

وأيُّ زمان كان لو أنه بقي ... وأنّى وهَزْلُ الدَّهر في حَدِّه الجِدُّ

على أنَّني لم تطَّبيني صَبابةٌ ... لعصْرٍ به زانت أُمَيْمةُ أو هِنْدُ

ولا مَرْبعٌ أقوى ولا طلَلٌ عَفا ... ولا أرسُمٌ زانت بها الخُرَّدُ الرُّبْدُ

ولكنّما سال الفؤادُ لأَرْبُعٍ ... وأيّامِ زَهْوٍ قد ورى بهما الزّنْدُ

وعصرٍ كما تهوى العُلى وارِفَ الهدى ... يمورُ به العِرفانُ والفضلُ والحمدُ

وآلى عليه السَّعدُ أن لا يروعُه ... بِنِدٍّ وهل للشمس في أُفْقها نِدُّ

فيا لَزمانٍ كم أضاءت نجومُه ... وكم فاح من أردانه المسْكُ والوَرْدُ

نهلتُ الهوى منه ورُضْتُ جِماحَه ... وإن نازعتني في الهوى الشُّزَّب الجُرْدُ

أَبيتُ نجيّاً للنجوم بحضْنه ... وتُصبِحُ بي خيلُ الهوى سُبَّقاً تعدو

وتَمْرَحُ ما بين المَخِيلة والهوى ... فأشْقَرُ سَبّاقٌ ومُقتَحِمٌ نَهْدُ

وبالأُفْق من زَهْو النجوم مَخِيلةٌ ... ولكنَّها في مُهْجتي أبَدًا وَقْدُ

وأنّى يُلامُ المرءُ أو يُعْذَلُ الفتى ... إذا رَنَّ من ذكر الشباب به عَهْدُ

ومَن لي وتَذكاري وسُحْبُ مدامعي ... بصبرٍ وأنّى والأسى جَزْرُه مَدُّ

أروحُ على حالَيْن من لوعة الأسى ... فإمّا يمورُ الحُزْنُ بي أو يَشِي الوَجْدُ

ولِمْ لا وأشياخي وأربابُ نِحْلتي ... عدا بهمُ برقٌ ودَوّى بهم رعدُ

أقلّبُ طرفي مستهامًا فلا أرى ... على أُفُق الفيحاء أنوارُهم تبدو
وأسألُ شُهْبَ الأُفْق عنهم وأنثني ... وبي وجَعٌ ممّا تُغمغِمِ يشتَدُّ
على أنّ لي قلبًا يمورُ صبابةً ... إلى ذلك الوادي ويَغمُرُه الوَقْدُ
يغامرُ بي والهوْلُ يطغى عُبابُه ... وأيُّ فتًى يقوى إذا عزَّه الجَدُّ
وأنكرَ من أيامه ما ترجَّحت ... به سَوْرةُ الأيام أو غَالَه الشَّدُّ
وأصبحَ من بعد الكواكب في دُجى ... فلا دَرْبُه درْبٌ ولا قصْدُه قصْدُ
فيا أسفاه كيف زُمّت ركابُهم ... وأنّى يَضُمُّ الشُّهْبَ في ضِيقِه اللَّحدُ
وكيف تسيرُ الشُّمُّ وهي شوامخ ... وأنَّى لَعَمري يذبُلُ الحجرُ الصلدُ
فياليت شعري كيف هُدِّمَ حوضُهم ... على العزّة القعساءِ وانفرط العِقدُ
وتلك لَعَمْرُ اللهِ للحشر آيةٌ ... أمَا جاء إنّ الشُّمَّ في الحشر تنهدُّ
سلامٌ عليكم ما أضا البرقُ مُوهِنًا ... شيوخَ الهدى والفضل أو جلجل الرعد
سريتم إلى الرحمن غُرّاً أكارماً ... يضيئ بكم غَوْرٌ ويسمو بكم نَجْد
وتأتلقُ السبعُ الطباق لركبكم ... وجبريلُ حاديكم ويا نِعْمَ من يَحْدو
تَفَتَّحُ أبوابُ السماء لركبكم ... ويعبَقُ عَرْفًا منكمُ المسْكُ والنَّدُّ
يرى الملأُ الأعلى بروقَ ركابكم ... فيفرحُ للقيا ويُطرِبه الوَجْد
فإن بكتِ الفيحاءُ يوم رحيلكم ... فللمَلأ الأعلى بمقدمكم سَعْد
تقدّمتمونا والعُلى حَشْوُ بُرْدكم ... فياليتَ شعْري هل بقي للعُلى بُرْد

* * *

سلامٌ عليكم ما أعَزَّ جَنابَكم ... وإن حال ما بيني وبينكم الوَخْد
وبِتُّ من البَيْن المُشِتِّ على أسى ... يراوحُني هَمٌّ على الحزْن يشتدّ
تسيلُ جفوني كلّما عنَّ ذكْرُكم ... ويلهب قلبي من تسعُّرِه الفقد
ألا ليتَ هاتيكَ الليالي رواجع ... كما كُنَّ والأيامُ من عَرْفها وَرْدُ

وإذ ساحةُ الفيحاء وهّاجةُ الضيا ... يمورُ بها العِرْفانُ والسؤددُ العِدُّ
تكاد نجومُ الأُفْق تحسد شُهْبَها ... ولولا التغالي قلتُ يحسدها الخُلْد
أبى الله إلا أن تكون من العلى ... على ذِرْوة من دونها الشُّمَّخُ المُلْدُ
فمِن عالِمٍ كالبحر طامٍ عُبابُه ... ومن ماجد أعلامُه المجد والرفد
أئمّةُ صدْق لا يُرامُ مقامُهم ... وأركانُ مجدٍ لايرام لهم حَدّ
أساطينُ مجد أو بحورُ معارف ... ورهبانُ ليل غيرَ أنهمُ أُسْد
فمَن كالعظيم ابنِ الجُمَيِّلِ شيخِنا ... إذا ذُكِرَ العِرفانُ أو وُصِفَ الزُّهْد
تعلّق بالرحمن قلبًا وقالَبًا ... فضاءَ له من أُفْقِه الغَوْر والنَّجْد
وأحيا على» الإحياء» أركانَ رُوحِه ... فلم يَنْبُ عمّا رامَه أبدًا قصْد
له في الكُروبِيّينَ أكرمُ منزل ... ومِن حوله الحُورُ الكريمةُ والمُرْدُ
«غزاليُّ» هذا العصر بل شيخُ أهله ... ولا غَرْوَ فهو العالِمُ العَلَمُ الفَرْد
وإبنُ عُبيْدٍ وهو علّامةُ الورى ... وسيّدُ أهل الفضل والسَّنَدُ السَّدُّ
أضاءَ سماءَ العلم نيِّرُ بَدْرِه ... وضاءَ به العرفانُ والشرفُ العِدُّ
لَكُم أشرقتْ «بالجعفرية» شمسُه ... فضاءت على أنوارها السِّنْدُ والهندُ
تبدّى على نهج «الخليليِّ أحمدٍ» ... فزان به العرفانُ والفضلُ والحمد
ومَن كأبي واللهُ يشهد أنَّني ... لأقبِضُ عنه القولَ والقولُ يمتدُّ
فما كان إلا صارمًا في غِراره ... مَناطُ المعالي بل هو الأسَدُ الوَرْدُ
كأنّ العوالي جُمِّعَتْ في شَباتِه ... فحَدّاه حَدّاها وأدْرُعُه السَّرْد
وما كان إلا بحرَ علْم تلاطمت ... أوَاذِيُّه بل جَزْرُه أبَدًا مَدُّ
رآه الخليليُّ الإمامُ مهنَّدًا ... فسدَّده والهوْل بالهوْل ينقَدُّ
وباتت ذُرى «شاذانَ» منه حصينةً ... ومَن ذا يروم الغابَ إن تزأرِ الأُسْدُ
ومَن مِثْلُ عبدِاللهِ للمجد والعُلى ... اذا التقتِ الفرسانُ واحتشدَ الجُنْدُ

وشـــاعرُ ذاكَ القَرْنِ من بعـــدِ ناصرٍ ... فآياتُـــه الآيـــاتُ والسُّـــوَرُ اللُّدُّ
ســـلامٌ عليه، لـــم يَمُتْ قـــطُّ لحظةً ... وفـــي كل نَحْـــرٍ مـــن لئالئـــهِ عِقْـــدُ
وللمجـــد منه فـــي «سُـــعودٍ» خليفةٌ ... يضيئ به المجـــدُ المؤثَّلُ والسَّـــعْد
تـــألّـــقَ وضّـــاحًـــا بِـــنَـــيِّـــر مـــجـــدِه ... فلـــم يَعْـــدُهُ مجـــدٌ ولا فاتَـــه حَمْدُ
ولله مـــنـــه فـــي مـــحـــمّـــدِ شـــاعـــرًا ... يهيمُ علـــى أنغامـــه الضُّمَّـــرُ الجُرْدُ
تجلّـــى علـــى كرســـيّه غيـــرَ آبِـــهٍ ... بمَـــن قبلَه قادوا الكواكبَ أو شَـــدُّوا
وهل ليَ أن أنسى «الرشيديْنِ» والعُلى ... لواؤهمـــا ربّـــاه كـــم يَعْظُـــمُ الفَقْدُ
فقدنـــا سَـــنَا الآدابِ يـــومَ افتقـــادِه ... فياليتَ شِـــعْري مَن على سَيْرهم يعدو
وبعدَهمـــا راحَ المفضَّـــلُ «مُرْشِـــدٌ» ... ومـــا زال ريْعانُ الشـــبابِ بـــه يبدو
ولســـتُ بناسٍ مـــا حييـــتُ معلِّمي ... وشيخي وأســـتاذي إذا افتخر النُّجْد
ســـعيدُ الفقيـــهُ المجتبى إبنُ ســـالمٍ ... ونحويُّ أهـــلِ العصرِ طُـــرًّا إذا عُدُّوا
تـــرى النورَ يهفـــو من أســـرّة وجهه ... وينفحُ مـــن أعطافه الفضلُ والرُّشْـــد
فصاحبـــتُ منه بـــدرَ تَمٍّ بـــه انجلت ... حياتـــيَ عمّـــا بَتَّـــهُ ثُـــمّ أو بَعْـــدُ
و«للناعبـــيِّ» الحَبْـــرِ أركانُ عِـــزّةٍ ... يمـــورُ بها جِـــدٌّ ويســـمو بهـــا جَدُّ
تزامَـــلَ مَـــعْ ذاك السَّـــعيدِ بجامـــع ... الشُّـــراة فكانـــا غُرَّتَيْـــهِ التـــي تبدو
ولســـتُ بنـــاسٍ أو يُغيِّبَنـــي الثَّـــرى ... لشـــيخيَ «غسّـــانَ» الـــذي مَالَـــه نِدُّ
لَكَـــمْ صَكَّ ســـمْعي «بابـــن مالِكَ» ... مُعْرِبًا شـــواهدَه حتى بدَتْ وهِيَ الشَّهْدُ
ولله أتـــرابٌ حُظِيـــتُ بهـــم وإن ... ســـرَوْا زُمَـــرًا وَفْـــدٌ يشـــايعُه وَفْـــدُ
ك»خلفانَ» لو أنسى الورى ما نَسِيتُه ... وأنّى وفـــي جَنبَيَّ مِـــن فَقْـــده وَقْدُ
جَرَيْنـــا مَعًا نحو المعـــارف والهدى ... رفيقيْـــن لا ننفـــكُّ والثالـــثُ الحمْدُ
و»عبدُالإله نجلُ خلفـــانَ» كيف لي ... بنســـيانه ســـيْفًا تضمَّنَـــه الغِمْـــدُ

تبلَّجَ في أعطافه «الشيخُ» مُورِقًا ... فزان به المجدُ المؤثَّلُ والجِدُّ
ومن هاشمٍ «عبدُالإله بن سالم» ... زميلٌ له من خُلْقه أبَدًا نِدُّ
تألّق من بعد الدراسة مُقرِئًا ... وأستاذَ علْم لا ينهنِهُه الشَّدُّ
ومَن «كَحُمَيْدٍ» في قوافيه ترتمي ... بها البِيدُ وهو السيف في حَدِّه الحَدُّ
صحبتُ به الأيامَ عهْدًا منوَّرا ... فلمّا مضى أيقنتُ أن بَعُدَ العهد
وبالعَلَميْن الأكرميْن: محمّدٍ ... وراشدِ كم نهفو جلالاً وكم نشدو
لَكَمْ قصَدا البيت العتيق وهَوَّمَا ... بأركانه حُبًّا فلم يَخِبِ القصْد
تربَّوْا على الإحسان والفضل والهدى ... فيا ليت شعري من يَسُدُّ الذي سَدُّوا
أحبّايَ بالفيحا سلامٌ عليكمُ ... كاخلاقكم دوْمًا يمورُ بها الوُدُّ
سريتم إلى الرحمن زُهْرًا كواكبًا ... ولكن ربوعُ العلم والفضل تَرْبَدُّ
تُشَيِّعُكم ألبابُنا وقلوبُنا ... وأكبادُنا الحَرّى وأعينُنا الرُّمْد
سلامٌ عليكم ما أشدَّ الرَّدى سُطًا ... ولا سيَّما أن لا سلامٌ ولا رَدُّ
لئن كنتمُ غادرتمونا مَشاعِلاً ... إلى الله فالأكبادُ بالجُرْح تَنْقَدُّ!
لقد غبتمُ عنَّا وما زلتمُ بنا ... مشاعلَ تَهدي الرُّشْدَ إن فُقِدَ الرُّشْد
عسى اللهُ بالفردوس يجمعُ شملَنا ... بأكملَ ما يُوفيهِ في خُلْدِه الخُلْدُ

٢٦ رمضان المعظّم ١٤٤٠ هجرية.
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

* * *

القصيدة الثالثة عشرة

هلال بن سالم السيابي

(في رحاب سمائل)

نائـحَ الأَيْـك لو شـربتَ بكأسـي ... لعرفـتَ الأسـى ومعنـى التأسِّـي
عَمْـركَ الله مـا النُّـواح بمُجْـدٍ ... لجريـح وليـس قـطُّ بمؤسـي
أأسًـى؟والمدى لديـك فمَـن لـي ... والنـوى صَعْـدة بهامـة راسـي
كلُّ جـرح أخـفُّ من قبضـة النأي ... وإن كان فـي منـازل قُعْـس
يا طليقاً بكى من الأسْر ما حالُ أسيرٍ من التنائي بحبس

حسـبُك الله كـم تنـوح فمالـي ... ثابـت الجـأش والنّـوى ذات مَسِّ
لاعدتـك النـوى فلو بعـض مابي ... مَـسَّ جَنبيْـك مـا قويـتَ لهمْس
ليت شـعري لو أنّ لـي كجناحيْك ... لـكان الأثيـر للأهل عنسـي
ولزلزلـت في مسـاري السـماوات ... بـركْـلٍ مـن جـانـبـيّ ورَفْـس
وطني فـي الصميم من لبّـة القلب ... وأعـلامُـه وشـائـجُ نفسي
مهْد روحي، ومسـقط رأسـيَ منّي ... وهـوى مُهْجتـي، ومطلع شمسـي
شـهقت في ثـراه روحـي ومادت ... فـي ذُراه مـع الضيـاء المُمَسّـي
وعلـت مـع نخيلـه، وتسـامت ... بين عمْـرو ـ مـن نابغيْـه ـ وقيس
واسـتظلّت بشُـمِّه شـامخات ... وغـدًا فيه سـوف يشـمخ رمْسـي
نبْـعُ روحـي ومَهْد عُمْري وأُنْسـي ... آهِ مـن ذكريـات عُمْـري وأُنسـي
آهِ والله أيـن أيـامُ أُنْسـي؟! ... ـ يا سـميري ـ وهل بقايا بكأسـي
ردّدِ الصـوت، هـل أحِـسُّ صداه؟ ... أم توهّمـت؟ ضـاع منّـيَ حِسّـي
لا عيـونُ المَهـا علـيَّ كمـا كانت ... ولا ودُّهـا الغَـداة كَأمـس

كلُّ ريـــمٍ يـــكاد مـــن مُقلتيْه تشـرب الوَجْد منـه كأسـا بكأس
أو ترى الحُسْـن من مطالـع خَدَّيْه فتبلـــوه بيـــن قـــرص ولمْس
مـن صبـايـا كـأنـهّـن الـمـرايـا في جمـال مـا بيـن حُـوٍّ ولُعْس
غمـرت سـاحتي بأيمـن سَـعْد ثـم غـارت، والدهر سَـعْد بنحس
يـا ظبـاء الصَّريـم، أيـن عهـود للتصابـي، وهـل لهـا مـن مَحَسّ
أتـرى العهـد مـن هوانـا تقضَّـى يـا لَعهْـد كأنـه يـوم عِـرْس
أيـنَ عَهـدٌ علـى (سـمائل) ضَاحٍ كسَـنا البـدر، أو كطلعـة شـمس
حيـن فَـوْدي مـع الشـبيبة داجٍ وفـؤادي صَلْـبٌ حديـدُ المجَـسّ
والصِّبـا وارفُ الظِّـلال، وعُـودي مسـتقيمٌ، ومركبـي ليـس يرسـي
والمقامات وُضَّحٌ، والقوافي شُرَّدٌ، والهوى حُسامي وتِرسي

ولِدَاتـي النجوم، والشُّـهْب صَحْبي وجَـوادي عـن المَدى غيـر نَكْس
أتعالـى مـع النجـوم، وأَجـري بيـن أفلاكهـا سُـمُوّاً بنفسـي
أصحـب النـور، حيثما يمَّـمَ النور وأُخَلِّـي إلـى الهوى بعضَ حِسِّـي
وأراعي الشـموس رأدَ الضُّحى الزاهي وشُـهْبَ السـماء أيّـان أُمسـي
بيـن روض وجدول وسَـواقٍ ونهـور وأعيـن ذات بَجْـس
وسـطـور الـنـخـيـل مـؤتـلِـقـات كصفـوف الجنـود تحـت الدِّرَفْس
طاولـت قمَّـة الجبـال، ولاحَـت حرَسًـا للرُّبـا، وأرمـاح عَـسّ
ما شـكت من قيامهـا أبَـد الدهر ولكـن زكـت بأينـع غَـرْس
وإذا الريح سـاورتها فعَـزْف مـن تواشـيحها بلُطْـف وهمْـس
وريـاض النسـرين والفُـلّ تجلـو روعة الحُسْـن بيـن زُهْـر وطُلْس
يتغنّـى بهـا النسـيم، ويهفو بـشَـذاهـا مـصبِّـحاً أو مُـمَسّـي
ويـردّ الشـذى إليهـا، فتهفـو لـهـواه، وتـصـطـبـيـه بـأُنْـس

هـي فيحـا عمـان، أفْـقُ بيـان لنجـوم مـن كلّ بـدر وشـمس
هيّجـت واديَ الهـوى بهواها وأقـامـتـه كـعـبـةً لـلـتـأسّـي
وأفاضـت وادي البيـان نميراً سلسـل الصَّفْـو كوثـرَ المتحَسِّـي
فـاعـذرونـي إذا عـلِـقـتُ هواها إنهـا قِبلتـي، ولألاءُ نفْسـي
أنـا قيـس بحبّهـا، وهـي لُبْنـى أَعَلِمْتـم عـن شـأن لُبْنـى وقيس
يـا نسـيمَ الصِّبـا أمـانًا لقلبـي لـم تَعُـد شِـرّتي الغـداةَ كأمـس
أنـا مـن تيّمتـه تلـك المرائـي واصطبتْـه العيـون منهـا بنَعْـس
مُشْرَئبٌّ إلى هواها وإن طوّفتُ في الأرض ما هواها بمَـنْسي
فأراهـا فـي كل روض بهـيٍّ وعلـى كلّ دوحـة ذات جَـرْس
وعلى كلّ ذات وَشْـي من الحُسْـن وقصْـر عالـي الجـلال ورَمْـس
يصطبينـي النسـيم منهـا فيهفـو خفَقَـان علـى هواهـا بحِسّـي
أرقب النجم حينما يصبح الناس نيامًا وحينما النجم يمسي
ونديمـي عَبْـر الليالـي يَـراعٌ مسـتطار علـى نـوازع حِدْسـي
فإذا سـال فـي الطُّروس فمـا ذاك بحِبْـر لكنّـه ذوْبُ نفسـي
وفـؤاد ـ بيـن الضلـوع ـ خَفـوق يتحسّـى بكأسـها ويحسّـي
يتملّـى ـ علـى البِعـاد ـ ويحـدو بهواهـا كأنـه ذات مَـسّ
يتـراءى (المضمـارُ) والطُّهْـر فيه قُـدُس مـن محمّـد أيُّ قـدْس
مسـجدٌ أُسُّـه الهـدى ومنار للمعالـي بُنـي علـى خيـر أُسّ
شـادَه (مـازن) بأيمن سَـعْد وحمـاه مـن كلّ زهـو ورجْـس
فـتـعـالـى وبـاركـتـه شـيـوخ ركَّـع سُـجَّد بذكـر ودرْس
وعلـى حافتيْـه مجْـد مُعَلّى تَغلبـيُّ النَّجار من خيـر إرْس
زان بالكُمَّـل الأكابـر مـن أهليـه مـن كلّ ذي جـلال وقـوْس

أين خلفان ـ وهو مجتهد العصر ـ عُباب العلوم من كلّ جِنْس
أمْ لعَمْري أين المعلّى مقامًا سالم المجد بين درْع وطِرْس
وعلى (الجامع الكبير) هداةٌ رأيهم في العلوم طلعة شمس
رُبَّ شيخ كأنه اليَمُّ في العلم وكالصحب في رَشاد وبأس
حسْبُه مفخرا بهم من شموس مشرقات ومن ميامين شُمْس
وإذا مابُني البناء لوجه الله نال السماءَ منه بلَمْس
مَن (لحصن) يكاد يلتحف التاريخ من طول عِتْق ـ بلُبْس

لم تزده القرون إلا جلالا من أريج لكلّ أروع نِطْس
عبق المجد فيه أكبر من أن تنتويه يدُ الزمان بطَمْس
فإذا ما رأيته قلت: هذا عرْش مُلْك أو أنه ركن كرسي
وكذاك التاريخ لو هُدَّ ركن قام ركن منه بأعظم درْس
واذا ما التفتَّ للجانب الأيمن شاهدت آخرًا غير مَنْسي
أخلقتْ ثوبَه الليالي، ولكن ثوبُ أمجاده بهيَّ الدِّمَقْس
ورفيعٍ بمدخل الوادي ما ناف بسوء ولا تسامى بِجبْس
حرس الواديَ البَهيّ بأيدٍ وحماه بكلّ أمجد نِدْس
و(سِتالٌ) وبيتها المشرقُ الغُرّةِ لو جلّلته أيّام نَحْس
تتغنّى الحيطان فيه بمجْد يعربيّ، وعِزٍّ كُمّل حُمْس
و(بسَحراء) للصلاة مقام وصراط إلى السَّموات قُدْسي
لو تجلّت أسراره لشهود لشهدتَ السَّما بعين وحِسّ
ورأيتَ الأملاك تغدو وتمسي ولمستَ العُجاب أقربَ لَمْس
وب (سُبحيّة) عباقرُ جِنٍّ للقوافي بل عبقرية أُنْس
رحم الله شيخَها وفتاها فلقد كان (فارسَ الضاد) أمْس

ثـم (شَـهباءُ) يارعـى الله شـهباءَ إذا مابـدت كأحسْـن عِـرْس
تَخِـذَت عالـيَ البـلاد محَـلّاً واسـتقرت مَجـرَّةً فـوق رأس
وعلـت محتِـدا وجلَّـت مقامًـا بسَـراة شـوامخ المجْـد خُنْـس
أرْسُـمٌ لو تحدّثـتْ أخرسـتْ مَن يتحـدَّى بِرُجّـحٍ غيـرِ خُـرْس
وأبانـت عـن العتيـق مـن الفخر وأبـدت عـن العريـق الأرَسّ
تنطق الآيُ فـي مقاصرهـا الخُضْر برَغْـدٍ مـن النعيـم ورَغْـس
وتبيـن السِّـمات فيها عـن المجد المُعَلّـى بيـن القَنـا والدِّرَفْـس
شـمخت تَغلبيّـة وتسـامت بيـن ذُيبـان فـي القديـم وعَبْـس
وازدهـت بالجـلال فخْـرا وتاهت بالمعالـي لـكلّ أبلـج شَـطْس
مـا بَنَوْها مـن أجْـل كِبْـر ولكن أسّ مجْـد فكـنَّ أمتـنَ أُسّ
يابـلادي ويـا سـويداء قلبـي عَلّلينـي الغـداةَ منـكِ بطِـرْس
روِّحـي روحـيَ الكليلـةَ عَلِّـي أنتشـي مهجة ولـو بعـض خَلْس
وعلـى مقلتـيّ ألقـي قميـصَ اللُّطْـف تَسْـعَدْ بريحه بعـد تَعْس
فأنـا ذلـك المُعَنّـى، ولكـن شِـيمتي أن أصـون عِـزّة نفْسـي
لا يرانـي الصِّحـابُ إلّا صبـورا ثابت الجـأْش رغْـمَ هَـوْلٍ وبأْس
لم تنل صعدة النّوى من مِراسي ـ قيْد ظِفْر ـ ولم تَرُمْني بأُبْس
أو تقعقعْ ليَ الشِّنانَ، ولا كلَّت شَباتي، ولا ضللت بعَمْس
لا ولا كنت غيـر إبنك فـي الحُلو وفـي المُـرّ أسـوة أو تـأسّ
فـاذا مابَعُـدْتُّ عنـكِ فروحـي فـي مقاصيـرك الزواهـر تُرسـي
واذا مانأيـتُ حِيناً وطوَّفْـتُ فذنبي فـي النـأي ـ ذنْـبُ الدِّرفْـس
يعلـم الله مابَعُـدْتُّ اغترابـا غيـر أنّي أسـرجت للمجْد عَنْسـي
واذا المجـد صـاح بالمـرء يومًـا فسـواء أيّـان يغـدو ويمسـي

دمشق / أكتوبر ٢٠٠١م

القصيدة الرابعة عشرة

هلال بن سالم السيابي

سلام على الفيحاء

سلامٌ كما هبَّت عليكِ الخمائلُ ... سمائلُ، أو غنَّت عليكِ المناهل
ولاحت عليك الشُّهب عِقْدا مفضَّضا ... وماجَت عليكِ الريح وهي مخائل
سلامٌ كفوّاح الأريج سرت به ... بُرودُ الصَّبا، واستقبلته الرسائل
فمِن عنبر تهفو العَذارى لمثله ... إذا هبَّ، أو تسمو إليه العقائل
ومن سوسن غَضّ، ومن نرجس نَدٍ ... تتيه به في الغانيات الحمائل
سمائل، والذكرى يترجمها الهوى ... فتعبث بالأمشاج والقلب ذاهل
لئن باعدتني عن ثراكِ نوازعي ... فما باعدتني عن هواكِ النوازل
أبِيتُ خَليَّ الجَنْبِ إلا من الهوى ... بجنبيْك، أو تغفو بعيني المنازل
علقتك والأيام بِيضٌ كرائم ... وحبْل التصابي طوّلته الطوائل
تهبّ شمال الضِّفتين وتنثني ... ومن عبَق العليا عليها شمائل
سمائل إن لم يأذن الدهر باللقا ... ففي القلب من حُبَّيْك شُغْلٌ وشاغل
ولِمْ لا وقد عُقَّت عليك تمائمي ... وصافحني منك الضُّحى والأصائل
وإنك مَهْد الروح منذُ يَفاعتي ... وهل بعد مَهْد الروح شيء يماثَل
ومطلع أيامي ومَهْد شبيبتي ... وموطن قومي والقَنا والمَناصل
اذا شئتها فالبِيض والسُّمْر شُرَّعٌ ... وإن شئتَها فالصَّافنات صواهل
وإن شئتَ فالآداب منهلّة الحَيا ... وإن شئتَ فالعِرْفان كالسَّيْل هاطل
اذا ما السَّواقي بالخرير تكلّمت ... فكلّ كلام بعد ذلك باطل
وإن باحتِ النخل المنيفة بالهوى ... فأيُّ كلام بعد ذاك يطاول!!

بنفسيَ هاتيك الجِنان كأنما لها من فراديس الخلود مناخل
تسيل بها سُحْبُ الجمال فأرْبُعٌ مطرَّزة فوق الرُّبا ومنازل
وتهفو إليها الرُّوح هيمانةَ الهوى وتعشقها الحُور الحِسان العقائل
من اللّائي لم يأوين الا إلى ذُرى من الخُلْد، أو تأوي لهنَّ الفضائل
سلامٌ على الفيحاء لو باعد النَّوى ولو عذلتني في هواها العواذل
كأنّ على فيحا سمائل مَسْحَة من الله أوحاها السَّنا المتطاول
كأنّ تراب المجْد في جَنَباتها عوالي المواضي قد جَلَتْها الصياقل
كأنّ سطور النخْل وهي شوامخ صفوف جنود الله حين تنازل
كأنّ خرير الضِّفتين بروضها صهيل المذاكي حرّكتها البواسل
كأنّ عبيرَ الرّوض هبّت به الصَّبا عبيرُ العَذارى أفرزتها الحمائل
كأنّ على الوادي المبارك حُلّة مطيّبة قد ضمّختْها الغلائل
كأنّ نوادي العلم في عَرَصاتها مقاصر من روض الجِنان طوائل
كأنّ ضفاف الوادي حُلّة عَبقَر وقد طرّزتها المُرزِمات الهواطل
كأنّ رجال الله فيها ملائك بأوجُهِهم منها الضِّيا متواصل
كأنّ نواديها وأنجم أُفْقها سماء بها نار البدور الكوامل
كأنّ على تلك المجالس منهمُ أيادٍ، تولّاها جلال ونائل
كأنّ الجبال المشمخرّة أدْرُع تقي عِزَّها إن صاولتْها الجحافل!!
كأنّ رداءَ الأرض في حَلَباتها بساطٌ له من قوّة الله شاغل
مطهّرة أحسابُها وخلالها وأبناؤها والمنتمى والفعائل
فقل إن تفاخرْ مَن تشاء من الورى ومن شئت من عالٍ: نمتني سمائل!!
سلام على الفيحاء، مهما تباعدت وباعدها منّي جبين وكاهل
فما باعدتني عن هواها حوادث ولو أنها تلك الجسام الجلائل

حملتُ هواها في فؤادي كأنما ... هي الخمر أهدتها إلى الرّوح بابِل
أسبّحُ بعد الله باسم جلالها ... وأدعو إليها ما تَعُدُّ الأنامل
بلاد بها عانقتُ كلَّ كريمة ... وعانقني منها الهدى والفواضل
وساجلتُ أهل الأرض طرّا بعزّها ... فأُبْتُ ولمّا يبقَ لي مَن أساجِلُ
سوى الحرمين الأشرفين كلاهما ... سمَت بهما فوق الديار الدلائل
سلام على الفيحاء قُبلة خاطر ... ومُنية قلبي، أين منّي سمائل
على ساكني الفيحاء منّي تحيّة ... يمور بها أُفْقٌ وتهفو الزواجل
تحيّة نائي الدّار لو قارب المَدى ... فإني بحبّ القوم صالٍ وصائل
تناءت ديياري عن ثراها، وللهوى ... صليل، وألوان الشباب أصائل
وعُدتُ ولكن أشقري فَضْل حَلْبة ... وغُصْنيَ من فعل الميادين ناحِل
وبي من تباريح الهوى بُرْدُ مُدْنَف ... وقد رحلت بالأطيبين الرواحل
وغادرني والعُودُ ريّانُ أخضر ... نضير، فكيف الآن والعُود ذابل
سلاما بني الفيحا وألْف تحيّة ... عليكم كماهبَّت بعَرْف خمائل
إذا جَلّ تَحناني إليكم فإنّني ... بكم ساكني الفيحاء رامٍ ونابِل
فهيّا نؤدّي الهَدْيَ عن وطن الهُدى ... فليس لبحر المجْد يا قوم ساحل
هلمّ إلى العلم الشريف تجارة ... إلى الله، حيث الله بالمجد كافل
هلمّ إلى خيرالطرائق مثلما ... تسامى بها الغُرُّ الكرام الأفاضل
هلمّ إلى الأمجاد نرفع شأوَها ... كما فعلت منّا العظام الأوائل
ودونكموها حرّة عربيّة ... كما سجَعَتْ بالضفتين البلابل
ولله في الفيحاء سِرٌّ مخلَّدٌ ... يمورُ به منه مَديدٌ وكامل!!

٢٠٢٠/٨/٣م

القصيدة الخامسة عشرة

وله أيضا في سمائل:

هذي سمائل هذي الكأسُ والرّاح ... أمَا سَكرتَ بها والعِتْقُ فوّاحُ
أمَا صبتْك من النسرين غادية ... أمَا رمَاك من العينين لمّاح
أمَا ازدهتك بساتين مطرَّزة ... والوَشْي فيهنّ أفواف وألواح
وهذه الحُور في جنّاتها أُنُفٌ ... يكاد يعشقها الريحان والرّاح
الرائعات سَنًا والمترَعات هوى ... والمشرِقات إذا ما عزّ مصباح
والساحبات ذيولَ الخِزّ من خَفَر ... وبارق العِزّ بالعينين ملحاح
والمضرِمات تباريحا وأخيلة ... وإن كرمن فإن الحبّ فضّاح
أجَلْ سمائل أحلامي بها علقت ... كما تعلّق حُبَّ القفل مفتاح
آتي إليها فتُغريني بطلعتها ... كأنّما زلزلت جَنبيّ أقداح
وتزدهينيَ كِبْرًا من شمائلها ... والكِبْرُ بالله والأوطان إصلاح
جلالها وسناها وهي خاشعة ... في قلب مازن وضّاء ووضّاح
سرت إلى المصطفى في ركبه قبَسًا ... نارت بها منه أطواد وأدواح
تزيّنت بالهدى الوضّاح مؤتلقا ... وصان بيضتَها بِيضٌ وأرماح
لله فيحاء من أرض مكرّمة ... لها الجلال وِشاح والعلى راح
إذا أتيت إليها والضحى ألَقٌ ... حسبتها من جِنان الخلْد تنداح
فالزهر مؤتلق والعطر منتشر ... والنخْل شامخة والدهر أفراح
والشامخان بها أطواد عزّتها ... والضفّتان أزاهير وأرواح
تأنّق الدهر يوما في مفاتنها ... حتى انجلت وهي إسفار وإصباح
ترنو إلى الدهر أو يرنو لصبوتها ... كلاهما بعيون العِشْق لمّاح

لا يصلح الدهـر إلا أن يكـون بها ... ضاحـي المحيّـا وإلا فهـو جرّاح
سـارت على جبهة التاريـخ صافنة ... كأنّهـا مَهْـرة للسـبْق ترتـاح
وطوّفـت وهي في المضمار سـابقة ... تقـول للدهر إنّـي الخيل والسَّـاح
فيحاء ما أحسـن المـرأى وأروعَه. ... فهـل لهـذا الجمـال اليـوم مفتاح
ياليت شعريَ أين الشـامخون غدَوْا ... وأيـن أعلامُـك العالون قـد راحوا
وأيـن راياتـك الزهـراء عاليـة ... وأيـن ثَـمَّ أناشـيد وأصـداح
وأيـن ألـويـة غُـرٌّ مـرفـرفـة ... تقصّ لَـوْح العُلـى والدهـر ألواح
آهٍ، ولـي مـن لظاهـا دائمـا لهَبٌ ... إنى أبوح وأهل العشـق ما باحوا!!
كتـابُ مجدك فـي التاريـخ منبلج ... إذا اسـتنار بـه للمجـد شُـرّاح
إذا أتيتُ لمسـتُ الحسْـن لمْسَ يد ... وإن نظـرتُ فمِـلْء العيـن أفـراح
وإن قـرأت فآيـات مطهَّـرة ... وإن شـممت فنسـرين وتفّـاح
فيحاء أختـكِ في أرض الشـآم بها ... مـن قبضـة العِشْـق ذَبّـاح وجَرّاح
تغفو علـى الفُـلّ والنسـرين هانئة ... وتغتـدي وهـي إعصـار وأشـباح
لم يبق مـن آل» مـروان» بها صَيَد. ... كلّا ولم يبق من «غسّـان» جَحْجاح
تناوشـتها ذئـاب الكـون زاحفـة ... وصـاح بالمجـد عَـوَّاء ونَبَّـاح
ولم يَعُدْ من رواء الحسْـن وَمْضُ سَنا ... بهـا ولا مـن أريـج الزهْر فـوّاح
دَمٌ وعُنْـفٌ وتدميـر ومحرقـة ... والحقـد والقتـل غَـدَّاء وروّاح
أذكى بنـو العُرْب فيهـا كلَّ عاصفة ... وكـلّ كـارثـة للمجد تجتاح
ولـم يبالـوا بتاريـخ لهـا جَلَـلٍ ... وهـل يبالـي بـإرث المجـد ذبّاح
أعظـم بجُلَّـقَ مـن أرض مكرّمـة ... جلالهـا في جبيـن الدّهـر مصباح
ولتسـلمي يـا ابنة التاريخ شـامخة ... وبيت مـازن بالتأذيـن صدَّاح

الشارقة ٢٠١٧/١/٢٢م

القصيدة السادسة عشرة

وقال الشاعر الأديب

محمد بن سعيد بن عبد الله المخلدي السروري في سمائل:

زُمَّ المطـيَّ إلـى ربـوع سـمائل ... وانْـمِ القتـود على المجـدّ الراحل

واعمد إلـى وادي سُـرور وطف به ... والثـمْ شـميمًا من ريـاض خمائل

وإذا وصلـت إلـى ربـوع سـمائل ... فاقرا السـلام علـى الفريـق الآهل

ومصونة بيـن القنابـل والقَنا ... تَسـبي العقول بـكلّ سِـحْر بابلي

يهفـو لهـا قلـب المتيَّـم إذ بدت ... تختـال بيـن أسـاور وخلاخـل

غيـداءُ خُرْعُبـةٌ نَئـومٌ بالضُّحـى ... وَهْنانـةٌ مثـل الغـزال الغازل

وكأنّ وسـواس الحُلـيِّ إذا مشـت ... ترجيـع تطريـب الحَمـام الزاجل

دع ذا وعَـدِّ إلـى مقامـات الأُلـى ... يسـمون بالحسَب الحسـيب الطائل

وامـرر علـى خوبـار عصبـة وائل ... فرسـان ذي قَـارٍ وكهـف الآمِـل

أبنـاء حـرّاص سـلالة تَغلِب ... ولتغلـب الغلبـاء مجـد وائلـي

وكـذاك خوبـار المجالبـة الأُلـى ... حازوا المعالـي في رعيـل عدامل

وامـرر بفـاروة الجبور وقـف بها ... مسـترعفين بـكل قَـرْم باسـل

وأعمـد إلـى دَنِّ النباهنـة الأُلـى ... يقنـون كلّ صواهـل وذوابـل

وإذا بـدت أحيـاء غُبْـرة قـف بها ... آل الصبـاح بهـا مـلاذ الآمـل

وكـذا الغَصِيبة غُصْ ببحـر جمالها ... آل الدُّغَيْـش ذوو سَـناء طائـل

وارحـل لغِيل الـدَّكِّ كم غيـلٍ بها ... للأُسْـد أعنـي مـن سـلالة وائـل

آل المسـيَّب عُـصْبـة ربعـيّة ... حـازوا الفخـار بمرهف وعواسـل

أكـرمْ بهـم مـن أسـرة ربعيّـة قـد قوّمـوا خَـدَّ الهجيـن المائل
وامرزْ بكَفْـرة وأحْسُ مـن راووقها وانزل بسيف الشَّـطْف مأوى النازل
واطلـقْ سـراح الطَّـرْف فـي مُرّيّة يرنـو لهـا طـرْف الكميّ الباسـل
ربعـت بنـو بكـر بعامـر ربْعهـا فيهـا الجمـال بـكل معنـى كامل
واخلـدْ لدي الخَلُّـوت طابت بهجة وتعاكفـت مـن كلّ غُصْـن مائـل
زانـت بعُصْبـة أسـرة أزديّة رهْـط لآل أبـي سـعيد الفاضـل
وأقصـد إلى البسـتان وانـزل بِرْهةً واقـض لُبانـةَ قلـب صَبٍّ سـائل
أيـن الربـوع العامـرات بصحنهـا كـم عرصـة زانـت بـكلّ حُلاحِل
أعني مـن آل النَّضْر أربـاب العلى وأسـأل عن النُّعْب الكرام وسـائل
رفـدوا العلـوم بـكل حَبْـر عَيْلم بحر يفيـض على الـورى بفواضل
وإذا أردت الصفـو فأنـزل بالصَّفـا فـي آل يَشْـجُب نجْـح كلِّ الآمل
واثْـن التحيّـة نحـو سـاحة حاجر فيهـا المزاريـع الأُلـى مـن وائل
وإذا أتيـت إلـى الجُبيليّـات قـف فيهـا أصاحـب كلِّ مجْـد كامـل
آل الخـروص بهـا من آل شـنوءة هـم قـدوة لفواضـل وفضائـل
وبهـا بنـو ذبيـان سُـمٌّ للعِـدا قوم لهـم في الباس صـول الصائل
جمعـوا طريـف المجد عنـد تليده وحَمَـوْه مضمونـا بقـول الفاصل
وإذا بـدت توفيـق كنـت موفَّقـا فـي أسـرة تسـمو لأصـل كامـل
من آل عبْـس جمرة العُـرْب الأُلى من يَعْـشُ عنهم يصطلي بالشـاعل
يَقـرون ألبـان البُخـات ضيوفَهـم وعَـدُوَّهـم يَـقـرونـه بـالـذابـل
قـوم إذا حَمِـيَ الوطيـس رأيتَهـم يسـتقدمون بِيَـا لَعَبْـس العائـل
وانـزل بحبّاسـيّة واحبـسْ بهـا ركْبًـا يغـرّد فـي الفريـق الآهـل

مــن آل سَــعْد عصبــة مــن مــازن ... أكــرم بمــازن حــبّ ذاك الفاضــل
ســبقوا إلى داعــي الهــدى لهداية ... ربَعــوا بمجــد مســبطرٍّ طائل
سَحْرا هي السِّــحْر الحلال فقف بها ... وارشــف زلالا مــن مَعيــن ســائل
وبنو الخليــل بها مصابيــح الهدى ... هم هالــة الشــرف الرفيــع الكامل
شــربوا لبان المجد صِرْفــا وارتقوا ... هــام المجــرّة فــوق كلّ مطــاول
فُضُــلٌ مســاميح أنامــل كفّهــم ... تَهمــي بجــود كالسّــحاب الهاطل
فيهــم مقامــات الفضائــل والعلى ... والمكرمــات والنــدى والنائــل
وبنــو هَنــاءة بالقُرَيْــن تفيّئُــوا ... مجْــدا يطــول بــكلّ عــزٍّ طائــل
أبنــاء فَهْــم عصْبــة مــن مالــك ... خَصَلوا علوج الفــرْس كلّ تخاصل
ضربــوا مقيل الهــام عن سَــكَناتها ... ونفوْهــمُ قسْــرًا لِــيَمٍّ الســاحل
وجَــرَوْا لغَلْــوَات الســباق بســابق ... مَــرِنٍ ولــم يألــوا بعَــذْل العــاذل
وبنــو عُميْــر هــم قســاورة الوغى ... ســادوا وشــادوا في ربوع ســمائل
لله دَرُّ ســمائل فــي نسْــلها ... كــم أرضعــت مــن عَبهلــيّ كامل
ناهيــك بالأعــلام فــي عرَصاتهــا ... فهــمُ شــموس لــم تكــن بأوافــل
أعــلام كالأعــلام تســمو للــذُّرى ... أقمــار يشــرق نورهــا للطافــل
أطــواد ترتــدُّ الزعــازع عنهــمُ ... غــوث لمنتــاب وغيــث العائــل
ضربوا رؤوس الخصــم يوم تصادم ... بالمرهَفــات وكلّ لَــدْنٍ عاســل
حتــى أقامــوا خــدَّ كلِّ مصعِّــر ... وتمايلــت منهــم عــروش الباطــل
فجزاهــمُ الرحمــن خيــر جزائــه ... فــي جنــة فــي خيــر ظــلّ طائل
منهم ســعيد نجــل ســلطان الذي ... حــاز المفاخــر فاضلا عــن فاضل
جــدُّ الملــوك حفيــد أحمــد الذي ... يَقــري أعاديــه بطــون فراعِــل

يزجي غداة الرَّوْع جيشًا أغلبا ... لَجِبًا يزمجر كالسحاب الهاطل
طاعت له أفريقيا لمّا رأت ... في بُرْدتيْه شخص ضيغم باسل
وسعى إلى الهيجاء سعْيَ مشمِّر ... فغدت له الأعداء طعمة آكِل
وحمى الغُبيْرا لا يُراع نَقَادُها ... بصواهل وذوابل ومناصل
حتى بدا قابوس يلمع نجْمُه ... فخْر الملوك ونجْل كلّ حلاحل
زانت عمان به وأمرع جوُّها ... وتمايدت في مجدها المتكامل
فغدت تميد كمثل روْض مزهر ... نَضِر يميد لوَدْق مُزْن هاطل
حمدًا لربي والصلاة على الذي ... ختَم النبوّة واقتضى لسمائل
بدعائه والخير ضمْن دعائه ... نعِمَت عمان بكل مجد طائل
ما شنّف الأسماع نغمة مطرب ... في لحنه كالسلسبيل السائل
أو رجّعَ التطريب حادٍ منشدٍ ... زُمَّ المطيَّ إلى ربوع سمائل

❊ ❊ ❊

القصيدة السابعة عشرة

وهذه قصيدة للأديب موسى بن قسور العامري:

ملحمةُ الوفاء.. لسمائل الفيحاء

قبَسٌ من الأنوارِ يَطرُقُ بابي ... يَهوي مِنَ الشُّرُفَاتِ فوقَ كتابي
والشمسُ تَجري لا أمَلُّ ضياءَها ... وسَناؤها قد زادَ مِنْ إعجابي
تُغري البكورَ بلونِها وجمالِها ... وبحُسْنِها ووميضِها الوثَّابِ
في روضةِ (الفيحاءِ) تَنْشُرُ سِحْرَها ... كفَراشةٍ بحديقةِ اللَّبْلابِ
فأتيتُها صَبًّا أَهيمُ بحُسْنِها ... ولها غَدَوْتُ مفتِّحًا أبوابي
ولها نَخيلُ الحقلِ تَرسُمُ لوحةً ... وظِلالُها تبدو كلِبْسِ نِقابِ
ما أجملَ (الفيحا) سَناءُ صباحِها ... وسَنا المَسَا ككواعبٍ أترابِ
قدْ رسَّختْ فينا (سمائلُ) حُبَّها ... كالشجْرةِ الخضراءِ بينَ رَوابي
أنهارُها تُعطي الجَداولَ رونقًا ... تَكسو الحقولَ الزَّهْرَ كالأثوابِ
فترى [المُحَيْدِثَ] باهرًا بجمالهِ ... يحنو بصوتِ خريرهِ المُنْسابِ
وترى (المُرَيْفِعَ) كوثراً مترقرقاً ... ونميرهُ يجري بعذْبِ شرابِ
ولمورِدِ (الحِيلِيْ) خريرٌ ساحرٌ ... عذْبٌ زلالٌ مثلَ شهْدِ رُضابِ
و(الفَرْسَخَيُّ) جرى نميراً زاخراً ... بالجُودِ والإكرامِ والإخصابِ
وأميرُها (السَّمْدِيُّ) نهرٌ سيِّدٌ ... يَسقي سمائلَ واكفًا كسحابِ
وترى (الدَّغَالي) في الضواحي ساجداً ... ويطوفُ بينَ النخلِ والأبوابِ
وكأنَّ (بِلْفَاعيْ) جرى متمايساً ... يفترُّ عِشْقاً ثائراً بعُبابِ
وكذاك (بوغُولٍ) تدفَّق كوثراً ... يروي هوى (القَلْعِيِّ) في إطراب

روضٌ منَ (الحِيقيْ) تفتَّحَ زَهْرُهُ ... ولـه ابتسامٌ ساحرُ الألباب
وبجدَوْلِ (الزُّغِليْ) أريجُ خمائلٍ ... ينسابُ كالتَّرْياقِ في الأكوابِ
نهرُ (الصَغِيرِ) شدا ببَوْحِ خَريرهِ ... يطوي زمانَ المَحْلِ والأوصابِ
وترى (غُوَيْزَ المُرِّ) فوق أديمهِ ... يروي قلوبَ النخْلِ كالميزابِ
والدَّنُّ (والخُوبارُ) يجري ماؤها ... و(أبو دُجالة) بالنَّدى الجَذَّابِ
(فاروهُ) يجري بالصَّفا شَرْيَانُها ... و(بمَزْرَعِ) النهريْنِ طَمْيُ تراب
وإذا (العُوَيْنةُ) عايَنَتكْ عيونُها ... فتمَلَّ فيها صَنْعةَ الوهّابِ
(هَصَّاصُ) تبدو للعيونِ كزهرةٍ ... (لِزْغٌ) تَفوحُ بعطرِها المنسابِ
و(سرورُ) زانَ الحُسْنُ في أفيائِها ... والماءُ طابَ بروضةٍ وشِعابِ
وبساحةِ (الرَّمْرَامي) عزْمُ أماجدٍ ... (وبصَمْيةِ) الأوتادِ دِرْعُ حِرابِ
و(نِدَابُ) حوراءُ الجمالِ بهيَّةٌ ... (أنفاقُها) تَبدو كعينِ عُقابِ
و(الدَّسْرُ) و(العُقُّ) اكتست بثمارِها ... نحو السُّمُوِّ محاطةٌ بعِقابِ
ومزارعُ (السَّيْجاني) عِقْدٌ لامعٌ ... فوقَ المُتونِ مَشارِفٌ (لكِعابِ)
و(بِصُومَرا) يَجري هواءُ خمائلٍ ... فترى الصفاءَ يَبوحُ بالإعجابِ
وبمسرحِ (الجَرداءِ) عطرُ نسائمٍ ... أرضُ الكرامِ معاليَ الأنسابِ
(وبوادي سَقْطٍ) ربوةٌ بظِلالِها ... يَسري النسيمُ مُعَتَّقاً كشرابِ
و(لوادي مَحْرَمَ) شُعلةٌ فوقَ الذُّرى ... وادٍ حَدا للضيفِ بالترحابِ
يُهديهِ (وادي بني رَواحةَ) عِطْرَه ... يَعلوه (رِضوى) الوردِ والأعشابِ
وبقريةِ (الفَلَجين) سِرُّ مكافحٍ ... ساقتْ لها المَسْقاةُ بَوْحَ شِعابِ
(فلَجُ المَراغةِ) واحةٌ سِحْريّةٌ ... (سَيْجا) (وبُوري) مُلتقى الرُّكابِ
(هِيلٌ) (ووادي الهُوبِ) سرُّ مآذنٍ ... أرضُ البطولةِ معقلُ الأنجابِ

و(البِيـرُ) مثـلَ الكُحْلِ بيـن نواظرٍ قِمَـمُ الرواسـي فوقهـا كسـحابِ
و(الجَيْلـةُ) المُنسـابُ منهـا ماؤها عَـذْبٌ زُلالٌ مَـرَّ بـي فصحـا بي
و(بفَيْحـةِ) الأفنـانِ صوتُ سَـرِيِّها كحفيـفِ حقـلِ النخـلِ والأعنابِ
ضمَّـتْ (سـمائلُ) أنهـراً تَعدَادُها مـئـتـانِ إلا سـتـةً بـحـسـابِ
والحِصْـنُ والشـهباءُ تاريـخٌ لهـا دوَّتْ بصـوتِ الحقِّ فـي الأحقابِ
أَهدى لهـا (الباروني) صرْحَ مَعارفٍ فغـدت منـارَ القلـبِ والألبـابِ

* * *

نَفَـسُ الصباحِ مـع الضيـاءِ تعانقا فـي روضـكِ (الفيحاءُ) عِـزُّ ترابي
عشـقي (سـمائلُ) لا مجالَ لوصفهِ أتلـوهُ كلَّ العُمْـرِ دونَ حسـابِ
المـاءُ إذ ينسـابُ.. نغمـةَ عاشـقٍ والطيـرُ يَشـدو بالهـوى الغَـلّابِ
ولقـد تحيَّـرَ مَـن رآنـي هائمـاً أُهديـكِ شـعري بيـن نـورِ قِبابي
وغـدا يسـائلُني وأردفَ.. قائـلا ماذا..(سـمائلُ) هـل لنـا بجوابِ؟
فأجبتُـهُ.. هي فـي الحيـاةِ محبّتي هـي موطني هـي نخلتـي وترابي
هـي طلعـةُ الأزهـارِ بيـن خمائلٍ أهفـو لهـا مـع جملـةِ الأصحابِ
وبأضلعـي يَسـري هواهـا غَيْمـةً جـادتْ بغيثِ الخَصْبِ فـوقَ يَبابي
وأرى سـناها سـابحاً يعلـو الذُّرى وأراهُ يَسـطعُ في السـما كشـهابِ
وأراهُ فـي سـعَفِ النخيـلِ قلائـداً وعلـى الكفوفِ مضمَّخـاً كخِضابِ
ويَمـرُّ في الحـاراتِ يَسـحبُ ثوبَهُ دَلًّا علـى الأسـماءِ والألقـابِ
ولـهُ المـآذنُ صادحـاتُ بالنِّـدا الله أكبـرُ رحلتـي وإيابـي
وأرى الـورودَ الحانيـاتِ كأنَّهـا كأسٌ تدلَّـى متـرعٌ بشـرابِ
فلأنـتِ فجـرٌ ضاحِكٌ فـوقَ الرُّبى أطـوي بـه مـا كانَ مـن أوصابِ

عَبْـرَ الزمانِ [سـمائلٌ] قَطـرُ الندى ... وصبـا الخمائـلِ نفحـةُ الأطيـابِ
فشـربتُ من أنوارِهـا كأسَ الهُدى ... وغزلـتُ مـن هـدي التقـاةِ ثيابي
حُبّـي لهـا ولأهلِهـا ولأرضِهـا ... أفشـي السـرائرَ كُلَّهـا بخطابـي
هـي ناولتنـي كأسَـها فشـربتُهُ ... ومـلأتُ مـن أفلاجِهـا أكوابـي
هـي غُـرَّةُ الأسـماءِ بيـن مدائني ... هـي سـاحةُ العلمـاءِ والأقطـابِ
هي منبـرُ الخطباءِ سِـرُّ رسـوخِهِمْ ... هي ملتقـى الأصحـابِ والأحبابِ
هـي مربـعُ الأجـدادِ مجـدٌ خالدٌ ... هـي مولـدي وطفولتـي وشـبابي
هي أسطرُ الكلماتِ بَـوْحُ قصائدي ... هـي أحـرفُ الشـعراءِ والكتَّـابِ
هي معبـرُ السُّـلّاكِ زورقُ سَـيرِهِمْ ... غيـثٌ روانـي بعـد طـولِ غيابِ
هـي بسـمتي وتحيّتي ومشـاعري ... هي ثـورةُ الأشـجانِ وسْـطَ لُبابي
هـي قصّتي هي فكرتـي وخواطري ... هـي دفتـري وروايتـي وكتابـي
هي طُورُ قلبـي والمدائـنُ والعصا ... هـي مِنبـري وَسـاؤلي وجوابـي
هي خلوتي هي منْسَـكي هي مسجدي ... هي مـوردي هـي دعوتـي وثوابي
أشـتاقُها وأنـا بهـا هـي فرحتـي ... هـي مقصِـدي وبها أنختُ ركابي
إن غِبـتُ عنهـا لا أُطيـقُ فِراقهـا ... كـم ذابَ قلبـي للقـا وحـدا بـي
يا قلبُ قـفْ هذي سـمائلُ موطني ... والمجـدُ فيهـا ثمـرةُ الأسـبابِ
قـفْ شـامخاً متواضعـاً متبسِّـماً ... قـفْ بالجمـالِ البـاذخِ الخَـلّابِ
قـف ذاكـراً للهِ تُبـدي شـكرَهُ ... (فسـمائلٌ) هـي روضـةُ المحرابِ
قـف منشـداً مترنِّمـاً بمدائـحٍ ... (فسـمائلٌ) هـي سـاحةُ الآدابِ
قـفْ بالرواسـي الشـامخاتِ تأمُّلًا ... وانظـرْ لحُسْـنِ جبالِهـا ورحـابِ
قـفْ ناشـراً عطـرَ المحبّـةِ والوفا ... (فسـمائلٌ) هـي رايـةٌ لقِبـابِ

وسمائلٌ رئتي أعيشُ بجوهِا نَفَساً يضمِّخُني شذا الأطيابِ
وأنا بها طيرٌ يحلِّقُ عالياً (فسمائلٌ) هي عَوْدتي وذهابي
قفْ صادحاً بالشعرِ بين خمائلٍ تلقَ الصَّفا يلتاحُ في إطرابِ
هذا القريضُ غدا هواهُ مسطَّراً يُنبي عن الأعلامِ والأنجابِ
إني رأيتُكِ يا (سمائلُ) للورى معشوقةً تربو على الأترابِ
نفسي فِداكِ (سمائلٌ) يا جنّتي بلدُ الهُدى ومنصّةُ الألبابِ
يا كعبةَ الأعلامِ أرضُكِ قِبلةٌ مهوى (الإمامِ) ومِوردُ الأقطابِ
ومنارةُ التاريخِ عانقَكِ الهُدى عبرَ السنينِ عريقةُ الأعتابِ
كم أشرقتْ فيكِ القلوبُ بنُورِها بمجالسِ العُبَّادِ والطلّابِ
أرضُ الجمالِ زرعتُ فيكِ مشاعري وعلى المآذنِ وِقْفتي وخِطابي
يا حِبْرَ أقلامي وصوتَ قصائدي ولبحرِ شعري قاربي وعُبابي
حُبًّا خصصتُ (سمائلًا) بقصيدتي فسمائلٌ هي نِعمةُ الوهَّابِ

* * *

إني أُحِبُّكِ يا سمائلُ فطرةً وعشقتُ فيكِ منازلَ الأحبابِ
وسلكتُ فجَّ النخلِ دَرْباً أخضراً ورتعتُ تحتَ أساورِ الأعنابِ
وذكرتُ فيكِ مسارحي ومعاهدي ومسالكي وتسامُرَ الأصحابِ
ورأيتُ قلبي في هواكِ متيَّماً يتلو نشيدَ الحبِّ والإعجابِ
والروحُ ذابتْ في الجمالِ كأنها قِطَعٌ مِنَ الحلوى بريقِ لُعابِ
تبدينَ للعينينِ سِحْراً فاتناً حسناءَ فاقتْ رِقَّةَ الجِلبابِ
لله سِرٌّ في هواكِ وفي الثرى سكنتْ إليهِ هواتفُ الأقطابِ
في (الدَّقْدَقيْنِ) منابرٌ وعمائمٌ أحيتْ نفوسَ أشاوسِ الأعقابِ

أرخـى لهـا بالصـدقِ مـازنُ إنـهُ ... نهْـرُ الفضائـلِ عالـيَ الأحسـابِ
قـد سـارَ (مـازنُ) للعُـلا بعزيمةٍ ... وسـرى كنجـمٍ ليـس بالمُرتـابِ
وسـعى إلى الإسـلامِ فـوقَ مَطيَّةٍ ... خبَّـتْ لنـورِ الكـونِ بيـن هِضابِ
يطـوي الفيافـي والحنيـنُ يشـدُّهُ ... لُقيـا النبـيِّ فعـادَ وهـو صَحابي
دخلَ (المدينةَ) فاحتمى بالمصطفى ... متحـرِّراً مـن ظلمـةٍ وعـذابِ
والـكلُّ يتلـو مِـنْ عزيمةِ (مـازنٍ) ... سـرًّا غدا المشـكاةَ فـي الأصلابِ
ماذا سـنكتُبُ يـا سـمائلُ للورى؟ ... فالشـعر يَقصُرُ يـا سَـنا الأحقابِ؟
العينُ سَـكْرى من رُباكِ على المَدى ... يـا راحـةً للفكـرِ والأعصـابِ
أنـا ابنُـكِ الآتـي بـكلِّ صَبَابتـي ... أنا جئـتُ منـكِ إليكِ أنـتِ مآبي
يـا جنّـةً معروشـةً بنخِيلِها ... أُهديـكِ قلبـي حارسـاً بالبـابِ
ونقشـتُ اسـمَكِ بالمحبـةِ خاتَمًا ... وَسْـطَ الفـؤادِ مُحَصَّنًـا بحِجـابِ
وصـلاةُ ربّـي خيرُهـا للمصطفـى ... مِسْـكُ الختـامِ وحُلَّـةٌ لخِطابـي
وكـذا السّـلامُ مُعَطَّـرًا لمقامـهِ ... وعلـى جميـعِ الآلِ والأصحـابِ

١١١.. بيتاً.

موسى بن قسور العامري..... سمائل
٩ ذو القعدة ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١/٦/٢٠م

❊ ❊ ❊

تخميس مشايخ سمائل لقصيدة محمود سامي البارودي

هذا وقد اطّلعت على تخميس لبعض من قصيدة البارودي الشهيرة، اشترك في هذا التخميس مجموعة من أدباء سمائل، وشاركهم الأديب عبد المجيد بن محمد الأنصاري من المصنعة في هذا التخميس، وقد خمَّس أدباء سمائل ٢٩ بيتا من القصيدة، وهذا ما قالوه:

أوّلاً

الشيخ موسى بن عيسى بن ثاني البكري

إذا رمْتُ أمْراً والعوائقُ ضدُّه فمَن لي به دَرْكًا وقد شَطَّ بُعْدُه
على أنّني لمّا بدا ليَ ضدُّه «رضيتُ من الدنيا بما لا أوَدُّه
وأيُّ امرئ يقوى على الدهر زَنْدُه»

لقد عزَّ لي من جانبي ما أرومُه بلوغًا وعهدي لم تخنّي عُزومُه
فهبْ أنّني والحقُّ ربّي عليمُه «أحاول وصْلًا والزمان خَصيمُه
وأبغي وفاء والطبيعة ضِدُّه»

فهذا لساني مُعْرِباً ما أكَنَّه ضميري ولو قد عزَّ أن أُبدِينَّه
فما لي أرضاه وأستصفينَّه «حسبتُ الهوى سهلا ولم أدرِ أنّه
أخو غَدَرات يُتْبِعُ الهزْلَ جِدُّه»

من الحبّ أسباب لديّ متينةٌ تعلّقتها والكائنات ضنينةٌ
هو الحبّ حتى تُستباحَ سكينةٌ «تخفّ به الأحلام وهي رزينةٌ
ويعنو له من كلّ صعْب أشَدُّه»

أيرضى الهوى صعبُ الشكيمة باسلُ ويخذو له والموبقات عوامل
معاذ العُلا أن يرتضي النقْصَ كامل «ومن عجَبٍ أنّ الفتى وهو عاقل
يُطيع الهوى فيما ينافيه رُشْدُه»

أخو الحبّ يخفي ما يكاد يُبيحُه مخافة أن يلقى الوبال ضريحُه
فكم هائم بالحبّ هُدّت صروحُه «يفرّ من السُّلوان وهو يُريحُه
ويأوي إلى الأشجان وهي تَكِدُّه»

وما المرء إن لم يتّصفْ بالفضائل وما السيف إن لم يحتكمْ في المقاتِل
وما السهم سهْما إن يكن غير قاتل وما الحبّ إلا حاكم غير عادل
اذا رام أمراً لم يجد من يصدُّه

إذا جاد فالدنيا أداة سماحةٍ وان شحَّ فالأيام مرْمى إتاحةٍ
وللحبّ كم فينا له من جَراحةٍ «له من لفيف الغِيد جيشُ مَلاحةٍ
تغير على مثوى الضمائر جُنْدُه»

❊ ❊ ❊

ثانياً

تخميس الشيخ علي بن منصور الشامسي

مليكُ جمال لا تلين عطوفُه ... على عاشقيْه لو تثنَّى شريفُه
فوَاكَرَباهُ إن أُقِيمَتْ صفوفُه ... «ذوابلُه قاماتُه وسيوفُه
لحاظُ العَذارى والقلائد سَعْدُه»

سطا فسبى الألباب حتى تخرّجت ... عواتقها طوْع الهوى وتبهرجت
وتاهت دَلالاً بالهوى وتبرّجت ... «إذا ماج بالبِيض الحِسان تأرّجت
مسالكُه واشتقّ في الجوّ نَدُّه»

اذا ضمّخت ذيل الصَّبا نفَحاتُه ... ترامت على ميْت الغَرام حياته
مليح أذابت كُل لُبِّ سِماتُه ... «فأيُّ فوادٍ لا تلين حصاتُه
غراماً وطرْفٍ ليس يَقذيه سَهْدُه»

هجمتُ على أهل الهوى متبرّما ... ونازعت قيساً في هواه مَلوِّما
ولكنّني لمّا وقفت على الحِمى ... «بلوْتُ الهوى حتى اعترفت بكلّ ما
جهلت فلا يغرُرْك فالصَّابُ شَهْدُه»

قويّ له كلُّ القلوب أسيرةٌ ... تلذّ الأماني فيه وهي مريرةٌ
له في بَنيه كلّ يوم وتيرةٌ ... «ظلوم له في كلّ حيّ جريرةٌ
يضِجّ لها غَوْرُ الفضاء ونَجْدُه»

❊ ❊ ❊

ثالثاً

تخميس الشيخ سعود بن علي الخليلي

إذا رمتُ أن أخفي هواه تموَّجَتْ بلبُّيَ تيّاراتُه وتسعَّرت
هو الحبُّ حُكْم الحبِّ في أهله ثبَتْ «إذا احتلّ قلبًا مطمئنّا تحرّكت
وساوسُه في القلب واختلّ وَكْدُه»

وأبدت زليخا يوسف ما كتَمْنه عذارى الهوى لما بدا فرأينه
معاذ الوفا إن لم يكن قد عرفنه «فإن كنتَ ذا لُبٍّ فلا تقربنَّه
فغير بعيد أن يُصيبك حَدُّه»

ولمّا بدا كالراح في الكأس أفرغا ورمَّانُه ماء الشباب به طغى
نصحتك لكن كان داعيه أبلغا «وقد كنت أولى بالنصيحة لو صغى
فؤادي ولكن خالف الحزْمَ قصْدُه»

❊ ❊ ❊

رابعاً

تخميس الشيخ عبد الله بن علي الخليلي

فإن يـكُ معنى الحزم قُـدَّت عقودُه فما بـال ربِّ العقل خانـت جدودُه
تقـول لـه الأهـواء وهـي تقـودُه «إذا لـم يكـن للمـرء عقْـل يقودُه
فيوشِـك أن يلقـى حُسـاما يقُدُّه»

وبَيْـضٍ كمثـل الـدُرّ لمّـا يثقَّـبِ وقفـن أمامـي وِقْفـة المتحبِّـب
فقلـتُ ودمعـي كالـدَّم المتصبِّب «لعَمْري قد ولّى الشـباب وحَلَّ بي
من الشـيب خَطْبٌ لا يُطـاق مَرَدُّه»

لئـن فاجأتنـي بالوعيـد همومُـه وقد كنـت جَلْـدًا لا تُطـاق كلومُه
فأغـرت بـيَ الأيـام وهـي عُزومُه «فـأيُّ نعيـم فـي الزمـان أرومُـه
وأيُّ خليـل للوفـاء أُعِـدُّه»

وأيُّ أخٍ يُرجـى إذا الخطْـب خيَّما ودارت رَحـاه فـي البريّـة عندمـا
فكيـف أروم الدهر عوْنـا ومحتمى «وكيف ألوم الناس في الغَدْر بعدما
رأيـت شـبابي قـد تغيّر عهْـدُه»

وأغـرب شـيء مُسـتهام بحبّـه يجـرّ رداء العَيْـب من فـوق عُجْبه
وأقـربُ شـيء منـه شـيْبٌ بجنبه «وأبعـدُ مفقـود شـبابٌ رمَـت به
صـروف الليالي عند مَـن لا يرُدُّه»

رأيــت زماني ليــس يصفــو مَعينُه بحــالِ ولا يُرجــى لعــون مَكينُــه
وكم هــدّ ظنّــي فــي رجــاء يُعينُه «فَمَــنْ لــي بخِلّ صــادق أســتعينُه
علــى أمَلــي أو ناصــرٍ أســتمِدُّه»

ومن لي بخِــلّ صادق الــوُدّ إن أُرِدْ أراد وإن لــم أقبــل الــوُدَّ لــم يُرِدْ
ســواء أجــاد الدهــر أو هــو يُجِدْ «صحبت بنــي الدنيا طويلا فلم أجد
خليــلا فهل من صاحب أســتجدُّه»

وثقــت بنفســي دون من قــد أحبُّه ولــم يَعْرُنــي ممّــا أدانيــه قرْبُــه
وجانبــت هــذا الدهر حتــى محبُّه «فأكثر مــن لاقيت لم يصــف قلبُه
وأصدق مــن واليت لــم يُغن ودُّه»

❊ ❊ ❊

خامساً

تخميس الشيخ محسن بن سعود العامري

وما فَتِئتْ نفسي تطالب جَهْدَها عدالة حكم طالما جَدّ جِدُّها
فمالي وقد باتت تساور حَدَّها «أطالب أيامي بما ليس عندها
ومن طلب المعدوم أعياه وَجْدُه»

ومالي وما لا يملأ الحق وَبْلُه وقد عزّني عن بَلّة الحق بَلُّه
فإن يك أعياه من النَّوْء عَلُّه «فما كلّ حيّ ينصر القول فعلُه
ولا كُلّ خِلّ يصدق النفس وعدُه»

نظرت إلى هذا الوجود وشانه فلم أرَ إلا ماذِقاً في لسانه
وكالقِدْر يغلي حِقْدُه في جَنانه «وأصعب ما يلقى الفتى من زمانه
صحابة من يَشفي من الداء فقْدُه»

فإن تكن الأيام جاءت بحربها فأعظم بنا أن لا نهون لسَلبْها
ولو وقفت أيدي المنون بجنبها «وللنُّجْح أسباب إذا لم يفز بها
لبيب من الفتيان لم يُور زنده»

وفي الناس من يدعى حساماً وحدُّه «كَهامٌ وما بالنصل عيب يردُّه
ولا ألبسته المتن عارا يصدُّه «ولكن إذا لم يُسْعِد المرءَ جَدُّه
على سعيه لم يبلغ السؤل جِدُّهُ»

تنبيـــه:

هذا ما وجدناه من تخميس القصيدة، لتســعة وعشــرين بيتًا منها، فرأينا أن نكملها، إحياء لتلك المجالس الأدبية الزاهرة، ووفاء للمشايخ السابقين، ووزّعنا الأبيات المتبقّية وهي ســبعة وعشــرون بيتا، إذ القصيدة كلُّها تحتوي على ستة وخمسين بيتًا، فلمّا أكملنا تخميسَها اطّلعنا على تخميس عشرين بيتًا منها للشيخ أبي سرور وهي في ديوانه، وقد أخذ النصيب الأكبر، وكنّا نتعجّب أنه لم يشارك في التخميس.

وقد شــرع أبو ســرور من البيت الرابع والثلاثين إلى نهايــة البيت الثالث والخمســين، فبقيت الأبيات من الثلاثيــن إلى الثالث والثلاثيــن، ومن الرابع والخمسين إلى السادس والخمسين، وهو نهاية القصيدة، كلّ هذا لم نطّلع على تخميس له.

فلذلك نورد جميع تخميس القصيدة من الأدباء السابقين واللّاحقين، إتمامًا للفائدة.

❊ ❊ ❊

سادسًا

تخميس الشيخ حميد بن عبد الله الجامعي أبي سرور

يجرُّ جيوشَ الكَيْد تَبَّتْ رجالُه وفُلَّتْ بفولاذ القضاء نِصالُه
ولمّا علَتْ هامَ الهُمام نِعالُه «تداعتْ لدَرْك الثأر فينا ثُعالُه
ونامتْ على طول الوَتيرة أُسْدُهُ»

أنامَتْ رجالَ الله عن بطن مكَّةٍ وقد بُيِّنَتْ أخْلافُهم للرزيَّة
وعاثَتْ بوادٍ من بَوادي المَذَلَّة «فَحَتَّامَ نسري في دياجير مِحْنة
يضيقُ بها عن صُحْبة السيف غِمْدُه»

تيقّظْ فعَيْن السُّوء في الرِّيف سُرِّحَتْ إلى حَرم تحت المكارم خُدِّرَتْ
فما المَرْءُ أو يلقى المنايا وقد ضَرَتْ «إذا المرء لم يدفع يدَ الجوْر إن سَطَتْ
عليه فلا يأسف إذا ضاع مَجْدُه»

حرامٌ لِحُرٍّ أن تليـنَ قَناتُه وتهدأَ عن قَطْع الرِّقاب شَباتُه
فمَن عاقَهُ الحرمان ذَلَّتْ سِماتُه «ومَن ذلَّ خوف الموت كانت حياتُه
أضَرَّ عليه من حِمامٍ يَؤُدُّهُ»

تقدَّمْ على سَرْح المنايا مزاحِما صناديدَها تُردي عُتُلًّا وظالما
فأفضلُ عيش أن ترى العِزَّ قائما «وأقْتَلُ داءٍ أن ترى العينُ ظالما
يسيئُ ويُتلى في المحافل حَمْدُه»

تَدارَكْهُ بين البِيض ليْثًا مُنَازِلا تُلَقِّنُه درْسَ الكفاح مقاتِلا
وقدِّمْ له كأسًا من السُّمِّ قاتِلا «علامَ يعيش المرءُ في الدهر خامِلا
أَيفرَحُ في الدنيا بشيئ يُعِدُّه»

فهل لــك أمْرٌ بــاركَ المَجــدُ صُنْعَه وبات الشَّــبا يتلو على الكون شَرْعَه
تراك فتًــى لا يقــرَعُ الهَجْرُ سَــمْعَه «يرى الضيــمَ يغشــاه فيلتــذُّ وَقْعَه
كَذي جَرَبٍ يلتــذُّ بالحَــكِّ جِلْدُه»

تلقَّ مــن الأيام درْسًــا علــى عِوَجْ وقــوِّمْ به من شــأنها كلّ مــن عَوِجْ
فلســتَ بذي عَزْم إذا عاقَــكَ الرَّهَجْ «إذا المرءُ لاقى الســيل ثمَّتَ لم يَعُجْ
إلــى وَزَرٍ يحميــه أرداهُ مَــدُّه»

هو الحزْمُ حيث العَزْمُ أنكى لمَن غَطَشْ فحُطْ بهما عَــرْشَ الحفيظة والفُرُشْ
وقلْ إن هما عاقاكَ في نزْوَة الدَّهَشْ «عَفاءٌ على الدنيــا إذا المرْءُ لم يَعِشْ
بها بطــلاً يحمــي الحقيقةَ شَــدُّه»

علــى الله أن ألقــى العَدُوَّ بســطْوة تعلَّقْتُهــا والدهــرُ طفــل بقبضتــي
أَشــيدُ بها مجــدي وأحفــظُ عزّتي «من العــار أن يرضى الفتــى بمَذلّة
وفي الســيف ما يكفي لأمْر يُعِدُّه»

هو الدهــر والأيامُ مــن جُنْد دولتي «أدُكُّ بهــا مَــن رامَ ضــدَّ مُهِمَّتــي
لأنّي امــرؤٌ لا تقبــلُ الــذُّلَّ خِطَّتي «وإنــي امــرؤٌ لا أســتكينُ لصولــة
وإن شــدَّ ساقي دون مَسْــعايَ قِدُّه»

فإن تــكُ نالــت مــن عظيــم بليَّةٌ ومالــت على صَــرْح الكريــم رَزِيَّة
فإنّــي وأيْــمُ الله مــا بــي دنيَّــة «أبَتْ لي حَمْــلَ الضيم نفْــسٌ أبيَّةٌ
وقلبٌ إذا سِيمَ الأذى شَــبَّ وَقْدُه»

ولي سطوة في البأس جمْرًا تَوَقَّدتْ تحــرِّقُ أعــداءً لحزبــي تحَزَّبَــت
على إنّني منهــم بعلياء قد سَــمَتْ «نمانــي إلــى العليــاء فــرْعٌ تاثَّلتْ
أرومَتُــة في المجــد وافترَّ سَــعدُه»

وناهيك ماشيَّدْتُه ليَ منزلا دعائمُه قامت على باذخ عَلا
حَييتُ به مستوجِبَ الفخر في المَلا «وحَسْبُ الفتى مجدًا إذا طالبَ العُلا
بما كان أوصاه أبوه وجَدُّه»

فنحن الألى إن ضاق بالأمر حُرُّه «ركبنا إليه الموت يشتدُّ حَرُّه
ونحن الألى والدهرُ ينبيكَ نشْرُه إذا وُلِدَ المولودُ منّا فَدَرُّه
دَمُ الصّيدِ والجُرْدُ العَناجيجُ مَهْدُه»

تُربِّيه في أفلائها فدَثارُه حَشاه وما تحت السنابك نارُه
وفوق مَطاها عرْشُه وقرارُه «فإن عاش فالبِيدُ الدَّياميمُ دارُه
وإن مات فالطيرُ الأَضاميمُ لَحْدُه»

دعاني فإني لا أرى الدُّونَ مُقْنِعا أرومُ العُلا شأوًا وإن نلتُ مَصْرَعا
أراني وإن واتى الهناءُ وأمْتَعا «أصُدُّ عن الأمر القريب تَرَفُّعا
وأطلب أمْرًا يُعْجِزُ الطيرَ بُعْدُه»

فليس المُنى إلا على شَفْرة الفَنا ودون الهَنا خَرْطُ القَتاد من الجَنَى
ولابدَّ من يوم به يُكْشَفُ العَنا «ولا بدَّ من يوم تَلاعَبُ بالقَنا
أسَودُ الوَغى فيه وتمْرَحُ جُرْدُه»

ولابدَّ من يوم يسرُّك شَرْقُه غداة يلاقي الغَرْبَ ثمّ يشقُّه
وتلقى به صهيونُ ما تستحِقُّه «يمزِّقُ أستارَ النواظر برْقُه
ويقرعُ أصدافَ المسامع رَعْدُه»

فيالك من يوم تسيل سيولُه دماءَ الأعادي والأسنّة غِيلُه
يقوم على الأعداء بالقطْع جِيلُه «تدبّرُ أحكام الطعان كُهولُه
وتملكُ تصريفَ الأعنّة مُرْدُه»

سابعًا

الشيخ الأديب هلال بن سالم بن حمود السيابي

أرومُ مَحَلّاً بالسُّها أو بِهامِه ... ويأبى عليَّ الدهرُ غيرَ انتقامه
على أنّني لمَّا أخَفْ من صِدامه ... «وما أنا بالمغلوب دون مرامِه
ولكنه قد يَخْذُلُ المرءَ جُهدُهُ»

فكم موقفٍ بادي الأسنّة مُعْلَنِ ... صبرتُ له صبرَ الكريم المهيمِن
وساورتُه والخَطبُ بالخَطبِ ينثني ... «وما أُبْتُ بالحِرمان إلا لأنّني
أوَدُّ من الأيام مالا تَوَدُّه»

أمارسُ من دهري خِلالاً كأنّما ... هي الليلُ إمّا اسودَّ حيناً وأظلما
وأصبرُ قلبًا في الشدائد مُعْلَما ... «فإن أكُ فارقتُ الرّضا فلبعدما
صحبتُ زمانا يُغْضِبُ الحُرَّ عبدُه»

ومَن ساوَرَ الجُلّى فليس يروعُه ... من الدهر خُلْقٌ لو تعالى فضيعُه
ولو زمجرتْ أجنادُه وجموعُه ... «أبى الدهر الا أن يسودَ وضيعُه
ويملكَ أعناقَ المطالب وَغْدُه»

لقد عشتُ دهرا مظلماتٍ خلالُه ... كما اسودَّ جَنْحُ الليل واربدَّ حالُه
وما حالُ دهرٍ قد أُضيمَتْ نِباله ... «تداعت لدرك الثأر فينا ثُعالُه
ونامت على طول الوتيرة أُسْدُه»

نعيش المآسي زاخرتِ الدُجُنَّةِ ... وندعو لها في كلّ فرضٍ وسُنّةِ
وهذي السيوفُ البِيضُ باتت برَنَّةِ ... «فحتّامَ نَسْري في دياجير مِحْنة
يضيق بها عن صحبة السيف غِمْدُه»

فياليت شعري كيف نرضى بماقضَتْ علينا السَّعالي مِن هواها وما ارتضَتْ
وفي السيف ما يَشفي الكريمَ من العَنَتْ «إذا المرءُ لم يدفع يدَ الجور إن سطَتْ
عليه، فلا يأسفْ إذا ضاع مَجْدُه»

* * *

ثامنًا

الشيخ الأديب محمد بن عبد الله بن علي الخليلي

ألا إنّ مَن لانت لصَعْبٍ قَناتُه ومَن رفرفتْ في ناظريْه نَجاتُه
فقد أرهقتْه بالتَّفاهات ذاتُه «ومَن ذلَّ خوفَ الموت كانت حياتُه
أضَرَّ عليه من حِمام يؤدُّهُ»

وحسبُكَ أن تلقى رفيعًا وعالِما وذا الفضل والمعروف سِيمُوا المظالِما
وتلقى سفيهًا أو وَضيعًا مَعَالِما «وأقتلُ داءٍ رؤيةُ العين ظالما
يُسيئُ ويُتلى في المحافل حَمْدُه»

فلا تبتئسْ والدهر يرضاك آمِلا ويحرِثُ دنياك الوسيعةَ عامِلا
فلستَ لما تجنيه ما عشتَ حاملا «علامَ يعيش المرءُ في الدهر خامِلا
أيفرحُ في الدنيا بيوم يَعُدُّه»

فكنْ أسَدًا تخشى الخلائقُ رَوْعَه إذا ما مشى فالدَّرْبُ يعطيه وُسْعَه
ولا تكُ صيْدًا ترتعي الأُسْدُ صَرْعَه «يرى الضيمَ يغشاه فيلتذُّ وقْعَه
كذي جَرَبٍ يلتذُّ بالحَكِّ جِلْدُه»

فبادرْ وكنْ مَن يخلع الظلم أو يَرُجْ ومَن يتبعُ الأسبابَ فيه ومن يَحُجْ
إليه ليستقصيه قطْعًا ومن يَلُجْ «إذا المرء لاقى السيلَ ثُمَّتَ لم يَعُجْ
إلى وَزَرٍ يحميه أرداه مَدُّه»

تاسعًا

ممَّا قلتُه مشاركًا ومخمِّسا

إذا لم يكــن للحُرّ مجــدُ الإبا نُقِشْ وأضحى مع الأيــام يزهو وما خُدِشْ
حَمَتْه القَنا مــا إنْ يُرَى وهو مُنْكَمِشْ «عَفاءٌ على الدنيــا إذا المرءُ لم يَعِشْ
بها بطَــلًا يحمــي الحقيقةَ شَــدُّه»

من العيــب أن تحيــا بخِــزْي وذِلَّةٍ وفيك لسَــحْق الظلم أســبابُ قُدْرةٍ
أفِــقْ مــن سُــباتٍ يَعتريــكَ وغَفْلةٍ «من العــار أن يَرضى الفتــى بمَذلَّةٍ
وفي السيف ما يكفي لأمر يَــعُدُّه»

أعِــدَّ ليــوم تَرتجيــه بعــزّةٍ وشــمِّر لآفــاق المعالــي ورِفْعــةٍ
فإنــي وآمالــي لأكــرم بغيــةٍ «وإنــي امــرؤٌ لا أســتكينُ لصولــةٍ
وإن شَــدَّ ساقي دون مَسْــعَايَ قِدُّه»

طِــلابُ العُلا منِّــي هَوَىً وسَــجيّةٌ وذاك لَعَمْــري المبتغــى وهــو قُرْبةٌ
ولا أرتضــي إلّاهُ فالنيْــلُ رِفْعــةٌ «أبَتْ لي حَمْــلَ الضيمِ نفــسٌ أبيَّةٌ
وقلبٌ إذا سِيمَ الأذى شَــبَّ وَقْدُه»

ســبيلُ أولي الأبــرار قلبــيَ ألهمَتْ وحرَّكتِ الوُجــدانَ منّي وأشْــعَلتْ
ففي نهجها الميمونِ نفســيَ هرولتْ «نمانــي إلــى العليــاء فــرْعٌ تأثَّلتْ
أُرومتُــه في المجــد وافترَّ سَــعْدُه»

عبد الله بن راشد السيابي

الجمعة ٣ رمضان ١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١/٤/١٦م

❊ ❊ ❊

عاشـرًا

الدكتور الأديب محمود بن مبارك بن حبيب السليمي

طغى غضَــبٌ إذْ لاحَ بالوُكْــنِ وُرْقُهُ ... ولاحَ أُوارٌ بيــنَ عينيْــهِ صِدْقُــهُ
كأَنّ بــهِ مــا لُــزَّ بالغَــرْبِ شــرْقُه ... «يُمَــزّقُ أسْــتارَ النّواظِــرِ بَرْقُــهُ
ويُفــرِغُ أصــداف المســامِعِ رَعْدُهُ»

وَتُسْــرَجُ مِمّــا حُــمَّ عَزْمــاً خُيولُهُ ... وَلَيْــسَ يبالــي إِنْ توالــتْ نُصولُــهُ
وَيُعْجَــبُ مِــنْ راوٍ عَفــا مَــا يَقُولُهُ ... «تُدَبِّــرُ أحْــكامَ الطِّعــانِ كُهُولُــهُ
وَتَمْلِــكُ تصْرِيــفَ الْأَعِنَّــةِ مُــرْدُهُ»

فَكَمْ ثَبَتَتْ في مَرْصَــدِ الْمَوْتِ رِجْلُهُ ... وقَارَبَــهُ حَتّــى تَبَاعَــدَ وَصْلُــهُ
وَكانَــتْ لَهُ ـ ما لَيْسَ لِلنّــاسِ حِلُّهُ ـ ... «قُلُــوبُ الرِّجــالِ الْمُسْــتَبِدَّةِ أَكْلُــهُ
وَفَيْــضُ الدِّمــاءِ الْمسْــتَهِلَّةِ وِرْدُهُ»

وَمِمّــا ارْتَضَى عِنْــدَ الْمَفَاخِرِ سِــيْرَةً ... يَقُــولُ إِذا نَازَعْــتُ فيْهَــا عَشِــيْرَةً
بِأَنِّــيْ أَبِــيُّ الضَّيْــمِ نَفْســاً كَبِيْــرَةً ... «أُحَمِّــلُ صَدْرَ النَّصْــلِ فِيهِ سَــرِيْرَةً
تُعَــدُّ لِأَمْــرٍ لا يُحــاوَلُ ردُّهُ»

أُعِيْــدُ بِــهِ مَجْــداً تَوارَثَــهُ الْأُلَــىٰ ... وَإِلّا فَــلا عَيْــشٌ بِــذُلٍّ وَلا وَلا
وَلَيْــسَ بِمَقْدُورٍ سِــوىٰ ذَيْــنِ ما تَلا ... «فَإِمّــا حَيَاةٌ مِثْــلُ مَا تَشْــتَهِي الْعُلا
وَ إِمَّا رَدىً يَشْــفِي مِنَ الــدَّاءِ نَقْدُهُ»

❊ ❊ ❊

الحادي عشر

المهندس الأديب عبد الحميد بن حميد بن عبد الله الجامعي

أَنَاْ الْمَرْءُ مِنْ عِيْصِ الْعَبَاْهِلَةِ الْأُلَىْ وَمِنْ ذِرْوَةِ التَّقْوَىْ تَسَنَّمْتُ مَنْزِلا
تَمَنْطَقْتُ مَاْ أَوْصَىْ بِهِ السَّادَةُ الْعُلا «وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْداً إِذَا طالَبَ الْعُلا
بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ»

لَنَاْ فِيْ الْوَرَىْ مَاْ لَيْسَ يُنْكَرُ أَمْرُهْ وَمَاْ لَيْسَ يَسْطِيْعُ الْعَدُوُّ وَمَكْرُهُ
بَلَيْنَاْ صُرُوْفَ الدَّهْرِ فَانْدَكَّ قَهْرُهُ «إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُّهُ
دَمُ الصِّيدِ والْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ مَهْدُهُ»

تَرَعْرَعَ وَالْمَجْدُ التَّلِيْدُ فَنَاْرُهُ وَسَاْدَ فَكَانَ الْعِزُّ، وَالْعِزُّ نَاْرُهُ
يَمُوْجُ وَيَعْلُوْ فِيْ الصَّعِيْدِ قَرَاْرُهُ «فَإِنْ عَاشَ فَالْبِيدُ الدَّيَامِيمُ دَارُهُ
وإِنْ مَاتَ فَالطَّيْرُ الأَضَامِيمُ لَحْدُهُ»

أَنَاْ مَنْ إِذَاْ مَاْ شَاْ.. أَحَطَّ وَرَفَّعَا فَكَمْ مِنْ خَمِيْسٍ مِنْ يَدَيَّ تَصَدَّعَا
فَلَاْ تَغْتَرِرْ... إِنِّيْ مَلَكْتُهُمَاْ مَعَا «أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرَفُّعَاً
وأَطْلُبُ أَمْرَاً يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُعْدُهُ»

فَإِمَّاْ أَصَاْبَ النَّفْسَ شَيءٌ مِنْ الْعَنَاْ فَمَاْ ذَاْكَ مِنْ خَوْفٍ وَمَاْ ذَاْكَ مِنْ وَنَىْ
وَلَكِنَّنِيْ عِنْدَ النِّزَاْلِ أَنَاْ أَنَاْ.. «وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلاعَبُ بِالْقَنَا
أُسُودُ الْوَغَى فيهِ وتَمْرَحُ جُرْدُهُ»

* * *

وممَّا قاله الشيخ صالح بن عامر الطائي في سمائل

سـمائلٌ جنّـة الدنيـا فمـا خُلِقَتْ إلا لِتُنْظَـرَ كيمـا يرغبـوا فيهـا
ألسـتَ فيهـا تـرى الأنهـار جاريةً خِـلالَ نخْـلٍ بسـاتين لأهليهـا[1]

(١) الخصيبي، محمد بن راشد، الزمرّد الفائق ١٩/٣.

القسم الثامن

المقامة السمائلية



هي من أدَبِ النثر في رَوْعته، وفصيح الكلام في بلاغته، يَصُبُّ الأديب فيها الكلام صَبًّا، ويَسْـبِكُه قالَبًا ولُبّا، يُفرغ فيه كِنانتَه، فيُتقِن جملتَه وعبارتَه، وذلك يدلُّ على الملَكة الكبرى، فـي العربيّة نظمًا ونثرا، وهذه المقامة لشـيخ البيان وأميره، فقلَّما تجد له من مُجَارٍ في خَطْوِه ومَسيره، إذ ملَكَ ناصية البيان، وشهد له بذلك القاصي والـدَّان، فهو العبقريُّ الكبير، والشـاعر الأميـر، ذو المجد الراسخ، والشرف الباذخ، عبد الله بن عليّ، مَن ينتمي إلى آل خليل، ويرتقي إلى أهل العِزِّ والتبجيل، ومقامَتُه هذه من جملة مقامات، أطلق على كلّ واحدة منها ما يليق بها من مُسَـمَّيَات، فالأولى نزْوِيّة، والثانية سَـمائليّة، والثالثة سَـمَديّة، والرابعة جَعْلانيّة، والخامسة التَّساؤُليّة، فَلْنَغُصْ في بحر مَقَامَتِه السمائليَّة، لنلتقطَ من مَكنوناتِها الدُّرِّيَّة، وقد وجدت مع أبناء الشـيخ نسختين مخطوطتين، بينهما زيادة ونقصان،، فعسى مَن يأتي من يُحَقِّقُهما وينشرهما، ليتَّضح الأمر في أكمل بيان، وأوضح عنوان، وقد وضعنا في هامشها معانيَ لكثير من كلماتها المُعَمَّاة، لِيَسْهُلَ الوصولُ إلى فَهْم الكلام ومعناه.

وإلى المقامَة، فدُونَكَها أيُّها القارئ الكريم، قال:

«حَدَّثني أبو الصَّلْت الشَّـاري بنُ قحطـان، قال: كنتُ أمشـي مَرَّة بوَادٍ كَشِـعْب بَوَّان[1]، ذي رَوْح ورَيْحان، وأفانين وأفنـان، وأطيار وغزلان، فمن

(١) بَوّان: بفتح الباء وتشديد الواو، شِـعْب بَوّان بأرْض فارِس قُرْب شيراز إلى الجَنوب، وهو أحَد المُتنزّهات، قال الشاعر:

إذا أشْرفَ المَحزونُ من رَأسِ تَلْعَةٍ على شِعْبِ بَوّانَ اسْتَراحَ من الكَرْبِ.

ويقع بين أرجان والنوبندجان، وهي أحد متنزّهات الدنيا المعروفة بالحُسْـن والطيب والنزاهة وكثرة الأشجار وتدفّق المياه وأنواع الأطيار.

قالوا: جِنانُ الدنيا أربع: صَغَدُ سمرقند، وغوطة دمشق، وشِعْب بوان، ونهر الأبُلَّة.

وقال أحمد بن محمد الهمذاني: من النوبندجان إلى أرجان ستة وعشرون فرسخاً، بينهما شِعْب بوان. =

أَلوفٍ ومن نافر، ومن واقع ومن طائر، ومن وارِدٍ ومن صادر، شَجَرُه كثيف، ورَوْحُه لطيف، ونسيمُه عليل، وعَذْبُه يَشفي العَليل، له جداول كعَيْن عَذارى[١]، وحَوْرٌ[٢]كقامات العَذارى[٣]، وكأنما حَصْباؤه الُّلجَيْن[٤] الأبيض، والماءُ عليها كالعِقْد المُفَضَّض، وترى الماءَ يتلَوّى في مُنْحَنَياتِه، كالسيف الأعوج في يَدِ كُماتِه، وترى الرَّوْضَ في جنَباتِه، كالعِذار[٥] اليوسفيّ خلف وَجَناته[٦]، وكأنّما صُدَاحُ بُلبُلِه وترجيعُ هَزاره[٧]، تُلْمودُ[٨] الراهب على ناقوسه[٩] ومِزماره.

= ومن حسنها أنّ جميع أشجار الفواكه نابتة على الصخر.

وأرجان هي مدينة تاريخية مندثرة، تقع بين الاحواز وفارس، وتسمّى أحياناً في بعض المصادر بمدينة برمقباذ أو بزمقباذ أو أبزقباذ. بناها الملك الساساني قباد بن فيروز.

وقد فتحت برمقباذ أو أرجان على يد الصحابي أبي موسى الأشعري وكان على مقدمته عثمان بن أبي العاص، وذلك في سنة ٢٧ في خلافة عثمان بن عفّان، إذ تذكر المصادر أن عثمان بن أبي العاص مع أبي موسى الأشعري اجتمعا لفتحها، حيث سار لها الأول من جهة سابور بينما تقدم لها الثاني من جهة البصرة، فتمكّنا من فتحها صلحاً على الجزية والخراج سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م.

وقد خربت المدينة في المائة الثامنة للهجرة، وقام مقامها مدينة بهبهان القائمة لليوم وتقع في إقليم الأحواز (الأهواز) الواقع على ساحل الخليج العربي، ويسمَّى أيضاً بعربستان وخوزستان.

(١) عين ماء بالبحرين معروفة.

(٢) حَوْرٌ: جمْع أَحْوَارٌ. (نبات).: شَجَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّفْصَافِيَّاتِ، خَشَبُهُ أَبْيَضُ خَفِيفٌ، يُسْتَعْمَلُ بِكَثْرَةٍ فِي الصِّنَاعَةِ الخَشَبِيَّةِ لِصُنْعِ الأَثَاثِ.

(٣) جمْعُ عَذْراء وهي: المرأة البِكْر.

(٤) الفِضَّة.

(٥) عِذار الغلام: جانب لحيته.

(٦) الوَجْنة: ما ارتفع من الخدَّيْن.

(٧) الهَزار: طائر حَسَن الصوت.

(٨) التلمود: مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهيّا عن رجال الدين.

(٩) الناقوس: مضراب النصارى الذي يضربونه إيذانا بحلول وقت الصلاة.

وكأنما وسوسةُ الماء وخريرُه، قلَمُ الشَّجِيِّ[١] إذ يَشجيكَ صريرُه، وكأنّما حفيفُ النسيم على أغصانه، نشيجُ المشوق والحِبّ على أحضانه، وكأنّما تَثَنِّي تلك الأغصان، تحت لمَسات النسيم النَّعْسان، تَثنّي قامَات الحِسان تحت القُبَل النَّشوى، على الثَّغْر الأحوى[٢]، وكأنما الطَّلُّ على تلك الزهور، كوثرُ اللُّمى[٣] المعسول على مَراشِف الحُور، وكأنّما النِّرْجَسُ الغَضُّ في أزهاره، طَرْفُ الحبيب في ذُبوله وانكساره، وكأنّما البَانُ[٤] إذ يتلوَّى على الآس[٥]، قُدودُ الهِيف[٦] تحت تَصَاعُد الأنفاس، وكأنّما فغَوَاتُ[٧] الورد الأمير، وَجْنةٌ مَسَحَتْها يَدُ البديع القدير، وكأنّما الرَّيْحان في نَضارته، خَدُّ الطرير[٨] في غَضارته[٩]، وكأنّما الياسمينُ على

(١) صوت شَجِيّ: رقيق الوقع في الأذن، ناعم حزين مؤثِّر، مطرب ومحرّك للعواطف.
كلمات شَجيَّة: مؤثّرة، تثير العواطف.

(٢) الحُوَّة: حُوَّة الشِّفاه: سمرتها. وقيل: حمرة تضرب إلى السواد. وقيل: سواد إلى خضرة.

(٣) اللُّمى: الأتراب، وقيل: الشِّفاه السُّود.

(٤) البَان: هو شجر يمتاز بالرشاقة والارتفاع، ويطلق عليها بالعربية شجرة اليسار أو الحبّة الغالية، وفي الغرب يطلقون عليها شجرة الحياة والحبّ.
وغصن البان في الشعر العربي، طالما تغنّى شُعراؤنا به في مطالع قصائدهم، من ذلك: مطلع موشَّحة ابن زهير الأندلسي الشهيرة:

غُصْنُ بانٍ مالَ من حيثُ استوى بات مَن يهواه من فَرْط الجوى

وقد افتتح أمير الشعراء قصيدة نهْج البُرْدة بذكره فقال:

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البَانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

(٥) شجرة الآس هي شجرة أوراقها بيضية الأوراق وتمتاز بأنها دائمة الخضرة، وتستخدمها النساء للتطيّب بها.

(٦) أهيَف: (اسم)
الجمْع: هِيف، المؤنَّث: هيفاءُ، والجمع للمؤنّث: هَيْفاوات وهِيف.
قامة هيفاءُ: ممشوقة رشيقة.

(٧) الفَغْوة والفَغْو: الرائحة الطيبة.

(٨) رجل طرير: ذو طُرَّة وهيئة حسنة وجمال، وقيل: هو المستقبل الشباب.

(٩) الغضارة: السَّعَة في العيش وطِيبُه والنعمة.

نضير الأغصان، أقراطُ[١] ألماس على آذان الحِسان، وكأنّما خُفوقُ[٢] الرّياح بين تلك الشعاب، خُفوقُ الأفئدة عند تلاقي الأحباب، وكأنّما جداولُه[٣] تعلو وتتَّضِع، وتهبِط وترتفِع، ركائبُ الأحباب، تتراءى تحت السَّراب، وكأنما حيطانُه تلتقي وتفترِق، وتعتنِق فتَختنِق، حبيبان ضمَّهما الهوى بعد مَعْتَبَة، وهما من الرقيب على مَقْرَبة، يلفُّهما الشوقُ القاتلُ، ويفرّقُهما الخوفُ الماثل.

وبينما أنا أتفيَّأُ ظِلالَه، وأتبيّنُ ربوعَه وأطلالَه، إذا بغلامٍ وقد طُرَّ شاربُه[٤]، واشتدّت مضاربُه، وَسِيمِ الخَلْق، كريمِ الخُلُق، شابٍّ لطيف، لَبِقٍ ظريف، فأعجبتني غُرَّتُه[٥]، وسَرّتني طُرَّتُه[٦]، وبشّرتني بالخير طلعتُه، فأردتُ أن أعرفَ سَيرْه، وأن أستطلعَ خبرَه، فدنوتُ منه مسلِّما، وحيَّيْتُه مبتسما، ثم بدأتُه بالسؤال عن الوادي، الذي ارتسمَ حبُّه في فؤادي، فابتسم في تَعَجُّب، ونظر إليّ كالمؤنِّب، وقال: أمِثْلُكَ يجهلُ واديَ سمائل، ذا الرياض والخمائل، الذي يشوقُ السامعين، ويبهجُ قلوب الناظرين، ويدفع إلى الطموح الطامحين، الحصينُ بجباله، المَصونُ برجاله، الشريفُ بخصاله، اللَّطيفُ بخِلاله، فعِشْ في ظِلاله، وتمتّع بجَماله.

فاستعظمتُ شأنَه، بعدما سمعت بيانَه، فقلت له: ممّن الشِّبْل؟ قال: ممّن لا يُضيعون الذَّحَل[٧]، ولا يخافون تراشُقَ النَّبْل[٨]، من أزْد عمان، أُسْدِ الطِّعان،

(١) خفقت الريح: هو الحفيف أي: دَوِيُّ جريانها.
(٢) القُرْط: هو ما يعلّق في شحمة الأذُن من دُرٍّ وذهب وفضّة.
(٣) الجداول: السواقي وهي جمع ساقية، وهي ما يمرّ فيها الماء الذاهب إلى سقي النخيل والأشجار؛ وتسمّى في عمان: ساقية الفَلَج.
(٤) نبَتَ شاربُه وظهَر.
(٥) الغُرّة: بياض في الجبهة.
(٦) الطُرّة: طَرَف كل شيء وحَرْفه.
(٧) الذَّحَل: الثأر.
(٨) التراشق: التناضل.

وأكفاء الأقران، الذين إن قالوا أعربوا، وإن صالوا أوْعبوا[١]، قلت له: ومَن أبوك؟ لا فُضّ فُوك، ومَن أمُّك؟، لا غرَبَ نَجْمُك، قال: أمَّـا الأب، فهو الذي قال في سُوق الأدب، مفتخرا بين العرب، وذلك لسبب، وهو أنّ بعضَ الأدباء، وأربابَ الشَّمَم والإباء، رأى والدي فجهلَه، ولعلّه اسـتجهلَه، فسأله عن نسبه، مستطلِعًا لأدَبه، فارتجل هذه الأبيات، ورفع عقيرتَه بها بين الفئات:

أنـا مـن يُرَجَّـى لفضـلٍ عَميـمْ وخَطْـبٍ عظيـم وهَـوْل جسـيمْ
أنـا ممَّـن إذا قـال بَـزّ[٢] المقـالْ ومَـن قـال فـي كلّ أمـر عظيـمْ
ووالديَ الفحلُ مَن هو إن هِيجَ حَكَّمَ صارمَه في الصَّميمْ
لقحطـانَ يُنمـى فهُـودُ النَّبـيّ فنَاهِيـكَ عِيصًـا[٣] كـدُرِّ نظيـم
أبـي مـن إذا شـادَه الدهـرُ يومًـا فصَلْدٌ[٤] من الصُّمّ صَعْبُ الشَّكيم[٥]
وإن طـاردتْـه الّلـيـالـي بشرٍّ عَـدا نحوَها مِثْلَ عَـدْو الظَّليم[٦]
وإن سـالـمَـتْـه فـأهـلُ الـسّـلام وإن أكـرمَـتْـه فـشـهْـمٌ كـريـم
لقد شـبّ فـي مَعْمَعَـان الوَغى[٧] فـعـاش غَـيـورًا يَـصـونُ الحَريم
وعـاد لأضـيـافـه مُـنْـعِـمًـا وللمُعْتَفيـن كـرَوْض النّعيـم
فـإن تـدْعُـه يـأتِ كالسيل طوْعًا وإن تـخـتـبـرْه فـرَاعٍ حكيم

(١) صالوا: صال وجال: وثب وكرّ وهجَم.
أوعبوا: خرجوا كلّهم إلى الغزو.
(٢) بزّ المقال: بَزَّ في ميدانه: غلَبه.
(٣) عِيصًا: منبت خيار الشجر والأصل، والمراد به هنا الأصل.
(٤) الصَّلادة: الصَّلابة والتَّجُلُّد.
(٥) الشَّكيم: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللِّجام.
(٦) الظَّلِيمُ: ذكَرُ النَّعَام والجَمْع: ظُلْمان.
(٧) الوَغى: الصوت الذي يُسْمَع في الحروب، وتسمَّى الحرب الوَغى لما فيها من الجَلَبة واختلاط الأصوات.

وإن تلقَه في كريم السِّمات ... وسَمْتِ الكريم تَجِدْ خيرَ خِيمْ[١]
شديدٌ شديدٌ على المجرمين ... وبالمحسنين رؤوفٌ رحيم
كأنَّ على رأسه الطيرُ إذ ... يصلِّي وإنْ تُؤذِه فالحليم
وكم حَمَل العِبْءَ عن قومه ... وأغنى الفقيرَ وربَّى اليتيم
وكم بات والبائسين الحَزانى ... كأمٍّ تُداجي فتاها الفَطيم
وكم من خصال له لو لمستَ ... بأنوارها الدَّهرَ مات البَهيم
فها أنا لمَّحْتُ عن فطنة ... وصرّحتُ تصريحَ حُرٍّ عليم

فلم يكد يُنهيها، ويتقصّى معانيها، حتى قام إليه ذلك الأديبُ معتذِرا، ونهض إليه مبتدِرا، فصافحَه وحيّاه، وعانقَه وآخاه، وسعى إليه كلُّ الوفود، وقالوا: مرحبًا بفراهيد بن هُود، الذي لا يجهله إلا الأحمقُ الجاهل، ولا يتشرّف بمعرفته إلا المثقَّفُ العاقل، فأخذوه من مكانه الأوّل، إلى المكان الأمثل، والتفّوا حوله، ولم يطاوِلوا طَوْلَه، وجعلوه بينهم، ولا شكّ عينُهم، أمَّا أمُّ نسَبي، التي ليست بابنة عمّ لأبي، فحسبُك ما تقوله عن نسَبها، وتُشيدُ به عن حَسَبها، وتثبته للقارئ من أدبها، وذلك أنّ والدَها جاءها من حيث لا تراه، وهي تنظر في المِرْآة، فسلّم عليها بَغْتة، فلم تعرفه لَفْتة، فقال لها: ما رأسُ مالكِ؟ ومَن أنتِ في جلالك؟ فأجابته في الحال، ولم تتلعثم في المقال:

رأسُ مالي كرامتي وحيائي ... وجمالي وعِفّتي وإبائي
وخروجي كقلعة من حديد ... تتّقيها بَراثنُ[٢] الظلماء
وقُعودي في صحن داري وحولي ... صبيةٌ كالقَطا على الدَّقْعاء[٣]

(١) الخِيمُ: الأصلُ.
(٢) البراثن: جمْع مفردها بَرْثَن، ومعناها: مخلب الأسد، وقيل: هو للسَّبُع كالإصبَع للإنسان، وقيل: الكفّ بكاملها مع الأصابع.
(٣) الدَّقعاء: التراب.

وإذا مـا طعمـتُ أطعمـتُ جاري ... فهـو والضيـفُ شِـرْكةٌ فـي إنـاء
أنـا أسـماءُ والعروبـة مَهْدي ... والثُّرَيّـا والدِّيـنُ أُفْقُ سـمائي
فكِياني عـن صخرة الـوادي يروي ... ولسـاني تـروي عـن الجـوزاء
وجمالـي عـن طلعـة البـدر لكنَّ ... بـهـائـي عـن غُـرَّة الـزهـراء
ونـزارٌ جَـدّي لوالـديَ الفحْـلِ ... وأمّـي تُـنـمَـى لـمَـاء الـسـماء
أنا شـمّاءُ[1] فـي الحقيقة كاسـمي ... وجـلالـي كـقِـمّـةٍ شـمّـاء
تَرِبَـتْ فـي العُـلا يـداكَ بمِثْلـي ... مـن فـتـاة كـريـمـة الآبـاء
ألصقتْها بـكَ الظروفُ كما شـاءت ... لُصُـوقَ الحـروف طَـوْعَ البـاء
فاشْـكرِ اللهَ يـا ابـن وُدِّي لعَلْيـا ... ناطَهـا[2] اللهُ منـكَ فـي علياء

قال الراوي: فاستعذبتُ فصاحته، كما استملحتُ صباحتَه، فقلت: أأبنَ هود أنت يا خير الأبناء؟ قال: بل أنا ابن أخيه الأدنى، ومن عِيصه[3] الأسـنى، قلت: ألك إخوة؟ قـال: وإنهم لصفوة، قلـت: وكم هم؟ قال: أنـا ثالثُهم، قلت: أنت أكبرُهم؟ قال: بل أصغرُهم، قلت: أَلِأُمّ أمْ لأمّهات؟ قال: بل بنو عَلَّات[4]، قلت: أأمُّك ربّةُ الشـعر؟ قال نعم ولا فخر، قلت له وأين عمُّك ذهب؟ وإلى أيّ جهة انتدب؟ قال ركب الدَّأْمـاء[5]، واعتنق اليَهْماء[6]، وخـاض المَفاوِز والفَلاة، في دعوة الحق إلى الله، قلت أكذلك ما عاش شأنُه؟ قال: نعم وإنه لميدانُه، قلت له:

(١) شمّاء: شريفة النفس وصاحبة الأنَفَة والعزّة.
(٢) ناطها: أعطاها.
(٣) العِيص: منبت خيار الشجر، وقيل: العيص الأصل، وأعياص قريش: أي كرماؤهم.
(٤) بنو العَلاّت بنو رجل واحد من أمّهات شتّى، ومنه قول الشاعر:
عليها ابن عَلّات إذا اجتشّ منزلا... طوته نجوم الليل وهي بلاقع.
(٥) الدَّأمَاء: البحر.
(٦) اليَهْمَاء: مَفازة لا ماء فيها ولا يسمع فيها صوت.

وما اسمُكَ؟ قال لي: وما علْمُك؟ قال: خيرُ الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد، وأنا ثانيهما أتقلَّد، وحسبي بالإضافة إلى اسم الذات، فإنها لخير الإضافات، أمّا العلم فبين الثالثة والرابعة، ويكفي ما يشفّ عن الحال الواقعة، قلت: أخبرني عن خيار الرجال وشرارهم، وعن نَفاعهم وضِرارهم، وعن خير النساء وشرِّهنّ، وأحبِّهنّ إليك وأبغضِهنّ، وعن خير الجِياد وأرْداها، وأسبقِها وأكباها، وعن السُّيوف والرِّماح، الصالحِ منها وما ليس بذي صلاح، قال: أروي لك ما سمعتُه، عن جميعها لا ما قلتُه، قلت: قل بارك الله فيك، وفي عمّك وخالك وأبيك، وأطال عُمُرَ مربِّيك، وأمتعَ بك محبِّيك، واندفع في كلامه، كالسيل الأَتِيّ[١] في انسجامه، إذ قال: أمّا خيرُ الرجال، وصفوة الأبطال، فالسيّدُ الجَوادُ، القليلُ الأنداد، الماجدُ الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيعُ العِماد، العظيمُ الرَّماد[٢]، الكثيرُ الحُسّاد، الباسلُ الذَّوَّاد، الصادرُ الوَرّاد، الشهمُ الكريم، المانعُ للحريم، المِفضالُ الحليم، القَمقامُ[٣] الزعيم، الذي إن همّ فعَل، وأن سُئِل بذَل.

أمّا شرُّهم فالبَرِمُ[٤] اللئيم، المستجدي الخصيم، المِبْطانُ النَّهيم[٥]، العَيِيّ البَكيم، النَّمومُ الكذوب، الفاحشُ الغَضوب، الرغيبُ عند الطعام، الجَبانُ عند الصدام، الذي إن سُئِل منَع، وإن هُدِّد خضَع، وإن طلب جشَع، اللئيمُ الفَخور، الكفورُ غيرُ الشكور، العَبوسُ الكالح، الحَرونُ الجامح[٦]، الراضي بالهوان،

(١) الأَتيّ: النهر يسوقه الرجل إلى أرضه.
(٢) كناية عن كرمه، فهو يطبخ كثيرا لضيوفه، ويحصل الرماد الكثير من كثرة طبخه وحرقه للحطب.
(٣) القَمقام: السيّد الكثير الخير، الواسع الفضل.
(٤) البَرِم: الضَّجِر.
(٥) رجل مِبْطان: كثير الأكل لا يهمّه إلا بطنه.
النهيم: هو صوت كأنه زحير، وقيل: هو صوت فوق الزئير، وقيل: صوت وتوعّد وزجْر.
(٦) الحَرُون: رفَضَ الانقياد.
الجَمُوح: من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه.

المختالُ المنّان، الضعيفُ الجَنان، الجَعْدُ البَنان[١]، القَؤولُ غيرُ الفعول، المَلولُ غيرُ الوصول، الذي لا يَزَعُ[٢] عن المحارم، ولا يرتدِعُ عن المظالم.

أَمّا خيرُ النساء فالحَوَّاءُ اللَّعْساء[٣]، الهَرْكولةُ اللَّفَّاء[٤]، المَمْكورةُ الحَيْداء[٥]، الخَرُودُ الغَيْداء[٦]، اللَّعُوبُ[٧] السَّمْراء، الشَّفَّافةُ[٨] المَلساء، الغَرّاءُ العَيْناء[٩]، الكَحْلاءُ النَّجْلاء[١٠]، الحَوْراءُ الدَّعْجاء[١١]، المِطْواعُ الوَلْهاء[١٢]، المَيّادةُ البَلْهاء[١٣]،

(١) البخيل اللئيم.

(٢) لا يَزَع: أي لا يكفّ.

(٣) اللَّعَس: سواد مستَحْسَن في باطن الشَّفَة.

(٤) الهركولة: امرأة حسَنة الجسم والخَلْق والمِشْية، وكذلك أيضا: ضخْمة الأوراك مرتجَّة الأرداف.
اللفّاء: كثيرة لحم الفخذين.

(٥) الممكورة: المرأَةُ ذات السَّاق الغليظةِ المُسْتديرة الحسناء.

(٦) الخَرُودُ: المرأَة الحَيِيَّة.
الغَيْداء: الفتاة الحسناء الناعمة الجميلة الليّنة المتمايلة أثناء مشيها.

(٧) امرأَة لَعُوبٌ: الرَّشيقة الحَرَكات، الحَسَنةُ الدَّلال.

(٨) نَسِيجٌ شَفَّافٌ: رَقِيقٌ، أَيْ كُلُّ مَا رَقَّ فَظَهَرَ مَا وَرَاءهُ.
مَاءٌ شَفَّافٌ: صَافٍ.
الشَّفَّافُ: ما لا يحجب ما وراءَه.

(٩) عَيْناء: حَسَنة العين واسِعتُها.
ميّادة: المتبخترة المهتزَّة، المتمايلة الكثيرة الاهتزاز والتمايل.
الغُرَّة: البياض الذي يكون على الوجه، وقد يطلق ويراد النفْسُ كلُّها.

(١٠) نجلاء: عَيْنٌ نَجْلَاءُ: وَاسِعَةٌ /عَيْنَانِ نَجْلَاوَانِ.

(١١) الدَّعَجُ: شدّة سواد العين، وشدّة بياض بياضها، وقيل: شدّة سوادها مع سَعَتها.
الحَوراء: الحَوْراءُ من النِّساء: البيضاء، لا يُقصد بذلك حَوَرُ عينَيْها، وعين حوراء: إذا اشتدّ بياض بياضها وسواد سوادها.

(١٢) وَلْهَاء: ولهَتِ المرأَةُ إِلى حديث المرأَة، تَلْهُو لُهُوًّا ولَهْواً: أَنِسَت به وأَعْجَبها.

(١٣) ميّادة: المتبخترة المهتزَّة، المتمايلة الكثيرة الاهتزاز والتمايل.
البَلْهَاء: أَنشد ابن شُمَيْل:

ولقَـــدْ لَهَـــوْتُ بِطِفْلَـــةٍ مَيّالةٍ بَلْهـــاءَ تُطْلِعُني على أَسْـــرارِها =

القاصرةُ الطَّرْف[١]، الطَّفْلةُ الكَفّ[٢]، العميمةُ الرِّدْف[٣]، الفتّانةُ العينين، الأَسيلةُ الخَدّيْن[٤]، الكاعبُ الثديَيْن، الرَّدَاحُ الوركين[٥]، الشاكرةُ للقليل، المساعدةُ للحليل، الجَمَّاءُ العظام[٦]، الرخيمةُ الكلام، الكريمةُ الأخوال والأعمام، الرَّخْصةُ البَنان[٧]، الرَّزانُ الحَصان، المنثنيةُ الأعطاف، الكاملةُ الأوصاف، التي يَشفي السقيمَ كلامُها، ويُبرئُ الوصيبَ[٨] إلمامُها، التي إن أحسنتَ إليها شكَرَتْ، وإن أسأتَ إليها صبرَتْ، وإذا استعتَبتَها أعتبَتْ، وإذا استفسرتَها أعرَبَتْ، وإذا حدَّثتَها أنصَتَتْ، عَذْبةُ اللِّثام، وافيةٌ بالذِّمام، رِيقُها ضَرَب[٩] وحديثُها طَرَب.

أمّا سِرُّهن أو قُلْ أضَرُّهن فالفتّانةُ الكَذوب، الظاهرةُ العُيوب، الطوّافةُ الهَبوب، العابسةُ القَطوب[١٠]، السبّابةُ الوَثوب، السليطةُ اللسان، الناطقةُ بالبهتان، إن ائتمَنَها زوجُها خانتْه، وإن لان لها أهانتْه، وإن أرضاها أغضبتْه، وإن دعاها

= أَراد: أنها غِرٌّ لا دَهاءَ لها، فهي تُخْبِرني بأَسْرارِها، ولا تَفْطَن لما في ذلك عليها؛
وأَنشد غيره: من امرأَةٍ بَلْهاءَ لم تْحْفَظْ ولم تُضَيَّعِ يقول: لم تُحْفَظْ لِعَفافها ولم تُضَيَّعْ مما يَقُوتها ويَصُونها، فهي ناعمة عَفِيفةٌ.
والبَلْهاءُ من النساء: الكريمةُ المَزِيرةُ الغَرِيرةُ المُغَفَّلةُ.

(١) الْمَرْأَةُ الَّتِي يَشْتَدُّ حَيَاؤُهَا، وَلَا تَمُدُّ عَيْنَهَا إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات: ٤٨].

(٢) الطَّفْلة: الطَّفْلُ: الرُّخْصُ الناعمُ الرقيق وهي طَفْلة.
امرأة طَفْلَةُ الأنامل: ناعمتُها.

(٣) العَميمة: العُمُمُ: تمامُ الجسم والشَّباب والمال.

(٤) أسيلة الخدّ: أسِلَ الخَدّ: ملَس واستوى ولان.

(٥) امرأة رَدَاح: عجزاء ثقيلة الأوراك، تامّة الخَلْق، وقيل: ضخمة العجيزة والمآكم.

(٦) جَمَّ العَظْمُ: كَثُرَ لحمُهُ.

(٧) رَخْصَةُ الأطراف: ناعمة.

(٨) الوَصَب: التعب والمرض، فيكون الوصيب المتعَب والمريض.

(٩) الضَّرَب: العسل.

(١٠) القَطُوب: القابض ما بين عينيه من جِلْد عابسا.

عصَتْه، وإن عاتبَها وَتَرَتْه، وإن كلَّمها انتهرَتْــه، التي وجْهُها عابس، وزوجُها من خيرها يائس، التي شَــقِيَ بها صاحبُها، وخزِيَ بها خاطبُها، وافتضَحَ بها أقاربُها، الهمَّازةُ[١] اللمَّازة، المشَّاءةُ الجَمَّازة[٢]، التي تنكرُ الصنيعَ، وتؤذي الضجيع.

أمّا خيرُ الخيل عند الشدائد، إذا التقى الأقران للتجالُد، فالجَوَادُ الأنيق، الحَصانُ العتيق، الكُمَيْت[٣] العريق، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرَب، ويَلحَقُ إذا طلَب، الحَصان الجَواد، سَلِس القِياد، الشَّهْم الفؤاد، الصَّبور إذا سرَى، السابقُ إذا جرَى.

أمّا شرُّها فالجَموحُ الطَّموحُ[٤]، البَكولُ الأنوح[٥]، الصَّؤول[٦] الضعيف، المَلول العنيف، الــذي إن جاريتَه ســبَقْتَه، وإن طلبتَــه أدركتَه، البطيءُ الثقيــل، الحَرونُ الكَليل[٧]، الــذي إن قرَّبْتَه قمَــص[٨]، وإن دنوتَ منه شَــمَص[٩]، يدركُه الطالب، ويفوتُه الهــارب، ويقطعُه الصاحب، الجَمــوحُ الخَبوط[١٠]، الرَّكــوبُ الخَروط[١١]، القَطوفُ الصُّعود والهُبوط، الذي لا يسلِّم الصاحبَ، ولا ينجو من الطالب.

(١) الهَمَّازة: الطعّانة في أعراض الناس، العيّابة للناس.
(٢) الجَمّازة: الجَمّازُ من الدوابِّ: السريع العَدْو الوَثَّاب.
(٣) الكُمَيْتُ من الخيل: ما كان لونُه بين الأسود والأحمر، وهو تصغير أَكْمَت ترخيمًا.
(٤) جمَحَ الفرس: رفض الســير بالرغم من إلحاح صاحبه، طمحت الدابة: جمحت، طمَّحَ الفرس: رفع يديه.
(٥) تبكّل في مشيه: اختال.
الأَنُوح: صوت النفْس عند الغَمّ والغضَب والبِطْنة والغَيْرة.
(٦) صَؤُلَ البعيرُ: واثَبَ الناس أو صار يقتل الناس ويعدو عليهم.
صَئيلُ الفرس: صَهِيلُه.
(٧) حَرَنت الدابّة: امتنعت عن السير ووقفت ورفضت الانقياد.
الكَليل: الضعيف أو المُتْعَب.
(٨) قمَصَت الدابّة: نفرت وضربت برجليها، عدَت في مرَح ونشاط.
(٩) شمَصَ الدابّةَ وغيرها: ساقها سَوْقا عنيفا حتى أعْيَت.
(١٠) فرَس خَبوط: يخبط الأرض بيديه.
(١١) خَرَطَ فِي الْعَدْوِ: أسْرَعَ.

أمّا خيرُ السيوف، المُعَدّة للحُتوف[١]، فالصقيلُ الحُسام[٢]، الباتِرُ المِجْذام[٣]، الماضي السِّطام[٤]، المُرْهَفُ الصَّمْصام[٥]، الذي إن هززتَه لم يَكْبُ[٦]، وإن ضربتَ به لم يَنْبُ[٧]، الحُسامُ القاطع، ذو الرَّوْنق اللاّمع، الظَّمْآنُ الجائع، الذي إن هززتَه هَتَك، وإن ضربتَ به بَتَك[٨].

أمّا شرُّها فالقَطارُ الكَهام[٩]، الكثيرُ الكلام، الذي إن ضرَب لم يقطَع، وإذا ضرَب لم يَنخَع[١٠]، الطَّبْعُ الرّدان، والمِعْضَد المُهان[١١].

أمّا خير الرماح عند المِراس، إذا اعتكر البأس، واشتجَر الرِّعاس[١٢]، فالمازن المثقّف[١٣]، المقوّم المخطّف[١٤]، الذي إذا هززته لم ينعطف، وإذا طعنت به لم ينقصف، الذابلُ العَسّال[١٥]، المقوّم النسّال، الماضي إذا هززته، النافذ إذا همزته.

(١) الحَتْف: الهلاك.
(٢) الصقيل: المجلوّ.
الحُسام: السيف القاطع. وقيل: طرَفُه الذي يُضْرَب به.
(٣) الباتر من السيوف: القاطع.
المجذام: السريع والقاطع.
(٤) سِطام السيف: حَدُّه.
(٥) الصمصام: السيف الصَّلْب القاطع.
(٦) كَبا السهم: لم يُصِبْ هدَفَه.
(٧) نبا السيف عن الضريبة: لم يُصِبْها.
(٨) بَالَغَ فِي ذَبْحِهَا فَأَصَابَ نُخَاعَهَا.
(٩) كَهَمَ السيف: كَلَّ فهو كَهام، وكَهيم.
(١٠) المَنْخَعُ: موضعُ قطع النُّخاع بين العُنُق والرأس، نَخَعَ الذَّبِيحَةَ:
(١١) المُهان: المستخفّ به المحتقِر.
(١٢) رُمْح رعّاس: يهتزّ ويضطرب.
الرَّعْسُ: صوت اضطراب الجسم، صوت الإنسان عند الارتعاد.
(١٣) ثقاف الرماح: أداة من حديد أو خشب تُقَوَّم بها الرّماح وتقوى.
(١٤) سيف مرهَف: محدّد، حادّ الطرف.
(١٥) عسل الرمح: اشتد اهتزازه، اهتزّ للينه.

وأمّا شرُّها فالأعصل[١] عند الطعان، المُثَلَّم السِّنان، الذي إذا هززتَه انعطَف، وإذا طعنتَ به انقصَف[٢]، الضعيفُ المَهَزّ، اليابسُ الكَزّ، الذي إذا أكرهته انحطَم، وإذا طعنت به انقصَم[٣].

ثم قال الصبيّ الكريم الأبَيُّ: سأزيد أخرى، هي لختام هذا الكلام أحرى، قلت له: هات، فأخذ في بثِّ الكلمات، حيث قال وهذا نصُّ المقال:

وخير عيش للإقامة، عيش في كرامة، ونعيم في سلامة، في أمْن مقيم، وعزّ كريم، وغِنى عميم، وجوار أخٍ حميم، في رُشْد وفلاح، وصلاح وإصلاح، وعمل ذي نجاح، وسلامةِ مساء وصباح، في عيش سالم، وظلّ ناعم، وعزّ دائم، ومجد قائم، لا تناله يدُ الدهر، ولا تبصره عينُ الفقر، ولا تُحِسُّه حاسّة الذُّعْر، يدُ الله فيه بادية، ونِعَمُه عليه رائحة غادية[٤]، صاحبُه محمود، ومقامُه مشهود، وجانبُه[٥] مورود، والناسُ على بابه أفواجا، جماعاتٍ وأزواجا، ذلك هو العيشُ الرغيد، والجَدُّ السعيد، والمال العتيد[٦]، والرأي السديد، والفكر الرشيد، وأَحْرِ به أن يكون في طاعة مَن لا تدركه العيون، الذي يقول للشيء كن فيكون، هنالك تكون الألسن مُثنِيَة، والقلوب مُصغِيَة، والدعَواتُ صادقة، والنفوسُ بالحبّ خافقة، والناس شهداء الله في أرضه، وخلفاؤه في مسنونه وفرضه.

قلت له: بارك الله في أمثالك، وعقَدَ الخير ناصية إقبالك، وربَط السعادة بآمالك، وصدَقَ كلامُك بأعمالك، وجعَل البركة في أقوالك وأفعالك، فهل لك

(١) الأعصل: المعوجّ في صلابة.
(٢) قَصِفَ الرُّمْحُ: إنْشَقَّ عَرْضاً.
(٣) قصَمَتْ الرمحُ: انكسرت فهو قصم.
(٤) من الرّواح والغُدّوّ.
(٥) في نسخة: وحوضه مورود.
(٦) عتيد: حاضر، مهيّأ، أو جسيم، وشديد.

يا بُنيَّ أن تزيدَنـــى، من هذا الــكلام لتفيدَنى، فإنّـــي والله لمُعْجَبٌ بفصاحتك، ومأخوذٌ بصَباحتك، كما إنّي مَشْدوهٌ[١] ببلاغتك، ومَشْدودٌ إلى بَراعتك، ودَهِشٌ لرجاحة عقلك، ولجزالة قولك.

قال: إنّ ألَذَّ الكلام ما واكَبَه الانســجام، وخيرُه ما ظهر صِدْقُه، وشَــفَّ عن الحقيقة حقُّه، وهَبْ أنّا مَلَلْنا من النثر، فلْنَنْقَلِبْ عنه إلى ســاحر الشــعر[٢]، فإنّه الحكمة البالغة، والآية الدَّامغة، لكن إذا دَقَّ معناه، ومَتُنَ مبناه، ورَقَّ أســلوبُه، وتفاعل سالبُه ومسلوبُه، وانسجمت ألفاظُه، واشتدّ للقلوب إيقاظُه.

قلت له وقد بهرَتني مَوهبتُه وبزّتني معرفتُه: لقد أجدت فنون النثر، وبرعت في اختراع المعنى البِكْر، فهل تنظم الشــعر أم ترويه؟ قــال بل لعمّي أرويه، قلت: شنِّفْنا[٣] من شعره الرقيق، في كلّ معنًى دقيق، وإني لَئِلَى جديدِه، أشوقُ منّي إلى بعيده، قال: هل لك إلى القصّة في الشــعر، وإلى الأطروفة في بيان السِّحْر؟ قلت له: نعم، وإنها لمِنَ النِّعَم، قال: إليكَها في نَغَم هادئة، فامْسَحْ بها القلوب الصادئة.

مَن للوصــال كُؤوسًــا والِّلقــا حَانا ... وللهــوى الطافــرِ[٤] المَشــدوه فَنّانا
وللطفولــــة تســــتعدي تفاعُلَهــــا ... والدمــعُ يســتنزفُ الآمَــاقَ تَهْتانا[٥]
تشــكو الغــرامَ فيَشــكيها بلوْعته[٦] ... ولــو أطــاق لَــراضَ العــدلَ ميزانا

(١) شَدِهَ فلان: دهش وتحيّر.
(٢) في نسخة: جيّد الشعر.
(٣) شَنَّفَ الآذان بكلامه: أمتعها به.
(٤) الطفر: الوثْب في ارتفاع.
(٥) الآماق: طرف العين ممّا يلي الأنف، وهو مجرى الدمع.
هتَنَتْ السماء: هطَل مطَرُها بتتابع.
هتن الدمع: سال وجرى قطرة قطرة.
(٦) اللوعة: حرقة في القلب وألم يجده الإنسان من حبّ أو همّ أو نحو ذلك.

في قصّة لو حكاهـا الدَّهرُ لانفعلت ... لـه العوالِـمُ آهـاتٍ وتَحْنانـا
فهاكَها كَرُضـاب[١] الحُـبّ خالصةً ... تدافعُ الشـوقَ يُزجي الوصْلَ سلطانا
باتَ الصبيَّـان جُنْحُ الليـل يَلفَحُهم ... طَيْـفُ المحبّـة بالأشـواق نيرانـا
وأصبحـا بزُجاجات الغَـرام طِلا[٢] ... يستسـقيان الهوى المعسـولَ وِديانا
يسـارقان لِحـاظَ الحُـبِّ عابثـةً ... عَبْثَ الصَّبـا بالصِّبا الـوَرْديّ فَيْنانا
ليوقظاهـا إذا نـام الخَلـيُّ بهـا ... تُسـامِرُ[٣] النجـمَ في أُفْقيْـه حيرانا
وترصُـدُ الصُّدفةَ السَّـمْراءَ باسِـمةً ... عن المَسـرّة تَجْلُ الوصْلَ بسـتانا[٤]
كأنّما النَّظَرَاتُ السَّـاحراتُ سـرَتْ ... إلـى الصبيَّيْـن أسـيافًا ومُرَّانـا
كأنّمـا الشـوقُ نـارٌ فـي قلوبهما ... تـكادُ تَحرِقُ في ذا الكـون مَن كان
كأنّ طـيَّ الحشـايا من نفوسـهما ... مصـارعُ الحُـبّ أرواحًـا وجُثمانا
كأنّ مهبِـطَ وَحْي الحُـبّ روحُهما ... حتى لتحسـبَ ذاك الوحْـيَ فرقانا
كأنّ روحَ الهوى العُـذريّ ما نفحَت ... إلا برُوعِهِـمُ سِـرًّا وإعلانـا
كأنّ كلَّ براكيـن الوجـود علـى ... قلبيْهمـا فجَّـرت صَخْـرًا وكثبـان
كأنّ مـن نفَحَـات الخُلْـد رَوْحُهما ... عَبْـرَ المحبّة مُـذْ كانت ومُـذْ كانا

(١) الرُّضاب: رغوة العسل.
الرُّضاب: الريق أو الريق المرشوف.
الرُّضاب: ما تقطّع من الندى على الشجر وغيره.
الرُّضاب: فتات المسك.
الرُّضاب: قطع السكر.
ماء رُضاب: عَذْب.

(٢) الطِّلاءُ: ما طُبخَ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه وتسـمية العجـم الميبختج، وبعض العرب يُسمّي الخمر الطِّلاء، يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطِلاء.

(٣) التسامُر: التحادث ليلا.

(٤) الأبيات التالية من النسخة الثانية للمقامة.

أطـيَّ مدرسـة القـرآن ويْحَكُمـا تَقَاطفـانِ الهـوى وَرْدًا ورُمّانـا
وتبعثـان عيـونَ الحُـبّ جائعـةً تـكادُ تلتهـم الأحشـاء ثعبانـا
وتركبـان متـونَ الآي عائمـةً بأبحـر الحـبّ أحلامًـا وتَحنانـا
لا تتـركا الحُـبّ مطويًّـا بخاتمـة إنّ الخواتـمَ تُفشـي السـرَّ أحيانـا
وحـاذرِ اللفَتَـات مـن فقيهِكُمـا فربّمـا جَذَّ حبْـلَ الوصـل غضبانا
لكنّما الحـبُّ سـلطان إذا صدرت أحكامُـه لفـؤاد ذَلَّ إذعانـا
هبَّ الصبـيُّ إلـى عَظْـم فخطَّهما بيتيْـن قـد جَلَّيـا الأشـواق ألوانا
وكان مـا خطَّـه والحُـبُّ يلفحُـه نـارًا ويفجُـرُه بالشـوق بُركانـا
مـاذا تقوليـن فيمن شـفّه[1] سـقَمٌ من فرْط حبّـك حتى صـار حيرانا
يشـكو الصبابة في همٍّ وفي سـقَمٍ لا يسـتطيع لمـا في القلـب كتمانا
وفي اختـلاس رمـاه للفتـات فلم تَكَـدْ تلقّـاه أو ضمّتـه وجدانـا
فسـوَّدَتْ فيـه بيتيـن تفيضُهمـا روحُ المحبّـة كالوسـميّ هتّانـا
فهـاك مـا سـوَّدَته تحت أسـطره ونمَّقتـه صَبابـاتٍ وأشـجانا
«إذا رأينـا مُحِبًّـا قـد أضـرَّ بـه داءُ الصَّبابـة أوْلينـاه إحسـانا»
«سـيبلغ القصـدُ منّـا فـي محبّتة ولـو يكـون علينـا كلَّمـا كانـا»
وفي تصاعد أنفاسٍ وكسْرة أجفـانٍ ونفْحِ تلاقٍ فاحَ رَيَّانا
رأى الفقيـهُ أمـاراتِ الغـرام على وجهيْ صبيَّيْه تجلو البِشْـرَ نشـوانا
والعظم يبرقُ فـي كفّ الفتاة سَـنًا فقال ويحـكَ مـا للعظم قـد خانا
هاتيـه هاتيـه لا تَخْشَـيْ عليه فكم درسـت فـي مثلـه الآيـات قرآنا

(١) شفّ الجسم: نحل ودقّ من همّ أو مرض.
شفّه المرض: أضعفه، أوهنه.
شفّه الحب: لذع قلبه، أذهب عقله.

فجاذبتْـه علـى لطـف لتمحـوَ ما بعظمهـا ذاك مِن شـأن كأنْ شـانا
لكنّهـا لـم تُطِـقْ مَحْـوًا لـه أبدًا إذ أنـه كان بالتَّـذكار مَلآنـا
هاتيه يـا طفلتـي هاتيـه واحتفظي بمـا عليـه وُقِيـتِ الدهـرَ خوّانـا
فسـلَّمتْ في يديْـه العظـمَ راضيةً فصْـلَ القضـاء إذا ما اشـتدّ أولانا
فسـرِّحِ الطـرفَ فيـه فاسـتطير به فلـم يطـقْ لقديـم الحـبّ كتمانا
فخطَّ بيتين شـفًّا عـن عميق هوى إليـك فاجعلهمـا للحـبّ عنونـا
«صلّـى محبُّـك لا تخشـى مراقبة إنّ المحـبّ غـدا بالحـبّ ولهانا»
«أمّـا الفقيـه فـلا تخشـى عقوبتَه لأنـه قـد بُلـي بالحـبّ أزمانـا»
وردَّه نحوهـا باللطـف مبتسـمًا يقـول حسـبك مـا بالعظـم إيمانا
فخبّأتـه لكيْمـا تسـتريح إلـى تكـرار مـا فيـه آنًـا يقتفـي آنـا
لكـن رآه أبوهـا وهـي تقـرؤه والدمع يحفـر في الخدّيْـن غُدرانا
وكان يلحظُهـا مـن حيثُ لـم ترَه حتـى إذا خبّأتْـه وانتحـتْ شـأنا
أتـاه سـرًّا فمـا أن كاد يقـرؤه حتـى تبيّـن مـا عنـه الغِطـا بانا
فقال ويْـحَ الهـوى إن تجنياه على حكـم الحنيفـة أولـى منـه خِلّانا
فصـاغ بيتيـن أبـدى رأيَـه بهمـا كانا لـذاك الهـوى العُـذريّ إيوانا
«لا فـرَّق الله جمْعًـا كان بينكمـا وظـلَّ واشِـيكما حيـرانَ تعبانـا»
«أمّـا الفقيـه فـلا والله مـا نظرت عينـاي أفسـقَ منـه قـطُّ إنسـانا»
وقـال قم يـا فتـى خُذْهـا مباركة فـي ذمّة الله واطْـوِ السَّـعْدَ أحضانا
وهـاك آصـرةَ التزيـج قائمـةً علـى الشـريعة إنّ الشـرعَ ربّانـا
فكان من نقطة الآمال منطلَقُ المآل عُشًّا بناه الدينُ بنيانا
عُشًّـا على شـجَرات الأُنس تحفظُه عنايـةُ الله أركانًـا وحيطانـا
سـليلَ منصور يـا راوي الرِّواية لي تشـدو بأبياتهـا الغـرَّاء ألحانـا

أوتيتَ مزمارَ داؤدٍ فعشتَ به ... على سمائل صدّاحًا وفنّانا
عليُّ من شامسٍ للخزرج اتصلت ... أعراقُه فجَلَت للضاد حَسّانا
فأنت في ذلك المضمار واحِدُه ... وما برِحتَ لدين الله حَسّانا
حتى قضيتَ فهل أبقيتَ من خلَفٍ ... يسُدُّ ثلمة ما شيَّدتَ أركانا
فهل ألومُ لك الحبَّاسَ باكيةً ... أم هل ألومُ على الفيحاء إخوانا
فإنّ عيناي لا ينفكُّ دمعُهما ... إذا ذكرتُكَ بالخَدّيْن تهتانا
وإن تذكّرتُ من شعبان سطوتَه ... عليك أحرقتُ تحت الدمع شعبانا
وكم ذهلتُ فلم أملكْ تَعَرُّفَه ... هل كان شعبان أم قد كان خَوّانا
أرجو من الله أن يلقاك مغتفَرًا ... فالله كم قابَلَ التقصيرغفرانا
وحسْبُنا الختْمَ مِسْكيًّا يضوع به ... عَرْفُ الصلاة على أعلى الورى شأنا

ثم قال: إنّ المقامات غالبا ما تجيء منثورة، إلا نغمات قليلة من قلوب موتورة، وإنّ هذه القصيدة لساحرة، تهيمنُ على القلوب الساخرة، وتنشِّطُ الأفئدة الجامدة، وتنعش الأرواح الهامدة، فلا تَدْعُها تسيطر على المَقامة، فتسبطرّ بها حتى العلامة.

ومدار المقامة على صبيّيْن يدرسان مبادئ القرآن، فعلِق بهما الحبُّ حتى أدناهما إليه كالقُربان، ثم أنطقَهما بالضاد، وحملهما ما لا يتحمُّله الجَماد، وهما جنْس لطيف، وجنْس خَشِن حصيف[1].

فكان الصبيُّ هو البادئ بالغرام، وجُرْأتُه هي كانت الطريقَ لمعسول الوئام، حتى وصل به غايةَ المَرام، فلمَّا استحكَمَ بسُوَيْدائه الحبُّ، وألحقه عارِمُ الشوق بالرَّكْب، قال ويا لَنِعْمَ ما قال:

(١) رأي حصيف: محكَم لا خلَل فيه.
يتمتّع بذهن حصيف: بذهن بصير ثاقب، به نضج فكري.
رجل حصيف: جيّد الرأي، حكيم، مُتعقِّل.

مــاذا تقوليــن فيمــن شــفَّه ســقَمٌ من فَــرْطِ حُبِّكِ حتى صــار حيرانا
يشــكو الصبابة[١] في هَمّ وفي سَقَمٍ لا يســتطيعُ لمــا في القلــب كتمانا

وفي خِلْســة[٢] عابرة، ونزْعة طافرة، ألقى إليها الكَتِفَ الــذي جعله وديعةً لذخيرته، وسرًّا شفّافًا يشِفّ عن خَبيئته، فلم تكَدْ تتلقّى مطلع النور من يد ذلك الصبــيّ الغِرّ الموتــور، حتى تحكّمــت فــي إرادة الفصحى، فاجْتلتْــه بعيدِها الأضحى، ثم قالت بعد ما أمالت واستمالت:

إذا رأينــا مُحِبًّــا قــد أضــرَّ بــه دَاءُ الصَّبابــة أولينــاه إحســانا
ســيبلغُ القَصْــدَ منّــا فــي محبّتــه ولــو يكــون علينــا كلّ مــا كانــا

فلحظ الفقيه تلك الحركات الطائشــة، واللَّفَتات الجائشة، والعيونَ العَبْرى، والنظَرات الحَرَّا، فلم يَكَدْ يملِكُ نفسَه حتى مَدَّ يدَه على مَخْبأ السرّ فجَسَّه ورأى عليه الأربعــة أبيات، وكأنّما يتراقصــن في أغنيات، فكتــب تحتَهما من نفَثات سحْره بيتين، شفّا عن دقيق خُبْره ورقيق سَبْره، وعن حُبٍّ قديم كاد يهوي به في الجحيم، فهاك ما قال فتبصَّرْ في المقال:

صِلِــي محبَّــكِ لا تَخْشَــيْ مراقبــةً إنّ المحــبَّ غــدا بالحُــبّ وَلهانــا
أمّــا الفقيــهُ فــلا تَخْشَــيْ عقوبتَــه لأنــه قــد بُلِــي بالحــبّ أزمانــا

فأكرم بأبيها وحاميها ومربّيها، فإنه كان فطِنَ الإشارة، لطيفَ البِشارة، محكمَ الإدارة، إذا طال بَزّ[٣]، وإذا صال حَزّ[٤]، فانتقد فتاتَه، حين حانت منه التفاتة، إذ

(١) الصَّبابة: الشوق، أو رقّته، وقيل: الصبابة: حرارة الشوق.
(٢) خِلْسة: اسم هيئة من خلس: فرصة تنتهز، والمراد: بصورة خفية.
(٣) بزّ في ميدانه: غلَبه.
والبزّ: السلاح.
(٤) صال فلان على خصمه: سطا عليه وقهره.
حزّ الشيء: قطعه ولم يفصله.

رآها وهي تنظر في الكتاب، وكأنما تسجدُ في المحراب، والدمعُ يخدِّدُ خدَّها الأسيل، ويغرق أحوار الطرف الكحيل، وهو يرقُبُها بالأبصار، في شيء من الانكسار، لئلّا تدرك منه انتباهَه، فتظفر بها الانتباهة، حتى قامت لما يُلهيها، وهو ينظر فيها نظرة يخفيها، فأخذ الكَتِفَ فقرأ ما به من رقيق العبارة، وفهِمَ ما دسَّه من لطيف الإشارة، فكتب تحته في رصين من التعبير، ورقيق من التحبير، ما كاد يسيل من بِرّه، وينبض عن نبَضَات سِرّه، ويدِبّ في الخَلَجات[١] من نفَثَات سحره، إلا والبيتان هما كما ستنظرهما:

لا فرّق الله شمْلًا كان بينكما ... وظلَّ واشِيكُما[٢] حيرانَ تعبانا

أمّا الفقيهُ فلا والله ما نظرتْ ... عيناىَ أفْسقَ منه قطُّ إنسانا

وردّ الكَتِفَ إلى مكمنه، لمّا بلغ قرارة مأمنه، فلمّا رأى العمُّ هذه الأبيات المغريات، ورأى ما فيها من النفَثات، وما عليها من حسْن اللفتات، وما بها من الصراحة، ومن الهِمَم المتاحة، بسَط خلفَها جناحَه، حتى اصطادها فيما اصطاد، وطوعها لما اراد فكانت شاردته وواردته ووافدته وواقدته لأنه ابصر فيها من رونق الغرام ورقيق الكلام حتى ما يقوّس اللحظات، ويوسع الخطوات، ويزجّ[٣] بالأديب، في مهوى من مهيع[٤] رهيب، وأبعاد من مطّلع رحيب، في الغَلوة[٥] القصوى، من غاية النجوى، والجياد تستبق، والفرسان تعتنق، والكاشح يختنق.

---

(١) جمع خلجة: ما يتخالج في الصدر ويتوارد.

(٢) وشى الكلام/ وشى في الكلام: كذب فيه.
وشى الكذب: ألفه وزيّنه ولوّنه.
وشى بفلان إلى الحاكم: نمّ عليه وسعى به، نقل شيئا عنه بخُبْث.

(٣) زجَّ الرجلُ والظليم: طالت ساقاه وتباعد خطوه.

(٤) المهيع من الطريق: البيّن.

(٥) الغَلْوة: مقدار رمية سهم، وتقدر بثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة.

وكان الميدان لِعَمِّي أمنيتَه، والسباق فيه بُلَهْنِيَتَه[١]، فكتب عليها قصيدته الغرّاء، وأركبَها من الشعر الشِّعرى، مرقِّقًا حواشيَها، وغاشيا غواشيَها[٢]، حتى رقَّقها وأدخل عليها ما حقَّقها، فاندفعت تسابقُ سُبَّقَها، وتطارد مطوّقها، تركناها لئلّا تطول المقامة، وتتجاوز في الشعر العلامة، فيلقى الملومُ ثمرةَ الملامة، فإن رغبت في الاطّلاع عليها، فأدْلُجْ القِلاص[٣] إليها، حتى تقف بين يديْها، وتتجلّى لك عن ساعديْها، فأحْرِ بها أن تكبر على الكبير، وأن تعلو سِرْجَ الأمير، وتحتلَّ منطقة القائد الخبير، ولقد أعجبتُ بجملة ليست بالمُخِلّة ولا هي بالْمُمِلَّة، حتى لتكاد تمثّل حملة، إذ قال الأديب وهو في سَرْد قصّته، متربِّعًا على منصّته، يدور بين الشعر والنثر، وما قاله العرب فيهما من سَيْر، إذ قالوا: إن الشعر ديوان العرب، وإن النثر أطرحُ في الأدب، لأنّ الكاتب يمليه، في أماليه فيدليه، متوسِّعًا به ومنبسطا فيه، والشعر يضيق عن سَبْك الكُلّ، ويقتصر عن الحَلّ، وإن البيت للشاعر المُجيد، لراحلةٌ من حديد، تدني له البعيدَ، وتذلّل له الصعْبَ الشديد، وهو أحرى بضبط القاعدة، وتخليد الفائدة، إذ قال ذلك الأديب الكاتب، وهو كالمعترض على أخيه الكاتب، قال منمّقا للمقال ما معناه، لا ما نصُّه ومبناه، قد تكون الجملة النثرية، أروعَ خيالا وأبعدَ منالا، من البيت في أنشودته السحرية.

---

(١) يقال: هو في بُلَهْنِيَة من عيشه، أي في سَعَة ورخاء، وكذلك في رَفَهْنِيَة.
وأنشدوا:

ما لي أراكم نيامًا في بُلَهْنِيَةٍ وقد تَرَوْن شِهابَ الحرب قد سَطَعَا

الشِّعْرَى: كوكب ينير يطلع عند شدة الحرّ، وفي القرآن الكريم؛ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩].

(٢) غشى: غطّى وحوى.

(٣) القَلوصُ من الإبل جَمْع: قِلاصٌ، وقَلَائِصُ.
وهي: الفتيَّةُ المجتمعةُ الخَلْق، وذلك من حين تُركَبُ إلى التاسعة من عُمْرِها، ثم هي ناقة.

لأنّ ذلك يعود إلى قدرة الكاتب، وحِدَّة ذهنه في المصاعب، وذلك يعود إلى الكاتب والشاعر، في حِدّة ذهنهما ورقّة المشاعر، وفي دَرْكهما لأبعاد الغَوْر[١]، وتمييزهما بين الحَوْر والكَوْر[٢]، وجعْل الكلمة وهي قابلة، بقلب المعنى لأجل المقابلة، وإخضاع المعنى لأجل امتزاجه بالمبنى، وتطويع المبنى لأجل استيعابه غاية المعنى، حتى يكونا ممتزجيْن في الركيزة، ومتواكبيْن في المَسْهبة والوَجيزة[٣]، فلا يخلُّ رقيقُ المبنى بشيء من معناه، ولا يَنِدُّ[٤] شيءٌ من المعنى عن مبناه، ومن أجل ذلك يعذوذِبُ الكلام، ويترابط اللفظ بالمعنى

(١) الغَوْر: كلّ منخفض من الأرض.
الغَوْر من كلّ شيء: قعره وعمقه.
سبر غَوْرَه: تبيّن حقيقته وسرّه.
بعيد الغَوْر: عميق، داهية، متعمّق النظر.

(٢) الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحُؤُوراً: رجع عنه وإليه.
الكَوْر: ما دار حول الرأس من عمامة.
روى ابن ماجة في سننه عن عبد الله بن سرجس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إنّي أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر»، قال الإمام السندي في حاشيته: «والكَوْر لَفُّ العمامة وجَمْعُها، والحَوْرُ نقْضُها، والمعنى: الاستعاذة بالله من فساد أمورنا بعد صلاحها كفساد العِمامة بعد استقامتها على الرأس» (حاشية السندي على النسائي).
وفسّر الإمام الترمذي الحَوْر بعد الكَوْر بالرجوع من الإيمان إلى الكفر، أومن الطاعة إلى المعصية.
وقال المباركفوري: «أي النقصانُ بعد الزيادة، وفسادُ الأمور بعد صلاحها» (تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري).

(٣) المَسْهَبَة: من الإسهاب، وقد أَسْهَبَ في حَدِيثِهِ أَوْ أَسْهَبَ الكَلَامَ: أَطالَ، تَوَسَّعَ.
الوَجيزة: من الإيجاز وهو: لغة التقصير، يقال: أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي كلام قصير.

(٤) نَدَّت الكلمة: شذَّت عن القاعدة له عبارات نادة.
ندَّ البعير: نفَر وذهب على وجهه شاردا، ندَّت من القطيع شاة.

فيحصل الانسجام، ويرِقّ الأسلوب فيسترقّ القلوب، فتجد الروعة في الأنشودة، وتبدو النَّزْعة بالطريقة المنشـــودة، وقد كان لي أن كتبتُ عن بعض ما أسلفتُ، كلامًا يدور حـــول القاعدة، وكانت العناية من الله مســـاعِدة، كتبت وهل القاعدة عالَة على العقل؟ أم العقل عالَة عليها؟ وأخيرا اتجهت إلى الرأي الصواب في أنّ القاعدة هـــي العالة، والعقل ركيزتهـــا في الحمالة، لأنها لا تنبعث عن نفســـها، ولا تكاد تصل إلى حقيقة درســـها، والعقل هو الذي يَبنيها ويَحكيها ويُســـوِّيها، وفي ذلـــك دليل على تفـــاوت عقـــول الناس، فهـــذا يـــدرك ما لا يدركه غيره بلا التباس، ولهذا يقال علّامة، ويقال له جَهْبَذٌ وتَعْلامة.

وقد كنتُ أدرس مع شيخ نبيل، ولكن دَرْكُه للمعاني عن فَهْم كليل، وكانت الدراسة في أصول الدين فأكبر، فكان البحث عن الجســـم والعَرَض والجوهر، فقال في شرحه ما حفظه عن شيخه، فقال: الجســـم ما قام بنفسه وقَبِلَ التجزّئ، والجوهر ما قام بنفسه ولم يقبَل التجزّئ، والعَرَضُ ما قام بغيره، كالصِّبغة بدَيْره، وساق مثلا للجسم للمشابهة والحُكْم، قال: الجسم كالإنسان في العباد، والنخلة في الجَماد، والعَـــرَضُ كالصبغة القائمة على النخلة القائمة، فانظر إلى الشـــوكة لا قِوامَ لها بدون النخلة الماثلة، فإذا انفصل عنها ما كان منها فهو عَرَضٌ للمَاثلة، فاعترضتُه وكنتُ أهابُه وأخشاه، ولكن جمعتُ نفسي فقلت: هذا خلاف ما علّمتنا إيّاه في قولك: إنّ الجسم قابل للتجزّئ، والعَرَضُ ما كان على غيره، ولا يوصف بالتجزّئ، فالشوكة جسْم لأنها فلَذَتْ من جسم، فكثر الجدال فلم أستطع إقناعه بالحال، فشكاني إلى الشـــيخ العلّامة الكبير، فأحضَرنا وهو كأنّه متحيِّز للأستاذ الخبير، فلمّا استفسرني حاول أن يكسرني، فصمدتُ وبرأيي تعلّقت، حتى التفتَ إلى المدرِّس قائلا: أنت عند هذا التلميذ كالمُدَرِّس، وبقي أستاذي طوال عمره، يرعاني ويشـــملني ببرّه، ولم تثمر له تلك المنافسة، إلا المحبّة والمؤانسة، لأنها كانت لله، والله كفيل برعاية من تولّاه.

كما يروى أنّ الإمام الشـافعي العلّامـة العبقريّ، والدرّاكـة الألمعيّ، كان بمدرسـة مالك بن أنس، ليقتبس منها أو منه تقتَبِس، إذ جاء سـائل إلى الإمام الأكبر والعلّامة الجليل، والفهّامة النبيل، مالك بن أنس الأجلّ، الذي هو مضرب المثل، فقال سائله، ودمْعُه يشـاغلُه، وهو يقول ويناشد المسؤول: ما ترى فيمن قال لعِرْسه: وهو يكاد ينفصل عن نفسه: إذا هدأ هذا الطائر، فأنت طالق منّي في الحرائر، ثم ندم على ما فـرَّط، وأحَسَّ بالندم لمَّا تورَّط، فهـل تراها تطلق منه وتنفصل عنه؟ فقال: هو ذاك وما أحراه بالهلاك، فنعق وكادت أن تشيل نَعامَتُه[1]، وتقتلَه ندامَتُه، لكن الشـافعي صاحب...[2]،، فإنَّ هنالك بصيصًا من الأمَل، فعُدْ إلى شيْخك وأعِدِ السؤال، ولا تخفْ من القِيل والقال، فكَرَّ الرجل راجعا، وجثَمَ على ركبة شيخه مراجعا، ولكنّ الشيخ أكّد الفتوى، وفرغ من الدعوى، فاستعاده الشـافعي مرّة أخرى، فقال له: إن التريُّث في هذا المقام أحرى، ثم قال له: عُدْ إلى الإمام المفضال، وقل له: إنّي على خلاف ما قال، فغضب الإمام واستدعى الشـافعي وهو غلام، فقال لـه من أين لـك ما قلت؟ وما الـذي حملك على ما فعلت، قال: حديث سـمعته منك ترويه عن الرسـول ﷺ فأخذته عنك، وهو قولك عنه عليه الصلاة والسلام، إذ يحدِّث عن الفحل الهُمام، وهو أبو سـفيان الدَّاهية المِطْعان، قال: «إنه لا يضع العَصا عـن عاتقه»، أفلا تراه يضعُها فـي كلِّ مرافقه؟ ولكنَّها كناية عن شـدَّة الضَّرْب، كما أنّ حَمْلَ الحِرْبة كناية عن الحرب، وهذا مثل ذلك الذي سـلف، فلا تتحيَّز إلى الصلَف، فإنّ الكلام العربـي، به صيغة من الحَلْي الذَّهَبي، فيه الإشـارة والتلميح، والتلويح والتصريح، يقف العربيّ على الكلمة فيستثمرها في مراده، ويقف على أختها ليعزب بها عن مَقاده، وهو في الحالتين

(١) شَالَتْ نَعَامَتُهُ: غَضِبَ ثمَ هَدَأَ وَسَكَنَ.
شَالَتْ نَعَامَتُهُ: مَاتَ.
شَالَتْ نَعَامَةُ القَوْمِ: تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ.
(٢) هنا سطر وقع عليه القصّ.

فصيح ذَرِب[١]، وخطيب أرِب[٢]، إذا قال أعْرَب، وإذا كنّى أغرب[٣]، وإذا استنهض ألهب، لا يطاق صدوره، ولا يؤمن سعيره، ولا يقاس مسيره، كلامُه غَضّ، وتارة فَضّ، يقلّبه على مدار هوايته، ويقلّبه بالنجاح لغايته، وكم ترك الأوّل للآخر، فاقتنصها وهو بها فاخر، وقد يوجد بالنهر ما لا يوجد بالبحر، مثل في كلام كالدُّرَر».

وفي النسخة الثانية قال: «فلمّا فرغ قلتُ له: زدْني أخرى، قال: الراحة بنا الآن أحرى، وودّعني وداعَ الولد لأبيه، فقلت له: دمتَ من نبيل نبيه، إقرأ سلامي عَمَّكَ وأَباكَ وأُمَّكَ، فقال: وعليك سلامُ المؤمنين، الذين آخِرُ دعواهم «أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين»[٤].

قلتُ: وهنا انتهت هذه المَقامة، وهي رفيعة القَدْر والقَامَة، يستعذِبُها القارئُ بفَصاحتها، وتَستهوي الأديبَ ببلاغتها ومَلاحتها، فهي من روائع أدَب النثر، ومن بدائع ما تُصغي إليه الآذان ويجلبها بنفثة السِّحْر.

صاغَها الشيخُ أميرُ البيانْ ... فأظهرَ الحُسْنَ بها بالمَعانْ
وقلّدَ الدهرَ وحَلَّى بها ... ما أجملَ الحَلْيَ بجِيد الحِسانْ
سَرّحْ بها الطَّرْفَ لترقى بها ... في قِمَّة النثر وأعْلى البيانْ

(١) ذَرِب: فصيح اللسان.
(٢) الأَرْبُ: الدَّهَاءُ والفطنةُ والبَصَرُ بالأُمور.
(٣) أغْرَبَ فِي كَلَامِهِ: أتَى بِالغَرِيبِ البَعيدِ عنِ الفَهْمِ.
(٤) مخطوطة مقامات الخليلي، لديّ صورة منها، وانظر أيضا: المقامات العمانية من ابن دريد حتى عبد الله الخليلي، تحقيق ودراسة أ. د ضياء خضير ود. كامل العتوم، نشر بين الغشّام، ط ٢، ٢٠١٦م، مسقط، ص ٣٦٨ ـ ٤٠٠.

فهرس المواضيع

تقديم: سماحة شيخنا العلّامة أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة ٥

تقريض الكتاب: من الشيخ الأديب هلال بن سالم بن حمود السيابي ٩

مقدمة الكتاب ١٣

القسم الأول: قصيدة زَهْر الخمائل في أعلام سمائل ١٩

(المقدِّمة) ٢٠

(الأعلام) ٢١

الخاتمة ٤٢

القسم الثاني: التعريف بسمائل ومكانتها ومعالمها ٤٣

سمائل في الموسوعة العمانية ٥٣

(عامل الحجاج بن يوسف الثقفي ينهزم بسمائل) ٥٧

الإمام نور الدين السالمي يتنفَّسُ الصُّعَدَاء بسمائل بعد فتحها ٥٩

السُّيُولُ في سمَائل ٦٠

(سمائل تبشّر الإمام أحمد بن سعيد بالإمامة) ٧٣

(أحمد بن سعيد في طالعه السعيد) ٧٤

(السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي وُلِدَ بسمائل) ٧٥

انتقال العلّامة المحقِّق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من بوشر إلى سمائل وقت ازدهارها ٧٧
(معالم سمائل) ٧٧
أولاً: المساجد والمراكز العلميّة ٧٨
١ ـ مسجد مازن بن غضوبة ٧٩
٢ ـ جامع سمائل ٨٠
٣ ـ مسجد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بمحلة سَحْرا من علاية سمائل ٨٧
٤ ـ جامع السلطان قابوس بمنطقة المَدْرَة ٨٨
٥ ـ مسجد رَجَب في علاية سمائل ٨٨
٦ ـ مسجد الجعفريّة بمحلّة الجعفريّة من علاية سمائل ٩٢
٧ ـ مسجد الشيخ خلفان بن جميّل السيابي بمحلّة غِيلة الدَّكّ من سفالة سمائل ٩٣
٨ ـ مسجد الحبّاس ٩٤
٩ ـ مسجد القَديمة ٩٥
١٠ ـ مسجد قُرْنَة قائدْ ٩٥
١١ ـ مسجد البَطْحاء ٩٥
١٢ ـ مسجد الحاجر ٩٧
١٣ ـ مسجد المُنى بالحاجر أيضا ٩٨
١٤ ـ مسجد الخُمَيْريّات ٩٩
١٥ ـ مسجد الصَّفا ١٠٠
١٦ ـ مسجد النَّغَائل ١٠٠
١٧ ـ مسجد الصاروج ١٠٤
١٨ ـ مسجد المزارعة ١٠٤
١٩ ـ مسجد الأغبري في محلة الخزاميّة من علاية سمائل ١٠٥

٢٠ ـ مسجد القِبلتين بمحلّة الشرجتين من علاية سمائل ١٠٥
٢١ ـ مسجد الفَجِّ بِسُرور ١٠٥
٢٢ ـ مسجد القَصْر ١٠٥
٢٣ ـ مسجد الصُّوَيْرِيج ١٠٦
٢٤ ـ مكتبة الشيخ العلَّامة حمد بن عُبَيْد السليمي ١٠٦
٢٥ ـ مركز الفيحاء التعليمي بالخوبار ١٠٦
٢٦ ـ مركز أمير البيان الثقافي بسمائل ١٠٧
٢٧ ـ مكتبة الشُّراة العامَّة ١٠٧
ثانياً: الحصون والقلاع والبيوت الأثرية ١٠٨
حصن سمائل ١٠٨
خبر سيرة الإمام على سمائل ١١١
السيّد سعيد بن سلطان يعيّن مسؤولا من البلوش يقبض حصن سمائل ١١٢
الشيخ القاضي الفقيه سليمان بن بلعرب السليماني وسجنه بحصن سمائل ١١٣
ثالثاً: ضريح الصَّحابي مازن بن غضوبة بموضِع الدَّقْدَقَيْن ١٢٠
رابعاً: الأســـواق ١٢٢
خامساً: الأفـــلاج ١٢٣
سادساً: النخـيـــل ١٢٦

القسم الثالث: سمائل و الباروني ١٣٥
(سمائل تستقبل الزعيم الباروني) ١٤٠
(رسائل الباروني المتعلّقة ببناء المدرسة بسمائل) ١٤٥
الباروني واهتمامه بالإصلاح ١٥٧
الباروني والمهمّات الخارجية عن الإمام والسلطان ١٦٨

الباروني والمهمّات الداخلية بعمان ١٧١
المجاهد سليمان الباروني والشيخ علي بن عبد الله الخليلي والوالد في مهمّة سلطانيّة لحصون الباطنة ١٧١
الندوة المقامة في ذكرى الباروني بطرابلس وقصيدتي في الندوة ١٨٠

القسم الرابع: ولاة وقضـاة سمائل ١٨٩

أولاً: مَن تسمّى بمَلِك أو حاكم ١٩٠
ـ خردلة بن سماعة بن محسن بن سليمان بن نبهان النبهاني (ق: ٧ و ٨هـ) ١٩٠
ـ الصقر بن محمد بن زائدة الجلنداني ١٩١
ـ عُمَيْر بن حَمْيَر النبهاني ١٩١
ـ مانع بن سنان بن سلطان العميري (ق: ١٠ و١١هـ) ١٩٤

ثانيًا: مَن جَمَع بين الولاية والقضاء ١٩٧
ـ الشيخ الوضّاح بن عُقْبة، أبو صالح ١٩٧
ـ الشيخ راشد بن سعيد بن راشد الجهضمي ١٩٧
ـ الشيخ خلف بن طالب بن علي بن مسعود بن لاهي بن قاسم بن راشد بن مالك بن عمر العبري ١٩٨
ـ الشيخ عدي بن سليمان بن راشد بن حسن الذهلي ١٩٩
ـ الشيخ العلّامة حمد بن عبيد بن مسلَّم السليمي ٢٠٠
ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن علي الخروصي ٢٠٠
ـ الشيخ خالد بن مهنّا بن خنجر البطاشي ٢٠٠
ـ الشيخ هاشم بن عيسى بن صالح بن عامر بن سعيد بن عامر بن خلف بن صالح بن محمد بن صالح بن سعيد بن علي الطائي ٢٠١

ـ الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور بن ناصر بن خلفان بن ناصر بن خلفان بن ناصر بن أحمد البوسعيدي ٢٠١
ثالثًا: الــؤلاة ٢٠٢
ـ عشيرة بن مالك ٢٠٢
ـ محمد بن يزيد ٢٠٣
ـ الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن مبارك الخروصي ٢٠٣
ـ الشيخ محمد بن إبراهيم ٢٠٣
ـ الشيخ محمد بن سالم بن عبد الله الدرمكي ٢٠٤
ـ الشيخ سيف بن علي بن محمد البوسعيدي ٢٠٤
ـ السيد سالم بن أحمد البوسعيدي ٢٠٥
ـ عبد العزيز بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، كان واليا على سمائل. ٢٠٥
ـ أحمد بن عبد الله الرواحي، كان واليا على سمائل. ٢٠٥
ـ السيد محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، حاكم سمائل. ٢٠٦
ـ السيِّد ناصر بن محمد بن سعيد بن خلف بن تميم بن سالم بن عبد الله بن خلف بن عبد الله البوسعيدي ٢١٢
ـ السيِّد نادر بن فيصل بن تركي البوسعيدي ٢١٢
ـ السيّد قحطان بن يَعْرُب البوسعيدي ٢١٢
ـ السيد الزاهد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي النزْوي ٢١٢
ـ الشيخ خالد بن الوليد الهنائي ٢١٤
ـ الشيخ سعود بن بدر بن هلال بن زاهر الهنائي ٢١٤
ـ الشيخ محمد بن راشد بن سليمان الخروصي ٢١٥
ـ الشيخ يحيى بن الإمام سالم بن راشد الخروصي ٢١٥
ـ الشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صالح بن علي الحارثي ٢٢٠

ـ السيد بدر بن سعود بن حمد البوسعيدي ٢٢٣
ـ السيد حمود بن علي بن حمود البوسعيدي ٢٢٣
ـ الشيخ ناصر بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي ٢٢٣
ـ الشيخ محمد بن زاهر بن غصن بن هلال بن زاهر بن سعيد الهنائي ٢٢٣
ـ السيد حمود بن سالم بن حميد البوسعيدي ٢٢٥
ـ الشيخ محمد بن حمود بن محمد البوسعيدي ٢٢٥
ـ السيد حمد بن سالم بن حميد البوسعيدي، وليَ سمائل من ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م. ٢٢٥
ـ الشيخ محمد بن خليفة بن علي الحارثي، وليَ سمائل من ١٩٨٦ ـ ١٩٩١م. ٢٢٥
ـ السيّد محمد بن أحمد بن محمد البوسعيدي ٢٢٥
ـ الشيخ سليمان بن سيف بن ناصر الغافري ٢٢٥
ـ الشيخ أحمد بن راشد بن حمدان المعمري ٢٢٦
ـ الشيخ أحمد بن صالح بن سعود المعولي ٢٢٦
ـ الشيخ الدكتور خليفة بن حمد بن هلال السعدي ٢٢٦
ـ الشيخ أحمد بن عبد الله بن حمد الكندي ٢٢٦
ـ الشيخ ماجد بن خليفة بن علي الحارثي ٢٢٦
رابعًا: القـضـــاة ٢٢٦
ـ سَلَمَة بن مانع الضَّبِّي ٢٢٦
ـ الشيخ سلطان بن محمد بن صلت بن مالك البطاشي ٢٢٧
ـ الشيخ راشد بن عزيّز بن بخيت الخصيبي ٢٢٨
ـ الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي ٢٢٨
ـ الشيخ ناصر بن عامر بن سليمان بن محمد الريامي ٢٢٨
ـ الشيخ ربيعة بن ماجد بن سليمان بن سعيد الكندي ٢٢٩
ـ الإمام غالب بن علي بن هلال الهنائي ٢٢٩

ـ الشيخ العلّامة خلفان بن جميّل السيابي ٢٣٠
ـ الشيخ الفقيه سليمان بن سالم الكندي ٢٣٠
ـ الشيخ عيسى بن صالح الطيواني ٢٣٠
ـ الشيخ محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي، ٢٣٠
ـ الشيخ العلّامة سالم بن حمود بن شامس السيابي ٢٣٠
ـ الشيخ العلّامة سعيد بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي ٢٣١
ـ الشيخ ناصر بن حميد بن سعيد بن سليم بن أحمد بن عويمر الراشدي، ٢٣١
ـ الشيخ محمد بن سالم بن حمد بن سعيد البراشدي ٢٣٢
ـ الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد بن محسن بن زهران العبري ٢٣٣
ـ الشيخ سيف بن حمدان بن سعيد بن أحمد بن ناصر بن عبد الله بن عمر بن خلف بن سنان السبتي الفنجوي ٢٣٣
ـ الشيخ سالم بن راشد بن سالم بن خلفان بن سعيد بن خلفان بن سعيد بن محمود بن ربيع بن أحمد بن محمود القلهاتي ٢٣٤
ـ الشيخ سليمان بن عبد الله بن خلفان اللويهي ٢٣٥
ـ الشيخ جابر بن علي بن حمود بن جابر المسكري ٢٣٥
ـ الشيخ حميد بن عبد الله بن حميد الجامعي، أبو سرور، ٢٣٧

القسم الخامس: جُباة الزكاة في سمائل في عهد الإمام الخليلي ٢٣٩

القسم السادس الأدَبُ، واشْتَهَارُ سَمائلَ به، ومَجَالِسُها الأدَبيّة ٢٤٣

أوّلاً: الأدَبُ عند العَرَب مَعنًى، ومَكانَةً، ومَجَالسًا ٢٤٤

١ ـ معنى الأدَب ٢٤٤
٢ ـ مكانة الأدَب عند العرب ٢٤٥
٣ ـ الأسواق الأدبيّة عند العرب ٢٤٧

ثانيًا: الأَدَبُ في عُمَان ٢٥٢
ثالثًا: المجالس الأدبية في سمائل ٢٦٨
المجلسان الفقهيّان الأدبيّان للعلّامتين السليمي والسيابي ٢٧٣
مجلس الشيخ خلفان بن ناصر بن عبد الله السعدي الأَدَبي ٣٠٥
مجلس أمير البيان الأدبيّ ٣٠٦
مجلس الخليلي للشعر ٣١٧
زيارة أدباء وشعراء المجلس لسمائل ٣١٨
قصيدتا المجلس المشتركتان في سماحة شيخنا الخليلي ٣٣٦
مجلس الشيخ الأديب هلال بن سالم السيابي الأدبيّ ٣٤٣

القسم السابع: القصائد السمائلية ٣٥٣
القصيدة الأولى: (الفيحاء) ٣٥٤
القصيدة الثانية: (المعاهد الحبيبة) ٣٦٠
القصائد الثالثة والرابعة والخامسة ٣٦٤
(مسرحية الجِدّ) ٣٦٥
(مسرحية الوصف) ٣٦٧
(مسرحة الرَّوْعة) ٣٦٩
القصيدة السادسة: «وادي سمائل» ٣٧٢
القصيدة السابعة: (الثناء الطائل للبلد سمائل) ٣٧٤
القصيدة الثامنة: التذكار الوطني ٣٧٧
القصيدة التاسعة: (روضة الألباب) ٣٨١
القصيدة العاشرة: (هذه هي سمائل) ٣٨٤
(أولاد سَعْد) ٣٨٦

(البَكريّون علماء وأدباء) ٣٨٧
(أولاد الخليلي) ٣٩٠
(أعلام تتألّق) ٣٩٢
(آلُ الخَصَيب) ٣٩٣
القصيدة الحادية عشرة: (هذه سمائل) ٤١٥
القصيدة الثانية عشرة: (في ذكرى أشياخي وأترابي في سمائل) ٤١٩
القصيدة الثالثة عشرة: (في رحاب سمائل) ٤٢٤
القصيدة الرابعة عشرة: سلام على الفيحاء ٤٢٩
القصيدة الخامسة عشرة ٤٣٢
القصيدة السادسة عشرة ٤٣٤
القصيدة السابعة عشرة ٤٣٨
ملحمةُ الوفاء.. لسمائل الفيحاء ٤٣٨
تخميس مشايخ سمائل لقصيدة محمود سامي البارودي ٤٤٤

القسم الثامن: المقامة السمائلية ٤٦١

فهرس المواضيع ٤٨٧